مكتبة الأسرة 1999

مهرجان القراءة للجميع

الأعمال الخاصة

الموالد فى مصر

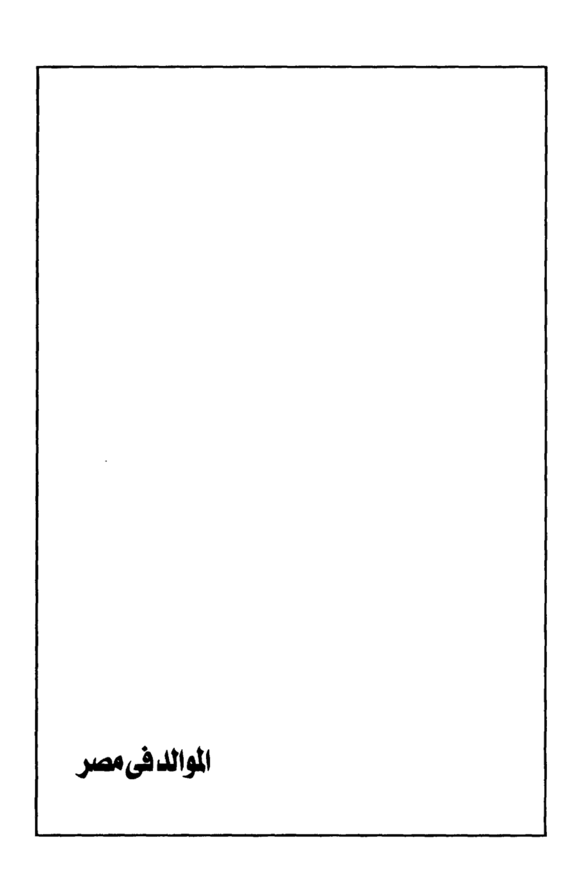
ج. و. مكفرسون

ترجمة وتحقيق: د. عبد الوهاب بكر





الهيئة المصرية
العامة للكتاب



الموالد فى مصر

الموالد فى مصر

تأليف : ج . و . مكفرسون
ترجمة : عبدالوهاب بكر



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الفكرية)

الموالد فى مصر

تأليف : ج . و . مكفرسون

ترجمة : عبدالوهاب بكر

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

مقدمة المترجم

ترجع علاقتى بكتاب «موالد مصر» The Moulids of Egypt لجوزيف ويليام مكفرسون Joseph William Mcpherson الى أربعة عشر عاما مضت (١٩٨٢) ، عندما كنت أعمل أستاذا زائرا بكلية سانت انتونى St. Antony's College، جامعة أوكسفورد بالمملكة المتحدة • فقد عثرت على ذلك الكتاب ضمن مقتنيات مركز الشرق الأوسط ME Center التابع لهذه الكلية ، فاستهوانى موضوعه ، وأعجبنى طرق أجنبى له على ما فيه من خصوصية شديدة تؤدى بالمواطن ابن البلد الى الابتماد عنه ، فما بالك بالرجل ! •

وكنت خلال اعدادى لرسالتى للماجستير (١٩٧٥ ـ ١٩٧٧) قد تعرفت على الرجل من خلال أوراق خدمته بالحكومة المصرية (١٩٠١ ـ ١٩٢٥) ، فكشفت لى أوراقه عن تنوع غريب فى خدماته •

بدأ مكفرسون حياته فى مصر كمدرس للكيمياء فى المدرسة الخديوية ، ثم مدرسة الزراعة العليا ، وعندما قامت الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) التحق بالمجهود الحربى لبلاده ، فعين ضابطا بفرق الجمالة المصرية Egyptian Camel Transport Corps ، التى جندها البريطانيون خلال سنوات الحرب العظمى للمساهمة فى نقل المياه والمعدات

والمؤن للقوات المقاتلة في حملة سيناء ـ وقادته هذه الخدمة الى المشاركة في معركتي « روماني » و « غزة » . وعندما أصيب في هذه الحملة (١٩١٧) أعيد الى القاعدة في مصر ، حيث عمل معاونا للقائمقام باكستون Paxton ، قائد محلة المعتقلين بالجيزة ـ ذلك المعتقل الذى كان يحتجز به من يخشى البريطانيون من تعاونهم مع الدولة العثمانية من المصريين ، أو من كان نشاطه يشكل خطورة على أمن الاحتلال ، ومنح رتبة البمباشى (مقدم) في البوليس المصرى .

عندما أطاح رسل باشا Thomas Russell حكمدار بوليس العاصمة (١٩١٧ ـ ١٩٤٦) بجورج بك فيليبيس George Philippides ، رئيس جهاز البوليس السرى بالقاهرة في عام ١٩١٧ بعد اثبات تقاضيه للرشا من المواطنين مقابل عدم الزج بهم في محلة المعتقلين بالجيزة ، الخ ـ لم يجد سوى « البمباشى مكفرسون » ليتولى وظيفة « مأمور الضبط » بالعاصمة . وعلى مدى الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ انغمس « مكفرسون » في قضايا العمل الوطني في مصر ـ فقبض على الكثير من الوطنيين المشاركين في قضية تحرير بلادهم من ربقة الاستعمار ، وكان مسئول البوليس السياسي الأول في الوقت الذى جرت فيه ثورة مصر الكبرى ، وعرف سعد زغلول ، وعدلي يكن ، وحمد الباسل ، ومحمد محمود عن كثب .

لكن تعرضه لتهديدات من قبل الجماعات السياسية التى كانت تستخدم العنف السياسي وسيلة لمقاومة الاحتلال في ذلك الوقت ، أدى الى نقله في عام ١٩٢٠ للعمل كضابط مخابرات وجوازات السفر « بالقنطرة » على الضفة الشرقية للقنال ؛ لمراقبة الشخصيات غير المرغوب في دخولها الى مصر عن طريق فلسطين .

في عام ١٩٢١ نقل مكفرسون الى بوليس القاهرة مرة أخرى للعمل بجهاز البوليس السياسي ، لكن ليس مأمورا للضبط هذه المرة • وفي عام ١٩٢٥ كان قد بلغ سن التقاعد فترك الخدمة المصرية واستقر في بيته الذى كان قد اشتراه من بعض رجال طائفة الفرنسيسكان بمنطقة «بين السرايات» بالدقي، وأقام به حتى مات بالقاهرة في ٢٢ يناير ١٩٤٦ •

في عام ١٩٩٣ أهداني المرحوم الدكتور / علي شلش ــ الأديب المصرى العظيم المغترب في انجلترا ــ نسخة من كتاب عن « مكفرسون » بعنوان : « الرجل الذى أحب مصر » ، The Map Who Loved Egypt • كان الكتاب عبارة عن «ترجمة» للرجل من خلال مجموعة الخطابات التى أرسلها الى أهله على مدى نصف قرن (١٩٠١ ــ ١٩٤٦) •

ومن خلال الكتاب ازدادت معرفتي بالرجل ــ كان قد ولد في عام ١٨٦٦ في مقاطعة سومرست Somerset بجنوب غربي انجلترا ، وتلقى تعليمه الأولى في مدرسة التجار المغامرين ببريستول Bristol ، حيث درس اللاتينية واليونانية والآداب • في عام ١٨٨٣ فاز بمنحة للدراسة في مدرسة العلوم الملكية بدبلن Dublin بأيرلندا ، ثم تلقى بعد أربع سنوات منحة أخرى للدراسة في كلية كريست تشيرش Christ Church بأوكسفورد ، حيث حصل على درجته العلمية الأولى في العلوم الطبيعية ، وعمل بعد الدراسة في أوكسفورد سكرتيرا لبارون كامويس Baron Camoys ، ثم دخل سلك التعليم حيث درس في مدرسته الأولى ببريستول ومدارس أخرى ، ثم اشتغل محاضرا في أوكسفورد •

لكن أحلام « مكفرسون » كانت منذ صباه ــ كما يقول ــ هي العيش في القاهرة ، ليعرف ويرى ما يمكن من الأماكن والناس واللغات في منطقة البحر المتوسط عامة ، ووادى النيل بصفة خاصة •

فى سن الخامسة والثلاثين علم « مكفرسون » بوصول وفد من الحكومة المصرية ، يضم من يدعى مستر « هوتون » Houghton لجمع عدد من خريجى جامعة اوكسفورد للخدمة فى الادارة المصرية ·

وفى الحال فاز « مكفرسون » بوظيفة التدريس فى مدارس نظارة المعارف المصرية (١٩٠١ ـ ١٩١٤) ، ثم سارت سيرته كما أوضحت فى السطور السابقة ·

خلال السنوات الخمس والأربعين التى قضاها فى مصر ـ كتب « مكفرسون » الى اخوته وعائلاتهم ما ينوف على ثلاثة آلاف صفحة من الخطابات ، تضمنت وصفا لحياته فى مصر ، مغامراته فى الرحلات ، مراسلاته الحربية ، قصص الغموض والبحث ، حوادث تاريخية ـ وكلها تكشف عن قاص بالفطرة ، ومحلل رائع ، وشخصية مثيرة للدهشة ·

كانت شخصية « مكفرسون » كما يصفها أصدقاؤه ، شخصية ذات متناقضات كثيرة ، مؤمن بمذهب المتعةHedonism الى حد ما ، راهب وعلمانى ، متقبل للتجارب الجديدة ، لكنه صلب ضد التحامل ، حساس وسريع الاستجابة عاطفيا للمصريين لكنه مزدر لآمالهم السياسية ، انعزالى محب للصحبة الجيدة ، مؤمن بالكاثوليكية مع اهتمام عميق بالاسلام، نشط الى حد العنف ومنعزل الى حد الكسل، متحضر كاكثر ما يكون الرجال تحضرا ، مع مسحة من التبلد المخادع وولع بالعنف · كان شيئا من الممثل ، المصور لنفسه فى قالب مسرحى ، والذى يمكنه أن يلعب بزهو أى دور فى الحياة يكلف به ، سواء كرحالة ، مقاتل ، محقق ، أو البجعة العجوز·

لكن « مكفرسون » وصف نفسه فى خطاباته الى أهله بأن طبيعته الأساسية كانت هى حب التشرد والحرية ، رهبة أى نوع من القيد ، كالحيوانات التى تأنس للانسان وتحب

الصحبة الانسانية والحنان ، لكنها تجفل عند الامساك بهـا أو تهديد حرية حركتها من جانب الأصدقاء الذين يحبونها ٠

ولقـد بدا هـذا كله واضحا فى العمـل الذى كتبه « مكفرسون » ، « موالد مصر » ٠ فبالرغم من ان العمل هو دراسة شاملة للاحتفالات الدينية الاسـلامية ، الا ان روح التشرد والترحال وعدم الاستقرار تبدو فى كل سطر فيه ٠

لم يكن كتاب « المـوالد » مجرد وصـف للاحتفـالات المصريه بذكرى مولد « ولى » أو « أولياء » ، لكنه كان سياحة دينية ، اجتماعيـة ، ثقافية ، فى قلب الشـارع والحـارة المصرية ٠ وصف لطبـاع المصريين ، عاداتهم ، أسـاليب حياتهم ، أنماط سلوكهم ، وانطباع الأجنبى فى نفس الوقت ازاء هذا كله ٠ نوع من الأفعال وردود الأفعال ، وهذا كله مغلف بنزعة صوفية اكتسبها الرجل من اختلاطه بالدراويش ، ورجال الطرائق الصوفية اختلاطا على مستوى الحياة اليومية والمعايشة عن كثب ٠

ولقد سيطرت هذه النزعة الصوفية على كتابة «مكفرسون» عندما هاجم قضية تعطيل الموالد أو الغائها ، وتعصب لفكرة ان القديم دائما أفضـل من الحـديث ٠ ومن المعـروف أن « القديم على قدمه » مبدأ من المبادىء التى يعتنقهـا رجال الطـرق الصـوفية فى مصر ٠ ولقد أثبت « فاروق أحمـد مصطفى » ذلك فى عمله «الموالد ـ دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر » الصـادر عام ١٩٨١ ، عنـدما قال أن مكفرسون كان يرى أنه « لا يجوز تخريب وتدمير العـادات والتقاليد والنظم الدينية الموروثة مهما كانت الدعـوة الى الاصلاح » ٠

لكن « مكفرسون » لم يكتب عن « الموالد » من منظـور عالم السوسيولوجى أو الانثروبولوجى ـ بل كتب عنها من منظور الجوال المرتحل الذى يقف كثيرا أمام الحدث ، محاولا

تفسيره تفسيرا بسيطا غير مرتبط بالنظريات الاجتماعيه أو الاثنية ٠

فقط فى حالة واحدة ، ربط « مكفرسون » بين ظاهرة ارتباط أغلب الموالد بالأشهر القبطية وبين الاحتفالات بأعياد بعض الآلهة القديمة ، أيضا بعض مظاهر الاحتفال فى موالد معينة وصلتها بمظاهر مشابهة فى احتفالات مصرية قديمة ٠

وفيما عدا هذه الاستثناءات البسيطة ، فان «مكفرسون» حرص على جعل عمله دراسة تسجيلية لحياة المصريين من خلال دراسة الموالد ، مع التركيز على رواد هذه الموالد من الفقراء الذين يشكلون النسبة العظمى من الحجاج الى مثل هذه الاحتفالات ٠ وهكذا ، فان المرء يشعر بتعاطف «مكفرسون» مع هذا النفر من الشعب المصرى الطيب الذين يضعون أيديهم على أضرحة أولياء الله الصالحين ، يطلبون منهم العون والمدد ٠٠٠ !! هذا الفصيل من المصريين الذين لا يعرف أغلبيتهم من متاع الدنيا سوى «الانجاب» و «المعسل» و « الفول والطعمية » ٠

ولعل أفضل وصف لعمل « مكفرسون » هذا ، هو أنه مزيج من دراسة « لين » Lane فى « المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم » ، وشيء من عمل « توماس رسل » Thomas Russell «الخدمة المصرية» Egyptian Service ، الى جانب لمحة من دراسة جومار Jomard عن « القاهرة » فى كتاب « وصف مصر » ٠

فهو يحرص على تسجيل العادات المصرية والآداب الشعبية بدقة متناهية ، مستعينا فى ذلك بالخبرة التى اكتسبها من مخالطته للناس فى الشارع والحارة والزقاق والعطفة والبيت والسوق والموسم والمسجد والحفل ٠

كان يرى ويسمع ويتقصى ويستفسر ويبعث بمن يخبره ، ويستفهم عن أدق الأشياء وأبسطها ، ويستبط ويتأثر ويحكي ، ليقدم سجلا عن مصر من خلال دراسته عن « الموالد » .

ومن خبراته كضابط في جهاز الأمن وصف الفلاحين والقبائل وعاداتهم وأحوالهم ، ووصف حوارى المدن وشوارعها ومظاهر الحياة الشعبية بعين رجل الشرطة الذى يحرس الأحياء أثناء دوريته . ومن هذه الخبرات عرف الأخيار والأشرار ، وعقد صداقات كثيرة مع نوعيات مختلفة من الناس ، مكنته من تقديم نوعية جديدة من الكتابة عن المجتمع المصرى .

تبقى لمحة « جومار » في عمل « مكفرسون » ، وفي هذا المقام فان الرجل وصف مدينة القاهرة ـ من منظور الموالد ـ مستعينا بالخرائط التفصيلية ، فخطط الشوارع ورسم الحدود ، وحدد المعالم بحيث أعطى القارئ فكرة واضحة عن قاهرة النصف الأول من القرن العشرين فيما لو أراد المرء أن يقارنها بقاهرة نهاية القرن . هناك أسماء الشوارع القديمة ، خطوط الترام وأرقامها ، خطوط سير وسائل المواصلات ، خطوط سير الأتوبيس ، الأحياء وأحوالها ، المعالم الرئيسية للمناطق ، الضواحى ، العشوائيات من المناطق ، المقابر ومدن الموتى ـ فكان هذا كله تسجيلا ووصفا لحالة القاهرة فى فترة لم يكتب عنها أحد حسب علمى .

لقد تعرضت القاهرة بعد ثورة ١٩٥٢ لثورة عمرانية شاملة جعلت من الصعب على المراقب الآن أن يتعرف على الكثير من معالمها التى اندثرت ـ أحياء بأكملها زالت ـ أراض فضاء اكتست بغابات الأسمنت المسلح ـ شوارع جديدة شقت ، وشوارع قديمة تغيرت أسماؤها ، مبان أزيلت

من اساسها وحلت محلها مبان حديثة ـ قرى ريفية دخلت فى نطاق المدينــه ، خطوط الترام ازيلت وحلت محلهــا انفاق المترو الجديدة ، مواضع كثيرة ازيلت وحلت محلها مواضع جديدة • من هنا تاتى أهميــة « موالد » « مكفــرسون » ، فكتابه بفضل الخرائط التى ضمنها اياه يمكنه أن يحدد لنــا بدقة موضع المعلم أو الأثر الذى يذكره ، كذلك فان وصفه للمدينة وضواحيها يضيف الى الخرائط فائدة كبيرة فى مقام التعرف على معالم المدينة فى أول القرن العشرين ـ لهــذا فليس من المبالغة فى شىء أن يوصف عمل « مكفرسون » هذا بأن به نوعا من « الخطط » التى سبق أن مارسها المقريزى وعلى مبارك •

يضم الكتــاب وصــفا لمــائة وستة وعشرين مولدا فى القاهرة وبعض المناطق فى الوجه القبلى والدلتا ، ومن هدا المنظور فانه يحمل أهمية علمية كبيرة للمهتمين بالدراســات الاجتماعية • لكن الكتاب فى نفس الوقت لا يمــكن الا أن يكون ملحقا جديرا بكتابات لين Lane الخالدة ، واننى فى هذا المقام أجد نفسى منساقا لتسمية « مكفرسون » «لين» القرن العشرين •

على الجانب الشخصى ، فان أهم ما يميز « مكفرسون » ككاتب هو قدراته اللغوية العالية ، فقد أحاط باللغة العربية احاطة مكنته من فهم الحياة المصرية فهما دقيقا ، واستخدم فى مقام شرح حياة المصريين كما ضخما من مفردات الفصحى العامية كشف لنا عن تمكن تام من هذه اللغة ، بل وقد بدا من خلال استخدامه لبعض آيات القرآن الكريم تمكنه التام من معانى هذا الكتاب ، ولقد بدا هذا واضحا فى جعل شعار كتابه « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » ، تأكيدا للقضية التى آمن بها عندما عرض للموالد ـ وهى التمسك بالتراث والقيم والعادات القديمة المصرية ونبــذ الجــديد

المستورد من الغرب ، فكانت العادات والتراث المصرى هو « الخير » ، وكان المستورد من الغرب من العادات هو « الادنى » ٠

كذلك فقد كشفت صفحات الكتاب عن تمكن الكاتب من اللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية ـ وفى هذا المقام فقد استخدم اللاتينية فى كتابه استخداما غزيرا ٠ فخرج الكتاب خليطا من الانجليزية والعربية واللاتينية والفرنسية والايطالية ـ ولكن فى حدود المناسبة ٠

قسم مكفرسون كتابه الى مقدمة طويلة وخمسة فصول ، فتحدث فى الفصل الأول عن الموالد وأصولها وأغراضها ، وتحدث فى الفصل الثانى عن أماكن الموالد ومواعيدها ومواسمها ، وفى الفصل الثالث ناقش الجانب التعبدى للموالد ، أما الفصل الرابع فقد خصصه للحديث عن الجانب الدنيوى لها ٠

كان الفصل الخامس هو صلب العمل ، فهو فصل ضخم للغاية (٢٢١) صفحة ، جعله المؤلف بعنوان « الموالد ، مظاهرها الشخصية » ٠

فى هذا الفصل أرفق المؤلف تقويما للمواعيد التقريبية، وقائمة بالشهور القبطية والشهور العربية ، وخرائط قطاعية للقاهرة حدد فيها مواقع الموالد ، ثم أتبع ذلك بدراسة وصفية مطولة لمائة وستة وعشرين مولدا اسلاميا وقبطيا فى القاهرة وبعض الأقاليم الريفية ٠

وعندما فات المؤلف ذكر بعض الحوادث ألحق بفصله الخامس هذا مقطعا أخيرا Envoi ثم ذيلا آخر ـ وختم هذا كله بمسرد للكلمات المسيرة فى عمله ٠

عندما أقدمت على تحقيق هذا العمل وجدت أن التقسيم الذى وضعه مكفرسون له غير موضوعى فى أكثر من مناسبة ٠

ـ فقد اختل التوازن بين الفصول وبعضها البعض ـ اذ بينما كان عدد صفحات الفصل الأول ثمانية ، وعدد صفحات الفصل الثانى أربعة عشر ، وعدد صفحات الفصل الثالث ثلاثة وعشرين ، وعدد صفحات الفصل الرابع ثلاثة وعشرين أيضا ـ اذا بعدد صفحات الفصل الخامس تبلغ المائتين واحدى وعشرين صفحة ـ وهو عدد من الصفحات ضخم للغاية بالمقارنة بعدد صفحات الفصول الأخرى ، ويكشف عن افتقار الكاتب للموضوعية فى ترتيب عناصر العمل الذى تصدى له ٠

ـ وخلط الرجل بين الموالد الاسلامية وأعياد القديسين المسيحية ، حيث يحسن الفصل بينهما ـ لتقليل حجم الفصل المشار اليه على الأقل ٠

ـ وأضاف الاحتفال بمولد النبى ﷺ الى باقى الموالد، برغم ما سبق أن أشار اليه فى كتابه من أن المعيار الذى ينبغى الأخذ به فى اعتبار المناسبة الدينية (مولدا) هو معيار المحلية Locality ، أى أن يكون هناك ضريح لولى، فى مكان معين يحج اليه الناس للاحتفال به ، وهذا ما لا يتوافر فى حالة (مولد النبى عليه الصلاة والسلام) و (مولد السيدة العذراء) وغيرهما ٠

ـ وأضاف فى الذيل الذى أضافه فى نهاية الكتاب عدة مقتطفات من الصحافة عن الاحتفال بسفر وعودة «المحمل» ، وهو أمر منبت الصلة بالموضوع الذى كتب فيه (الموالد) ٠

ـ وحشا الفصل الخامس بخرائط وجداول كان يمكنه أن يلحقها بآخر الكتاب ؛ ليخفف من الضخامة الفائقة للفصل الرئيسي من العمل ٠

ومن جانبي ، فقد أعدت تقسيم الكتاب وفق ما أعتقد أنه صواب ـ وأرجو أن يكـون كذلك ـ فجعلت الخـرائط والجداول التي بالفصـل السـادس في ملاحق الدراسـة ، وخصصت للموالد القبطية فصـلا مسـتقلا ، وكذلك فعلت بالنسبة لمولد النبي ﷺ ، فجاءت الدراسة في سبعة فصـول كما هو موضح بالفهرس ٠ ولو كان لي أن أختـار عنـوان الكتاب لكان « الفولكلور الديني في مصر » ، وهـو أقرب وصف ـ في اعتقادي ـ للموالد وما يتخللها من أنشطة ٠

نشر « مكفرسون » كتابه « موالد مصر » في عام ١٩٤١ بالقاهرة ٠ ولقد كان هذا العمل هـو نتاج أربعين عاما من الدراسة المفتونة ٠ وكتب الأنثروبولوجي ايفانز بريتشارد ـ الأستاذ بجامعة الاسكندرية في ذلك الوقت ـ مقدمةللكتاب أعلن فيها أنه في هذا النوع منالتخصص، تلميذ «لمكفرسون»، وأضاف : « انه اسهام لمعلوماتنا عن الحياة المصرية ، ملحق جدير بكتابات « لين » الخالدة ٠ لقد دفع الماجور «مكفرسون» لشـعب مصر الدين الذى كان يعترف به بحـرية من أجـل الكرم والعطف الذى تمتع به على أيديهم على مدى نصـف قرن » ٠

في مدينة القاهرة الهائجة في أوائل الأربعينيات كان « مكفرسون » يرى شاقا طريقـا عبر حركة المرور راكبـا حماره الأبيض ، ومصحوبا بسائسه فقد كان لا يملك سيارة ونادرا ما سافر مستخدما واحدة معتبرا السيارة واحدة من لعنات العصور الحديثة الكبرى ٠ كان يبحث في المعتقدات وممارسات الصوفية ، التأمل في الاسلام ، والمظاهر المقدسة

للموالد • لكنه احتفظ بأغلب أوصافه التفصيلية للجانب الدنيوى منها ، احتفالات الترفيه •

فى كتابه « الموالد » سجل « مكفرسون » سجلا كاملا لوسائل اللهو المصرية ، والتى يعود الكثير منها الى العصور الوسطى، وفى بعض الحالات الى العصر الفرعونى : المواكب، رقصات التهويم ، الغناء ، الموسيقى التقليدية على آلات غريبة غامضة ، السحرة ، الأقزام ، العمالقة ، الرجال الأقوياء ، مرقصو العضلات muscle dancers ، آكلو النار ، مروضو الثعابين ، الخيول الراقصة ، ألعاب الحظ واختبارات القوة ، تماثيل السكر المزينة بالشرائط اللامعة ، الاكشاك الرائعة المزينة بالأنوار ـ قائمة لا تنتهى من وسائل المرح الشعبية • ومع هذا فاننى لا أدعى أن كتاب « الموالد » هو دراسة سوسيولوجية أو أنثروبولوجية أكاديمية ، لكنه مع هذا كتاب لا غنى عنه لمن يرغب فى التعرف على مصر التى نسيناها ـ وهذه قيمة « مكفرسون » •

فهذا الاسكتلندى القح، الذى جاء الى مصر فى أول عام من القرن العشرين ليعمل بتدريس الطبيعة والكيمياء بمدارس الحكومة ، والذى انتهى به الأمر الى « درويش دوار » يطوف شوارع القاهرة على حماره الأبيض على مدى نصف قرن ، والذى عرف الى جانب القرآن الكريم ، العربية العامية والفصحى ، الدراويش وطوائفهم ، المساجد والأعياد الدينية ، الأديرة والتكايا والخلوات ، زفة المولد والخليفة، احتفالات ختان الأطفال ، حلقات الذكر والمنشدين ـ هذا الرجل •• استطاع أن يخرج وحده عملا يعد بحق نسخة جديدة من « وصف مصر » الذى أخرجه جيش من العلماء الفرنسيين فى أوائل القرن التاسع عشر •

مصر الجديدة ـ أبريل ١٩٩٦ دكتور

عبد الوهاب بكر

مقـــدمة

للبروفيسور اى · اى · ايفانز بريتشارد

عندما طلب منى صديقى القديم (الرائد مكفرسون) أن أكتب مقدمة لكتابه عن الموالد المصرية ، فانه كسر تقليدا معمولا به ، فالتلميذ لا يكتب مقدمة لكتابات أستاذه · ان ما أعرفه عن الموالد فى مصر قد تعلمته منه ، وهو لم يتعلم شيئا منى عن هـذه الموالد · ولقـد عرفنى (مكفرسـون) بالموالد ، وكثيرة هى الليـالى الممتعة التى قضيتها معـه فى زيارة مقابر الأولياء فى القاهرة ومجاوراتهـا ، فى وقت الاحتفالات السنوية التى تقام تكريمـا لهم · وباعتبـارى أنثروبولوجيا (متخصصا فى علم الانسـان) ، فان هـذه الزيارات كانت ذات فائدة لى الى جانب انها متعة ، (فالرائد مكفرسون) كان يجذب انتبـاهى الى الـكثير مما لم أكن لاحظه لو كنت وحدى ، وكان يشرح الـكثير الذى لم أكن أستطيع فهمه عن طريق قراءة الكتب ·

سيصاب الأنثروبولوجى فى الحال بصـدمة : بسـبب التشابهات الأساسية بين الموالد المصرية والاحتفالات الدينية لأقوام آخرين · وأتصور لهذا السبب أن المؤلف طلب منى أن أكتب مقدمة لكتابه ، كذلك فاننى لهذا السبب قد قبلت شرف فعل ذلك · أملت أن أقدم فى هـذه المقـدمة تحليلا قصيرا للأعياد الدينية · لكن هذه الدراسة يجب أن تنتظر الآن لأوان أكثر ملاءمة · وعندما يتم ذلك فان كتاب(الرائد مكفرسون) عن الموالد المصرية سـيكون أحـد المصادر الرئيسية لهـذه

الدراسة · ومثل هذا المشروع يحتاج الى وقت فراغ واستخدام مكتبة ، ولابد أن أكتب هذه المقدمة عن دورية على الحدود الأثيوبية بعيدة عن الانسان بعدها عن الآخر ·

ومع هذا ، فانني سأركز على حقيقه ذات أهميه قصوى، قدمها (الرائد مكفرسون) في كتابه · وفي الحقيمه فان القول بأنه قد قدمها في كتابه ، فيه شيء من الظلم له ، لانها (الحقيقة) الموضوع الأساسي في دراسته · فهو يقول ـ وأنا أوافقه ـ ان المولد ليس ، ولا يمكن أن يكون ، احتفالا دينيا خالصا · فالمولد له ـ ويجب أن يكون فيه ـ جانب علماني · فالرياضات ، المسابقات ، المسارح ، خيال الظل ، أكشاك المقاهي ، أكشاك الجعة ، أكشاك الحلوى ، المطاعم ، التقاء الأصدقاء ، الغناء ، الرقص ، والضحك ، كل هذه تمثل جزءا كبيرا من المولد تماما كما تمثله المواكب الدينية ، زيارة أضرحة الأولياء ، والصلوات في المساجد · ان الجانب المرح والعلماني للاحتفالات الدينية جزء أساسي في كل الاحتفالات الدينية الشعبية · لا ديانة تعيش في قلوب الناس يمكن أن تبقى في القلوب دون أعياد لها · اذا انعزل الاحتفال والشعائر الدينية عن بعضهما البعض ، فان هذا يعني أن الاحتفال يعمر أكثر من الشعائر · لقد قال مفكر حاد الذكاء (باريتو Pareto) انه في تاريخ الشعوب تتغير كثيرا الأسباب التي تدفع لاقامة الأعياد بينما ترى الأعياد نفسها تماثلا ملحوظا من عصر لعصر ·

لقد لاحظت مرارا ـ وكل دارس لأساليب الشعوب البدائية قد لاحظ نفس الحقيقة ـ ان الاحتفال الديني الذى له أية أهمية في وسط أفريقيا ، لا يمكن أن يقام دون وليمة · لابد أن يتوفر الكثير ليؤكل ويشرب ، وأن تكون اللحوم من نوع لا يستهلك يوميا · وقليلة جدا الاحتفالات التي تقام دون رقص أو غناء · ولقد بلغ من كثرة هذا حد أن (ماريت)

(Marett) قد حدد واحدا من المظاهر الرئيسية فى الديانات البدائية عندما لاحظ ان بسطاء الناس يرقصون دينهم بدلا من اعتباره دينا • ان الاحتفـالات الدينية دائما ما تكـون عطلات وعيدا • أننى أتكلم عن الشعوب البدائية لأننى قضيت سنوات كثيرة فى دراستهم • لكن ما كتبتـه عنهم فى هـذا المقام قد تتساوى الكتابة فيه عن الديانات الكبرى للشـعوب المتمدنة ، وديانات الشعوب الأوروبية وشعوب الشرق •

تجنح الاحتفالات الدينية دائما الى الارتباط بالانشطة العلمانية والاحتفالية • والمهرجانات العلمانية تجمع الناس معا وتجعل المناسبة تذكارية فى حياتهم • ان الرجل يتذكر الذى استمتع به • تزود الشعائر الدينية المهرجانات بالهدف أو الغرض وتكوين التجمع المركزى الذى يتحـركون داخله • وتمنع المهرجانات تحول الجانب الدينى الى شـعيرة جامدة عديمة الحياة رسمية يقـوم عليها أشـخاص قليلون لديهـم اهتمام محلى أو خاص بالمحافظة عليها • كذلك فان الشعائر الدينية تمنع المهرجانات من أن تصبح تجمعات اجتماعيـة عديمة الشكل والصورة ، مفتقدة للانتظام والمظهر الخاص بها الذى يمكنها من الثبات • ان جديلتى الدين والعلمانيـة منسوجتان بشكل متداخل معا ، وهـؤلاء الذين يحـاولون الاحتفاظ بالواحد ويهملون الآخر ، يخلو عملهم هـذا من الحكمة •

هذه هى الفكرة الأساسية فى عمل (الرائد مكفرسون)، ولكن رغم أنه ينافح بشجاعة أمام التزمت والبيروقراطية الصغيرة التى تسعى لتمنع الجانب العلمانى من الموالد فى مصر ، فان كتـابه ليس جدليا بأية حال من الأحوال • انه وصف للموالد القاهرية وبعض الموالد فى المحافظات ، وهذا يجعل منه عملا ذا قيمة كبيرة • انه مساهمة لزيادة معرفتنا عن الحياة المصرية ، اضافة جديرة بالاعتبار للكتابات الخالدة

لين Lane (١) • لقد دفع (الرائد مكفرسون) الى الشعب المصرى الدين الذى يعترف لهم للكرم والسماحة اللذين تمتع بهما على أيديهم على مدى نصف قرن •

---

(١) ادوارد ويليام لين Edward William Lane مستشرق انجليزى ــ الف كتابا عن مصر بعنوان :
An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians
طبع فى لندن عام ١٨٦٠ ــ ترجمه عدلى طاهر نور تحت عنوان (المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر) ، طبع فى القاهرة ١٩٥٠ • ويعتبر « المصريون المحدثون » هذا من اعظم ما كتب فى وصف مصر والمصريين فى القرن التاسع عشر •

اما صاحب المقدمة فهو سير ادوارد ، ايفانز ــ ريتشارد Evans Pritchard Sir Edward (٢١ سبتمبر ١٩٠٢ ــ ١١ سبتمبر ١٩٧٣) ــ انثروبولوجى اجتماعى انجليزى متنفذ • قام فى العشرينيات والثلاثينيات بابحاث اثنوجرافية ميدانية شاملة فى افريقيا • كان استاذا للانثروبولوجيا فى جامعة اوكسفورد من ١٩٤٦ الى ١٩٧٠ • يعد كتابه «النوير» The Nuer (١٩٤٠) الذى يصف مجتمع واقتصاد شعب رعوى ترجمة وتفسيرا من الطراز الاول فى التفسير الاثنولوجى • تضم كتاباته الرئيسية الكبرى Theories of Primitive religion (١٩٦٥) ، The Azande, History and Political institutions (١٩٧١) •

— Lexicon Universal Encyclopedia-lexicon publications. Inc. N.Y. - vol. 7. p. 313.

مقـدمة المـؤلف

قضى الكاتب أكثر من نصف حيـاة طـويلة فى مصر ، ويشكر الله أن منحه هذا الامتياز • منـذ صباه المبـكر كان حلمه أن يعيش فى القاهرة ، ومن هذا الحلم كمركز أراد أن يرى وأن يعرف أكثر ما يمكن عن الأماكن والناس واللغـات فى البحر المتوسط ، لكن على وجه الخصوص فى وادى النيل •

وجد القاهرة كنزا لا ينضب من الاهتمام والسرور ، وعندما كان يتجول وحده لساعات ، يستكشف ، حتى يتوه كلية ، كان يعرف أن أى عربجى ، حمار ، أو شخص ، يمكن أن يأخذه أو يشرح له الطـريق الى موقع معـروف جيـدا كحديقة الأزبكية أو كوبرى قصر النيل • كان سعيد الحظ أيضـا فى وقوعه بين أيدى طيبـة خـلال أسبوعه الأول ، وكان يشعر بالامتنان لكرم عائلة حامد بك محمـود وزير الصحة(١) ، والدكتور ابراهيم زكى كاشف ، حيث قضى فى بيوتهما سواء بالمدينة أو الريف أوقاتا ممتعة ، كذلك الأمر بالنسبة للمرحوم الشيخ محمد بخيت (٢) الذى تجول معـه لشهور فى الصعيد •

---

(١) تولى الدكتور حامد محمود وزارة الصحة فى وزارة محمد محمود الرابعة (٢٤ يونيو ١٩٣٨ ـ ١٨ اغسطس ١٩٣٩) ـ ووزارة على ماهر الثانية (١٨ اغسطس ١٩٣٩ ـ ٢٧ يونيو ١٩٤٠) ـ ووزارة حسين سرى الثانية (٣١ يوليو ١٩٤١ ـ ٤ فبراير ١٤٩٢) •

ـ يونان لبيب رزق « تاريخ الوزارات المصرية » ـ الاهرام ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ القاهرة ١٩٧٥ ـ ص ١٤٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٩ •

(٢) عضو المحكمة الشرعية العليا فى مصر ، تولى منصب مفتى الديار المصرية ، توفى عام ١٩٣٥ •

ـ راجع مذكرات سعد زغلول ـ ج٢ ـ تحقيق عبد العظيم رمضان ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ـ القاهرة ١٩٨٨ ـ ص ٩١٢ ، حاشية ٤٠٢ •

وقد أعطاه عمله أيضا ، المدنى والعسكرى فى السنوات المتأخرة قدرات للتجول فى أى مكان والحصول على معلومات وصلات وثيقة بأماكن وأناس ، كانت مستحيلة لو لم يكن حائزا لهذه القدرات ·

كان هذا هو الأمر على وجه الخصوص عام ١٩١٩ ، عام الثورة فى مصر ـ والسنوات اللاحقة عندما استلزمت رتبته العسكرية ، البريطانية والمصرية ، ووظيفته « كمأمور ضبط » ـ وهى نوع من عمل المحقق الأول على رأس البوليس السرى ، غشيان داخلية القصور والأكواخ : بل وفى بعض الأحيان أماكن الحريم ، لأن سادتهن والمترددين ، كانوا يفضلون بلا تردد ـ عندما يعطون حق الاختيار ـ أن يقوم الضابط بهذه المهمة الحساسة ، بدلا من مخبر من الجنس الآخر الذى يعد هذا هو عمله الخاص ·

(وكحالة خطيرة ، فاننى أذكر ما كلفت به من الكشف والكتابة عن طقوس وحشية كانت تمارس فى منزل مشبوه فى ايواء شخصيات محرضة ، على حافة الجبل شرقى (سيدنا الحسين) ، والقبض اذا كان ضروريا على المجموعة · ولقد تبين من التحريات أن الأمر عبارة عن « زار » ، وقد أدهشت « كاهنة » من الجن منشغلة هى ومساعداتها العذارى فى انجاز تضحية بالدماء على المذبح ، بهدف طرد أرواح شريرة من امرأة (ملبوسة) · فعندما أصررت على البقاء حتى تحول آخر عفريت الى ابليس ، أو احضار قوتى الصغيرة (من رجال البوليس) ونقل كل الحاضرين الى قسم الجمالية لشرح كل القصة فى (محضر) ، فان الحاضرات اخترن الاستمرار فى المهمة ، بعد ما بذلت عينا (مدوسا Medusa) المالة ، طاردة الأرواح كل ما فى قدرتيهما لتحولانى الى حجر

كأعـــداء جاســون Jason • وبالنسبة لى ، فاننى لا أعلم عن حالة أخرى شاهد فيها رجل (زارا) (٣) •

وعند التقاعد فى عام ١٩٢٤ كان فى جعبتى كم كبير من الملاحظات والموضوعات التى أستطيع التعامل معهـا خـلال فترة حياتى ، وهذه المادة لم تترك لى ساعة واحدة للكسل •

---

(٣) فى الاساطير اليونانية ، كانت ـ مدوسا Medusa هى الاخت الوحيدة المميتة فى الفورغونات الثلاث Gorgons بنـات اله البحر فوركيس Phorcys وزوجته التى هى اخته سيتو Ceto • كانت البنات الثلاث جميلات للغاية ثم تحولن الى وحوش بشعى المنظر ، كانت الحيات فى رؤوسهن بديلا عن الشعر ، ولهن مخالب من البرونز ، وعيون محدقة قادرة على مسخ اى شخص ينظر اليها الى حجر • قتل البطل الاسطورى برسوس Persus الاخت مدوسا بقطع راسها ، ومن الدم الذى انبثق من رقبتها ولد الجواد المجنح بيجاسوس Pegasos • استخدم برسوس راس مدوسا فى تحويل أطلس Atlas وبعض اعدائه القليلين الى حجر (ومن هُنا جاءت تسمية جبال اطلس) ، لكنـه اعطى الرأس فيما بعد الى اثينا Athena التى وضعته فى منتصف درعها •

اما جاسون Jason فقد كان ابن ايسون Aeson وقائد للغامرين Argonauts الذين كانوا يبحثون عن الصوف الذهبى Golden Fleece • بعد أن اغتصب عمه بلياس Pelias عرش لولكلوس Lolcus ، اخـذ جاســون الصغير الى قنـطور Centaur (كائن خرافى نصفه رجل ونصفه الاخر فرس) شيرون Chiron الذى رباه على جبل بليون Pelion ، وعندما اصبح رجلا وطالب بمملكته كلفه بلياس بمهمة احضار الصـوف الذهبى • امر جاسون ببناء ٥٠ سفينة بمجاديف تسمى أرجو Argo ، جمع لها طاقما ضم هرقل Hercules ، اورفيوس orpheus ، تيسوس ، وابطالا آخرين • كانت رحلات جاســون والارجونوت Argonauts مليئة بالخطر والمغامرة ـ العواصف فى البحار ، الاغواء من جانب نساء جميلات ، التغلب على وحوش خرافية • لكنهم فى النهاية وصلوا كولخيس Colchis ، أرض الصوف الذهبى •

فى كولخيس استخدم جاسون الثيران التى تتنفس النار فى الحرث ، بذر اسنان تنين كادموس Cadmus ، هزم ابطالا واخذ الصوف بمساعدة الاميرة ميديا Medea التى عاد معها الى لولكوس • وهناك اقترفوا جريمة اغتيال بلياس ، ولكن ابنه طردهما من المدينة • بعـد تســليم الصـوف الى أورخيمينـوس Orchemenus فى بوتيـــا Boeotia ذهب جاسون وميديا الى كورينث Corinth ، حيث عاشا كزوجين لســنوات كثيرة • عندما رغب جاسون فى الزوَاج من كروسا Creusu ابنة ملك كريون Crean ، انتقمت ميديا باستخدام معرفتها بالسحر فى حرق كل من الاب والابنـة • حكم على جاسون بسبب نقضه عهد ميديا بان يجوب العالم ، حتى اذا بلغه الكبر عاد فى النهاية الى كورينث • وهناك قتل مصادفة عندما سقطت مقدمة الأرجو Argo عليه •

وهكذا ، فان (مكفرسون) شبه عينى العالمة (شيخة الزار) او (الكودية) كما تسمى فى مصر بعينى (مدوسا) التى تحول الناس الى حجر •

Lexicon Universal Encyclopedia - vols, II, p. 3-4 ; 13, p. 278.

ورغم قناعته بمصر، فيما عدا شيئا واحدا ـ الرضا بما سببته المدنية ، الأمريكية Americanism ، وأشكال أخرى رديئة من التدمير ، من تخريب الكثير من الأماكن القديمة المجيدة وعادات الريف ـ فان الكاتب ، عندما وجد نفسه حرا تماما ليعيش حيث أحب ، فانه عند تقاعده عام ١٩٢٤ ـ انطلق ليرى ما اذا كان هناك مسكن مؤقت Pied-a-terre فضل يقضى فيه بقية أيامه ، ولقد وجد فى الواقع الكثير من المواقع الحلوة فى انجلترا ، ايطاليا ، اسبانيا ، اليونان ، تونس ، وغيرها ، لكن لا شيء يساوى مصر لجوها وسحرها العام ، لا مكان فيه كل هذا التنوع المليء بكل من الاغراء الشرقى والغربى ٠

وليس دور الكاتب هنا أن يسهب عن عظمة مساجدها ومتاحفها ، وتنوع كنائسها التى تفوق ما لدى أى بلد آخر ، ولا وداعة bonhomie أهلها ورقتهم ، ولا التسهيلات لممارسة أية هواية واشباع كل الأذواق ، فان عاداتها القديمة ـ وأحدها هو موالدها ـ موضوع كاف وأكثر من كاف لهذا المقال ٠

المولد هو عيد شعبى دينى يقام تكريما لأحد الأولياء فى مصر ، وهو عادة اسلامية تماثل الأعياد والمواسم التى تقام فى أوروبا (ومستعمراتها) لتكريم بعض القديسين المسيحيين ، ورغم ان من الصعوبة القول بأن الموالد قد أصبحت عادة قومية فى مصر مع مقدم القرن السابع الهجرى ـ الثالث عشر الميلادى ، أو حتى اعتبارها شيئا من ذلك كلية ـ أو حتى قد اعترف بها رسميا ، حتى القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى ، فان هذه الموالد فى أحوال كثيرة استمرار لأعياد قامت لسنوات بلغت المئات بل وحتى الآلاف قبل النبى ، تماما مثل احتفالات مسيحية كثيرة يمكن تتبع أصولها الى قرون قبل المسيح ٠

وأول الموالد وأعظمها ـ باستثناء مولد النبى ـ هـو مولد السيد البـدوى فى طنطا ، ويعتبر عنـد الـكثير من المشتغلين بعلم المصريات احيـاء لمولد « شـو » Shoo ، اله سيبنيتوس Sebennytus (٤) ، وقد اكتسب هذا المولد بعض شعبيته من ضخامة جسم أحمد البدوى وشخصيته الجبارة ، التى تذكر بسلالة « هرقل المصرى » بطل الديانة القديمة ٠

وهـذا تلاشى مع الفرع الثـالث للنيـل ، السيبينيتك Sebbenytic ، الذى جرى قرب طنطـا ومـدينة (شـو) المعروفة الآن باسم (سمنود) ٠ وربما ظلت بعض الذكريات القديمة حية بسبب مياه الترعة التى أخذت قاع هذا النهر القديم ، الذى اعتقد أنه لا يزال موجودا ٠

وأحد أتباع (السيد البدوى) هو (الشيخ اسماعيل امبابى) الذى مات ودفن فى زاويته على جانب النيـل فى القرية التى يعرفها القاهريون باسمه(٥) ، وله مولد لا يزال عامرا حتى الآن (٦) ٠ وهـذا المـولد لا يتبـع التقـويم الاسلامى ، لكنه ـ أو حوالى ـ العاشر من الشـهر القبطى بؤونة الذى يوافق ١٦ يونيـو ، وهـو التـاريخ الذى كان المصريون القدماء ينتظرون الدمعـة الغامضـة (لايزيس) التى كان يعتقد أنها تنزل فى ذلك الوقت وذلك المكان فى نهـر (أوزيريس) ٠ وبعد زمن طويل بعـد حلول (ليلة القدر) محل (ليلة النقطة) ، فان الجموع كانت تحتشد على

---

(٤) Sebennytique احد فروع دلتا النيل ٠
Larousse Universel - Vol. II — Librairie Larousse, Paris, 1923, p. 912.

(٥) يقصد ناحية امبابة على النيل أمام ساحل روض الفرج بالقاهرة ٠

(٦) أى وقت كتابة العمل فى عام ١٩٤٠ ٠

ضفة النيل لتشاهد نزول « النقطة الغامضة »(٧) ، وحتى الآن فان البعض يذهب لهـذا الغرض في منتصف يونيـو ، وكذلك للحصول على البركة من الذهاب الى مقـام سـيدى امبابى ٠

« يا أيها الحجاج الى زاوية سيدى اسـماعيل امبابى ، تعالوا الى ضفاف النيل المقابلة للجزيرة عند نهاية « الشـهر الثانى للقمر » » (٨) ٠

كان عيـد (ايزيس) عيـد قوارب ، ولم تكن ايزيس راعية المراكبية ، ولم تعلمهم اختراعها للملاحة : لهذا ففى مـولد الامبـابى يمتلىء النهر بالفـلايك (مفردها فلوكة) وقوارب التجديف ــ منظر محبب ، وخاصة عندما يكون قمر ايزيس (Isis-Diana) فى السماء ٠ ستفعل طيبا لو أنك انضممت الى المحتفلين فوق الماء ، وفوق الضحك والغناء وكل أنواع الموسيقى ، فانك ستسمع بلا شـك الضجيج الأجش

(٧) يقصد بالدمعة الغامضـ ما كانت تذرفه (ايزيس) من دموع على زوجها وأخيها (أوزوريس) الذى قتله أخوه (ست) ورماه فى النيل ــ فقامت ايزيس بالبحث عنه وظلت تبكي حتى عثرت على أجزاء جسمه الذى كان قد قطعه « ست » الى أجزاء كثيرة ، فجمعته وردت عليه روحه وحملت منه طفلا هو (حورس) ــ والقصة من أدب الاسطورة والملحمة فى الأدب المصرى القديم ٠ اعتبر المصريون دموع (ايزيس) مصدر فيضان النيل ــ وبمضى الوقت أصبحوا يحتفلون (بليلة النقطة) باعتبارها الليلة التى يصل فيها النيل الى أقصى فيضانه ٠ والمقصود بالنقطة هنا (نقطة دمع ايزيس) ٠ وعندما دخل الاسلام مصر ــ مارس المصريون المسلمون عادات الأقباط الدينية وأعيادهم ، بل وحسبوا تواريخ التغيرات الجوية طبقا للتقويم القبطى ، ومن هذه الاحتفالات القبطية (ليلة النقطة) وتحدد بالحادى عشر من بؤونة الموافق للسـابع عشر من يونيو ، اذ يعتقد أن نقطة من الماء تسقط فى ذلك الوقت فى النيل فتسبب ارتفاعه ٠ ويمضى سكان القاهرة (ليلة النقطة) هذه على ضفاف النيل ٠

ــ ادوارد وليم لين (المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر) ــ ترجمة عدلى طاهر نور ــ مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦٧ ٠

ــ عبد العزيز صالح (الشرق الأدنى القديم ــ الجزء الأول ــ مصر والعراق ــ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ــ القاهرة ــ ١٩٦٧ ص ٣٢٥ ــ ٣٣٣ ٠

(٨) يضيف ماكفرسون بعد هذه العبارة عبارة يحتمل أن تكون باللغة المصرية القديمة aabet sen set ، ويتبعها ببعض الرسوم القديمة التي ربما تكون قبطية أو مصرية قديمة ٠ راجع ص ٤ من النص ٠

لآلة السستروم Sistrum (٩) متحدة مع كليوباترة ، الآلة المقدسة لايزيس التى تستخدمها فى عبادتهـا كمـا هى فى عبادة الأقباط الاثيوبيين (١٠) ·

لقد كان القادة المسلمون والكاثوليكيون القدامى عقلاء وموقرين ، واحترموا تقاليد أسلافهم ، وهـذه الاحتفالات القـديمة التى كانت تعبيرا عن قلوب النـاس : فبـدلا من احتقارها أو تدميرها ، فانهم تبنوا هـذا كله فى دياناتهم ، وطهروه وعدلوه برفق · (شم النسيم) ذلك العيـد الذى يحتفل به المسلمون والمسيحيون على السواء يمـاثل المـولد (ولو أنه ليس متضمنا فى هذه الدراسة) ، لأنه كان يعقد بلا شك للاحتفال بميلاد فينكس Phoenix الجديد(١١)، وهو من بقايا عبادة اله الشمس(رع) فى عهود الفراعنة المصريين، ومن يشك فى ذلك عليـه أن يزور (المطرية) هليوبوليس القديمة أو مدينة الشمس ، قبل الفجر فى ذلك اليوم ليرى الحشود التى تنام فى الحقول والطرق لترى شروق الشمس قرب المسلة التى تحدد موقع معبد (رع) · وقليل من هؤلاء هم الذين يعرفون السبب الذى جذبهم الى هناك ، فهم ليسوا

---

(٩) Sistrum ـ آلة موسيقية قديمة استخدمها المصريون القدماء تتكون من صفيحة من المعدن ملوية او معقوفة ، مقواة بكم تعبره قضبان متحركة تطن كلما جرى هز الجهاز ـ وهى نوع قديم من الطنبور ·

— Larousse Universel, Vol. II, p. 934.

(١٠) اضاف المؤلف بعد حديثه عن عبادة الاقباط الأثيوبيين عبـارة لاتينية : ـ Quod semper, quodubique quod abomnibus وترجمتها بالانجليزية

Whatever always, what ever everywhere, whatever away to all

ما هو دائما ، وما هو فى كل مكان ، هو للكافة ايا كان ·

— Maxim New mark (Dictionary of foreign words and Pharses USA, 1986.

(١١) Phoenix العنقاء · طائر خرافى زعم قدماء المصريين أنه يعمر خمسة قرون او ستة ، وبعد أن يحرق نفسه ينبعث من رماده عنقاء شابا جميلا · كان هـذا الأمر يتكرر كل ٥٠٠ سنة · هو رمز لشروق الشمس وغروبها ، وظهرت العنقـاء فى الكتـابة المسيحية العصور وسطوية كرمز للموت والبعث ·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 15, p. 251.

أكثر من طيور مهاجرة يحثها شيء ما على الطيران الى نفس المكان وفي نفس الوقت كما فعل أسلافهم فى أزمنة مضت• لكنهم مرحون وسعداء بالعيد

فى شرح مولد (عبد الرحيم) فى قنا (ويوسف الحجاج) فى الأقصر ، ذكرت أن الموكب بقواربه يعود الى الوراء الى عبادة (آمون) ، كما هو مرسوم على حائط معبد رمسيس الثالث • ويحظى هذا الأمر باهتمام عالمى ، وقد ظهرت فى عام ١٩٣٨ صور لهذه القوارب وبعض نبذات لأبحاث عن الموضوع فى مجلتى (Nature) و (Man) وبعض المجلات الأخرى • دعانى دكتور ايفانز بريتشارد Evans-Pritchard المختص بعلوم الانسان وشخصان آخران لقضاء الوقت فى غرف حجزها لنا ملاصقة لمولد قنا لنشهد المنظر الفريد • كان المولد مؤثرا فى الواقع ، رغم تجريده من الكثير من سحره القديم ، لكن السلطات المحلية كانت قد منعت القوارب دون سبب محدد • لقد كانت هذه القوارب محببة للناس ليس فقط بسبب التقاليدالقديمة ، ولكن أيضا للكثير من المعتقدات الاسلامية الحديثة التى تربطهم بالولى الذى يكرمونه ، فلماذا اذن كسر خاطر نصف مليون شخص فقير ـ بما فى ذلك شخصى وزملائى ، والتضحية باحدى القيم العظيمة المصرية ؟ •

ومع هذا ، فان ما شرحته هو مجرد حادث صغير بالمقارنة بما عانته الموالد فى مصر فى السنوات الأخيرة ، وبالتالى ما خسرته مصر من الرضا الشعبى ، والسعادة والتقوى : وأيضا من سحرها المحلى وثروتها الفنية من العادات الجميلة •

وهذا الكتاب عن الموالد الذى يجب أن يكون سجلا للتعبير الشعبى عن عمق الايمان ، النيات الطيبة ، والقلب المرح الخالى من الهم ـ ملىء مع الأسف بحوادث كالتى ذكرتها آنفا وأسوأ ، والتى تأتى مع الأسف فى صورة المولد ـ ولا تسهم الا فى غم وحزن محب للشعب المصرى وعاداته •

ان سعادة أربعين عاما من الاقامة الهنيئة في مصر ، قد تشوهت عند الكاتب ، و لايستطيع أحد أن يقدر كم أشخاصا آخرين قد تشوهت عندهم ، برؤية هذه الاحتفالات الدينية الشعبية القديمة المهيبة والمناظر الطبيعية بالمثل تفسد بوسائل عديدة ، وتهاجم في السنوات الأخيرة بالتخريب المتعمد وتدمر من جانب السفسطائيين والفريسيين Pharisees والمتزمتين (١٢) .

لا يستطيع أهل الثقافة والتذوق الذين يأتون الى مصر الآن لأول مرة ويجدون الكثير من السحر والفتنة ـ لا يستطيعون أن يتصوروا كم كان هنا من ذلك قبل عقود قليلة ، أما أولئك الذين عرفوها من قبل ويعودون اليها الآن ، فانهم سيبكون على المدينة (١٣) . ان فقد الكثير من مواقعها الجميلة ، شوارعها الحديثة ، لهو أمر قبيح يماثل الجروح التي تلوث فتنتها الشرقية : ان بتر عاداتها الرائعة والتقليص المتتالي لبالها الخلي ومزاجها الشعبي : كل هذا كان كثيرا وكان يجب على القاهرة أن تتجنبه ، لقد سبب لها ذلك فقد الكثير الذي يصعب استرداده .

لحسن الحظ ؛ فان توسع المدينة قد أنقذ الكثير منها : وفي السنوات الأخيرة أوقفت جهود « جمعية » لحماية المواقع المنيفة والمباني كثيرا من التخريب المتعمد ، لكننا لا نزال في حاجة ملحة للدفاع عن عاداتها التقليدية .

ان روح الزمن Zeit geist (١٤) التي هبت أساسا من الغرب البعيد لتتلف أوروبا وتوهنها ، قد ابتلت أغلب بلاد

---

(١٢) الفريسيين pharisees مفردها فريسي ـ طائفة من يهود عهد المسيح عرفت بتمسكها بالطقوس وبالتقوى الكاذبة ـ ويوصف المراؤون دائما بالفريسيين .
— Lexicon Universal Encyclipedia, Vol, 15. p. 219.

(١٣) ولعمري ماذا سيفعلون الآن (١٩٩٥) عندما يرونها وقد تحولت الى مناطق عشوائية وخرائب وغابات من الاسمنت .

(١٤) Zeit geist كلمة ألمانية تعني بالانجليزية Spirit of time

العالم بما في ذلك مصر ، بقيمها المزيفة ، باستبدالها التنافر النغمي الميكانيكي بالألحان الانسانية ، ناطحات السحاب عديمة الشكل بالمساكن الجميلة ، المادية العفنة بالسعي النزيه الى الجمال ، الاندفاع المسعور والأضواء المتوهجة والضوضاء الصاخبة بالحياة الوادعة : وفي الخلاصة عبادة جديدة من الهمجية (وليس كما يدعون أنها ثقافة خاصة جديدة) بحضارة قديمة ٠

ان موسى عليه السلام قد يسألنا كما سأل بني اسرائيل عندما كانت قيمهم كلها خطأ :

« أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » (١٥) ٠

لكن اذا كانت مصر ــ كما هو الحاصل بالفعل ــ قد أخطأت بهذا الاثم ــ فقد كان ينبغي عليها أن تفعل أكثر لايقاف هذا المرض الخارجي ، وهذا التفسخ الروحي والجمالي ٠ وفي تناقض غريب فان فضائل الكرم والرضا الذاتي ، الواضحة للغاية في المصريين قد أفضت الى فقد بعض من موجوداتها التي لا تقدر بثمن (١٦) ٠ ولأن المصريين ولدوا وتربوا بين مثل هذه الكنوز والثروات الروحية فانهم لم يدركوا قيمتها ، وان قليلا من ترك الآخرين يعملون كما يريدون Laisser-faire قد يؤدي الى خسارة لا يمكن علاجها (١٧) ٠

---

(١٥) « واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ــ البقرة ــ ٦١ ٠

(١٦) فقدت مصر بعض موجوداتها في زمن كتابة هذا العمل (١٩٥٠) ، لكنها الآن ١٩٩٥) قد فقدت الكثير من ثروتها الفنية الأثرية ــ وما كشفت عنه عمليات سرقة الآثار المصرية يؤكد أن مصر تخضع لعملية تصفية تراثها بواسطة عصابات منظمة ٠

(١٧) جاءت الجملة الفرنسية هكذا في النص ــ والمفروض ان تكون Laissez-faire ــ اذا كان ما يعنيه الكاتب ــ واعتقد انه كذلك ــ سياسة عدم التدخل التي يتبعها المصريون ازاء الأجانب الذين ينهبون مقتنياتهم الأثرية التي لا تقدر بثمن ٠ اما مبدأ =

ولا يحصل المصريون على مقابل لكرمهم هذا ، ولا شكر لهذه التضحيات • وكل هـذه الاغواءات للسـياح هى أكبر الخطأ • بل ان الغربيين نافرون وليسوا مبهورين بعروض السينما (المصرية) ، أصوات موسيقى الجاز(١٨)الكريهة ، ورقصة حضن الأرنب الكريهة (★) Nasty bunnie-hugs والمؤخرات السوداء ، والمبانى البشعة ، وباقى اسهاماتهم لما هو ضد الحضارة والمدنية •

= Laissez-faire نفسه فى الاقتصاد ، فهو الدستور الذى يقول ان افضل سياسة اقتصادية هى النشاط الاقتصادى الذى ياخذ قراراته دون تدخل الحكومة ـ اعلن هذا المبدأ الفيزيوقراط Physiocrats الفرنسيون فى القرن الثامن عشر ، كرد فعل ضد سياسات الحظر المركانتيلية Mercantilism • وبارتبـاط هـذا مع مبـدأ التجارة الحـرة Freetrade، اصبح الأول هو أساس اقتصاديات آدم سميث Adamsmith الكلاسيكية . وفيما بعد طبق جيريمى بنتام Jeremy Benthlm وجون ستيوارت ميل John Stewart Mill المفاهيم الاقتصادية لراسمالية هذا المبدأ على نظرية المنفعـة السياسية الفردية ، واستخدم هذه المبادىء اقتصاديو مدرسة مانشستر Manchester : جون برايت John Bright وريتشارد كوبدن Richard Cobden لاغراضهم السياسية العملية • كانت مبادىء Laissez-faire هى الاقوى فى منتصف القرن التاسع عشر ، لكن الممارسة المتزايدة للاحتكار والتكاليف الاجتماعية للثورة الصناعية سببا قيام تنظيمات حكومية أعظم • ويركز المؤيدون الحديثون لمبدأ Laissez-faire على أهمية الحافز المكسبى Profit incentive للنمو الاقتصادى والملتزم غير المعوق Undeterred intrepreneur ـ ومع هـذا ، فان المصطلح قد حلت محله لدرجة كبيرة مصطلحات اخـرى كاقتصـاد السوق Market economy او المشروع الحر Free enterprise

Lexicon Universal Encyclopedia - Vol. 12, p., 167.

(١٨) الجاز Jazz هى الموسيقى الوطنية الأمريكية الوحيدة التى حازت تأثيرا على تطور الموسيقى فى كل العالم الغربى • اخترعت الجاز بمعرفة موسيقيين سود مغمورين فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبدأت كتركيبة من اللغة الهارمونية الغربية واشكال من ايقاعات لحنية مع تغير فى ارتفاعات الصوت وانخفاضه مستمدة من أفريقية • فى بداياتها كانت الجاز مجرد اقتراب من الأداء اكثر منها جسما من التاليف الموسيقى • كانت فرق الموسيقى السوداء فى نيواورليانز New Orleans التى تصاحب مواكب الجنازات تلعب ترنيمات تقليدية بطيئة فى الطريق الى المدافن • ومع عودة الموكب الى البلدة فان الفرق كانت تحول الأمر الى جاز من نفس الترنيمات ولكن بصورة زنجية معروفة تسـمى نغمات Ragtime ، او عزف مختصر للمارشـــات الشعبيـة • وكانت الات الفرق الاستعراضية السوداء هى البوق Cornet او trumpet لحمل اللحن ، وكلارينيت Clarinet وترمبون trombone وقسم للايقاع من الطبول ، ودوبل باس double bass (اكبر آلة من الأسرة الكمانية) ـ اضيف بعد ذلك البيانو ، الجيتار أو البانجو •

Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 11. p. 389-390.

(★) رقصة امريكية كانت شائعة آنذاك •

انهم يأتون الى مصر هربا من السوء الذى جروه على أنفسهم وعلى الكثيرين ، ولينعموا لفترة بالجمال الناعم الذى يختص به السلام الشرقى · وعلى كل حال ، فهم ليسوا — أو ليس كلهم — نصراء لهذه الأفكار الخاطئة ، كما أنه ليس كل الأوروبيين مؤيدين للسخرية البذيئة لمارك توين (١٩) الذى جعل بطله يطفىء المصباح المقدس الذى حافظت على نوره أيد تقية لقرون · فى ذهنى الآن قصة زائر أمريكى للقاهرة ، الذى رغم أنه كان مليونيرا الا أنه نجا من التفاهات التى تسببها الملايين · كان مستر (سى C) قد عرف مدينتنا أكثر من نصف قرن مضى ، وزارها على فترات ، وهو يندب ويحزن لهذه التغيرات الخشنة (فى المجتمع المصرى) · لكننى أجد نفسى منساقا نحو العموميات — وتقريبا فى الشخصيات — وهو مجال فسيح للغاية لهذا الصديق الأجنبى العظيم لمصر والشرق ، بيير لوتى Piere Loti ، الذى كتب « La morte de Constantinople » موت القسطنطينية ، « La morte du Caire » موت القاهرة » · كان « لوتى » نبيا أيضا ، لكن من النوع الذى تنتمى اليه كاسندرا Cassandra (٢٠) : فهو

---

(١٩) مارك توين Mark, twain (٣٠ نوفمبر ١٨٣٥ — ٢١ ابريل ١٩١٠) كاتب ساخر امريكى — اكتسب شهرة عالية كمؤلف ، محاضر ، وهجاء Satirst وفكاهى — اسمه الأصلى صامويل لانجهورن كليمنس Samuel Langhorne Clemens — استخدم اسم مارك توين كاسم مستعار للكتابة Penname — من أشهر أعماله (١٨٨٤) Adventures of Huckleberry Finn .
— Lexicon Universal Encyclopedia Vol. 19, - p., 357.

(٢٠) فى الأساطير اليونانية ، كانت كاسندرا Cassandra ابنة بريام Priam ملك طروادة Troy وهكوبا Hecuba · احبها ابولو Apollo واعطاها هبة التنبؤ Prophecy · ومع هذا فانه عندما رفضت كاسندرا صداقة ابولو ، لعنها لعنة تؤدى الى عدم تصديق احد لها · وهكذا فانها عندما حذرت الطرواديين من الحصان الخشبى لم يصدقوها · اخذها اجاممنون Agamemnon أسيرة ، وعادت معه الى اليونان حيث قتل الاثنان بواسطة كليتيمنيسترا Klytemnestra ، زوجة اجاممنون وعشيقها · اما بييرلوتى piere loti فهو جوليان فيو Julien Viaud المشهور ببيير Piere — ضابط بحرى فرنسى وكاتب — ولد فى روشفور على البحر Rochefort-sur- Mer وتوفى فى هنداى =

تقريبا « صوت يصرخ فى البرية » « Vox clamantis in deserto » (٢١) · على أننى أظن أن الشرق يندب « La mort de Lot i» موت لوتى ·

هذا الكتاب الضئيل هو مجرد دعوة من أجل موالد مصر، التى كانت لأفضل جزء من ألف عام عنصرا قيما أساسيا فى الديانة ، السعادة والحياة للناس من الأدنى الى الأعظم : والتى يبدو أنها فى الوقت الحالى ــ كما قلت لأسباب باعثة على الأسى، أو لانعدام الأسباب ــ قد أصبحت مخصصة للقسر، الخطر والاضطهاد ، مع نتائج فاترة على قلوب وأرواح الملايين من الشعب العزيز ، الذى يشكل العمود الفقرى للأمة · ان الفلاحين والجموع فقراء بما فيه الكفاية فيما يتعلق بمتاع الدنيا ، لكنهم أغنياء فى الروح الطبيعية ، والقدرة من أجل السعادة البسيطة ، والبهجة البريئة ــ وخاصة عندما يستطيعون دمج هذه الأشياء بالتقوى · انها حقيقة بدهية ان الدين والسعادة يسيران يدا بيد · ان الفريسيين Pharisees والمتزمتين puritans الذين وربما بحسن نية يحاولون أن يفصلوهما عن بعضهما ، يؤذون كليهما ،

= Hendaye (١٨٥٠ ــ ١٩٢٣) ــ كاتب يعكس تاثير المدرسة التاثيرية بمعاناتها الواضحة ــ فقد أبدع فى وصف الطبيعة البعيدة عن موطنه الأصلى والتى تمر دائما أمام عينيه ــ من بين ما كتب : Chrysantheme, Ramuntcho Au Maroc. Le Mariage de Loti. Mon Frere Yes, Pecheur r'Islatde, Madame عضو الاكاديمية الفرنسية Academie Francais ــ فى ١٨٩١ ، عندما أسس « مصطفى كامل » جريدتيه الأوروبيتين فى مصر بعد حادث دنشواى فى ١٩٠٦ استطاع ان ينال موافقة جريدة لوفيجارو Le Figaro على أن تاذن لجريدته الفرنسية بنشر مقالات « لوتى » عن مصر على أن يكون نشرها فى الجريدتين فى يوم واحد . Lexicon Universal Encyclopedia, Vil. 4, p. 183.

ــ ابراهيم عبده « تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ ــ ١٩٨١ » ط ٤ ــ القاهرة ١٩٨٢ ــ ص ١٧٨ ·

(٢١) « وفى تلك الايام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية · قائلا توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات · فان هذا هو الذى قيل عنه باشعياء النبى القائل بصوت صارخ فى البرية اعدوا طريق الرب · اصنعوا سبله مستقيمة » ·

(انجيل متى ٣ ــ ٣)

وعن غير عمد وعن غير رغبة يلعبون بين أيدى العدو ـ ، والملحدين ، البلشفيك الذين أنذرونا بتعاسة شعوبهم ، كما فى ألمانيا وروسيا ، ان التعبير الشعبى للدين لا يمكن قمعه بامان ·

ورغم أن أى عصا قديمة ـ أو عصا جديدة تبدو كافية لضرب الموالد ، فاننى مع هذا قد تحريت باجتهاد ، لكننى لم أستطع أن أستخرج سببا شرعيا لهذا السلوك العدوانى أو على الأقل اللامبالى ، رغم وجود العديد من الأسباب للتعاطف والدعوة الى المساندة ، ان طبقة الطلبة والأفندية الصغار لا يناصرونها (الموالد ★) ، لكنى لم أعرف أنهم عدوانيون ، فلهم رياضاتهم ، كرة القدم ، كرة السلة ، ولعبات لا تحصى ولا تعد ، وهو شىء رائع أيضا ، بالطبع فانلهم شأنهم كما هو حادث لقرنائهم فى البلاد الآخرى · ولكن ما الذى للفقير ؟ ـ فؤوسهم ، جرافاتهم وعزاقاتهم ؟ ، أى ألعاب عدا التأرجح هنا وهناك ،أو ركوب حمار اذا لم يكن متعبا جدا من العمل· ان نوافذ منزلى تطل على حوالى أربعين فدانا من الملاعب المجهزة للطبقات العليا (The Classes) ، وتجهيزات فاخرة أخرى ، بلا شك للصحة البدنية لهذا القسم من الأمة (الطلبة والأفندية الصغار) · لكن الجموع الفقيرة لا تطالب بشىء من ذلك : انهم يستطيعون أن يسلوا أنفسهم لو سمح لهم بذلك ، يستطيعون مشاهدة (الحاوى) أو الساحر ، أو لاعب الجلا جلا galli-galli ، أو القره قوز Punch and Judy (٢٢)، أو خيال الظل لساعات بسعادة غامرة ، أو لراقص على آلة بسيطة ، أو لاعب أكروبات ، لكن هذه

(★) فى اطار توصيل المعنى للقارىء الكريم ، فقد اضفت الى الترجمة فى بعض الاحيان كلمات وضعتها بين قوسين للتمييز بين ما اضفته وبين ما احتواه النص ·

(٢٢) يسمى القره قوز فى الغرب بانش وجودى Punch and Judy ـ وهو مشهد قرقوزى (بالدمى المتحركة) يتخاصم فيه (بانش) الأحدب المعقوف الأنف ، مع زوجته (جودى) على نحو مثير للضحك ·

— Lexicon Univetsal Encyclopedia- Vol., 15, p. 623.

الأرواح البائسة التى عاشت حياة متواضعة بتسلية الآلاف حتى سنوات قليلة ، تطارد من مكان الى آخـر ، وينظـر اليها من جانب السلطات ـ على ما يبـدو ـ كشـخصيات مشـتبه فيها ، والجمع القليل من الأرواح الأخرى الفقيرة ، الذين ـ مثلى ـ يستمتعون بهذا التهريج ـ وهم مسالمون ـ يفرقون كتجمع محرض على الاثارة • وليس هذا هو الأمر فقط فى الأحياء المتوترة neurotic quarters ، لكنـه انتشر كالآفة الزراعية فى الأحياء الوطنية (المنشية) والأماكن المفتوحة التى كانت فى الماضى مليئـة بالمتعة والحيـاة • وفى الأيام الحالية شاهدت فى يوم جمعة ساحرا مجتهدا يطرد بعنف من بين المقابر قرب الامام الشافعى ، حيث كان قد اتخـذ هـو ومتفرجوه القليلون هذا المكان ملاذا ، وآخر قرد شـاهدته يركب عنزة قبض عليه واعتقل • ولقد بدا « مانولى » والكلب BoW WoW سعداء كالمتفـرجين (٢٣) • وقد أوحى أحـد الأشخاص للناس بأن أحـد نصراء جمعيـة الرفق بالحيوان S.P.C.A. قد شجب «هذه القسوة» على الحيوانات البكماء ، كما انها عناصر ملائمة لمنة القتـل برحمـة • انه شىء يدعـو للرثاء أن يكونوا (هذه الحيوانات) بكما ـ والا لكانوا قد عبروا عن وجهـات نظرهم • وقد ظن البعض الآخـر أن « مانولى » قد أخذ فقط الى القرهقول (نقطة الشرطة) ليرى رخصته ، أو جواز سفره أو شهادة ميلاده ، أو ليتمم أحد هذه الاجراءات الرسمية القليلة التى أصبحت غاية فى الأهميـة والتعدد مؤخرا (٢٤) •

(٢٣) المقصود بمانولى هنا ، القرد الذى يرافق الحاوى فى الشوارع ويؤدى العابا تسل جمهور المتفرجين ـ اما Bow wow فهو مصطلح يرمز الى نباح الكلب او الكلب نفسه او تقليد نباح الكلب •
ـ راجع الملحق (٢٥) •
ـ المورد طبعـة ١٩٨٢ ـ ص ١٢٢ •

(٢٤) يقارن مكفرسون هنا بين المعاملة القاسية التى كان يلقاها المصريون فى اقسام الشرطة فيما يتعلق بالحيوانات التى يعرضون العابها امام الناس • وبين التسهيلات التى كان يلقاها المقيمون الاجانب المتمتعون بالامتيازات الاجنبيـة •

بالطبع ، ان هذا زمان القمع والتوتر neurotics ، ناهيك عن المخدرات التى يساء استخدامها لدرجة كبيرة فى مصر هـذه الأيام • ان حـكومات الأثرياء Plutocracies والأرستقراطيين والباقين ، سيكونون قد استسلموا فى حرب الأعصاب War of Nerves ، واندمجوا قبل مضى وقت طويل فى طبقة عصابية Neuro cracy ضخمة • ان الاتجـاه فى العصور الحديثة هو قتل الفرحة Kill-Joy trend ، والهوس الجنونى mania عند الشعوب الحديثة هو جنون قتل الفرحة Kill-joy mania ، وعندما يكونون قد قتلوا الفرحة وأصبحوا «ضجرين حتى الموت» ، فانهم يقتلون بعضهم البعض ويقتلون أنفسهم • حمدا لله أن هـذا الفيروس هزيل جدا فيما يتعلق بمصر ، الى الحد الذى تمكنا معه من تجنب آثاره المـؤذية • انه مثل الاعصار الذى يحطم السفن فى الأطلنطى ، ويجعل الناس مصابين بدوار البحـر المتوسـط ، ثم يتضـاءل فى النهاية الى مجرد صفعات قليلة للأبواب واثارة بعض التراب فى القاهرة •

وهذا الحماس للقمع ، رغم أنه أكثر وضوحا فى الموالد الا أنه ليس مقتصرا على ذلك ، كمـا شرحت فى السـطور السـابقة • فاذا كان الرجل لا يضحك بحرية عـلى عرض (قره قوز) أو يبتسم لفتاة ترقص ، فانه يذكر فى الكثير من المقاهى بأن الغناء محظور بأمر الحكومة « ممنوع الغناء بأمر الحكومة » (٢٥) ـ اذا كان ذلك هو شأن الرجال ، فان النساء أيضا ممنوعات من الندب والنواح على الميت علنا •

ان كبار القوم وأعيـان البلد ، مثـل الطلبـة وطبقة الأفندية نادرا ما يرتادون الموالد ، وكقـاعدة فانهم غـير مهتمين بها ، لكننى لم أعرف أحدا منهم كان معاديا لها • ان

(٢٥) قدم مكفرسون هذه العبارة فى النص باللغة العربية •

للأثرياء نواديهم ورياضاتهم ، واهتماماتهم بالفن والثقافة والسياسة ، التى لا شأن للفقير بها ، وهم يؤمنــون بالمثــل «عش ودع الغير يعيش» · كثير منهم يذهب الى «التشريفة» والاحتفالات الدينية والتاريخية التى تحدد الافتتاح والختام: وعدد ليس بالقليل منهم يدعم المظاهر الاحتفالية الشــعبية أيضا بالمال والنفوذ· وعلى سبيل المثال، فان اليد السخية لوزير الصحة (حامد محمود باشا) هى التى تدعم (مولد طوخ) ، كذلك فان الدكتور طه حسين أنقذ مولد بلده (مغاغة) · ويشارك الكثير من المسيحيين والأجانب فى تكاليف الزينات والمصاريف الأخرى ، وحسب ما أرى فانهم كلهم متعاطفون· وعرفت منهم من يدعم عيدا للفقراء ، وأعرف واحدا جدد الضريح القديم ومولد (سيدى هارون الحسينى) على أسس كريمة وجميلة ·

انه لمن المؤسف أن الأغنياء والفقراء قد تباعدوا بعض الشيء فى هذه السنوات ، فى الاحتفالات والمناسبات · وخير مثال عــلى ذلك احتفــال (جبر الخليج) (٢٦) · لم يتغير احتفال (عروس النيل) كثيرا ، لــكن كانت الاحتفــالات الليلية ، التشريفة ، الألعاب النارية وما الى ذلك ، منذ عقد

---

(٢٦) الاحتفال بجبر الخليج او كسر الخليج او وفاء النيل مرادفات لمعنى واحد هو بلوغ مياه النيل اقصى ارتفاع لها وقت الفيضان ـ وكان معيار الوفاء هنا هو وصول ارتفاع مياه النيل الى ست عشرة ذراعا فى مقياس الروضة ـ وكان يصل هذا الارتفاع فى شهر مسرى القبطى (أغسطس) ـ وعند وصول ارتفاع النيل الى هذا الحد ، فان ضريبة الأطيان تستحق على الفلاحين · كان الاحتفال يجرى بحضور الحاكم أو من ينيبــه الى مقياس الروضة حيث يركب هو ورجال الحكومة قوارب تسير الى (فم الخليج) ـ حيث يوجد سد ترابى عريض القاعدة ضيق القمة التى يبلغ سطحها ثلاث ياردات · وترتفع قمة السد ٦٠ قدما من قنطرة ذات قوس واحد تعبر الخليج على مسافة ٤٠٠ قدم من مدخله ، وهو سد ترابى عريض القاعدة ضيق القمة التى يبلغ سطحها ثلاث ياردات · وترتفع قمة السد الى ٢٢ قدما تقريبا فوق مستوى النيل · فى الجانب الشمالى للخليج كان هناك بناء حجرى صغير يشرف على السد ويجاور القنطرة السابق الاشارة اليها ، يشاهد قطع السد منه · وعلى طول ضفة جزيرة الروضة مقابل مدخل الخليج كانت تقام خيام صغيرة كثيرة =

أو أكثر ، كانت تقام جميعا عند (فم الخليج) (٢٧) وكان هناك نوع من التجانس Gemutlichkeit فى (هذا الاحتمال) ، لكنه (هذا التجانس) فقد عندما نصبت خيام الاستقبال فى مكان فسيح خاص فى جزيرة الروضة ، ومنع الجمهور الذى لا يحمل تذاكر خاصة بواسطة رجال البوليس راكبى الخيول ــ من عبور الكوبرى الى المكان ، بحيث لم يعد قادرا سوى على سماع فرق (الموسيقى) ورؤية الألعاب النارية من الجانب الآخر من الماء • وعلى نفس الشاكلة ذهب السحر الحميم وجو الزمالة الصديقة من المحمل واحتفالات الكسوة الشريفة لدرجة كبيرة • وسيرى هذا فى حكايات موالد « المحمدى والامام الشافعى » وبعض الآخرين •

ولا تزال الموالد ، كما كانت لأزمنة كثيرة فى الماضى تحت رعاية الحكومة ، ولا تقام دون اذن من وزارة الداخلية • وكثير منها يدعم رسميا ويحضرها ــ وخاصة أعظمها ، مولد النبى ــ الملك أو من ينوب عنه • ويختلط ببعضها علماء ، وزراء ، وموظفون كبار • وهذه الموالد فى الحقيقة جزء ثمين من الحياة الدينية والاجتماعية فى البلاد • لكن الكثير منها يهمل ــ حتى تلك التى تتركز حول رأس «زين العابدين» العظيم ابن سيدنا الحسين ، والمولد الذى كان عظيما وأعنى به مولد « الشيخ الطشطوشى » •

من هو أو ماذا خلف هذه الحركة التدميرية ؟ ليس الميل

= لبيع الحلوى والفاكهة • فى عصر اليوم السابق على قطع السد ، تأتى قوارب عديدة قريبا من مدخل الخليج ــ وتتزين بالزينات بينما يسمر ركابها طيلة الليل • قبل الشروق يبدأ العمال فى قطع السد فى الخلف بجاروف حتى يصبح عرض القمة قدما ــ ثم يحضر الحاكم ويقذف ببعض النقود الذهبية ــ ثم تحطم مركب معينة حاجز التراب الرقيق فيندفع الماء جارفا بقية السد الى مجرى الخليج الذى تدخله مراكب عديدة أخرى ــ ويصاحب هذا كله احتفالات تطلق فيها الألعاب النارية •

ــ ادوارد وليم لين (المصريون المحدثون) ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ٣٧٣ ــ ٣٧٥ •

ــ الهيئة العامة للاستعلامات (تاريخ وآثار مصر الاسلامية) بدون تاريخ ــ ص ١٢٠٣ ــ ١٢٠٧ •

(٢٧) المنطقة المقابلة لجزيرة الروضة فى مصر القديمة والتى يبدأ عندها الخليج • تعداد سكان القطر المصرى ــ أول يونية ١٨٩٧ ــ ج ١ وجه بحرى ــ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٨٩٨ ــ ص ١٠ •

لقتل الفرحة وتجميد الدين في الأزمنة الحديثة بفسادها العالمي هو المسئول عن ذلك وحده • ان هؤلاء الذين يرون مولدا يفض بالتجاوزات الغبية للعساكر ، يلومون البوليس بطبيعة الحال ، لكنهم مخطئون في النهاية ، أعتقد ذلك ، والجموع تكتشف ذلك رويدا رويدا • لقد كان الكاتب (مكفرسون نفسه) رجل بوليس من نوع ردىء of sorts لسنوات كثيرة ، وكان في وضع ممتاز يمكنه من تكوين رأى • ومنذ أن ترك الخدمة ، لم يحدد أبدا أية حالة معينة من العنف أو التدخل ، خلال الحماس المتزايد من جانب البوليس بدءا من العساكر وصف الضباط ، وحتى الضباط ، بل ان الأخيرين كانوا يفحصون الأمور ويصلحونها •

لا مراء في أن هناك لوما على البوليس • فبعض من صغار الضباط في الأقسام يقومون بمسئولياتهم بعنف وبعصبية زائدة ، خشية أن يؤدى حشد في مولد أو موكب الى تعطيل المرور أو تعكير السلام • وكنت أتمنى أن يشاهد هؤلاء ، الجموع في ميدان الطرف الأغر Trafalgar Square و عند قصر بكنجهام (٢٨) Buckingham Palace أو في ميدان فينسيا Piazza di Venezia في روما ، أو أية مدن كبيرة ، وغياب الاهتياج والقسر من جانب البوليس • أنا لا أتكلم بالطبع عن المضربين ، المظاهرات السياسية أو الغوغاء العاصية والمثيرين للفتن من أى نوع ، فكلما عجل بكسرها كان ذلك أفضل ، واذا لم ينفذ ذلك فان الأمور تسوء ، وتنتهى الأشياء

(٢٨) ميدان الطرف الأغر Trafalgar Square هو أحد الميادين الهامة في قلب لندن ، يتوسطه تمثال للقائد البحرى الانجليزى نلسون فوق عمود حجرى كبير الارتفاع ، وقد سمى الميدان كذلك تكريما لنلسون الذى قتل في معركة الطرف الأغر (٢١ أكتوبر ١٨٠٥) التى دارت بين أسطوله وأسطول فرنسى ـ اسبانى مشترك في اطار الحروب النابليونية Napoleonic Wars • أما قصر بكنجهام فهو مقر الأسرة المالكة في انجلترا ويقع في النهاية الغربية لحديقة سانت جيمس St. James Park عند نهاية خط temrinus بول مول Pall Mall في لندن •
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vil. 19, p. 264 ; 4. p. 536.

الى نهاية سيئة · لكن جموع المولد هى أكثر الجموع وداعة وودا · وليس للسياسة أو الخطب ذات النزعة وما الى ذلك مجال فيها ، بل ان هذا غير متهاون فيه عند الشعب نفسه . اذا ـ كما يحدث نادرا ـ حاول حزب دخيل أن يدخل شيئا من ذلك · وفى خضم أسوأ الاضطرابات والشغب ، فقد أخذت أصدقاء لى ، ومنهم سيدات الى أكثف الموالد جموعا ، وقد أدهشهم التناقض السلمى وجو الأماكن فى هذه الموالد·

بالطبع ، فان النشالين ومفتعلى المشاجزات يفسدون الموالد كما يحدث فى أى تجمع ، لكن مثل هذه الأمور يسهل التعامل مع أصحابها بنقائصهم ، ولدى البوليس الشفقة والمساعدة لباقى الناس ، ولا يوجد ثمة سبب لافساد المولد واستجلاب حنق الناس الطيبين حسنى النيات ، كما سأحكى فى الحوادث التى تلى ·

وهذا الانفعال الرسمى ينتقل بشكل مبالغ فيه الى (العساكر) الذين يبدو أنهم يفكرون فى وجوب تدخلهم ، فى أشياء حتى ولو كانوا هم شخصيا يوافقون عليها · لقد شاهد الكاتب مرارا هؤلاء العساكر يستمتعون بانشاد شيخ أو شىء مسل أو مثقف ، وفجأة يتحولون الى مناضلين لدى حلول من يبدو أنه مسئول رسمى، ويفسدون العرض الصغير السعيد ، وقد أصيب الكاتب بالرعب أحيانا عندما تبين له أن وصوله هو السبب البرىء لهذا المسلك · وهو حريص الآن على ارتداء وتكييف نفسه فى مسلك غير رسمى بقدر الامكان ، والاصرار على أن يفعل أصدقاؤه الذين يأتون معه بالمثل ·

انه من المؤسف أيضا أن تعانى الموالد كثيرا من أحداث لا يد لها فيها ، وليس لها عليها أية سيطرة · وكمثال لذلك فانى أذكر انه فى ١٨ شعبان عام ١٣٥٧ (١٢/١٠/١٩٣٨) لدى عودتى من مولد نصف شعبان العظيم فى (قنا) ، ذهبت

الى مولد السلطان الحنفى . كانت الليلة الختامية وكان المولد عامرا قبل أن أذهب الى قنا ، ولكنى لم أجد الآن سوى ارتال من العساكر ذوى الوجوه المتجهمة وبعض الناس القليلين المذعورين ذوى المظهر الحزين . كان رواد المسجد قليلين . ومن السياج البعيد حيث كان القره فوز ، خيال الظل ، المراجيح ، وما أشبه قد أمتعت حشدا من الأطفال ، كان كل شيء قد انتهى وحل الظلام . قلت « ما الذى حدث » ـ قال لى البعض « ألا نعرف ؟ ، لقد كان هناك شجار قرب المحطة منذ يوم أو اثنين ، وجرح بعض المسئولين . كانت هذه أنباء مؤسفة فى الواقع ، لكن لم أستطع التحقق من وجود أدنى شبهة ضد أى شخص من المنطقة ، لماذا اذن كان على مريدى السلطان الولى أن يعانوا ، ولماذا قبض على (القره قوز) ، يبقى هذا سرا غامضا . يذهب الناس الى الموالد لنوال البركة ، وأنا على ثقة من أنهم يستحقون أن يتلقوا بركة زيادة نظير ما يدفعونه ثمنا لخطايا الآخرين .

يعود ما كتب فى السطور السابقة الى ما قبل نشوب الحرب ، وقد حفظ حتى يرى الى أى مدى قد يؤثر هذا الحدث فينا بصفة عامة ، وفى الموالد بصفة خاصة ـ وكما آمل ، فنحن لم نتأثر بصفة عامة فى حياتنا ، انها أمة سعيدة ومحظوظة : كان المولى رحيما بنا ـ لكن الانسان لم يكن رحيما بالفقير الذى يذهب للمولد .

كان اهمال مولد السيد البدوى فى طنطا أو على الأقل تأجيله الى أجل غير مسمى Sine die واحدة من المآسى ، فهو أحد الأحداث العظمى فى الاسلام . لقد كان بركة وفخرا لمصر لأكثر من ستمائة عام ، ويقال انه كان يجلب حجاجا أكثر مما تجلبه مكة . هل نحن متخمون بالأولياء الى حد تجميد وردة الأراضى البعيدة ؟ وهل من الحكمة أن نتوقع

سحب الحرب، بدلا من الاستمرار طالما ليس هناك ما يمنعها، وبذلك نشجع الناس على أن يكونوا مبتهجين ؟ (٢٩) ·

لقد عانت موالد القاهرة كثيرا ، ولكن ليس فى ابداية · كان الثالث من سبتمبر (١٩٣٩) (تاريخ اعلان الحرب العالمية الثانية) ـ يوافق ١٩ رجب (١٣٥٨) هـ ، وهو تاريخ يتجمع فيه الناس قبل رمضان بفترة قصيرة ، وكانت هناك شائعات باحتمال فض التجمع بدعوى حظر الاضاءة المبهرة (بسبب الحرب) ، رغم أنه حتى التاريخ الذى أكتب فيه الآن هذا (١٧ شوال ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٣٩) ظلت القاهرة بلدة مضيئة Une ville Lumiere ، باستثناء حالات اظلام « black outs » محدودة ونادرة ، وأشك ان كان هذا قد طبق رسميا على الموالد، ولكن على المستوى المحلى يبدو أنه امتد فى بعض الحالات كسبب ـ أو ادعاء ـ لعدم استمرارها (الموالد)· فخلال الليالى القليلة الأخيرة من شعبان كانت المنطقة تحت القلعة من «باب الوزير»(٣٠) الى مقابر المماليك ، ذات منظر بهيج عادة : موالد صغيرة ، مزارات باهتة الاضاءة ، زفات (مفردها زفة) ببيارقها البسيطة ، شعلات ، مصابيح ، موسيقى (الطار) و (الناى) وجوه الشيوخ المستغرقة ، والحماس السعيد للأطفال · لكن بحلول عام ١٩٣٩ كان كل شىء قاتما ، فى كل وقت ذهبت فيه الى هناك · فى احدى هذه الليالى شاهدت نفرا قليلا من الدراويش الساخطين تحت هذه البواكى الجميلة قرب (السيدة عائشة) ببيارق gonfallon مطوية وفانوس ورقى يحترق باهتا · وأعتقد أنهم كانوا

---

(٢٩) يبدو ان منع اقامة مولد السيد البدوى فى الفترة التى كتب فيها مكفرسون هذا الكتاب ـ كان لاسباب تتعلق بقيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وما صاحب ذلك من اجراءات امنية اتخذتها الحكومة كان من بينها منع اقامة الموالد ·

(٣٠) باب الوزير منطقة سكنية تتبع قسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، تضم معها منطقة التبانة ، وتشكلان معا شياخة باب الوزير والتبانة ·

ـ راجع تعداد سكان القطر المصرى ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ١٣ ·

ذاهبين الى ضريح (الجيزى) الذى يقع وسط مقابر المماليك. ومع تقدمى الى موقع مولد (الشيخ صالح شاهين المحمدى) خلف قسم (بوليس) الخليفة كان كل شيء مظلما ، لكننى وجدت لحسن الحظ ذلك المولد الهام (لبهلول) قرب باب الوزير ينشط برفق . ولقد تعرض هذا المولد لخطر التعطل، لكنه نجا ، كما قيل لى ، بالبركة . وفى طريقى الى هناك ادركت درويشا كنت أعرفه وأحترمه لوقت طويل . كان عاجزا تقريبا عن التعبير عن الغم والتأثر العاطفى بسبب هذه المحاذير ضد الموالد ، لهذا فانى آمل أن يباركه (بهلول) . وبسؤاله عن أسباب تعطيل هذه الموالد ، أجابنى قائلا : « يقولون ان الجيش يعترض على الاضاءة » . لم أستطع أن أقول « من هم (الذين يقولون) » ، لكنه من المستحيل القبول بهذا السخف ــ سواء انبعث من الدرويش نفسه أو « منهم » (كما يقول) ، ذلك أنه فى هذا الوقت على وجه التحديد كان مسجد القلعة بالاضافة الى مآذن منيرة كثيرة ــ مضاء بضوء باهر ، وعلى الارتفاع تلألأت آلاف الثريات الكهربائية .

من عشرين مولدا زرتها بعد اعلان الحرب ، أى خلال الأيام الأخيرة من رجب وعبر شعبان ، كان كل شيء خربا ، مظلما ، أو يأتى بكآبة ، باستثناء أربعة (موالد) ، العزايم، بهلول ، والمطراوى ، والأخير ولكن ليس الأقل ، مولد (برسوم العريان) . كان مولدا رائعا ، جديرا برحلة طويلة لمشاهدته، ربما يفوق ما وصفته منذ ثلاث سنوات سابقة ، جاء اليه الناس من أماكن بعيدة ، وأقاموا هناك لأسبوع أو أكثر . فى الليلة الأخيرة اختلط الآلاف ، عشرات الآلاف من المسلمين مع الحجاج الأقباط عند مزار هذا القديس المسيحى ، هذه هى الروح المباركة للتسامح بين أهل مصر . كان الكل تقيا وسعيدا ، ولا مكان لأى احتكاك ولو بسيطا (٣١) .

---

(٣١) كتب ماكفرسون هذا منذ اكثر من نصف قرن (٥٦ عاما) مؤكدا ان مصر كانت =

ولكن أن يكون أزهى وأسعد الموالد ، هو أحد الاحتفالات القبطية القليلة الباقية ، هو أمر هام انه يوحى بمفتاح لغز لمطلب (الدافع الرئيسى) Leit motif لهذه المقدمة ـ « من خلف هذا القمع للموالد ؟ ، هذا الخنق الذى يحدث للتعبير الطبيعى للناس عن تقواهم وفرح الحياة طبقا لما تمليه عليهم قلوبهم ، والعادة التى يبلغ عمرها ألف عام فى وطنهم ؟ » · هل يمكن أن يكونوا هم الناس الذين يتوقع منهم (الشعب) الحنـان والدعم ـ الفريق الأكاديمى من قادتهم الدينيين ، الذين ضحوا بالروح من أجـل تفسـيرهم الخـاص بخطاب القانون ، هؤلاء بأحسن النيات غير المشكوك فيها ـ يميلون الى نفس النتائج التى (تأتى بها) روح العصر zeit geist الحديثة الى نأسف جميعا لها · هل هى حقيقة المصدر الذى نبحث عنه من أجل الارشاد البناء ، والثقافى ، الذى يعطينا بدلا من ذلك المحاذير الدينية المتزمتـة التى هى مدمرة فى حد ذاتها ؟

اذا كانت هذه هى الحالة ، كما أعتقد أنا أنها مفترضة عامة ـ رغم اننى غير راغب فى تصديقها ـ فان هذا يعفى البوليس الى حد كبير ، لأنه (البوليس) هو السلاح المدنى Civil Arm الذى ينفذ الاجراءات العقابية على أولئك الذين تصمهم الكنيسة بأنهم « هراطقة » ، كمـا كان يجرى أيام محاكم التفتيش (٣٢) ·

يقول لى علماء الدين فى بعض الأحيان : « ان الرسول

= مركز التسامح الدينى والمكان الحقيقى للامتزاج الحقيقى لعنصرى الامة (الاقباط والمسلمين)· قارن هذا بما يحدث هذه الايام (١٩٩٥) من تعرض الاديان فى مصر لنوع من المضايقة والتعسف من جانب بعض أدعياء الاسلام الذين يستخدمون الارهاب والترويع وسيلة لفرض ارائهم المتطرفة ·

(٣٢) محاكم التفتيش ، محاكم كنسية عصر وسطوية اسست لتعقب ومعاقبة الهراطقة ، ثم تحولت الى محاكم اسبانية فى القرن الخامس عشر لتعقب الموريسكيين والمتحولين من اليهودية (المارانوس) Marranos .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 11, p., 183-185.

لم يأمر بهذه الموالد ، ولهذا فهي ليست في ديننا » ـ وردى على ذلك هو : « وهـل امركم بركوب السـيارة أو نصـف ما تفعلونه ؟ » واذا كانت (الموالد) ليست في دينكم ، فلماذا كان أوليـاؤكم سـعداء بهـا لأزمنة ، خلفـاؤكم ، نقيب الأشراف ، ولاتكم ، جموع دراويشكم ، وكثيرون ممن أصبحت قبورهم الآن أهداف العقائد التي تضرون بسـمعتها : هـل بعثت المدنية ضوءا مقدسا أوحى اليكم بأخطائهم وبالحقائق الجديدة ، التي يراها هؤلاء الآخرون ؟

هناك شعار يطبق خاصة على الموالد « لا شيء ضد الأخلاق والدين » • وهذا يبدو رائعا ، نظريا بالقطع ، لكن التطبيق يتم بطريقة خاطئة تماما • لا يمكن أن يقدم مفـكر جيـد الفكر على معارضة ازالة كل ما هو شر • لكن تسلية النـاس التي تهاجم الآن لا تزيد في مدنيتها عن الأكل أو الشرب، ان هذه التسلية ضرورية للصحة ، للقناعة وسعادة الناس • هل لعبة التحطيب Stickplay التي يلعبهـا المصريون ضـد الأخلاق والدين ؟ هل رقصهم أو سباق خيولهم كذلك ؟ هل (الرينجا) Ringa التي يعشـقها السـودانيون بموسـيقاها الجذابة والتي توحي للراقصين في بعض الأحيان وهم مكسورن تماما بعمل خطوة مفردة تشبه سحق الصرصار كذلك ؟ ، هل الغناء شر ، أو بعض الرقص القليل (لقد رقص النبي داود أمام الأشياء المقدسة ، وحتى اليوم (يرقص الناس) عندما يحتمل أن يكون أجمل المهرجانات الدينيـة الباقيـة مثـل مهرجان Palio of siena • ولقـد شـاهدت صبية يرقصـون رقصـة البيارق أمام«المذبح» وفي دير سانت كاترين St. Catharine .

هل من الكفر أن تشاهد أكروبات ، (حاوى) ، ساحرا، بارعا أو رجلا أو قزما ، أو مهرجا مسليا ، أو لاعبا جائلا موهوبا، أم أنه ليس من الأخلاق أن تختبر قوتك البدنية ، أو مهارتك في التصويب على هدف دقيق ، أو مقاومتك للعبة « الصدمة

الكهربائية » ؟ (ان هذا يعنى) أن الناس الذين يحاولون أن يجعلوا العالم مكانا حلوا سيكونون ملعونين • لقد رأيت كل هذه المتع التى رصدتها تزال بلا رحمة أو تكسر ، وكثير غير ذلك • أصبح القزم المحبوب يبيع الآن تذاكر اللوترى (أوراق اليانصيب) ، الرجل السمين (الذى يقدم عروضا فى السيرك) أصبح نحيفا الآن ، والباقون ـ ماذا بقى منهم ، هؤلاء البؤساء ؟ ان القره‌قوز المسكين ليس قديسا، لكنه ازدهر لأكثر من ألف عام فى مصر ، تركيا ، فارس ، والبلاد الاسلامية الكبرى ، لقد أصبح الآن هرطقة ، وعرائس الماريونيت (العرائس التى تحرك بالخيوط) والتى يبلغ عمرها عمر خيال الظل ، أصبحت الآن ضد الدين •

قارن يسوع المسيح « ملكوت السموات » (على الأرض) بحقل قمح بذره العدو ببذر سيىء • وعندما ظهرالتجيل اراد الزراع أن يستأصلوه ، لكن ربهم قال : « لا ، لئلا تستأصلوا القمح الطيب مع النجيل ، اتركوه للحصاد »(٣٣)• ومع أن (الحقل) فى الحكاية (السابقة) قد يكون أرض المولد ، فان الشبه قد يبدو صعبا بالنسبة (للنجيل) ، ذلك أن هذا الذى ينوى الزراع اقتلاعه ليس هو (النجيل) ، ولكن سنابل القمح والقنطريون العنبرى Corn-flower (نبات من الفصيلة المركبة) الذى يضيف اللون للمحصول ، أو (الحلبة) و (التيل) اللذان يحميانه ويجملانه ويزيدان من قيمته • ان ألعاب الأعياد الدينية التى تزدهر فى يوم (زيارة) ضريح تصبح بشكل ما جزءا منه •

(٣٣) « يشبه ملكوت السموات انسانا زرع زرعا جيدا فى حقله ، وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانا فى وسط الحنطة ومضى ، فلما طلع النبات وصنع ثمرا حينئذ ظهر الزوان أيضا • فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعا جيدا زرعت فى حقلك • فمن اين له زوان • فقال لهم انسان عدو فعل هذا • فقال له العبيد اتريد أن نذهب ونجمعه • فقال لا ، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وانتم تجمعونه • دعوهما ينموان كلاهما معا الى الحصاد » •

ـ انجيل متى ـ الاصحاح الثالث عشر ـ ٢٤ •

« حتى الأشجار التى تنمو حول المعبد ، سرعان ما تصبح غالية كالمعبد نفسه » ٠

ان الحقيقة الواضحة هى أن هؤلاء المرشدين حسنى النية والمضللين يمزقون (بأنفسهم) الديانة ذاتها ٠

ان كل من شاهد ، مولدا ــ قبل (حلول) ذلك المرض المحزن « العصر الحديث » ــ ولو منذ سنوات قليلة ماضية يستطيع أن يتأكد من صحة (ما ذكرت) باعادة الزيارة لنفس المولد (اذا كان لا يزال قائما) ويلاحظ العدد المتضائل وحماس هؤلاء الذين يزورون الضريح ، « والزفة » البائسة، والمشايخ والدراويش الساخطين ٠

من اللافت للنظر أيضا ، أنه من بين الأشياء القليلة التى يمكن اعتبارها (نجيلا) Tares ، موائد القمار من كل الأنواع التى لا تزال مزدهرة أكثر من ذى قبل ٠ وربما من وجهة نظر ميكيافيللية Machiavellian فانها يمكن أن تعتبر مفيدة أكثر منها ضارة ، فالأفضلية فى مواجهة الصغار الذى يضحون بملاليمهم ونكلهم nicklas (٣٤) عظيمة جدا ، حيث ان الخسارة الحتمية سوف تصيبهم بمرارة تجاه عادة القمار (٣٥) ٠

(٣٤) نظم النقود فى مصر فى النصف الاول من القرن العشرين ، القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩١٦ الصادر فى ١٩١٦/١٠/١٨ ــ وفيه رسم بان وحدة النقود المصرية هى الجنيه المصرى ، الذى ينقسم الى مائة قرش أو الف مليم ــ وقسم القانون النقود المصرية الى نقود ذهبية هى الجنيه المصرى ، قطعة الخمسين قرشا ــ نقود فضية هى قطعة العشرين قرشا ، قطعة عشرة القروش ، قطعة خمسة القروش ، قطعة القرشين ــ نقود نيكل هى قطعة عشرة المليمات ، قطعة خمسة المليمات ، قطعة المليمين (وتسمى نكلة) ، قطعة المليم ــ نقود برونز وهى قطعة نصف المليم (وتسمى عشرين خردة) ٠ فى ٢٦ يونيو ١٩٣٢ صدر القانون ٦٤ لسنة ١٩٣٢ وفيه عدلت النقود النيكل فاضيفت اليها قطعة المليمين ونصف (وتسمى عشرين تعريفة) ، واستبعدت منها قطعة المليم التى اضيفت الى النقود البرونزية ٠

راجع « كتاب التعليمات والقوانين والاوامر » مصلحة الاموال المقررة ، القاهرة ــ المطبعة الاميرية ببولاق ١٩٢٤ ٠

(٣٥) تبرير ضعيف وغير مقبول ، فكثيرا ما توارثت عادة القمار من العاب القمار الصغيرة التى يمارسها الصبية فى المولد وعلى قارعة الطريق ؟

ان هؤلاء الذين يقرءون القصص التى ستلى عن موالد « ستنا فاطمة النبويه بنت الحسين » ، أو مولد بنت اختها العظيمة فاطمة النبوية الأخرى (بنت جعفر الصادق)(٣٦)، أو مولد سيدى عشماوى ، ويا حسرتاه على الموالد الأخرى!!، أو الذين رأوا هذه الموالد بأنفسهم فى الماضى وايضا فى الأوقات الحالية ، وبالتالى فهم فى وضع تفرض عليهم فيه المقارنة ــ هؤلاء جميعا سيكتشمون بسهوله ذلك المرض الخبيث الذى زحف الينا ، مدمرا المحبة القلبية ، كما انهم لن يستطيعوا إنكار الخلاصة التى سيستخلصونها (ان التفسير المزيف وتطبيق شمار « الأخلاق والدين » ، هو عامل مساعد على الأقل لما جرى) • أهو نصر للدين أن يظهر فى أولى الحالات الثلاث المشار اليها هنا مهرج مبتذل فى المواكب المهيبة التى تحتفى بنسل وممثلة حفيدة رسول الله ؟ ، أو فى الحالة الثانية الخاصة بابنة الامام السادس ؟ أهو كسب أخلاقى أن تتحول الأجزاء الجميلة من ضريحها الصغير الجميل الى مكان مظلم كالسجن على الطريق ، وان تصبح المساكن الشبيهة بالكهوف التى أعطت رجع أصداء (الذكر) الى حفلة أنس صامتة عابسة ليس بها سوى الشاى الأسود والقهوة ، الشيشة والجوزة فى جو نصف مظلم ، وأن يطرد «الأرغول» وعازفه ونغماته العميقة الشجية من الشوارع المجاورة كما لو كان يجلب الطاعون ؟

أما فى حالة (المولد) الثالث الذى اختير فى هذا الخصوص ، وهو مولد سيدى عشماوى ، فاننى أعتقد أن درسا واضحا يمكن استخلاصه من ذلك الركن الصغير الذى

(٣٦) فاطمة (٦١٦ ــ ٦٣٢) كانت الابنة الوحيدة للرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وبزواجها من على كرم الله وجهه ، اصبحت الجدة العليا المباشرة للخلفاء الفاطميين والدة الشيعة ــ أما جعفر الصادق المتوفى عام ٧٦٠ م فهو ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب •

— Jere L. Bacharash « A near East Studies Handbook, 575-1974 — University of Washington Press, USA, 1974.
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 2, p. 34.

كان فيما مضى مسرحا للعبة التحطيب البريئة ، والغناء وما أشبه ، وما آل اليه من تحوله الى (حلقة) ذكر تتردد فيهـا أنماط متطابقة الشعارات mot d'ordre بنتائج مؤسفة وغير بارعة ٠

لقد كانت الفضيلة المطلقة للمولد القديم هي الاخلاص وانفتاح تقواه وفرحه ٠ لكن أى شىء مهما كان القصد فيه حسنا ، يحث على التكتم والتظاهر الكاذب بالفضيلة والدين، يؤدى عندى الى عدم الايمان والتجديف ، بل والى تراجـع روحى لا يمكن لوم الناس عليه ٠

يحـــاول بليس . Bliss في عمله عن « الديانات فى سوريا وفلسطين » أن يوجـز وضـع الدراويش فى مشروع عناصر الاسلام بقوله : « ان الدراويش يلتمسـون الله فى القلب : بينما ينشده العلماء فى الكتـاب » ٠ لـكن خاتمة القصيدة الساخرة توحى بأنه اذا كان الأولون (الدراويش) عاطفيين أحيانا فى حماسهم ، فان الآخـرين (العلمـاء) يخاطرون بوضع الكثير من الضغط على الديانة الرسمية ، وتقديم النص على الروح ، وفى هذا المقام فان هناك الكثير من الأمثلة فى تاريخ الدين يمكن الاستشهاد بها ٠ لكنه من التضليل الالماح الى نوع من التناقض الذى لا يجب أن يوجد، وخاصة فى مصر ، حيث يضم العلماء قادة عظاما من الطرق الصوفية ، بما فى ذلك « نقيب الأشراف » وأئمة المـذاهب الأربعة : (الحنفى) و (الشافعى) و (المالكى) و (الحنبلى) ٠

وللحقيقة ، فاننى لم أسمع مطلقا عن ميل للعلماء نحو حظر غشيان الموالد ، أو أنهم فى صف هذا القمع العنيف المسخط والذى أصبح الآن مؤلما : ان هذه المسئولية تبـدو دائما ملقاة على أبواب سلطة معينة وفعالة للجامعةالأزهرية ٠ ربما كان التاديبتقليدا ٠ وبالقطع ، فان هناك بعض الحالات

النموذجية لهذا التأديب ــ كتلك التى سجلها (لين) Lane (٢٧)
عن العالم الأزهرى « القويسني » شيخ زاوية العميان الذى
احتفل بتعيينه فى هذه الوظيفة بجلد كل عميان طائفته
وعددهم ثلاثمائة : ولم يكن هذا دون سبب ــ ومع هذا ، فان
تلاميذه هؤلاء ــ الذين لم يستسيغوا أسبابه فى جلدهم ــ
ما لبثوا أن أمسكوه وقيدوه وقاموا بجلده (كما جلدهم) ٠
لكنني لا أجد حوادث مبكرة تفيد امتداد هذا العقاب البدنى
Palmrod الى الزوار والعامة فى الموالد ٠

وبينما كنت أسطر هذه السطور جاءنى ما يفيد أن
الأزهر يطبق سلطاته العقابية على الحيوان الى جانب الانسان ،
وكان آخر مخلوقات الله الذى تعرض للعقوبة هو «جمل النبى»
(أى) الجمل الذى يحمل « المحمل » الى الاماكن المقدسة ،
ذلك الحيوان الذى يتصور المرء أنه آخر من توقع عليه عقوبة ٠

ولقد دارت مناقشات عظيمة حول هذا الحدث الشهير
Cause Celebre فى بعض الصحف ، وقد يكون من الصواب
ارفاق نسخة من خطاب الى (الاجبشيان جازيت Egyptian
Gazette » (٢٨)، يشير الى أن هذا «المذنب العظيم» قد سلم
لرعاية القائد السياسى فى هذه البلاد ٠

٢٥ أبريل ١٩٤٠

المحرر ، الاجبشيان جازيت

لقد لاحظت فى الوقت الحاضر جدلا عنيفا فى الصحف
حول ابقاء أو التخلص من (جمل النبى) فى احتفالات
المحمل، ولقد تساءلت من الذى يستطيع أن يفيد من مهاجمة

---

(٢٧) ادوارد وليم لين E. W. Lane صاحب كتاب « المصريون المحدثون وشمائلهم وعاداتهم » الشهير ٠

(٢٨) صحيفة الرئيسية صدرت فى مصر عام ١٨٨٠ باللغة الانجليزية ٠

ــ ابراهيم عبده (تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ ــ ١٩٨١) الطبعة الرابعة ــ مؤسسة سجل العرب ــ القاهرة ١٩٨٢ ــ ص ٣٥٧ ٠

عادة قومية مهيبة فاتنة ؟! · لقد تعرضت بلا شك احتفالات مصر التقليدية للبتر بما فيه الكفاية ، بتر جمالها وجلالتها فى هذه الأيام الكئيبة ، ولكن دون الغـاء « جمـل الحج » ، « جمل الشعب » ، « جمل النبى » ــ « أحسن من البنى ادم » كما سمعت النساء يهتفن عندما كن يضغطن للاقتراب (من الجمل) للمسه ·

لقد بحث صديق لى ولمصر ــ والذى يعتبر (الدعوة) المكررة غير المبررة لقليل من التحركات التخريبية التى أحالت الكثير من أزهى موالد القاهرة ومواكبها الى ماتم ، غير خالية من التهديد لسعادة وقنـاعة النـاس ــ (اقول) بحث فى ملفاتك السابقة وأرسل لى قصاصة من (العدد) الصادر فى ١٩ مارس ١٩٤٠ والتىأجد فيها قراءة حزينة ·

انك تفتتح مقالة واسـعة المعرفة ومشوقة ، بعنوان : « قد يلغى احتفال المحمل » ، بمعلومات مفادها أن الشـيخ « فلان » من الجامعة الأزهرية « قد اقترح الغـاء التقليـد القديم الذى يعرض فيه الجمل حاملا للمحمل ، وأن يكتفى بعرض الكسوة · وان هذا الاقتراح قيـد النظر بواسـطة رئيس الوزراء » ·

الحاج جمل البائس ، قد أصبح بدعة !!·

وما أبأس رئيس الوزراء أيضـا ، عندما يزج به فى ميدان صراع للتنافس فى جهاد كهذا ، صاحب السـعادة ، ربان سفينة الدولة فى هذه البحار العاصفة !

لقد جلست عند قدمى المرحوم المفتى فى الأزهر بينما كان يفسر القرآن ، وانه لفخـر لى أن أعتبر نفسى تلميـذا لأكثر مصادر العلم والثقافة مهابة ونبلا ، عـلى أن هنـاك شيئا من الصدمة أن نجده (التفسير) ينزع الى أن يصـبح

أيضا مصدرا لكبح بيداجوجى (٣٩) Pedagogic ثانوى

وأعود يا سيدى بصفاء الى احداث عواميد (مقالتك) عن النداء الرائع من مجلس الاصلاح الاجتماعى، وكلمة رئيسها الهادئة البناءة الثقافية ، الدكتور منصور فهمى عن « روح المحافظة والخصائص القومية » ٠ ان هناك الكثير هذه الأيام مما يدعو لمثل هذا الدواء ٠

المخلص

أبو مسعود

وأعتقد أن القول المأثور « العقل السليم فى الجسم السليم » mens sana in corpore sano ، (٤٠) ينطبق على الموالد كما ينطبق على أشياء كثيرة ٠ فعندما يكون الجسم Corpus (وهو هنا الجانب الشعبى) صحيحا وسعيدا ، فان العقل Mens (الجانب الروحى) يكون له كل فرصة ليكون كذلك ــ وليس العكس ٠

لا تستطيع أية حجة بشأن الموالد أن تغفل قيمتها السياسية ، فهى تدخل السعادة والرضا على الناس ، وبالتالى ــ الولاء والوطنية ، وهى أصول لا تقدر قيمتها للملك والبلاد (٤١) ٠ لقد كانت « الموالد » الدينية اليونانية بألعابها الشعبية عناصر ثبات ثمينة للدولة ، ولم تكن روما لتستطيع ارضاء الشعب والحاكم Urbem et Orbem وتحفظ امبراطوريتها العظيمة متماسكة بدون المصروفات السخية على الاحتفالات والألعاب ٠ ولم يكن شعار الخبز

---

(٣٩) بيداجوجى Pedagogic من بيداجوجيا Pedagogy علم اصول التدريس ٠ Larousse Universel, Vol. 2, p., 528.

(٤٠) مصطلح لاتينى ، فيه كلمة mens تعنى (عقل) ، Sana-Mind تعنى (سليم) — Corpore من Corpus اى جسد ٠ Sano من Sanae اى سليم ــ والمصطلح كله : Mens sana in corpore sano يقابل : A sound mind in a sound body — Dictionary of foreign words and phrases, op. cit., p. 142.

(٤١) كانت مصر ملكية وقت نشر هذا العمل ٠

والسيرك Panem et Circenses هو شعار الجمـوع فقط ؛ لكنه كان شعار الحكومة العاقلة ٠

لقد ظهرت مقالة بتوقيع (ر) في البورص اجيبسيين Bourse Egyptienne (٤٢) بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٣٢ ٠ في هذه المقالة التي كانت بعنوان Nec Panem, Nec Circenses (لا خبز ، لا سيرك) أشار الكاتب الى أن هذا هـو الوضع في مصر٠ ويذكر الكاتب ملاحظة مازارين Mazarin عندما كانت الثورة الفرنسية تختمر « طالما كانوا يضـحكون ويغنـون ويسلون انفسهم ، فسوف لا يكون هناك انتفاض » ٠

والمقالة أطول من ان تقتبس ــ لكنها تنتهي بـ :

« On ne leur donne pas de pain. On ne leur donne pas de jeux. Mieux : on trouble les quelques distraction qu'ils pourraient trouver. C'est tout Juste si on leur permet le yo-yo. Dangreuse methode ! ».

انهم لا يعطونهم خبزا ٠ انهم لا يعطونهم لعبا ٠ والأحسن : انهم يفسدون بعض الغفلة التي يستطيعون أن يجـدوها ٠ وهذا كله طيب ، اذا ما سمحوا لهم (بلعب) اليويو (٤٣)٠ أسلوب خطير ٠

لقد أحدثت خطبة الملك الحالية اهتماما معينا « بخبز الشعب»٠ ومن بين أشياء أخرى inter alia في «البلاغ»(٤٤) قرب نهاية نوفمبر ١٩٣٩ ، كان (في الجريدة) تقدير لهذا

---

(٤٢) صحيفة افرنجية صدرت في مصر عام ١٨٩٩ باللغة الفرنسية ٠

ــ ابراهيم عبده (تطور الصحافة المصرية) ٠ مرجع سبق ذكره ــ ص ٣٥٧ ٠

(٤٣) يقصد الكاتب في هذه الفقرة باللغة الفرنسية أن يقول انه حتى لو حرم الناس من الخبز واللعب ، وافسدت غفلتهم التي يعيشونها ــ فانهم لن ينتفضوا طالما وجدوا متنفسا في اية تسلية ولو كانت لعبة اليويو ٠ واليويو لعبة مؤلفة من قرص مزدوج محزوز مزود بسلك احد طرفيه ملفوف حول الحز والآخر مشدود الى يد المرء أو اصبعه على نحو يمكنه من قذف القرص في اتجاه ما واعادته من ثم الى اليد وهكذا ٠

ــ منير البعلبكي « المورد » ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٨٨ ٠

(٤٤) ظهر باسم البلاغ أكثر من صحيفة خلال النصف الأول من القرن العشرين ، البلاغ المصري ١٩٠٨ ، البلاغ ١٩١٠ ، البلاغ ١٩٢٣ ، والبلاغ ١٩٤٠ ٠ لكن الصحيفة =

(الأمر) وبعض الاحصائيات التى تبين أهمية هذا الأمر ·
فاذا كانت (البلاغ) مصيبة ، فان أكثر من ثلاثة أرباع
الأراضى (فى مصر) هى فى حوزة ٦٪ من الشعب ، الذين
لا يتركون فدانا لبقية الشعب ليتميشوا منه ، أو يحاولون ؟
أى مجال خصب هذا للشيوعية بيننا ! لقد صدمت عندما
سمعت سياسيا أجنبيا يقول فى أحد المطاعم القاهرية : « ان
أحوال الفلاحين هنا تشابه لدرجة كبيرة أحوال الفلاحين
الفرنسيين قبل الثورة (الفرنسية) ، وان أحوال الأعيان
ستصبح حالا مثل أحوال الأرستقراطيين الفرنسيين بعد
قيام الثورة ، اذا لم يفعلوا شيئا فى الحال لتحسين أوضاع
بقية الناس · (أعترف) أن هذا خارج عن موضوع البحث
ومبالغ فيه ، لكنه موضوع يؤكد أهمية الحركة الحالية فى
الأماكن الراقية لتحسين أحوال الشعب · لكن وقتا طويلا قد
يمر ليصل الى الناس خبزهم اليومى panem quotidianum ، مع
حسن النيات وأكثر التنظيمات فعالية ـ ومع هذا ، فلا الوقت
ولا المصاريف سوف توفران لهم تسلية مشاهدة
السيرك :

لم يعط مليكنا المثل الطيب بكلماته التحذيرية فقط ،
ولكن بأعماله ، ولا شىء فى اعتقادى من هذه الايماءات
الجميلة beaux gestes أكثر تقديرا عند الشعب من حريتهم
بالاستمتاع بالعروض الملكية والموسيقى فى ساحة العرض
بالقصر ، ودائما المنظر الأخاذ وصوت « تغيير الحرس »
« Changing of the Guard » فى « سبوع » الأميرة الطفلة
« فوزية » (٤٥) · اصطفت جموع سعيدة حول الميدان

= المقصودة فى اعتقادى هى (البلاغ) الوفدية لصاحبها عبد القادر حمزة والصادرة فى ٢٨ يناير ١٩٢٣ ثم احتجبت فى الأيام الأولى لثورة ١٩٥٢ ·

ـ ابراهيم عبده (تطور الصحافة المصرية) ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١١ ، ٢١٣ ·

(٤٥) الابنة الثانية للملك السابق فاروق (١٩٢٠ ـ ١٩٦٥) ملك مصر (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) من زوجته الأولى صافيناز (فريدة) ـ ولدت فوزية عام ١٩٤٠ ورحلت مع والديها =

الكبير (عابدين) يستمتعون بصدح موسيقى القرب ، وموسيقى فرق أخرى كثيرة تستعرض كالشفاف المتعدد الألوان تحت اشعاع الأضواء الكاشفة • ووجه الناس عيونهم الى السماء لمتابعة طائرة كانت ترسم اسم (فوزية) بين شكلين للقمر ونجم الزهراء وأشكال سماوية كثيرة ، وقد توقع أكثر من نصف المشاهدين أن يظهر الاسم الملكى بين مجموعة النجوم المتألقة •

وبعد أسابيع قليلة وبمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لارتقائه العرش (٤٦) ـ وفى نهاية يوم حافل بالموسيقى والمواكب ـ توج العمل finis coronavit opus بعرض سينمائى ممتع فى ساحة القصر الملكى ، صفت فيه آلاف المقاعد لتتسع للأطفال أولا من العامة ثم الكبار بعد ذلك •

كان الجميع سعداء للغاية لهذه التسليات الملكية ، لأنهم كانوا متروكين فى سلام • لا عصى أو نبابيت ! لا تنمر على الشعب الضعيف bullying ! لا تداخل بيداجوجى pedagogic لا مجادلات رسمية أو تدخل ! ولقد سرت شائعة أن الملك قد جاء متخفيا للاحتفال ـ فأضافت هذه الشائعة نوعا من الاثارة اللذيذة (بين الناس) • وحتى لو كان هذا غير صحيح ، فاننى على الأقل آمل أن يكون جلالته قد شاهد الى أى حد قدرت رعيته المتواضعة هذه الأمسيات الجديدة بالذكر ، وربما يتحقق له مدى الخطر الذى تتعرض له موالد بلده •

الى المنفى خارج مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ عقب قيام الثورة (١٩٥٢) ـ لفاروق ابنتان (فريال ١٩٣٨) و (فادية ١٩٤٣) من الملكة السابقة فريدة ، ثم أنجب (أحمد فؤاد ١٩٥٢) من زوجته الثانية (ناريمان) الذى أصبح ملكا لمصر لفترة قصيرة انتهت باعلان الجمهورية (١٩٥٣) •

Concise Columbia Encyclopedia - Columbia University Press, 1983. p. 282.

(٤٦) تولى الملك فاروق مهامه الدستورية كملك لمصر فى ١٩٣٧/٧/٢٩ ، وعلى ذلك فان اليوم الذى يصف فيه المؤلف هذه الاحتفالات هو التاسع والعشرون من يوليو عام ١٩٤١ •

ليت عيني الملك كانت قد تحولت للحظة من هـذا المنظر الجميل في ليله تتويجه ، الى هدا الدمار الجائر الذى احاط بضريح حفيدة النبى فى نفس يوم مولدها الطاهر · اننى لن احاول افساد الصورة فى هذه الاحتفالات الملكيه فى ميدان عابدين ، برسم صورة مضادة كئيبة · لكن وصفا سيجده (القارىء) فى قصة مولد ستنا فاطمة النبوية ، الذى سيلى·

عندما تشابكت الحرب (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) مع موسم المولد لعام (١٣٥٨هـ) (١٩٣٩) خلال اربعين يوما وليله (من ١٩ رجب الى ٢٩ شعبان ــ ٣ سبتمبر الى ١٣ اكتوبر) لم يكن مقنعا الى أى مدى قد تستخدم ذريعة (الحرب) لزيادة اذلال (الناس) ، رغم أن الأشياء كانت تبدو سيئة جـدا عندما أطفئت أنوار الموالد فى الليلة الأخيرة ، حتى فى المقابر بينما كان مسجد القلعة يسبح فى الأضواء ، كما ذكر انفا · ربما كان معتبرا أنه من الأفضـل تعريض دفاعات البـلاد لخطر القصف (الجوى) بدلا من ازعاج راحة الموتى · تفكير تقى حقا !!!

كان الاحتفال بمولد طنطا حادثا مبهجا عـلى أية حال ، رغـم أنه كان عـلى قـدر كبير من النقص · كان ذلك فى ١٩ شوال (١ ديسمبر) ، وان يكن قد جرى متأخرا سـتة أسابيع عن موعده المعتاد · لكن قليلا (من الناس) خارج طنطا علموا بذلك متأخرا · لم يكن ايقاف اقامة هذا المولد فى أكتـوبر راجعا كلية الى الحرب ، ولـكن أيضـا بسبب (حلول شهر) رمضان الذى كان يبدأ فى منتصف أكتوبر ، والذى كان يستلزم تقديم التاريخ لمدة أسبوع اذا كان قد أقيم (المولد) فى ذلك الشهر · وكما يقول أهل اسكتلندا « We maun be thankfu' for sma' mercies ! » كما نعبر عنها هنا بأناقة (بقولنا) : « الحمد لله على كل حال » ·

واحسرتاه ! واحسرتاه ! لقـد أحيا انعاش (مولد) السيد البدوى ، والافتتاح الجيد للموسم بموكب (البيومى)

فی « صفر » ، آمالا زائفة لعام ١٣٥٩ (١٩٤٠) ، لأنه بينما كانت الحرب قد سببت ازدهارا فی القاهرة ودور الخيـالة (السينما) فيها ، الرياضات ، المقاهی الحديثة الراقيـة ، البارات وما الى ذلك ، فانهـا قد حملت بقدر ملحـوظ من النجاح القمع والكبت للامتيازات القديمة للغاية للناس فی اقامة الموالد والمناسبات العامة الأخرى ، وقد بلغ هذا شوطا بعيدا ، وسبب اضطرابا وخوفا عنـد الناس غـير مرغوب فيهما ٠

هل يؤدى هذا الى اضطراب سياسى ، وخاصـة فی ذلك الوقت ؟ هذا يبدو لی (ممكنا) وقد يشـاركنی فی ذلك كل من درسوا التاريخ ، والذين يشعرون بنبض الناس واضحا وخطيرا ٠

عـلى أنه بدلا من الاسـهاب فی هـذه المرحلة ، فاننی سـأضيف باسـهاب inextenso خطابا ظهـر فی سـبتمبر ١٩٤٠ (شعبان ١٣٥٩) ، فی واحدة من الصحف المنشورة فی مصر :

خطر مصر الحقيقی

المحـــرر

الاجبشيان جازيت Egyptian Gazette

من الأهمية بمكان لأی بلد أن يكون فلاحوها وجموعها سعداء وقانعين فی أی وقت ، وتصبح هذه القضية ضرورية بشكل حيوی عندما تكون مهددة كما هو الحال هنـا الآن ٠ وآية قوى تنزع الى خفض معنويات وروح الشعب ، واخافته واسخاطه ، رغم أنها مدسوسة لتوحی بالصدق ٠ وهی دموية المزاج بالطبع ــ هذه القوى يجب أن تحارب بكل القوة التی لدى الناس ٠

هناك قوى كهذه ، وأحد أسوئها آثارا ، ولكنه أسهلها علاجا لحسن الحظ ، هو منع موالد الناس وأعيادهم الشعبية ـ متعهم الوحيدة ، متنفسهم لمعنوياتهم العالية وتقواهم ٠ يا لهذه الأرواح البائسة العزيزة ! انهم لا يملكون الكثير من محاسن الدنيا ـ المتوسط المعيشى (عندهم) هو حوالى فدان واحد للفرد ليعيش أو يعاني الحرمان ، وذلك طبقا لمقالة فى (البلاغ) ، لا كرة سلة ، أو رياضات من أى نوع مثل (من هم) أسعد حالا : ربما أرجوحة أو اثنتان يقيمونهما على حسابهم وبجهودهم الخاصة ، ليتم منعها بلا رحمة ليس كما يحدث هذه الأيام ، ولكن كما حدث فى المولد الكبير « بالدقي » للزفيتي ٠ فى مولد حفيدة الرسول فى ١٦ رجب (٢٠ أغسطس) لاحظت أرجوحتين ، عش الأوزة للأطفال، كثيرا من موائدالقمارالصغيرة ، ومكانا رمليا فسيحا، كمكان للترفيه لنصف مليون حاج وزائر يتوقع غشيانهم لهذا الاحتفال الكبير ؛ (لكننى) أبلغت أن الأرجوحات قد أزيلت فى الليلة الماضية ٠ ولم تستطع هذه الحشود أن تشارك فى المقام المقدس من الظهر وحتى منتصف الليل ، أو أن يكتفوا (بالذكر) ٠ ومع احباطهم لعدم توفر وسائل التسلية البريئة كما فى الأيام الماضية ، ولا موسيقى ، ولا غناء ، فقد دفعوا الى « حى الأزبكية » (٤٧) ، أو الى فيلم مشبوه ، أو للاستماع

---

(٤٧) الازبكية أحد أقسام مدينة القاهرة ، تستمد اسمها من الامير الجركسى أزبك ابن طتخ ، الأشرفى ثم الظاهرى جقمق أحد أمراء المماليك ـ اشتراه السلطان الأشرف برسباى عام ١٤٣٧ ٠ قام أزبك بمشروع اعمارى فى منطقة الأزبكية الحالية ٠ منها قصره ومسجده الشهير (١٤٧٧) ، ثم شرع الأمراء المماليك والأعيان فى البناء حول البركة حتى عام ١٤٩٥ عندما أصبحت منطقة الازبكية منطقة سكن للأمراء والأعيان ٠ لكن أهمية المنطقة قلت بعد وفاة أزبك (١٤٩٨) ، وأصبحت محلا لاقامة البغايا بعد ذلك حتى قدوم العثمانيين (١٥١٧) ٠ أصبحت المنطقة حتى أوائل القرن ١٨ مقرا لمواخير الفسق وبيوت الدعارة وأماكن بيع الحشيش ٠ مع نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن ١٨ بدأ تعمير المنطقة ، وشيد الموسرون العمائر على ضفافها الشرقية والجنوبية والغربية ، واستمر هذا النشاط العمرانى حتى ١٧٩٨ ـ تاريخ قدوم الحملة الفرنسية ـ التى ساهمت فى اعمار المنطقة التى =

مصادفة لاذاعات العدو السامة الـكاذبة (٤٨) وكلهـا قوى مميتة ومسيئة للمعنويات .

= كانت مركزا للجهاز العسكرى الفرنسى . وفى عام ١٨٢٧ تم ردم البركة وانشئت مكانها حديقة على الطراز الأوروبى ، واقيمت قصور وفنادق مستحدثة (فندق شبرد ١٨٤٩) . تلقت الازبكية فى عهد اسماعيل نصيبا كبيرا من التحديث الأوروبى وانشأ باريللى ـ ديشان حديقة الأزبكية على نمط حديقة (مونسو) فى باريس وافتتحت الحديقة عام ١٨٧٢ . فى نفس العام تم شق شارع « كلوت بك » الذى ربط المحطة بالازبكية . فى عام ١٨٩٧ كانت الأزبكيـة تنقسـم الى عشـر شـياخات هى : كلـوت بك ـ الفجـالة الجوانيـة والقبيسى ـ التوفيقية ـ قنطرة الدكة ـ الجيارة ـ الفجالة البرانية ـ القللى ـ بين الحارات ـ والقبيلة . فى بواكير القرن التاسع عشر شكلت مناطق (وش البركة) وشارع كلوت بك والمنطقة حتى بداية شارع الموسكى الحى الأفرنجى بالقاهرة بفنادقه وقنصلياته الأجنبية . لكن « وش البركة » فقدت مع سنوات القرن شخصيتها المحترمة واصبحت حى المومسات الأوروبيات ، واستمرت كذلك حتى عام ١٩٢٤ عندما اغلقت الحكومة اماكن الدعارة وحفظت للمنطقة المذكورة احترامها . فى أوائل القرن العشرين كانت منطقة « وش البركة » قد اصبحت زائدة excerescence من منطقة « الوسعة » ، بالأزبكية واصبحت كل المنطقة « كلوت بك ـ وش البركة ـ الواسعة » حيا غير رسمى للمشتغلات بالدعارة ـ من الأوروبيات من كل الاجناس من اللاتى لفظتهن « مرسيليا » الى « بومباى » و « الشرق الأقصى » حتى وصلن الى القاهرة كمومسات من الدرجة الثالثة . ضمت « الوسعة » ايضا المومسات المحليات من الطبقة الدنيا اللاتى كن يسكن بيوتا من غرفة واحدة .

وهكذا فان منطقة « الازبكية » وما يتفرع عنها من مناطق « ككلوت بك » و « وش البركة » و « الوسعة » كانت خلال النصف الأول من القرن العشرين تمثل حى البغاء فى القاهرة حتى صدور قرار الحكومة (١٩٤٩) بالغـاء البغاء الرسمى فى مصر .

ـ اندريه ريمون « القاهرة ، تاريخ حاضرة » . ترجمة لطيف فرج ـ دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ باريس ـ الطبعـة الأولى ـ ١٩٩٤ » ص ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٩٩ ، ٢٢٨ ـ ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣ . ٢٧٥ .

ـ تعداد سكان القطر المصرى اول محرم سنة ١٣١٥ ، اول يونيو سنة ١٨٩٧ ـ ج ١ ـ وجه بحرى ـ المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٨٦٨ ـ ص ١٢ .

Sir Thomas Russell Pasha « Egyptian Service, 1902-1946 » London, 1949, pp. 178-179.

(٤٨) كانت المانيا تبث اثناء سنوات الحرب العالمية الثانية اذاعات دعائية موجهة الى مصر وباقى البلاد العربية من خلال القسم العربى براديو برلين Berlin ، ركزت فيها على استقلال الدول العربية فى حالة انتصار المانيا على الحلفاء ، ووعدت بمساندة العرب فى الحصول على الاستقلال . وقد ركزت المانيا منذ أوائل يوليو ١٩٤٢ على توضيح سياستها تجاه مصر ، وذكرت ان هذه السياسة تقوم على مبدأ « مصر للمصريين » . وقد ركزت الاذاعة الألمانية منذ السنوات الأولى للحرب دعايتها الى قطاعات (الجيش المصرى ، طلاب المدارس العليا ، والعمال) . وفى الفترة ٢١ ـ ٢٧ يونيو ١٩٤١ اسقطت المانيا منشورات واسطوانات دعائية مسجلة بالطائرات على مراكز التجمعات السكانية المصرية . وكانت الجماهير =

ما الدرس الذى يجب أن نستخلصه من (تينوس) عندما غرقت (المـركب) هيلا Helle (★) تحت أنظار حجاج وزوار « مولد العذراء » el-Athra • كان أول عناية الملك ورئيس الوزراء هو الابراق الى مسئولى المولد للاطمئنان على الأحـوال ، وعـلى أن لا شىء يجب أن يفسـد أو يمنـع (الزفة) ، وأن تعطى كل المساعدة الممكنة والحماية للناس، وهذا ما كان (بالفعل) ـ لأنه لا توجد عقلية ضيقة جبانة تستطيع أن تعارض العناية الملكية بالشـعب • ان مليكنـا حفظه الله ، يمكن أن يرى عناية مماثلة لشعبه ، كما أثبت فى مناسبات عديدة باسعاد الآلاف منهم فى الميـدان الملكى (بعابدين) ، بالسينما وفرق الموسيقى ووسائل التسـلية الأخرى ، كما حدث فى « سبوع » الأميرة الطفلة « فوزية » •

إن هذه الروح القامعة التى هى الآن (تشكل) خطـرا سياسيا ، هى الى حد كبير « جنون أو هوس قتـل الفرحة » kill-joy mania ، لكننى أجد الناس يعزون هذه الروح الى شعار خادع يصدر عن بعض العلماء حسنى النية « لا شىء ضد الاخلاق والدين » • وهذا يبدو طيبا ، لكن الطريقـة التى يطبق بها تؤدى الى اثر مؤذ أكثر على رغد bien etre الناس وديانتها • هل المراجيح ، خيال الظل ، الاكروبات ، الضحك ، الموسيقى ، الغناء ، الوجوه السعيدة وما الى ذلك

المصرية الكارهة للاحتلال البريطانى تتابع باهتمام كبير محطة برلين التى كانت تسمع بوضوح فى انحاء البلاد • وفى اواخر مايو ١٩٤٢ اعدت وزارة الخارجية الالمانية حملة دعائية موجهة الى الرأى العام المصرى ، وذلك اثناء تقدم قوات المحور من الاراضى الليبية فى اتجاه الأراضى المصرية • وفى أواخر يوليو ١٩٤٢ استخدمت المانيا بعض المصريين اللاجئين اليها فى اعداد برامج دعائية ضد الاحتلال البريطانى فى مصر كان من أهمهم (الدكتور مصطفى الوكيل النائب السابق لحزب مصر الفتاة ـ والصول محمد رضوان سالم الذى لجأ بطائرته الحربية الى الخطوط الالمانية فى مرسى مطروح فى ٧ يولية ١٩٤٢) • =

رجيه عبد الصادق (الجيش المصرى والالمان فى اثناء الحرب العالميـة الثانيـة) ـ دراسة تاريخية فى ضوء انحياز بعض الضباط المصريين الى قوات المحور ـ القاهرة ـ غير مذكور جهة النشر ـ الطبعـة الأولى ١٩٩٣ ـ ص ٢٨ ، ٣١ ـ ٣٣ ، ٥٠ ، ١٣٠ ، ١٣٣ •

(★) راجع الحاشيتين ١٢ ، ١٤ من الفصل السادس •

ضد الأخلاق والدين ؟ وانه بناء على هذه الدعوى أو دعوى (قيام) الحرب ، يجب أن يحرم الناس من الاحتفالات التى تعطى لحياتهم لونا واشراقا ؟ لقد كان احتفال « عروس النيل » البهيج ، دائما مناسبة استمتاع عشرات الآلاف ، حتى (جاء) هذا العام وشارك فيه ـ وفقا للصور ـ شيخان، وموظف مدنى كبير ، وأومباشى (عريف) على ما أظن • وموكب المحمل القادم ، أو جمل النبى مهدد بالالغاء • ان الموالد تتعرض للعسف حتى فى الريف ، بما فى ذلك مولد اسماعيل الانبابى ، الذى اختلط بجمال فى البر وفى النيل مع عيد « ليلة النقطة » الذى يبلغ عمره ألف عام • في يوم الجمعة الماضى « ليلة المعراج » تذكر قليل من الناس حادث « اسراء » النبى الى (القدس الشريف) عندما شاهدوا سيارات الصفوة ذاهبة وعائدة من « مسجد محمد على » بمناراته المتلألئة ، وعندما شاهد البعض النظرة الفرحة الخاطفة لمليكهم المحبوب • لكن جمهور القاهرة العظيم ، والآلاف الذين أتوا من أماكن بعيدة ، وكذلك العلماء وقادة الأمة ، لم يعودوا يحتشدون عند ضريح (صاحب الكرامات) (سيدى) الطشطوشى ليقرئوه هو والنبى (الكريم) السلام ويستمعوا الى (رواية) هز شجرة المنتهى التى فى الفردوس Lote tree • لقد علمنا أن «للأولياء» وجودا وكينونة • ماذا يظنون عندما يرون انتقاص التوقير المفروض لهم ، وتحول « موالدهم » الى مآتم ؟

أى اجحاف هذا الذى نراه ؟! أتبدو دور السينما ، صالات الرقص ، الكباريهات وما شابه ، وقد أفادت من ظروف الحرب ، بينما تتعرض الموالد والاحتفالات ذات القدم المكرمة التى يؤمها الفقراء الى الحظر والاظلام ؟

بالنسبة لصالح البلاد ، كم هو أفضل كثيرا أن تشجع الناس فى مواجهة الأزمة ، بدلا من ملئهم بالخوف والخشية . ولماذا نطرى العدو بهذه الطريقة ، ذلك العدو الذى اتهمتنا اذاعته بالارتعاد خوفا فى مخابئنا ؟ • ان العدو وطابورنا الخامس (٤٩) هم الذين يكسبون من هذه الأساليب القمعية ، وآثارها على الشعب ، انهم هم الذى يبتهجون بهذه الهدية التى لا تقدر بثمن •

والآن يا سيدى ، من أجل حب الله والناس ، أناشدك أن تنشر هذه الحقائق المجردة فى أعمدتك المستنيرة ــ المخلص (الحاج أبو مسعود) •

اذا لم يوقظ هذا الكتاب فقط اهتمام القارىء وتعاطفه العام فى شأن الموالد ، ومطالب الناس بأن يتمتعوا أو على الأقل أن يمتعوا أنفسهم ، فانه يحث هؤلاء الذين فى السلطة أن يفكروا مليا فى الموضوع وأن يخففوا من التشديدات الحالية ، أن يمنحوا الليبرالية للسيرك ، وأن يعطوا مجالا كاملا للطبقات المتواضعة لاظهار تقواهم ومسرتهم فى موالدهم • ان الكاتب سوف يشعر أنه لم يكتب بلا طائل ، وانه قد وفى الى حد قليل دين الامتنان الذى يدين به للناس الأعزاء الذين اتخذ موطنه بينهم •

« وتستمر الاحتفالات المقامة متألقة » •

« Sublimi teriam Sidera Vertice ». (٥٠)

(٤٩) الطابور الخامس fifth Column ــ جماعة من أنصار العدو السريين يقومون بأعمال التجسس أو التخريب فى خطوط الدفاع أو حدود البلاد •

ــ المورد ــ مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤٦ •

(٥٠) عبارة لاتينية أنهى بها الكاتب مقدمة كتابه •

الفصل الأول

الموالد : أصلها وأهدافها

يمكن تعريف « المولد » بأنه عيد دينى وشعبى محلى تكريما لولى ذى شهرة ٠

والموالد المصرية التى سيرد ذكرها تشكل ما يمكن اعتباره قائمة رائدة ، حيث انها تضم أولئك الذين شاهدهم الكاتب مرارا ، أو أولئك الذين حصل على معلومات مباشرة وموثوق بها عنهم ٠

ولم يبد ضروريا أو حتى مرغوبا فيه أن يضع الموالد الاسلامية والمسيحية منفصلة ، فطبيعتها ، أصولها ، وأهدافها واحدة بصفة العموم

ان كلمة (مولد) Birthday تنطبق على الاحتفالات الاسلامية أكثر من المسيحية ، لأن الأولى تقام على أساس تفضيل تاريخ مولد الشيخ، بينما تقام الأخيرة على أساس اليوم المفترض للوفاة (يوم ميلاده فى الحياة الخالدة) « Hic dies postremus, aeterni natalis est » ، هذا يوم سيىء جدا ، انه مولد الخلود (الأبدية) » ٠

يجب أن نبحث عن أصول الموالد فى الجذور القديمة للمجتمع والدين : فى مقدرة طبيعية للتبجيل الحكيم لهؤلاء الذين خلفوا أمثلة من القداسة والجدارة ، (وهو بحث) كبير للغاية فى أن يحقق على المستوى الشعبى ، لكنه ليس صعبا ليجاهد فى سبيله : (يجب أن يبحث) أيضا فى الدافع أو الحافز الذى يجمع الرجال معا ليجدوا المجال الحر لآمالهم الرائعة وحيويتهم الناضجة ٠ (وحصاد هذا الجهد) هو سجلات المعتقدات

الشعبية لأغلب البلاد ، (ولعل هذا يبدو) فى مصدر القوة فى حياة اليونانيين والرومان ، الذين نشروا بلا شك معتقداتهم فى بلاد أخرى ، فى أرض مستجيبة وليست غريبة عنهم ٠

كان مولد (انشيسيز) Anchises (١) عند سفح جبل ايريكس Eryx فى صقلية Sicily حيث تقع ترابانى Trapani (دريبانوم Drepanum القديمة) (٢) الآن مطابقا (لما ذكرت) ، فهو يشمل كل معايير التعريف التى (قدمناها) ٠

يصف « فرجيل » Vergil فى الكتاب الخامس فى الاينيـــاد Aeneid (٣) الطقوس الدينية عند القبر ، والرياضات الشعبية التى كان يمارسها الطراوديون Trogansوالوطنيون ، ولا شك فى أن التبجيل الذى كان يلقاه (مولد) انشيسيز كان يعود أساسا الى أنه كان الأثير عند الالهة Goddess تماما مثل ما يحوزه الأوليـاء المسلمون والقديسـون المسيحيون من ايثار الرب٠وبالطبع ، فان المولد فى العصور القديمة كان عن قداسة اله ٠ وكان الحال كذلك فى مصر ، أو عن ملك اله defied king فى كثير من الحـــالات بدلا من قديس بشرى ، لـــكن المفهوم البشرى anthropomorphic conception للاله فى تلك الأيام كان قاطعا جدا ، والتمييز بين الالهى والبشرى غير محدد بوضوح ٠

(١) كان انشيسيز Anchises فى الأساطير اليونانية هو والد اينيس Aeneas الذى أسس لنسله (روما) ٠ أغوته افروديت Aphrodite التى تنكرت فى شكلة راعية Shepherdess ، وحملت ابنه اينيس ٠ خلال حرب طروادة Tragan war ، حمل اينيس والده العجوز انشيسيز الى مكان آمن ، لجأ أولا الى قرطاج Carthage ثم بعد ذلك الى ايطاليا ٠ وصف فرجيل Virgil مغامراتهما فى عمله الشهير اينياد Aeneid.
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. I, p. 399.

(٢) ترابانى Trapani هى أحد الاقاليم التسعة التى تنقسم اليها جزيرة صقلية بايطاليـا ٠
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol 17, p. 292.

(٣) فرجيـــل Vergil شـــاعر رومانى ، ولد فى ببليوس فرجيليوس مارو Publius Vergilius Maroفى ١٥ اكتوبر سـنة ٧٠ قبل الميلاد ، وتوفى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩ ق٠م ، حاز شهرة حالة ودائمة لعمله الشهير الاينياد Aeneid ، وهو شعر ملحمى مماثل لأعمال هومر Homer ، ويعتبر الانجاز الأعظم فى الأدب اللاتينى ٠ تصف الاينياد هروب اينيس Aeneas من طروادة Troy ، رحلته الى ايطاليا ، وتأسيسه لروما المستقبلية ٠ تعتبر الاينياد بشكل تقليدى احتفالا بالمدينة من بداياتها المحفوفة بالمخـاطر وحتى أوجها ، فى عصر فرجيل وفى ظل حكم الامبراطور أوغسطس Augustus ، لكن الشعر يوصل احساسا بالقيم المفقودة خـلال بنـــاء امبراطورية ٠ فسر أوغسطين Augustine (١٣ نوفمبر ٣٥٤ ـ ١٢٨ أغسطس ٤٣٠) وكتاب مسيحيون مبكرون قصيدة « حوار الرعاة » الرابعة كتنبؤ Prophecy بقدوم المسيح ، وبالتالى فقد اعتبروا الشاعر =

وتحتفظ بعض موالد هذه الأيام المصرية بممارســات تنحدر من العصور الفرعونية ، وخاصة تلك التى فى المنطقة الطيبية Theban (٤)· هذه العادات القديمة ، ثم الشعائر عند مقابر القديسين الأقباط لقرون قبل الاسلام أدت الى « المولد المصرى » الذى نعرفه الآن - رغم أن شعبيته الهائلة ، والى حد كبير شكله ، تعود فيما يبدو الى (وقت) وفاة (السيد البدوى) فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) :

لم تجذب شخصية (أحمد البدوى) الفائقة وسمعته كشــجاع ، الجماهير فقط ، لكنها أجبرت المشايخ الكبار فى أيامه على الاعتراف به كبيرا لهم ، ليس فى مصر فقط ولكن فى أنحاء العالم المسلم حتى قبل أن يرسل كهدية من السماء الى مصر · عبر « الســـيد البدوى » شمال افريقيا ، وعاش عشرين عاما فى (مكة) ملتقيا مع ومؤثرا فى حجاج العالم ، واستقبل كنبى فى العراق ، ومع انتشــــار خبر وفاته ، أصبح ضريحه محاطا ، ليس فقط بالمصريين ، بل بحجاج من جزر الهند الشرقية والغربية وكل العالم الاسلامى·ولا شك فى أن حشدا كهذا لوقت طويل فى (طنطا) قد اعطى قوة دافعة للأسواق والحياة العامة وازدهار (هذا) المكان الصغير ، والتقاء الأصدقاء القدامى الذين ربما يكونون قد التقوا أول مرة عند (الكعبة) ، اقامة علاقات تعارف جديدة وكرم أهل البلد ·· كل هذا منح المناسبة شكلا اجتماعيا تحول الى شكل احتفالى ، واختلط هذا مع جو القداسة لجثمان ولى من أولياء الله ليخلق جو (المولد) التام · ولقد كان من الطبيعى أن يرتب لقاء مماثل للسنوات القادمة ، وتم اختيار نفس الوقت من السنة ، وكان هو شهر بابه القبطى (أكتوبر) ، الذى احتفظ به (كموعد للمولد) دون الاشارة الى التاريخ العربى ، الى جانب احتفالين صــغيرين يتبعان أيضــا التقويم الشــمسى Solar Calendar .

= كجسر بين الوثنية والمسيحية · أخذ دانتىDanteفى الكوميديا الالهيةDivine Comedy فرجيل مرشدا له · تحاكى « الفردوس المفقود » Paradise lost لميلتون Milton وهى أعظم ملحمة فى الأدب الانجليزى ، تحاكي الاينياد فى الفكرة العامة Concept الشكل ، والاسلوب · تقع الاينياد فى ١٢ كتابا ، وكتبها فرجيل بين ٣٠ ق·م و ١٩ ق·م·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 19, p. 551.
Op. cit., Vol. 1, p. 119.

(٤) نسبة الى طيبة Theba عاصمة مصر القديمة من الأسرة الحادية عشرة (٢١٣٣ ق·م)· ومع أن ملوك الأسرة الثانية عشرة عاشوا قرب ممفيس ، لكنهم احترموا اله طيبة (آمون) · وفى ظل الاسرتين ١٧ ، ١٨ أصبحت طيبة عاصمة الامبراطورية المصرية - وطيبة العصور القديمة هى مدينتا الاقصر والكرنك الآن ·

-- Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 19, p. 155.

ازدهرت قيمة (طنطا) ورفاهيتها بهذا الشكل ، وتبعتها (دسوق) التى لا تبعد كثيرا ، والتى قررت أن تكرم عظام (وليها) العظيم ابراهيم (الدسوقى) بنفس الطريقة ، وتبعت دمنهور ومدن أخرى نفس النموذج ٠ وهكذا انتشرت الموالد ، وبسرعة أكثر ، فى أماكن (مثل غرب القاهرة) حيث عين (السيد البدوى) حوارييه ، الذين يتميز من بينهم (سيدى اسماعيل الامبابى) ، الذى لايزال (مولده) واحدا من أكثر الموالد روعة ٠

ان القاهرة محظوظة وفريدة فى الواقع ، من حيث ان عددا من (موالدها) يتركز فى آثار أو أجساد أعضاء أسرة النبى ٠ ولا يمكن مقارنة القائمة التالية بأية مدينة فى العالم ، ولا حتى مكة ، وخاصة بعد أن دمر الوهابيون المخربون قبر عائشة وقبورا أخرى (٥) ٠

ـ سيدنا الحسين : تفخر (القاهرة) برأس هذا الحفيد الشهيد لمؤسس الاسلام ٠

ـ سيدنا زين العابدين (على الأصغر) : رأسه

ـ فاطمة أخته : بجسدها ، و

ـ سكينة أخته الأخرى : بآثارها

وكل هؤلاء الثلاثة أولاد الحسين ٠

ـ السيدة زينب ، عمتهم ، أخت الحسين ، لها مسجدها الشهير ومولدها ، وضريح موثوقيته غير مؤكدة ٠

ـ فاطمة النبوية ابنة الامام السادس ، جعفر الصادق وعائشة شقيقتها ، وهما تتماثلان فى الاحترام ، ويعتقد أن جثمان فاطمة محفوظ فى ضريح يحمل اسمها قرب (باب الخلق) ٠ وهاتان الاثنتان تنحدران فى خط مباشر من محمد (ﷺ) خلال على ، الحسين ، زين العابدين ، وجعفر الصادق ٠

---

(٥) مصطلح وهابية Wahhabism هو لقب دخيل للحركة الاسلامية التى أسسها محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٩٢) يسمى أعضاء هذه الجماعة أنفسهم « بالموحدين » ، اى أولاء الذين يدعمون بحزم مبدأ وحدانية الاله ، (الواحد) ٠ وهذا التحديد الذاتى يشير الى الخاصية الكبرى للحركة ، ومعارضتها لأية عادة أو اعتقاد تهدد أو تشكل خطرا على تمجيد الاله الواحد ٠ وتدين الحركة استخدام اسم اى نبى ، ولى ، او ملاك فى الصلاة، مناشدة او زيارة اى من هؤلاء للشفاعة أو تقديم النذور لهم باعتبار هذا كله غير شرعى وغير اسلامى كذلك فانها تدين زيارة أضرحة الأولياء ٠ ويتمسك أصحاب الحركة بالتفسير الحرفى للقرآن والعقيدة الحاسمة فى القضاء والقدر ٠
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 20, p. 7.

ـ ستنا نفيسة التى تشارك مولد (سكينة) ، نبوية فى السلالة ، باعتبارها حفيدة الامام الحسن ، الأخ الأصغر للحسين ٠ عاشت فى القاهرة سبع سنوات ، وتوفيت ودفنت بها ٠

ـ هارون ويقع ضريحه فى مبنى الماجـــور جاير ـ أندرســـون Gayer -Anderson (٦) (بحى) ابن طولون (بالقـاهرة) ، والذى أحيى مولده مرة أخرى ـ ويمكن اضافة هذه الشخصية ، حيث انه بالقطع « حســـينى » ٠

ـ ستنا رقية والتى يقع ضريحها قرب مسجدى (نفيسة)و(سكينة) ـ وهى ترتبط بشدة ـ حيث أبلغت بذلك محليا ـ بهؤلاء ، وبالتالى فهى (حسينية) (لم أستطع الحصول على تفاصيل مولدها أو تأكيده) ٠

ـ سيدى عبد الله الحجر وتابوته خارج مسجده قرب (مسجد) ستنا عائشة ـ وهو مركز (لمولد) صغير ، ومن المؤكد أنه من نسل النبى (ﷺ) (وذلك من واقع) العبارة المنقوشة على ضريحه :

« هذا مقام سيدى الشيخ عبد الله من نسل الحسين » ٠

أما بالنسبة للموالد الباقية ، فان نسبة كبيرة من الأولياء الذين يكرمون ، أشراف ، أى ينتسبون الى الرسول (ﷺ)٠

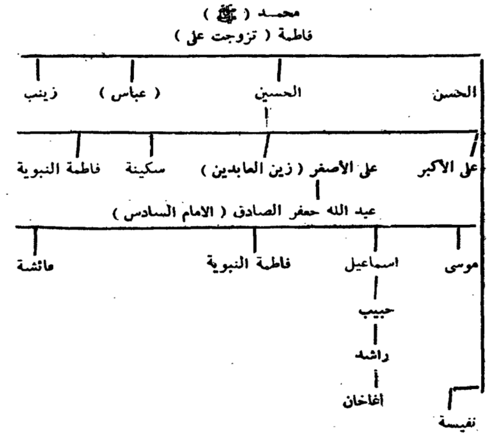
وينطبق مصطلح « حســـينى » على مثل هؤلاء الأشراف باعتبارهم ينحدرون من نسل « الفرع الحسينى » من أسرة النبى (ﷺ) ٠ وسيتضح من شجرة النسب المختصرة المرفقة ، أن « سكينة » ، « زين العابدين » ، « عائشة » ، والفاطمتين النبويتين ، هم جميعا حسينيون ، لكن هذا المصطلح

---

(٦) الماجور (رائد) جاير ـ أندرسون Gayer-Anderson كان ضابطا بريطانيـــا بالجيش المصرى فى عشرينيات القرن العشرين ، ثم عمل بدار المعتمدية البريطانية بالقاهرة . وبعد اعتزاله العمل طلب من الحكومة المصرية تسليمه « بيت الكريدلية » ليقيم به ويعرض مجموعاته الأثرية باعتباره أحد هواة الآثار الانجليز المشغوفين بالآثار الشرقية بوجه عام والاسلامية بوجه خاص ـ فى مقابل ترك مجموعاته الأثرية النادرة هبة لمصر ٠ وقد وافقت مصر وسمى البيت باسم (متحف جاير ـ أندرسون) ٠ وبيت الكريدلية يقع فى النهاية الشرقية البحرية لجامع ابن طولون بالقاهرة ـ ويتكون من منزلين بنيـا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، أنشأ أحدهما الحاج محمد بن سالم بن جلمام الجزار (١٦٣١ م) وعرف المنزل باسم بيت الكريدلية نسبة الى آخر من سكنته وهى سيدة ينتهى أصلها الى عائلة فى جزيرة كريت ـ أما المنزل الآخر فقد أنشأه المعلم عبد القادر الحداد (١٥٤٠ م
ـ متحف بيت الكريدلية ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٩ ٠

لا يمكن أن ينطبق على (نفيسة) التى (تعتبر) (شريفة) من خلال (الحسن) · و (أغاخان) شريف وكذلك حسينى ، الى جسانب كونه اسماعيليا (٧) ·

وستبين الشجرة أيضا العلاقة الحقيقية بين الأولياء الثمانية الكبار الذين يتصدرون القائمة ،وبين الرسول (ﷺ) ·



(٧) الاسماعيلية أعضاء طائفة من المسلمين الشيعة الذين يعتبرون اسماعيل هو الامام السابع والأخير حتى عودة ابنه فى آخر الزمان · ويسمون أيضا سبعية · ظهرت الطائفة بعد موت الامام الشيعى السادس جعفر الصادق (٧٦٥) · وقد قبل أغلب الشيعة ابنه الأصغر موسى الكاظم خليفة له ، أما الاسماعيلية فهم أولاء الذين ساندوا ابنه الأكبر المحروم اسماعيل · وقد اكتسبت الطائفة نفوذها المتعاظم تحت حكم الفاطميين الذين يزعمون بانحدارهم من خلال ابن اسماعيل من فاطمة ابنة النبى ﷺ · حكمت هذه السلالة التى تأسست فى تونس (٩٠٨) مصر من ٩٦٩ الى ١١٧١ · فى أواخر القرن الحادى عشر حدث انقسام بين المستعليين الذين اعتبروا المستعلى هو الخليفة الامام والنزاريين الذين استمدوا اسمهم من (نزار) أخيه - ظل الأخيرون الذين عرفوا باسم الحشاشين Assasins فى قصص الصليبيين Crusader ، فى الحكم حتى أواخر القرن الثالث عشر · انتقل فرع آخر الى الهند تحت قيادة اغاخان فى ١٨٤٠ ·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. II, p. 296.

أيد الفاطميون الذين حكموا مصر في القرن الرابع الى القرن السادس الهجرى (العاشر الى الثانى عشر الميلادى) الوضع الشرعى (للموالد) ومهدوا الطريق للاعتراف الحكومى بها . ولقد أدى انشاؤهم (للقاهرة) ، وجعلها قاعدة الحكم ، الى جانب اعجابهم بآثار الأسرة النبوية ، أدى هذا الى حصول القاهرة على وضع عال كراع لمقدمات الاسلام .

أيضا ، فان مصر هى الأولى بلا ريب facile princeps (٨) فى مجال عدد وسمو المشايخ والأولياء الذين تحترمهم ، ليس بالضرورة الأشراف ، الذين هم محليون . لقد كان لعواصل مصر مساجدهم الخاصة أمثال صلاح الدين ، وحسن (٩) ، لكن الملك صالح (١٠) له الى جانب مسجده ضريحه أيضا ، وله (مولده) الى هذا اليوم فى (النحاسين) حيث كان يجلس (مرتديا) ملابس مهلهلة (dilk) ، ويقوم باصلاح السلال ونصح الناس بالتقوى ، (وخلال عهده) انتصر على أعدائه واستولى على (القدس) (دمشق) ، و (عسقلان) ، وهزم عند المنصورة ملك فرنسا وجيشه ، هذا

---

(٨) مصطلح لاتينى يعنى بالانجليزية easily first

— Maxim Newmark « Dictionay of Foreign Words and Phrases », Op. Cit., p., 88.

(٩) السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون . تولى سلطنة مصر فترتين : (١٣٤٧ ـ ١٣٥١) و (١٣٥٤ ـ ١٣٦٠) . ازداد نفوذ طائفة المماليك فى عهده ـ من اثاره المشهورة مدرسته التى تعرف بجامع السلطان حسن المبنى فى الفترة (١٣٥٦ ـ ١٣٦٣) ـ والواقع فى شارع محمد على أمام القلعة بالقاهرة .

ـ الهيئة العامة للاستعلامات (تاريخ آثار مصر الاسلامية) د.ت ـ ص ٨٧٥ .

(١٠) الصالح نجم الدين أيوب ـ احد سلاطين بنى أيوب فى مصر والشام (١٢٤٠ ـ ١٢٤٩) ـ ابن الكامل محمد ابن العادل اخى صلاح الدين مؤسس الأسرة الايوبية فى مصر ـ استولى على دمشق (١٢٣٩) ثم مصر عام (١٢٤٠) . حارب الصليبيين عام (١٢٤٠) و (١٢٤٣) و (١٢٤٧) ـ وحد الشام ومصر ، فى ١٢٤٩ حارب الصليبيين فى دمياط وتوفى فى نفس العام (٢٣ نوفمبر) . بنى المدرسة الصالحية (١٢٤١) وهى أول مدرسة تجمع بين مذاهب السنة الأربعة ـ له ضريح (١٢٤٩ ـ ١٢٥٠) اقامته زوجته شجر الدر ، بشارع النحاسين بالقاهرة .

ـ المرجع السابق ص ٩٨٤ ـ ٩٨٦ ، ١٠٠١ ، ١١٢٠ .

الملك الذى كتب له بعد ذلك أن يصبح قديسا (١١) • جمع الصالح بين صفتين كسلطان ، ملك لمصر ، وسلطان بالمعنى الدينى الذى ينطبق على السلطان « الحنفى » و « السلطان » « مغرورى » ، (أى) كماهل بين الأولياء (١٢) •

أصبح ضريح السلطان صالح (الصالح) مزارا مشهورا ، وزاره السلطان « بيبرس » (١٣) من بين الكثيرين من الحجاج ، وربما كان تكريمه (بمولد) ، نظرا لوفاته (١٢٤٩) بعد وفاة السيد (البدوى) فى طنطا بعشر سنوات ، فلعل هذا (التوقيت) هو الذى أعطى الحافز لهذه الشعائر •

---

(١١) لويس التاسع Louis IX ملك فرنسا ، عرف فيما بعد باسم القديس لويس Saint Louis ، اقرب ما يكون الى نموذج الملوك الفرسان Chivarlic kingship فى العصور الوسطى • ولد فى ٢٥ ابريل ١٢١٤ ، الابن الاكبر لملك فرنسا لويس الثامن وبلانش القسطالية Blanche of Castile• تولى الملك طفلا فى ١٢٢٦ • رغم تسامحه وتقواه ، فانه كان معارضا للهراطقة وغير المسيحيين • فى ١٢٤٥ وبينما كان يتعافى من مرض خطير ألم به ، وجد الحل فى قيادة حملة صليبية Crusade الى الليفانت (١٢٤٨) • استولى على دمياط ، لكنه هزم وأخذ أسيرا فى المنصورة (١٢٥٠) • بعد اطلاق سراحه ظل سنوات عديدة فى المنطقة قبل العودة الى فرنسا (١٢٥٤) • فى ١٢٧٠ قاد حملة صليبية أخرى الى تونس ، لكنه مرض وتوفى قربها فى ٢٥ أغسطس ١٢٧٠ • اعتبر قديسا قبل ضمه الى قائمة القديسين بواسطة الكنيسة فى ١٢٩٧ — نظرا لشجاعته ووقاره ـ يحتفل بعيده يوم ٢٥ اغسطس •

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 12, p. 424-5.

(١٢) المقصود (بمغرورى) هو الصوفى البكتاشى (عبد الله المغاورى) قايغوسوس سلطان Qayghusus Sultan ، صاحب التكية البكتاشية فى المقطم ـ انظر ص ٥٩ من النص الانجليزى

— Daniel Crecelius & Abd al-Wahhab Bakr « Al-Damurdashi's Chronicle of Egypt, 1688-1755 ;

ولمعلومات وافرة عن المغاورى ـ راجع الحاشية ٤٦ من الفصل السادس •

(١٣) الظاهر بيبرس البندقدارى ـ سلطان مصر (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧) ـ اعظم سلاطين دولة المماليك البحرية ـ ولد ببلاد القبجاق بجنوب روسيا وبيع للأمير علاء الدين أركين البندقدارى من مماليك الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر (١٢٤٠ ـ ١٢٤٩) ولهذا نسب الى هذا الأمير ، عمل فى خدمة (الصالح) ، وكان له دور كبير فى محاربة الحملة الصليبية السابعة على المنصورة (١٢٥٠) وأسر بنفسه الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، خدم المظفر قطز (١٢٥٩ ـ ١٢٦٠) وشارك فى هزيمة المغول فى (عين جالوت) (١٢٦٠) ـ حارب الصليبيين (١٢٦٥) واستولى على انطاكية (١٢٦٨) •

ـ تاريخ وآثار مصر الاسلامية ، مرجع سبق ذكره ـ ص ٨١١ ـ ٨١٤ •

في عام ١٤٨٥ توفي (السلطان) أبو العلاء ودفن في (ضريحه) ببولاق • كانت بداية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) بارزة على نحو فريد • ففي سنة ١٥٢٣ توفي ودفن في « زاويته » كل من صانع المعجزات الدشطوتي (الطشطوشي)، والناسكين (مرصفه) ، الذي بعد القتال في (فارس) تحت قيادة (قايتباى) ، عاش ثلاثين عاما في كهف (خلوة) المقطم ، (والمحمدى الدمرداشي) ، وتقريبا في نفس الوقت محمدى (شاهين) الآخر الذي كان ناسكا أيضا (ويعيش) في تلال المقطم (انظر موالدهم أدناه) •

ان الأهداف من هذه (الموالد) واضحة مما سبق (شرحه) ، وبداية من نشأتها الأولى « لتمجيد الرب بتبجيل أحد أحبابه » ، وكما سمعت من درويش عجوز « احتمالا للحصول على بركة وصديق وشفيع في يوم الحساب » ، وثالثا لانعاش الروح والجسد بسعادة الشاكر — مع حرية الانسان في زيارة الضريح والمشاركة في المتع •

ان الاحتفالات التي مثل احياء ذكرى محمد على الكبير (١٨٠٥ — ١٨٤٨) لا تشتمل على (مولد) ، ولا يمكن اعتبار احتفال (عروس النيل) كذلك • وليست من الموالد في شيء الصلوات الدينية المعتادة في الكنيسة أو المسجد — كقداس يوم الأحد أو صلاة الجمعة رغم أنها صحيحة شرعيا : وليست احتفالات (عاشوراء الرثائية) ، أو الاحتفال المهيب بليلة (الاسراء) والمعراج وليلة القدر كذلك • كثير من أعياد أيام القديسين في أوروبا (موالد) حقيقية ، وكثير من أعياد الريف كذلك • ومع الأسف ، فاننا يجب أن نستبعد أعياد« Merry England » ، حيث ان حركة الاصلاح الديني البروتستانتي (١٥٣٤) Reformation والبيوريتانية Puritanism (١٤) قد سحقت روح هذه الأعياد وجعلتها فاترة ، تاركة اياها لتصبح مجرد أسواق متسمة بالبهجة تقريبا • لا يحتاج المولد الى

(١٤) Reformation حركة اصلاحية دينية قامت في القرن السادس عشر في اطار المسيحية الغربية لتطهير الكنيسة من مساوىء القرون الوسطى وحفظ الشرائع والممارسات التي آمن المصلحون بتوافقها مع الانجيل ونموذج العهد الجديد الكنيسى • أدى هذا الى انشقاق بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والمصلحين الذين سميت اعتقاداتهم وممارساتهم بالبروتستنتية Protestantism • ورغم أن انجلترا كانت لديها حركة اصلاح ديني متأثرة بالأفكار اللوثرية ، الا ان الاصلاح الديني الانجليزي ظهر كنتيجة مباشرة لجهود الملك هنرى الثامن (١٥٠٩—١٥٤٧) لتطليق زوجته كاترين الأرجونية Catherene of Argon . دبر الانفصال رسميا مع البابوية توماس كروموبل Thomas Cromwell الوزير الأول• =

استبعاد البيع والشراء من نشاطه الحر · فبعض الموالد المصرية تقوم بدور السوق Fair ، على سبيل المثال مولد (سيدى جنيدق) فى الصحراء على بحيرة التمساح · فدائرته العظيمة تتكون من أكشاك وسقيفات لبيع الفاكهة ، اللعب ، الحلويات وكل ما يمكن شراؤه ، لكن كل العامة يزورون الضريح ، ويستمتعون بسباق الخيول والجمال والرياضة ·

بل ان المولد القاهرى الاسلامى الكبير (مولد النبى) ليس نموذجيا ، qua moulid (١٥) ولا يعتبر مولدا كموالد سيدنا الحسين ، برسوم العريان ، سيدى بيومى ، وأغلب الموالد التى سيرد ذكرها ، لأن (هذا المولد) لا يتركز فى نقطة بجلها النبى (ﷺ) خاصة · بل حتى فى أيامى فان (مولد النبى) أقيم فى ثلاثة أماكن مختلفة · انه مولد عام أكثر منه مولدا محليا ·

ولهذا السبب فقد استبعدت المولد المسيحى العظيم « الكريسماس » لأنه عام ، ومكونات أجزائه تنقسم بين الكنيسة والبيت ، ولا يتمركز شعبيا فى أية بقعة محددة ·

وفـــوق ذلك ، فانه لا يوجـــد فى مصر ـ حسب علمى ـ موالد كاثوليكية ، بمفهوم دينى ، ترويحى ، محلى ومباح لكل الناس ، رغم أنه يوجد الكثير ولكن بصورة مقيدة للغاية·وعلى سبيل المثال ، فقد قرأت فى عـــدد الثـــانى من فبراير ١٩٤٠ من جريـــدة جـــورنالى دل أورينتـــا Giornale del Orienta (١٦) :

= فتحت توجيهات كرومويل اجاز البرلمان قانون السيادة (١٥٢٤) الذى جعل الملك رئيسا للكنيسة · أما البيورتانية فهو المصطلح الذى أطلق على البروتستانت المتشددين فى اطار كنيسة انجلترا فى القرن السادس عشر ، والذين كانوا يعتقدون أن الاصلاحات الانجليزية لم تمتد بما فيه الكفاية لاصلاح دستور الكنيسة وبنيتها Reformation · كانوا يريدون تطهير كنيستهم الوطنية عن طريق محو اى نفوذ كاثوليكى صغير · فى القرن السابع عشر هاجر الكثيرون من البيوريتان الى العالم الجديد ، حيث سعوا الى اقامة كومون ويلث Common Wealth مقدس فى نيو انجلند New England · ظلت البيوريتانية هى القوة الثقافية المهيمنة فى هذه المنطقة فى القرن التاسع عشر

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 16, pp., 121-123, 15, p. 630.

(١٥) Qua كلمة لاتينية تعنى Considered : يعتبر ·

Dictionary of Foreign Words, op. cit., p., 179.

(١٦) جريدة صدرت فى مصر عام ١٩٣٠ باللغة الايطالية وصحة اسمها Il Giornale d'orienta ـ تطور الصحافة المصرية ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٦٢ ·

« Domenica 4 febbraio Prossimo l'Istituto Salesianna di Rod el farag festeggia le solemnita del suo fonditore S. Giovanni Bosco, con una fuzione religiosa al mattino, ed un trattènimeto recreativo nel pomerriaggio ».

يوم الأحد ٤ فبراير القادم يحتفل معهد السالزيان بروض الفرج بالعيد المبجل لمؤسسه القديس جيوفاني بوسكو ، مع عمل قداس دينى فى الصباح ، ومحادثة ترويحية بعد الظهر » (١٧) .

ويعقب هذا تفاصيل عن القـــداس والقسيس الذى سيقوم به ، والموسيقى ، والألعاب ، والغناء ، الخ ـ انها ملامح (مولد) فيما عدا أنه مولد لمجتمع (معين) وليس للعامة من الناس ـ ومن المحتم ان يكون كذلك في هذه الحالة . وربما كان عيد سانت تريزا S. Teresa بشبرا فى أكتوبر هو الأقرب الى الموالد التى نعنيها ، حيث يجتمع كل من يستطيع أن يجد له مكانا فيه . حشد مصرى أكثر منه (أفرنجى) ، مسلمون . يهود ، يونانيون أرثودوكس وأعضاء من كل ملة وطبقة اجتماعية كلهم يشاركون فيه أو يقدمون نذورا لضريح « الوردة الصغيرة » .

طبيعى أن يكون المصريون المسلمون أو الأقباط وحدهم ، المرتبطون بالأرض ad scripti glebae هم الذين يستطيعون اقامة مولد مصرى صحيح وفقا للتقاليد ، وانه أحد المظاهر العديدة لتسامحهم المبارك وصداقتهم ، (التي تسمح) لكل النازلين بمصر ، وزوارها من أية عقيدة أو جنسية أن يشعروا بالحرية والترحيب .

---

(١٧) فقرة باللغة الايطالية استعنت فى ترجمتها بالقاموس « الفريد ايطالى ، عربى » ، لرياض جيد مطبعة دار العالم العربى ـ القاهرة ، ١٩٨٠ .

الفصل الثاني

الموالد ، أماكنها وأوقاتها ومواسمها

لما كان الهدف الأسمى من هذا العمل الصغير هو جذب أهتمام الناس « بالموالد » فى مصر ، فان الهدف الضرورى الاضافى (فى هذا المقام) هو التعريف بمكان ومواعيد (هذه الموالد) ، حيث انه من السهل أن يضيع المولد من الباحث • لهذا السبب ، فان كل مولد شرح هنا قد تمت معاملته فى شكل كتاب مرشد ، أسهل طريق للوصول اليه ، والملاحظات حول أكثر مواعيده احتمالا ، كل هذا قد تم تقديمه •

باستثناء « مولد النبى » ، فان كل الموالد تقريبا تتركز حول « الأضرحة » ، (من حيث كونها) أهدافا محددة ، مواقعها بسيطة بما فيه الكفاية : ومع هذا فان الاتجاه الحالى لفصل الجانب الدينى عن الجانب العلمانى (فى الموالد) يجعل من الصعب على الأجنبى أن يجدها (المولد) • فعلى سبيل المثال ، شرذمت أكشاك التسلية عند « سيدنا الحسين » ، الجبل عند النهاية البعيدة لتتمة « الموسكى » (١) ، لكن ما تبقى من هذه الأكشاك خلال السنتين أو ثلاث السنوات الأخيرة ، تجمع فى أرض قاحلة أقرب كثيرا • أما هذه الأكشاك التى فى « السيدة زينب » والتى كانت أصلا قريبة من المسجد فى منطقة « البغالة » فقد نقلت الى درب الجماميز ، ثم الى مكان ليس بعيداً عن

---

(١) الموسكى ـ احد اقسام القاهرة ، تكون فى احصاء ١٨٩٧ من ست شياخات هى المناصرة ، درب المهابيل ، العشماوى ، درب البرابرة ، كوم الشيخ سلامة ، درب الجنينة ـ تعداد سكان القطر المصرى ١٩٨٧ ، مرجع سبق ذكره •

« ابن طولون » (٢) · أما (أماكن التسلية) فى « المحمدى » فقد تراجعت من (عند) المداخل الرئيسية للمسجد ، الى شبه حظيرة مخفاة فى أطراف قرية « الدمرداش » (٣) · وفى مولد « سيدى الحلى » ، فان المسجد (يقع) على جانب من الطريق الرئيسى الى روض الفرج (من طريق بولاق)، أما فضاء التسلية فيقع بعيدا على الجانب الآخر ·

عندما تتلألأ أنوار « المولد » ، ويزدان بوسائل الزينة ، فان المرء يمكن ــ مع هذا ، أن يمر قريبا منه دون أن يلحظه · وفى الحقيقة ، فان (هذه الموالد) غير جلية لدرجة ان الكاتب طاف لمدة ربع قرن بالقاهرة دون أن يعرف بوجود أكثر من دستة منها أو حوالى ذلك ·

(ومع هذا) فانه اذا كان موقع (المولد) سهلا ، فان موعده كثيرا ما يكون محيرا ، وخاصة لهؤلاء غير العارفين بالتقويم القمرى (الهلالى) ، الذى يستخدم بصورة طبيعية فى الأعياد الاسلامية ، والذى (أى التقويم) يتقدم التقويم الجريجورى (الميلادى) بأحد عشر يوما كل عام ، مكونا ســنة كاملة شمسية ثلاث مرات فى القرن الواحد · ومع هذا ، فاننى أستطيع أن أتذكر حوالى نصف دستة فقط من الموالد الهامة التى لاتتغير مواعيدها · هذه الموالد هى :

---

(٢) السيدة زينب ــ أحد اقسام القاهرة ، تكون فى احصاء ١٨٩٧ من ١٧ شياخة هى اللبودية ، درب الجماميز (وهى التى ورد ذكرها فى النص) ، سنقر ، الدرب الجديد ، الحنفى ، درب القرودى ، السد البرانى والساقية الجديدة ، البغــالة (وهى التى ورد ذكرها فى النص) ، عشش سيدى زينهم ، قلعة الكبش ، طيلون (وهى التى ذكرها النص باسم طولون Tulun) ، الخضيرى ، الانشا ، سويقة السباعين ، النصرية ، السيدة زينب ، المواردى ، ــ تكونت شياخة درب الجماميز من شارع واحد هو شارع درب الجماميز ، واربع حارات ، وخمس عطفات ، وسكة واحدة · وتكونت شياخة البغالة من سبعة شوارع واربع حارات ، وخمس عطفات ، أما طيلون فتألفت من شارعين ، ثلاث حارات ، درب واحد ، ثلاث أزقة ، و١٨ عطفة ·

ــ المرجع السابق ·

(٣) كانت منطقة الوايلى والمطرية تكونان قسما واحدا من أقسام القاهرة فى أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ــ انقسم هذا القسم الى ١٥ شياخة هى الظاهر ، العباسية القبلية ، العباسية البحرية ، العباسية والعادلى ، الوايلى الصغرى ، منشأة الصدر وثلاثة عزب ، الحمامات وعزبة الجبل ، القبة ، الوايلى الكبرى ، الوايلى الكبرى (شياخة أخرى) ، عزبة الزيتون ، المطرية ، المطرية البلد ، عرب الحصن ، الجبل الأحمر · وقد ورد ذكر (عزبة المحمدى) كأحد مكونات شياخة العباسية البحرية ، كذلك فقد ورد ذكر (عزبة الدمرداش) كأحد مكونات شياخة الوايلى الكبرى (الأولى) ·

ــ المرجع السابق ·

★ العشماوي   العاشر من ربيع الأول .

★ النبي   الحادي عشر من ربيع الأول .

★ الدشطوتي (الطشطوشي) وبعض موالد أخرى صغيرة .
السادس والعشرين من رجب .

★ المطراوي وعديد من الموالد الصغرى .
الرابع عشر من شعبان .

★ عبد الرحيم القناوي .
الرابع عشر من شعبان .

★ يوسف الحجاج .
الرابع عشر من شعبان .

★ بهلول وعدد من الموالد القليلة .
التاسع عشر من شعبان .

ويجب أن يلاحظ أنه من هذه المواعيد ، فان السادس والعشرين من رجب ليلة خاصة جدا ، فهو « ليلة الإسراء والمعراج » . كان « مولد الطشطوشي » في أيام «لين» (٤) منذ قرن مضى هو أعظم احتفال للاسراء في القاهرة . أما الآن فان « الاسراء » يحتفل به في « جامع محمد علي » بالقلعة ، وهذا يكشف ولو جزئيا عن أهمية الشيخ الطشطوشي .

بعض الموالد يعلن عنها في الصحف العربية ، وقليل من الهام جدا منها يعلن عنه في الصحف الأوروبية . لكن هناك شركا في شكل هذه الاعلانات وقع فيه الكاتب أكثر من مرة ، والذي هو السبب عند عدد لا حصر له من الناس ، وخاصة الزوار الذين يفوتهم كل عام أعظم الاحتفالات ، مولد النبي — فعلى سبيل المثال أعلنت الصحف في عام ١٩٣٩ أنه بمناسبة «مولد النبي» ، فان الثلاثاء ٢ مايو سيعتبر اجازة عامة (عطلة) ، وأن كل مصالح الحكومة ستغلق ، حيث ان ١٢ ربيع الأول هو يوم ميلاد النبي . وهؤلاء الذين جهلوا أنه في الاسلام كما في سفر التكوين Genesis (٥) ، يتكون اليوم من الليل والصباح ، ولم يدركوا

---

(٤) يقصد ادوارد وليم لين ، مؤلف « المصريون المحدثون » .

(٥) سفر التكوين Genesis ، الكتاب الأول من العهد القديم Old Testament في الانجيل . سمي هكذا لانه يبدأ بقصة بدء الخليقة . رغم أن موسى عليه السلام يعتبر هو مؤلف الكتاب تقليديا ، الا أن الباحثين المحدثين يتفقون على أن الكتاب تركيبة من ثلاثة مستويات أدبية مختلفة : J (القرن العاشر قبل الميلاد) E (القرن التاسع) ، P (القرن الخامس) . أثار تفسير الكتاب مجادلات كثيرة .
— Lexicon Universal Encyclopedia, vol. 9, p., 78.

ان الحكومة حسنة الانتباه تحدد (العطلة) بالصباح التالى لليلة السابقة ، (هؤلاء) ذهبوا لمشاهدة الاحتفال الكبير والألعاب النارية يوم الثلاثاء ، واكتشفوا أن كل شيء قد تم عصر ومساء اليوم السابق (الاثنين) • من اجل هذا فقد جعلت يوم مولد النبي هو الحادى عشر من ربيع الأول ، واتبعت هذا الاجراء بالنسبة لكل الموالد الأخرى • قد يعتبر أن « الليلة الكبيرة » هي دائما الليلة السابقة لليوم الفعلى للمولد (مثلا الليلة التى قبل ذلك اليوم) اذا نحن حسبنا الأمر وفقا للتقويم الجريجورى (الميلادى) ، رغم أنه فى بعض الحالات كانت الليلة تستمر فى نفس اليوم (التالى) الذى يخصص (للزفة) • وهذا هو الذى يحدث فى حالات (موالد) «السيد البدوى» ، «عبد الرحيم (القناوى)» ، (أبو الحجاج) ، وموالد قليلة أخرى ، لكن بالنسبة لباقى الموالد فان هناك التقيد المعتدل « بالخاتمة » ، وهى ختام المولد •

وبالنسبة للغالبية العظمى من الموالد ، فان مواعيدها عرضة للتغير لأسباب كثيرة ، وكثيرا بدون سبب ظاهر ، وبالملاحظة الدقيقة فقط والتحرى فى الموقع يمكن للمرء أن يتأكد (من الموعد) • ومع هذا ، فان الرجل الذى فى موقع المولد ، الشيخ الذى (يقف) بباب المسجد ، كثيرا ما يضلل المرء ، ربما بسبب عدم توافر معلومات مؤكدة عنده ، أو بسبب تعديل موعد (المولد) بصدد ان يكون (الشيخ) قد أعطى معلوماته • فى احدى المرات ظننت أن (الناس) ينظرون الى كشخصية مشكوك فيها وربما صرفونى عن مولدهم ، لكننى عندما أرسلت (مراسلتى) المسلم فاننى حصلت مع ذلك على اجابات خاطئة ، وفى بعض الأحيان تكررت الأخطاء مع تكرار ارسال المبعوثين • ومع ذلك فانه مع تكرار الذهاب (الى الموالد) فى سنوات تالية وملاحظة اليوم من الاسبوع ومن الشهر العربى ، أصبح من السهل الوصول الى صيغة ما فى كثير ، وليس فى كل الحالات • وعلى ذلك ، فان الأيام والمواعيد الخاصة بالموالد والتى ستلى ، وأية خلاصة يمكن استخلاصها منها ، قد أعطيت على سبيل الاسترشاد •

هناك أسباب عديدة لهذا التشتت ، لعل من بينها ندرة معرفة التاريخ الحقيقى لميلاد « الولى » وأن ذلك التاريخ يختار اعتباطا ، وهو اختيار قد يكون عرضة لتغيرات محلية أو موسمية ، كوفاة محسن — وهو سبب أخر فى احدى المرات «مولد الزفيتى» — أو التأخير فى جمع تكاليف الزينة الخ ، أو أن التاريخ (العربى اذا كان (محسوبا) بالتقويم العربى (الهجرى) فانه يمر عبر كل المواسم) ، يقع فى وقت تكون قطعة الأرض

المزمع اقامة (المولد) عليها مزروعة . وهذا (فى الواقع) هو ما يحدث كثيرا فى احتفالات الريف ، وأعــرف ان هذا حــدث فى احتفــالات (مولد) « مظلوم » و « فرج » .

ولقد مر (مولد) « الامبابى » بمثل هذه التعديلات ، بما فى ذلك « تأجيل » بسبب « طاعون مواش » فى المنطقة ، وتراوح هذا التعديل بين « صفر » و « ربيع الثانى » فى سبع سنوات ، وخلال الصيف المبهج ، ودون علاقة بالتقويم القمرى (الهلالى) وقعت فى حيرة كاملة حتى اكتشفت أن (موعد) المولد يلى ذلك الذى يحتفل فيه « بايزيس » (عروسة النيل) القديم ، والذى حل قبل منتصف الصيف بقليل .

وهناك موالد اسلامية معينة أخرى تتبع التقويم الشمسى بدلا من التقويم القمرى ، وخاصة مولد « السيد البدوى » الذى يقام دائما فى « شــهر » « بابه » القبطى (أكتوبر) ، وبنــاء على ذلك أيضــا موالد (دسوق) و (دمنهور) التى تعقبه مباشرة : أيضا فان مولد (البيومى) (يتبع نفس التقويم) ، فقد قال موراى Murray (٦) عنــدما كتب فى ١٨٨٨ ، ان (هذا المولد) يحتفل به فى بابه (أكتوبر) ، وربما لأن دراويش (الطريقة) البيــومية فــرع من الطريقة الأحمــدية ، طريقة السيد البدوى . لكن يبدو أن هذا المولد يقام الآن فى برمهات (مارس) . ويستخلص من هذا أن هذه الموالد وكل ما يماثلها يجب أن تصطدم كل ثلاثين عاما مع شهر رمضان الذى لايعد شهرا mensis non من وجهة النظر هذه (٧) ، ثم بعد ذلك تتنازع خلال شهور الحج ، (انها) أوقات قاحلة

---

(٦) لم أستطع التثبت من شخصية موراى Murray الذى يقصده المؤلف ، حيث لم يذكر اسمه بالكامل . ومع هذا فهناك (جورج) جلبرت ايمى موراى Murray, (George) Gilbert Aimé (١٨٦٦ ـ ١٩٥٧) عالم الكلاسيكيــات البريطانى . علم فى أوكسفورد ، وترجم الكثير من المسرحيات اليونانية . ساهم فى حركة السلام ، وعمل لحساب عصبة الأمم والأمم المتحدة . وهناك سير جيمس أوجستوس هنرى Murray, Sir James Augustus Henry (١٨٣٧ ـ ١٩١٥) ، مؤلف المعاجم Lexicographer ، صاحب the Oxford English Dictionary المنشور عام ١٩٢٨ ـ وأخيرا فهناك عالم المحيطات Oceanographer سير جون موراى Murray, Sir John (١٨٤١ ـ ١٩١٤) . ولم يذكر المؤلف شيئا عن موراى الذى يقصده سوى أنه ألف كتابه المسمى « Hand-book of Egypt » الذى استخدم المؤلف طبعة ١٨٨٨ منه

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 13, p. 650.
— The Concise Columbia Encyclopedia, p. 572.

راجع ايضا ص ٥٠ من النص الأصلى :

(٧) لا أفهم لماذا لا يعد المؤلف شهر رمضان ، شهرا من منظور الموالد ، وربما كان ذلك لأن الصيام ـ فى تصوره يعطل الاحتفالات التى تصاحب هذه الموالد .

للأعياد المحلية · ويشمل هذا التزامن طالما استمر ، تأخير أو تقـديم موعد (المولد) ، وادارته على أسس مصغرة ، (لكن) ، ما هو غير سار ، (هو) أن هذا يعطى هذا العنصر الأنانى (من الناس) الذى ينكر على الشعب أى تعبير علنى عن التقوى والمرح ، الذريعة لكبح تجديد المولد وفقا للأسس القديمة عندما يخرج من هذا النوع من الخسوف · لقد دخل الآن مولد « السيد البـدوى » العظيم فى ظلمة هذه الفترة الخطرة ، (وهى فترة) أكثر اظلاما من شبه الظل (الناتج) عن الحرب ·

فى اطار تشارك الأولياء المسلمين ، فانه يبدو أن هناك نوعا من التكافل Symbiosis بين القداسة الفردية لهم ، تنعكس فى شكل تقارب موالدهم · وكمثال أول (فانني) سأذكر (مولد) « سيدى مزوق » ، الذى لا أعلم شـيئا عنه أكثر من ان له « مولد » ، « بزفة » رائعـة ، وموعدا محيرا ومربكا للغاية ، يتراوح ما بين « ذو القعدة » الى « صفر » فى الفترة ١٣٥٢ ــ ١٣٥٦ هـ (١٩٣٣ ــ ١٩٣٧ م) ، وان مولده و « زفته » تذكر (بمولد) « سيدى البيومى » ، وخاصـة شهرة راياته الحمراء · والآن عندما نقارن مواعيـد مولدى « البيومى » و « مرزوق » بالمناسبات الثلاث التى لاحظتها ، فاننا نجد أن مولد « سيدى مرزوق » قد احتفل به مرتين بعد أسبوع بالضبط من « مولد البيومى » ، وفى المرة الثالثة بعد أسبوعين ، وأن كلا المولدين يقعان فى برمهـات أو برموده (مارس أو أبريل) · وهذه المقدمات التجريبية ، رغم أنها لا تبرر نتيجة ، (الا أنها) توحى بأن (مولد سيدى) « مرزوق » يعتمـد على (مولد) « البيومى » وأن هذا المولد (مرزوق) « يغفل » (كالبيومى) التقويم القمرى العربى لصالح التقويم القبطى ، الشمسى ·

ويتبع « البيومى » مولد آخر هام ، « العفيفى » الذى يتبع دائمـا وفى الحال مولد « البيومى » · إننى اخشى أن هذا المولد قد اندرس الآن ، ومن الواضـح أن هذا المولد قد اتبع أيضـا التقويم الشمسى وليس القمرى ·

للست « السطوحية » عند « باب الفتوح » ، (والتى يقام مولدها) فى (شهر) شعبان أو قرب نهايته ــ أتباع (يتمثلون) فى (الأولياء) : « القاصد » ، « جمل » ، « عبد الكريم » و « عبد الباسط » : وفى بولاق ــ « جلادين » ، « الواسطى » ، « الكردى » ، « الخصوصى » و « أولاد بدر » ، هؤلاء يبدون متجمعين وقتـا ومكانا حول (ضريح) « سيدى نصر » · (ويعتبر) الامام الشافعى أكثر الحالات وضوحا (فى مجال ما نقدمه فى هذه السطور) ، (فمولده) يقع فى الأربعاء الأول من شعبان ، وترتبط به

(موالد) و « الليثى » (الذى يقام) فى يوم الجمعة التالى ، و « السمان » فى الخميس (التالى) ، وله سيطرة على موالد « أبو ضيف » ، « أبو زيد » ، « على الجيزى » ، « العدوية » ، « جميلة » وعدد غير معين من الجماعات الصغيرة ٠

والى جانب ما فات ، فان هناك فى فلسفتنا أو لاهوتنا theology تأثيرات يصعب تقدير مداها ، (هى التى) تحدد أحيانا موعد المولد ، أو تأكيد شهرته ٠ (ففى) ١٣٥٧ (١٩٣٨) وجدت فى الليلة النهائية ، أو التى قبلها مباشرة ، لمولد (مظلوم) أنه قد أوقف دون سبب معلوم ، وكان الظن أن هذا كان بسبب الوفاة القريبة للملك فؤاد (٨) ، وهو ما يعد عارا لذكرى هذا العاهل طيب القلب ، الذى يكون آخر من يقبل مثل هذا الشرف المشبوه ٠ لكن الشبح المشمئز « للشيخ مظلوم » ظهر للمسئول فى السلطة المحلية (التى ألغت الاحتفال بالمولد) ، وأنذره بأن يبدأ المولد من جديد وأن يستمر حتى الليلة الختامية بكل التكريم والمجد (٩) ٠

كان ظهور النبى (ﷺ) للشيخ التقى « البهى » فى ضريح حفيده الحسين ، ليؤكد له أن رأســه الشريفة كانت فى الضريح فعلا ، مؤكدا

---

(٨) أحمد فؤاد (٢٦ مارس ١٨٦٨ ــ ٢٨ ابريل ١٩٣٦) ــ ابن الخديو اسماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩) ــ أول ملك لمصر فى الأزمنة الحديثة ــ خلف اخاه حسين كامل كسلطان (١٩١٧) ، ثم أصبح ملكا عندما حازت مصر استقلالها (١٩٢٢) ــ تميز عهده باستمرار النفوذ البريطانى فى السياسة المصرية ، وبصراعه مع حزب الوفد

— Lexicon Universal Encyclopedia ,Vol. 8, p. 351.

(٩) الشبح هو روح متحررة disembodied من شخص ميت وتظهر للأحياء ٠ والاعتقاد فى الأشباح وما يماثلها موجود فى كل المجتمعات ٠ وهو مؤسس على الاعتقاد بأن الروح Soul متميزة عن الجسد ، وتستمر فى الوجود بعد الوفاة ٠ فى الأدب الشعبى تظهر الأشباح كأشخاص حية فى أشكال عديدة ، وتوصف أحيانا بأنها شاحبة أو غير مميزة ٠ وتماثل الأرواح الشريرة Poltergeist الأشباح ، فهى روح غير منظورة تسبب الاضطرابات عن طريق القرع ، الصراخ ، تحريك الأثاث ، أو رمى الأشياء ٠ وترتبط الأرواح الهازلة Playful والأرواح الشريرة بوجود الأطفال ٠ ويؤمن بعض الناس أن نشاط الأرواح الشريرة راسخ دون شك وان المشكلة فقط هى تفسيرها ٠ اما اليوم فان النظرية المقبولة بصفة العموم هى ان كل هذا النشاط يمثل تفسيرا اختراعيا لا واعيا لتبرير الاخفاق ونسبة الأمر الى أمور خارجية exteriorization ، وهو تفسير صادر عن عواطف مكبوتة عدوانية أو جنسية ، وخاصة عندما لا تجد هذه العواطف متنفسا لها ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 9, p. 160.

بذلك قيمة المسـجد ، الضريح ، والمولد ، كان هذا حادثة ذات قيمة تاريخية (١٠) ٠

وترتبط حوادث خارقة للطبيعة مماثلة بضريح ومولد « السـلطان صالح » ، وآخرين كثيرين ٠ وتعود « الحالة » الاخيرة التى أعرفها الى شهور قليلة ماضية ٠ في شعبان ١٣٥٨ (١٩٣٩) لم تتيسر اقامة مولد « سـيدى هارون » الحسينى ــ الذى أحيـاه منذ سـنوات قليلة الماجور جاير أندرسون Gayer-Anderson الذى يقع على ساحة منزله الضريح الصغير (لسيدى هارون) ــ عند حلول موعده فى بداية الشهر ، نظرا لتأخر عودة « الماجور » نتيجة لقيام الحرب (١٩٣٩) ٠ وعندما عاد كان « رمضان » (الشهر الذى لاتقام فيه الموالد) قد اقترب ، مما أدى الى اهماله له على مضض لمدة عام ، وعلى كره منه ــ كما اعتقد ــ لقبول قيام الحرب سببا لمثل هذا الالغـاء ، بل نكبة تستلزم جهدا اضـافيا لتشجيع الناس (لممارسة) عاداتهم البسيطة والتقية وحرفهـم ، التى تتصل بقناعتهم وسعادتهم واستقرار المملكة فى (وقت) الأزمة ٠ لكن واحسرتاه ، فان الأمر لم يكن ممكنا على المسـتوى الانسـانى لترتيب كل التفاصيل الخاصة بالمولد فى ساعات قليلة ! ومع هذا ، فان ذلك كان هو التقدير بدون شبح سيدى هارون ٠ (ذلك) أن هذه الروح المباركة لم تضع وقتا فى الظهور فى سـاعات الليل « لشيخ سليمان الكريدلى » حارس ضريح الشيخ هارون ، موضحة أن لا أعذار تقبل لالغاء الشـعائر الخاصـة (بمولده) ٠ وسليمان (هذا) شخصية قديمة وقور تذكر

(١٠) يدخل هذا فى نطاق ما يسمى « بالرؤيا » Revelation ــ وهى من المنظور الدينى نفاذ بصيرة insight فى الحقيقة الالهيـة تدعى عادة من جـانب المؤسس أو المشايعين الأصليين لديانة ما ٠ وتأخذ الرؤيا أشكالا عديدة ، فقد تكون طيفا ، خيالا ، رؤية Vision ، حلما ، أصواتا داخلية ، أو خليطا من هذا كله ٠ والرؤى فى التقاليد اليهودية ــ المسيحية Judeo-Christian على وجه الخصوص ، قد تكون أحداثا تاريخية تفهم لتنتج تفسيرا للتاريخ بصفة كلية (على سبيل المثال ، خروج الاسرائيليين من مصر ووفاة وبعث المسيح) ٠ تركز الديانات الشرقية على تجسد الاله أو تجليه فى كل الطبيعة (الرؤيا العامة) ٠ وهذا المفهوم موجود ايضا فى اليهودية والمسيحية والاسلام ، لكن هذه الديانات التى تنظر للرب باعتباره قوة ذاتية Personal Force ، تركز على رؤى معينة ، لقاءات غير متوقعة يكشف فيها الرب عن حقائق لم تكن لتعرف لولاه ٠ ويؤمن المسلمون بأن القرآن قد أملى حرفا حرفا Verbatim على محمد (ﷺ) ٠ ويؤمن اليهود والمسيحيون أن كتابهم المقدس قد اوحى به الهيـا ، رغـم أن أغلب اللاهوتيين المحدثين يفسرون قضاياه باعتبـارها مسـتمدة من وليس مشتملة على رؤيا ٠ ويعتقد البروتستانت ، من بين المسيحيين ، أن الانجيل ، بتفسير أوسع ، هو المصدر الوحيد للرؤيا ، بينما يجد الكاثوليك والارثوذكس أساس الرؤيا فى التقاليد الرسولية أو البابوية أيضا ٠
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 16, pp. 184-185.

(المرء) بصـــورة ايلى Eli أو سيميون Simeon (ومبوب Myope في شـــخصية الأب جاكوب Jacob) • هو نوع من تجســـد سـلسلة طويلة من الكريدليه Kredlia الذين ســـكنوا « بيت الكريدليـة » (الذى يقيم فيه « جاير أندرسون بك » الآن) عبر العصـــور ، والذى أصـبح (سليمان) مرتبطـا بأرضـــه adscribtus gelabe • يزعـــم (الشـــيخ) « سليمان » أن سلسلة تنسـبه تعود فيمـا بعـد هؤلاء (الكريدلية) الى أبناء النبى (ﷺ) وأصدقاء (هارون) • شكرا لهذا المثل المتواضع والتابع المخلص للولى (هـــارون) ، ولدور الماجـــور « العرابة الرقيقة » fairy God mother ، فقد ازدهر المولد كما لو كان بالسحر ، واصبح « لسيدى هارون » كل المبررات لاسـباغ « بركاته » عليهما (الشيخ سليمان والماجور جاير أندرسون) : ـ وهكذا فان أسطورة أخرى تضاف الى باقى الأساطير العنقودية حول بيت الكريدلية (١١) •

لقد ذكر فى مواضع أخرى أن (تاريخ مولد) « السيد البدوى » يتبع التقويم الشمسى وأنه لهذا السبب سيصطدم بعض الشيء من الآن (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩) فصاعدا مع (شهر رمضان) ، والشهور الأخرى التى لاتقام فيها موالد ، ثم يعود للظهور فى (شهر) محرم • ورغم أن (مولد) « أبو هريرة » فى الجيزة (مولد) اسلامى ، الا أنه يلتحم بالطرق القبطية فيما يتعلق بالأعياد غير ثابتة التاريخ ، حيث انه يحتفل به دائما فى « اثنين » Monday عيد الفصـــح Easter مع عيد شـم النسيم العظيم المصرى • ويحتفظ (هذا المولد) بعناصر أقدم كثيرا من الاســلام أو المسيحية ، ويحتمل أن تكون هذه العناصر مستمدة من « عبادة الشمس» أو « عقيدة فينكس » Phoenix cult • وتأخذ موالد (الدسوقى) ، (البيومى) و (الامبابى) الماحاتها Cue من (مولد) «السيد البدوى» وتتبع « الفصول » وليس « القمر » (وأعتقد أيضا أن هذا ينطبق على مولد مرزوق ، ويحتمل أيضا (مولد) شهده « Shuhda) •

أما بالنسبة للموالد القبطية القليلة ، فانها تتزامن مع عيد القديس الراعى Patron لها ، أو تبلغ أوجها بعد أيام من عيده • ومن هذه الموالد أقدم هذه القائمة :

---

(١١) يشير المؤلف هنا الى ما سبق أن كتبه الماجور جاير ــ اندرسون كسلسلة من المقالات فى جريدة The Sphinx بدءا من ٢٣ ديسمبر ١٩٢٣ بعنوان « اساطير بيت الكريدليه الاثنتا عشرة » «Twelve legends of the Bayt el Kredlea» وفيها وصف شخصية « الشيخ سليمان » المتكهنة • ويعقب المؤلف على ذلك بقوله : « ان هذا الرجل الغامض فظيع فى الحقيقة ، لكنه لا يزال محصورا لنوع (من الناس) الذى يستخدم التاثيرات الروحية الغريبة » •

★ مارجرجس Mar Girgis في برمـــودة (أبريـــل) ـ قبطي كاثوليكي .

في بشنس (مايو) ـ قبطي أرثوذكسي .

★ ستنا دميانة Damiana في بشنس (مايو) .

★ ستنا مريم Mariam في مسرى (أغسطس) .

★ سيدى برسوم العريان Aryan في توت (سبتمبر) .

ومن المأمول أن تكون هناك موالد أخرى كثيرة في الأقاليم ، ومن المؤكد أن عيـــد الصـــعود Assumption في مسرى (١٥ أغسطس) يأخذ شكل « المولد » في عدد من الأماكن ، كما يحـــدث في بلاد كثيرة أخرى (١٢) . فســـباق سينا palio at siena هو لتكريم الصعود Assunzione (١٣) ، ولقد كنت محظوظا لمشاهدة مثل هذا « العيد » في كريماســـتو Cremasto بجزيرة رودس Rhodes تحت مسمى يوناني . (كانت هناك) طقوس دينية وافرة ، بما في ذلك زيارة أيقونات ikons سيدتنا Our lady (العذراء مريم) ، وأتبـع هذا بغلمـان وفتيان رودسيين Rhodian يغنون الأغنيات ويرقصون رقصات اليونان القديمة الجميلة .

ويذكـر بتـــلر Butler في كتـــابه عن الكنـائس القبطيـــة « Coptic Churches » ، ثلاثة موالد لم أستطع تأكيدها :

---

(١٢) الصعود Assumption في الشريعة المسيحية هو الاعتقاد بان (مريم) قد أخذت جسديا الى السماء لدى وفاتها . ورغم أن هذا الاعتقاد لم يتأكد على نحو بات في « العهد الجديد » أو في الكتابات المسيحية المبكرة ، فانه قد قبل بصفة عامة في كل من المسيحية الشرقية والغربية منذ القرن السادس . حاز هذا الاعتقاد تصديقا رسميا في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عندما أصدر البابا بيوس الثاني عشر Pius XII أمره البابوي Manificentissimus Deus (١٩٥٠) . يسمى هذا الاحتفال في مصر بعيد انتقال العذراء وموعده ١٥ أغسطس للشرقيين ، والثاني من أغسطس للغربيين .

ـ وزارة المالية ـ تقويم سنة ١٩٣٥ ـ المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٥ ـ ص ٣٩ .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 2, p. 266.

(١٣) Assunzione كلمة ايطالية تعني الصعود (صعود مريم) . أما (سينا) Siena فهي جمهورية سابقة تحيط بمدينة سينا Siena في وسط غرب ايطاليا ـ الحقت بتوسكانيا Tuscany في ١٥٥٧ ، ثم انضمت الى ايطاليا المتحدة في ١٨٦٠ ـ القاموس الفريد (ايطالي ـ عربي) مرجع سبق ذكره

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 17, p., 296.

القديس ميركوريوس S. Mercurius (أبو سيفين) ١٥ هاتور ٠
القديسان سيروس وجون بدمنهور SS. Cyrus and John ٤ أبيب ٠
القديس سرجيوس S. Sergius (أبو سرجه) ١٣ أمشير ٠

وبالنسبة لأول هذه الموالد ، فقد ذهبت فى الحقيقة الى « دير » أبو سيفين فى ١٥ هاتور ١٦٥٠ (قبطية) (١٤ نوفمبر ١٩٣٣ م) ولم تكن هناك أية علامات عن مولد فحسب ، لكن الناس المقيمين فى السكيته Skete أكدوا لى أيضا أنه قد تلاشى منذ زمن طويل (١٤) ٠

ويحتفظ الأقباط بالطبع بأعياد كثيرة أخرى ، ليست فى حد ذاتها « موالد » ، ولذلك فهى خارج نطاق هذا الكتاب : منها الأعياد المسيحية غير ثابتة التاريخ (والمكان) كأحد السعف Palm Sunday ، الفصح Easter ، العنصرة Whit suntide ، والكثير من الأعياد الدينية المحددة التى من بينها :

- عيد الغطاس Epiphany فى كيهك ٠
- عيد الصليب Cross فى توت ٠
- عيد الرسول Prophets فى أبيب ؛
- عيد الميلاد Christmas الذى رغم أنه مولد بمفهوم عظيم ، الا أنه غير مدرج هنا للأسباب التى ذكرتها فى الفصل الأول ٠

وهناك أعياد معينة لسيدتنا (مريم) تقام للعموم ، وتتضمن أغلب مظاهر الموالد ، وقد ضمنت منها عيد ادعاء العذراء Assumption

---

(١٤) رغم ان كلمة (دير) العربية وكلمة (سكيتة) Skete اليونانية تعنيان (دير) Monastery ، فانهما قد تشيران الى مجموعة من هذه الاماكن التى تضم كنائسها وتوابعها بما فى ذلك مساكن اهلها غير الاكليريكيين Layfolk المرتبطين باسباب عديدة بالمؤسسة ، ويحيط بهذا كله سور واق ٠ وقد يكون دير (ابو سيفين) بناء على ذلك (كما يقول والاس بادج Wallace Budge فى كتابه (النيل) مستخدما بهذا المفهوم ليضم ليس فقط الكنيسة والمبانى الديرية Monastic الخاصة بالقديس مركوريوس (أبو سيفين) مع كنائس « برسوم العريان » ، جرجس ، ميخائيل ، بقطر ، الخ ، ولكن أيضا والكنائس المتميزة « العذراء » ، انبا شنوده ، دير العذارى ، وكل الشوارع الصغيرة والمنازل التى يحيط بها السور الواقى القديم ٠ وقد وجدت ان الكلمة اليونانية Skêté بمعناها العامى Colloquial تحمل نفس هذا المفهوم العام ـ حاشية للمؤلف ٠

فى مسرى فى رواية مولد (ستنا مريم) فى مسطرد (وفى دسوق) ، مع اشارة الى عيد البشارة Annunciation فى برمهات •

وبالمثل ، فان هناك بالطبع كثيرا من الاحتفالات الاسلامية التى لا يمكن ادراجها فى كتاب عن « الموالد » ، كعيدى (الفطر والأضحى) ، واحتفال المحمل « والكسوة » ، فى ذهاب وعودة الحجيج ، قطع الخليج ، أو عيد عروسة النيل ، ليـلة المعراج ، ليـلة القـدر ، وليـلة النقطـة ، ذكرى محمد على باشا ، وعاشوراء •

وسيتلاشى الكثير من خيبة الأمل اذا ما تذكرنا أنه — باستثناء القليل للغاية من الموالد المحدد لها يوم معين من الشهر (انظر أعلاه) ، فانهـا (الموالد) عادة ما يكون لها يوم محدد من الأسبوع مرتبط دائما بهـا (أى بالموالد) ، مثل :

الأحـــد

الـكردى	فى رجب أو شعبان
جـلال	فى محرم أو صفر
مظلوم	محرم الى ربيع الثانى

الاثنين

فاطمة النبوية	الآخر من ربيع الأول عادة
أبو هريرة	شم النسيم

الثلاثاء

فاطمة النبوية	مبكرا فى شعبان
بنت جعفر الصادق	
حسن الأنور	ربيع الى شعبان (١٥) (فى ست زيارات من سبعة)
صالح الحداد	الأول بعد النصف من شعبان

(١٥) لم يحدد المؤلف اى الربيعين يقصد (ربيع الأول أو ربيع الثانى) •

سيدنا الحسين	آخر ربيع الثاني عادة
السيدة زينب	قرب منتصف رجب

الأربعاء

الامام الشافعى	الأول من شعبان عادة
السلطان الحنفى	الأول بعد منتصف شعبان

الخميس

أبـو أتـاته	من ربيع الأول الى جمادى الأولى
أبـو العـلا	مبكرا فى ربيع الثانى
أبـو السباع	من ربيع الأول الى جمادى الثانية
البيومى	برمهات (مارس)
اسماعيل الامبابى	بؤونة (يونيو)
مرزوق	برمهات (مارس) أو برمودة (أبريل)
محمد البحرى	من محرم الى صفر
المحمدى (دمرداش)	النصف الآخر من شعبان
سيد الملك	صفر الى جمادى الأولى
سـليم	جمادى الثانية الى رجب
فـرج	ربيع الثانى الى رجب

الجمعة

عبد اللـه	رجب الى شعبان
عبد الدايم	محرم الى رجب
عمرى	فى شعبان
حمزء	جمادى الثانية (مرة يـوم الأحـد فى شعبان
الامام الليثى	قرب منتصف شعبان
معـروف	رجب الى شعبان
سـعود	مبكرا فى شعبان

السبت

مرصـفا	متأخرا فى شعبان
زين العابدين	جمادى الثانية (لكنه تراوح من صفر الى شعبان)

اننى على ثقة أن هذه القائمة يمكن أن تطول كثيرا ، خاصة بالنسبة ليوم الخميس ، عشية الجمعة ، وليوم الجمعة نفسـه ، لكننى جازفت بوضع الموالد التى غشيتها فقط • وفى كل مرة وجدتها ترتبط بيوم واحد من الأسبوع •

ويبدو أن (مولد) « الزفيتى » يتذبذب بين « الأحد » و « الخميس » ، والقليل (من الموالد) ليس له خيار ظاهر • « فالحلى » على سبيل المثال (موعده) الثلاثاء حسب علمى ، والخميس والسبت ، كما أنه يتراوح بين شهور عديدة •

قد يكون من السهل اعداد قائمة متتالية بأعياد القديسين المسيحيين (كاثوليك ، أرثوذكس أو أقباط) ، باتباع التقويم فى كل حالة ، وسيبقى التسلسل محفوظا ، لكن القائمة السابقة تبين كيف أنه من المستحيل (تحقيق ذلك) فيما يتعلق بالموالد الاسلامية • وعلى أية حال ، فقد صدرت الروايات التفصيلية التى ستأتى فى هذا الكتاب بتقويم تقريبى للأعياد التى قدمتها • وهذا سيظهر ــ على الأقل ــ أى الموالد يمكن توقعها فى أى تاريخ محدد • وفى حالة تراوح الوقت بحيث يظهر (موعد المولد) فى واحد من شهور عديدة ، فان الموعد الأول هو الذى سيذكر •

ومن المهم أن نتذكر أن قليلا من الموالد الاسـلامية تتبع التقويم القبطى ، الشمسى ، وليس تقويمها القمرى (الهلالى) ، فحساب الموالد الآتية بالتقويم القبطى كما سنرى) :

أبـو هريرة	اثنين monday الفصح القبطى (شم النسيم)
البيومى	برمهات (مارس)
اسماعيل الامبابى	بؤونة (يونيو)
السيد البدوى	بابة (أكتـوبر)
ابراهيم الدسوقى	مثـله
مرزوق	برمـودة

وربما كان هذا هو الحال بالنسبة لبعض الموالد الأخرى ، وخاصـة (مولد) « شهده » •

وبصرف النظر عن هذا التخلل غير الطبيعى (لمواعيد الموالد) ، فان التأثير المتسيد والأكثر فعالية فى تحديد الموعد النهائى « للمولد » هو « وزارة الداخلية » • فتصريحها لابد من الحصول عليه ، وأى تحديدات أو تأجيلات قد تفرضها لابد من الالتزام بها • وبين الفينة والفينة فانها ترفض التصريح تماما •

ان الايضاحات المتعلقة بالمكان والموعد الواردة فى هذا الفصل ، والقوائم الخ ، التى ستلى ، ليست مؤسسة على أى شىء رسمى ، ولكنها بنيت على ملاحظات شخصية واستنتاجات عبر سلسلة من السنوات حتى هذه السنة الهجرية ١٣٥٩ (١٩٤٠) ، وهى (ملاحظات) عرضة للتعديل فى المستقبل •

أيضا ، وكما أكدت فى أماكن أخرى ، فان المائة والستة والعشرين مولدا التى ستلى لاتمثل أبدا قائمة كاملة • فهى تشمل هذه الموالد التى شاهدتها فقط ، أو التى لدى عنها معلومات مباشرة ومحققة • أعلم أن هناك موالد أخرى كثيرة (ومن بينها ما هو هام وكبير) لكن الكثير منها لا أعرف عنه الا القليل •

فعلى سبيل المثال ، أعتقد أنه يوجد مولد ذو بعض الأهمية فى « دمنهور » ، ولكن نظرا لعدم توفر فرصة لى لمشاهدته ، ولأن التحريات قد أظهرت معلومات غامضة ومتناقضة فقط ، فقد ترك كلية •

كذلك فان الماجور جاير ـ أندرسون ، الذى زار ضريح الشيخ « سليم العريان » ، على الضفة الشرقية للنيل وعلى بعد ميل من نجع حمادى ، أرسل لى مشكورا رواية مطولة من شفاه أولاد أخوة « الشيخ سليم » الذين يزرعون ثمانية الأفدنة التى حول الضريح ، والتى أهداها الخديو اسماعيل اعترافا بمعجزة (للشيخ) رآها سموه • ولابد أن يكون لهذا الحاج الشهير ـ الذى لم يرتد ملابس طوال حياته ، والذى كانت كل الحيوانات تألفه ، والذى عاش فى تقشف نسكى ، لابد أن يكون له « مولد » • ولكن نظرا لأن الماجور (جاير ـ أندرسون) لم يكن قادرا على تأكيد موعد المولد أو حتى تأكيده ، فاننى يجب أن أستبعده من هذه الدراسة •

لقد أكدت لى رواية « لين » Lane التى كتبت منذ مائة عام « حيث يوجد ضريح شيخ ، فلابد أن يوجد دائما مولد » ، أكدت لى تصميمى على أن أضمن احتفالات القرن العشرين فقط التى أملك بشأنها معلومات مباشرة •

من الغريب أن ينتخب الكتاب العظام المدققون ، غزيرو الانتاج وذوو الضمير الحى الذين كتبوا عن مصر ، من الغريب أن ينتخبوا فقط أكثر الأزهار زخرفا وجلاء من حديقة الموالد ، ذلك انه فيما هو أكثر من ألفى صـــفحة من كتـــابات لين Lane ، بدج Budge وموراى Murray التى امامى الآن ، لا أستطيع ان أجد ســوى وصف لحوالى خمسة عشر (مولدا) البعض منها لايزيد عن مجرد اشارة ، وهناك اثنان على الأقل ، هما « سيدى العفيفى » و « السلطان الرفاعى » قد اندثرا مع الأسف · لكن « القلوب الطيبة تحب الأزهار الصغيرة » ، واننى على ثقة أن قلوب قرائى الطيبة ستهتم وتتعاطف مع هذه الموالد الصـــغيرة ، التى يحاول الكثير منها أن يجد مكانا له تحت الشمس · « وبالنسبة للمولدين (العفيفى والرفاعى) صاحبى الشعبية الكبيرة فى عام ١٨٨٨ عندما كتب موراى عنهما ، فان الأول قد أشــير اليــه فى روايتى عن « مولد البيومى » · أما الآخر فيقول « موراى » عنه انه « واحد من أكثر الاحتفالات روعة التى تظهر خلال العام » ففيه استعراض دراويش «الرفاعى» المعسكرين فى مدينة الموتى بين مقابر المماليك والامام الشافعى ، وكانوا فى قوة كبيرة ، استعرضوا أكثر أعمالهم الفذة · ان الرواية فى كتاب موراى Handbook of Egypt طبعة ١٨٨٨ ، هى رؤية لما كان يمكن أن يكون عليه المولد فى تلك الأيام » ·

لقد كانت هناك تغيرات كبيرة فى الماضى ، وبلا شك فانه ستكون هناك تغيرات مثلها فى المستقبل ، لكى دعونا نأمل ونصلى أن تكون هذه التغيرات ايجابية لموالد مصر ·

الفصل الثالث

الجانب الديني للموالد

يتركز المولد باعتباره احتفالا « بولى » ما ، يتركز طبيعيا حول البقعة التي أرقد فيها جثمانه أو على الأقل حفظت ذخائره ٠ وقد يكون (الجثمان) هنا ، تحت تابوته في مسجد أو في أحد الأضرحة التي تتوجها قبة وتسمى (في هذه الحالة مقاما) ، أو ضريحا ، أو زاوية ٠ وقد ظهر المصطلح الأخير على يد ناسك أقام في (صومعة) اختارها ليعيش ويسجى فيها عند مماته ، كما في حالتي (مرصفا) و (المحمدى) ٠ لكن الزاوية (بصفة عامة) اتسعت لتشمل مجموعة من الخلايا تتجمع شيئا فشيئا حول الخلية (الأصلية) لتتشكل بدايات (دير) ٠ وزاوية (مرصفا) رغم ضآلتها الا أنها ارتقت لتصبح مسجدا بلوحة على بابه (كتب عليها) « مسجد سيد على المرصفى) (١) ٠

---

(١) يقول الماجور جاير ـ اندرسون ان السنوسيين أعتادوا استخدام هذا النظام الطبيعى للخلايا من اجل الدعاية لعقيدتهم ٠ وقد أقيمت الزاوية لكل من يجمع مجموعة حوله ، فيتلقى الساكن الجديد التعاليم من الناسك الأصلى ، حتى اذا ما أصبح مؤهلا ينطلق بعيدا ليقيم نواة جديدة ، وهكذا ـ حاشية للمؤلف ٠

والزاوية تعنى في الاصل مبنى أو مسجدا صغيرا للصلاة والعبادة ٠ لكن معناها تطور في المغرب فأصبح يطلق على (الخانقاه) وتعنى البيت الذى ينزل فيه الصوفية ، كما أطلق مسمى (الرباط) ـ وبمضى الوقت أصبحت مصطلحات (الزاوية) و (الخانقاه) والرباط تفيد معنى واحدا هو المكان المخصص للمتصوفة ٠ وقد شهدت مصر منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) نشاطا صوفيا عظيما ، اقترن به اهتمام من جانب السلاطين، فشجعوا اقامة الزوايا واحتفلوا بافتتاحها وانفقوا عليها من أوقاف أوقفوها عليها ٠ تكونت الزاوية من عدد معين من « الخلوات » ، اختص كل صوفى من المقيمين بالزاوية بواحدة منها ، والحق بالزاوية بعض الخدمات الضرورية المتصلة بالطعام والشراب والصحة وأمور الحياة اليومية ، ووضعت لها انظمة حسنة للحياة ، وقدمت الى جانب كونها بيتا للصوفية =

وقد يوضع التابوت أحيـــانا في منزل خاص ، كمـــا في حالات (الأنصاری) و (العزايم) الذين ستوصف موالدهم فيما بعد ، ولقـد شاهدت بنفسي في مولد صـــغير ، التابوت في منزل أحد أفراد أسرة (الرومالی) ، لكني لا أذكر اسمه ٠

تتزايد أعداد المصلين عند هذه الأماكن في مواعيد الصلاة ، قبل أن توافق وزارة الداخلية أو تحدد مدة معينة (لاقامة المولد) (وهی أسبوع عادة ، وقد تكون اسبوعين أو حتى ثلاثة ، وقد تتقلص الى يوم واحد) ـ ليس بسبب الحماس المتزايد من جانب أهالي المنطقة فقط ، ولكن بسبب تدفق الزوار القادمين (من أماكن أخرى) ، وقد يلاحظ اقامة (حلقات) ذكر كثيرة مسبوقة بمواكب صغيرة ٠ وفي نفس الوقت تبدأ الزينات في الظهور في المنطقة ، أعـلام صغيرة ، لمبـات (كهربائيـة) ملونة وكرات ، وهكذا ٠ وتوضع صور ذات أطر كبيرة تمثل الحلاقين الذين يقومون بالختان وهم يقومون بعملهم هذا ، توضع فوق صالونات الحلاقة مرفقة باعلان يوضح أن عملية الختان ستقدم مجانا gratis ، وتظهر أيضا (منصات) وأكشاك بيع العرائس ، (وهي) تماثيل صغيرة من السكر مزينة بشرائط لامعة ؟ مراجيح وأشياء أخرى كثيرة ، وسيناقش هذا بالتفصيل في الفصل القادم عن التسلية الشعبية في الموالد (٢) ٠

اذا ما تحدد يوم افتتـــاح المولد ، فان احتفالا افتتاحيا ذا طـابع ديني يقام ، وغالبا ما يكون رسميا ، يتضمن قراءة للقرآن ، مديحا للولي (صاحب المولد) ، ذكراً وبعض الأعمال التعبدية ، وقد يرأس هذا شيخ محلي ، عادة ما يكون أحد مشايخ الطرق الصوفية dervish orders

---

= خدمات ايواء الغرباء ٠ وقد تنوعت الزوايا بتعدد فئات الصوفية ، فهذه زاوية لطائفة وتلك زاوية لطائفة أخرى ٠ وقد أصاب الزوايا بعض الخلل في أواخر العصور الوسطى فاستخدم فيها الطرب والأناشيد ، وقدمت الأسمطة الفاخرة ، واستخدمت أموال الوقف في اللهو والخمر بل وفي تعاطي المخدرات وأصبحت الزوايا ملاجيء للمحتاجين الذين يبحثون عن المأكل والمشرب ٠

ـ الهيئة العامة للاستعلامات « تاريخ وآثار مصر الاسلامية » ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٩٣٨ ٠

(٢) أخل المؤلف بالمنهج الموضوعي في دراسته فخلط بين المظاهر الاحتفالية الشعبية للمولد (الزينات ، الأضواء الملونة ، الشرائط اللامعة ، عرائس الســـكر الخ) وبين ما خصصه من جوانب دينية ـ ووعده بمناقشة الاحتفالات الشعبية في فصل تال يعد اعترافا منه بهذا الخلط ٠

وأحيانا سليل روحى أو سليل بالدم ، أو كلاهما (لصاحب المولد) الذى يقام الاحتفال تكريما له • أو قد تعين الحكومة شخصية دينية كبيرة كأحد « العلماء » • وأعظم هؤلاء هو « الشيخ البكرى » (٣) المنحدر أصـــلا من شجرة نسب الخليفة الأول « أبو بكر » ، وقد اعتاد دائما أن يقود مولد « الطشطوشى » الذى (يوافق) احتفال (الاسراء والمعراج) ، حيث يتخذ سكنا مؤقتا فى موقع (المولد) •

« والشيخ البكرى » هو رئيس كل الطرق الصوفية ، (ويحمل) لقب « نقيب الاشراف » ، وكسليل (للخليفة) أبى بكر الصديق ، فهو يحتل منصب السجادة (٤) الخاصة بالمؤسس الأكبر مع لقب « صاحب السجادة » (شيخ الســـجادة) • وللمنحدرين المباشرين من « على » و « عمر » سجاداتهم الخاصة ، لكن هؤلاء يأتون فى المرتبة التالية للشيخ البـــكرى •

ومع تتـــابع أيام المولد يصـــبح « الدراويش » أكثر وضـــوحا en evidence ، مع تزايد « حلقـــات الذكـــر » ، وزيارات الضريح ،

---

(٣) كان الشيخ البكرى هو رئيس الطريقة البكرية الصوفية قوية النفوذ ، وهى طريقة ينتسب أعضاؤها الى الخليفة الأول (أبو بكر الصديق) رضى الله عنه • أدار «البكرى» موارد مالية كبيرة ، وعين نظارا على مزارات عديدة وكان أكبر ممثلى الطرق الصوفية أهمية فى الاحتفالات العامة كمولد النبى (ﷺ) أو « جبر النيل » • عكست أهميته الادارية والسياسية المتزايدة خلال القرن الثامن عشر ، محاولة الحكومة فى القرن التاسع عشر انشاء تنظيم رسمى للطرق الصوفية حول وظيفته • حاز المشايخ البكرية على وظيفة نقيب الأشراف فى ١١٧٦ هـ/١٧٦٢/١٧٦٣ ، باستثناء بعض الفترات القليلة التى استولى على المنصب فيها رؤساء السجادة (الطريقة) الوفائية « بيت السادات الوفائية » ، حتى بواكير القرن العشرين

F. de Jung « Turuq and Turuk Linkld Institutions in Ninteenth Century Egypt », Leiden : E.J. Brill, 1978, pp., 9-14.

(٤) سجادة ، رغم أن هذه الكلمة تستخدم فى المعنى العام لبســاط Carpet ، فان لها المعنى الأصلى لما يمد من أجل الصلاة • وفعل يصلى هو سجد Sagada • وهذا المعنى الطقسى المقدس يفسر الأساطير الغربية عن « البساط الطائر » الذى ينقل مالكه الى حيث يشاء ــ حاشية للمؤلف •

وفى هذا التفسير للسجادة الكثير من الخلط الذى لا يبرره سوى جهل المؤلف بالدين الاسلامى • « فالسجادة » هنا يقصد بها « الطريقة » التى يتبعها اتباع هذه « السجادة » أو « الطريقة » • وقد ارتبطت « السجادة » بالطرق الصوفية باعتبار أن الصوفية يطيلون فى « السجود » فى صلواتهم تقربا الى الله • ومع الوقت تحولت كلمة « الطريقة » الى السجادة ، وأصبح « شيخ الطريقة » هو شيخ السجادة ، ولا صـــلة لهذا بأساطير « البساط الطائر » أو « البساط السحرى » التى أشار اليها المؤلف •

وكل المظاهر الأساسية التى تعمل فى تصعيد سريع حتى النهاية العظمى للاحتفال ، وهـذه تكون عـادة فى اليوم الثـامن octave من الاحتفال الافتتاحى ، عنـد ذلك يصبح (الدراويش) قلب وروح « الزفة » المتصاعدة ، والتى يكون (الدراويش) فيها « الجوهر » و « النواة » ، رغم أن أعدادا متزايدة من جمهور المؤمنين المصاحبين لهم ، يتنافسـون معهم فى الحماس والتعصب ٠

كثير من غير المسلمين لديهم فكرة غامضة وضيقة عن معنى مصطلح « درويش » ٠ ولقد سـألنى مؤخـرا أحد المثقفين « ما هو المولد » ؟ (وعندما) تضمن شرحى له ذكر « الدراويش » ، أضاف قائلا : « نعم ، اننى أعرف كل شئ عنهم ، انهـم أولاء الذين يصرخـون ويدورون أليس كذلك ؟ n'est-ce pas ، لكننى أظن أنهم قد انقرضوا » ٠

وبصرف النظر عن حالات الجهـل التافه مثـل هذه ، فان حقيقة أنه لا يوجد خط واضح للتمييز بين رجـال الدين وسـواد الناس من المؤمنين كما هو الحال فى المسيحية ، تجعل من الصعب تقدير عدد وأهمية هؤلاء الذين يمكن اعتبارهم من الطرق الصوفية ، كبيرة أو صغيرة ٠ ان التحاق أبسـط عضو فى أخوة « الطريقة » يتخذ شـكل الرسـامة Consecration ، لكنه يحتاج الى تحمل عدم الافصاح المادى أو المرئى للخارجيين ، فيما عدا المناسبات النادرة « كالزفة » ٠ ولقد التقيت بخادمى فى مولد بالملابس البيضاء والخضراء (الخاصة) « بالطريقة الشاذلية » ، الحزام والشارة ، وكان يحمل « بيرقا » ، وتعرفت فى « الزفة » على آخرين لم أحلم اطلاقا بأن يكونوا حاملين « للسند » و « السلسلة » الخاصين بالدراويش ٠

وفى الحقيقة فان الدراويش هم قلب واطار الاسـلام ، منذ أيام المؤسسين العظام « أبو بكر » والد زوجة الرسول ، وعلى زوج ابنته ٠

لقد تولد عن فكرة تطعيم المحمدية (الإسلام) ببعض الروحانيات عن طريق « الطرق الصوفية » ، قيام حوالى مائة « طريقة » ، كلها تعترف وتتعم « بالبركة » ، التى رغم أنهـا تعنى بالمفهوم العـادى blessing ، الا أنهـا فى حالتنـا هذه قد تعنى نوعا من « التعاقب الرسـولى » Apostolic succession ٠ ذلك أن كل « درويش » قد بدأ (نشـاطه فى الطريقة) « كطالب » أو « مرشـح » Postulant ، ثم ارتقى الى « مريد » يتلقى التعاليم الدينية من « المرشد » ، حتى يدخل فى الطريقة

تماما « بالورد والذكر » ، مع تلقيه لنوع من التقاء الأيدى ، والاستجابة للعديد من المبادىء ، ويحصل (بعد ذلك) على « سند بسلسلة » (دبلوما وكتينة) . أما « السند » فهو يؤكد حرمة « سلسلة » « السلفية الروحية » Spiritual ancestry التي تربط « المريد » بالشيخ أو « المرشد » ، ومن خلاله بالرسول (ﷺ) نفسه . وتوحى كثير من « سلاسل النسب » هذه بالرهبة ، حتى البعض منها الذى فى يد البسطاء الذى لا يفخرون بنسبهم أو لا يستطيعون تقييمه ، اللهم الا فيما يتعلق بهذه العلاقة المقدسة . ان هؤلاء « الدراويش » يذكرون المرء بشجرة عائلة « القديس يوسف » S. Joseph وبعض السجلات اللاهوتية المماثلة (كما أنهم يوضحون للمرء ذلك التظاهر الضخم بالجهل فى شأن عنصرية النازى ـ ان شخصا بلا أصل أو سلالة يملك وقاحة لا متناهية ليقف كحكم فى مثل هذه الأمور ، ويضع أى معارض له فى مستوى أدنى منه (٥) ، لكن أن يحدث هذا مع عنصر تعود سلالته الى زمن طويل ، وصاحب حضارة ممعنة فى القدم ، فانه أمر فوق نطاق التعليق ! وليس لهذا التعطيل المطرد أية صلة بالحرب : انه الاستشهاد بحالة استثنائية فى التاريخ الطبيعى) (٦) .

---

(٥) يشير المؤلف هنا الى نظرية « العنصرية » Racism التى اعتنقها النظام « النازى » فى المانيا الهتلرية فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين ، عندما ادعى بأن الجنس الآرى Aryan race هو افضل الاجناس ، ونادى بضرورة القضاء على العنصر السامى semitic . « العنصرية » كمصطلح تعنى تلك النظرية أو المبدأ الذى يقول بأن الصفات الجسدية الموروثة ، كلون الجلد ، ملامح الوجه ، نسيج الشعر ، تحدد أنماط السلوك ، سمات الشخصية ، أو القدرات العقلية ـ وعمليا ، فان « العنصرية » تدعى أن بعض العناصر الانسانية افضل من البعض الآخر .

ظهرت العنصرية وتفشت كايديولوجية فى أوروبا وأمريكا فى أواخر القرن التاسع عشر وبواكير القرن العشرين ـ وقد رعاها ونماها كل من ارثر دى جوبينو Arthur de Gobineau ، وهيوستون ستيوارت شمبرلين Houston Stewart Chamberlain . بدأت العنصرية كايديولوجية تنحضر منذ الأربعينيات ، باستثناء جنوب افريقيا حتى قيام الحكم الوطنى بزعامة نلسون مانديلا Nelson Mandella فى تسعينيات القرن العشرين
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 16, p. 37.

(٦) يشير المؤلف هنا الى العنصر السامى Semitic الذى تعرض أحد عناصره (اليهود) للاستشهاد فى الفترة الهتلرية (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) من تاريخ المانيا عندما سيطر ادولف هتلر Hitler على الحكم وطبق مبادىء العنصرية التى نادى بها دى جوبينو de Gobineau وهيوستون ستيورات شمبرلين Houston Stewart Chamberlain والفرد روزنبرج Alfred Rosenberg وما ترتب على ذلك من كره عنيف لليهود أدى الى اقامة معسكرات الاعتقال Concentration Camps والابادة Holocaust .
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 14, p. 67.

ويرتبط « الورد » بشـــكل شديد بالاستعمال الكنسى لسلسلة الصلوات « Rosary » : فهو يتضمن « التسبيح » ، وهو ذو دلالة من حيث ان الكلمة « ورد » بالمعنى اللفظى تعنى « أن يصـــل to arrive » ، وكمعنى اسمى فهى الاسم العربى « وردة » Rose (٧) .

أما « الذكر » فهو أساســـا النطق المتكرر لاسم الله ـ « الله ، الله ، الله » ـ والكلمة تعنى « to mention » لكنها تمتد الى شـــهادة وحدانية الله ، ورسالة محمد « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ، وهذه العبارة تعرف (عند الصوفية) « بالكلمة » ، غير أن لهـــا دلالة ، مؤداها أن نطق أى « غير مسلم » بها فى بعض البلاد يعرضه الى الختان القسرى forcible circumcision (٨) .

ويسبق هذه العبارة ، حتما على ما أعتقد « الفاتحة » ، وهى فاتحة الكتاب الصغيرة ، الصلاة الجميلة التى تشـــبه الصــــلاة الربانيـــة pater Noster (٩) ، وقد تكون مصحوبة بحركات تمايل يمينـــا ويسارا مع انشاد Strophe « ذرب » Zarb مثل « الله سامع ، الله باصر ، الله عالم » .

وفى حالة « الذكر » الاستهلالى ، فان هناك الكثير الذى يختلف من « طريقة » الى أخرى ، والذى يفترض أن لا تفشى بعض أجزاء منه . ويحتوى الاحتفال أيضا على عناصر « قربان الكفارة » Sacrament of penance

---

(٧) أختلف مع المؤلف فى المعنى الذى قدمه للورد ـ فالورد بالكسر الجزء ، يقال قرأت وردى ـ مختار الصحاح ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ٩٨٧ ـ ص ٢٥٨ .

(٨) يقصد المؤلف ان مجرد نطق غير المسلم بالشهادتين يعنى دخوله دين الاسلام ، وبالتالى ضرورة ختانه . وهذا القول غير صحيح ، فكثير من المسيحيين دخلوا دين الاسلام ولم يتم ختانهم ـ كما ان ذكر غير المسلم للشهادتين لا يعنى بالضرورة انه أصبح مسلما ما لم يكن يرغب حقيقة فى ذلك عن رضا واقتناع ، وفوق هذا فان هذا التحول لابد وان يتم أمام هيئات دينية رسمية .

(٩) الصلاة الربانية Lord's prayer او أبانا Our father ، هى الصيغة الوحيدة للصلاة المنسوبة للمسيح . وهى تظهر مرتين فى العهد الجديد New testament ـ متى (الاصحاح السادس ٩ ـ ١٢) ، وفى النسخة المختصرة للوقا (الاصحاح الحادى عشر ٢ ـ ٤) ـ « أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفـر نحن ايضـا للمذنبين الينـا . ولا تدخـلنا فى تجـربة . لكن نجنـا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد . آمين » ـ وتسمى هذه الصلاة باللاتينية Pater Noster

ـ انجيل متى ـ الاصحاح السادس .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 12, p. 413.

الوضـــوء ، واعتراف عـــام من جـــانب « المريـــد » « لمرشـــــده » « pir » ، مع تعهد أو قســـم بالتحسن ، والتوقيع على عهـد بالخدمة القلبية لله ، وولاء صادق للأب الروحى (المرشـد) الذى يحتضن يديه ، والذى يتلقى منه غفرانا ضمنيا ·

هذا الالتقاء بالأيدى handclasp ـ الذى قارنته « بالتقاء الأيدى » Laying of hands الكنسى ـ والذى ترفع فيه الابهـام وتضـغط الى الابهام الأخـــرى ، والأيدى مستورة بكم الدرويش ، يماثل التقاء أيدى الاثنين عند خطوبتهما ، وله ما يناظره فى الاحتفـــالات القبطية وبعض المناسبات المسيحية الأخرى ، وخاصة فى الشرق · لقد لاحظت حـالات محددة فى قرى يونانية عانت كثيرا تحت السيادة التركية ، وأستعيد الى الذاكرة تاريخ « الموريســـكيين » فى أسبانيا ، عندما تبنت الليدى لارا Lara ، مودارا Mudarro الابن غير الشرعى لزوجها المتوفى من فتاة مسلمة ، باخفائه فى كمها الواسع (١٠) ·

ومع أن الدراويش (الصوفية) يعود تاريخهم الى أيام الاســـلام المبكرة (١١) ، فان الفضل فى اعادة تنظيمهم على أسس أصابها بعض التغير قليلا حتى اليوم ، يعود أساسا الى عمل « عبد القادر الجيلانى » فى القرن

---

(١٠) الموريسكيين هو المصطلح الذى يعنى به المسلمون الذين فتحـوا اسبانيـا فى ٧١١ م وهزموا القوط الغربيين Visigoths · أسسوا ملكهم فى جنوب أسبانيا وأقاموا خلافة فى قرطبة Cordoba ، وأقاموا امارات لهم فى طليطلة Toledo ، غرناطة Granada واشبيلية Seville · فى القرن الحادى عشر سيطر المرابطون على اسبانيا وفى ١١٧٤ آلت الى الموحدين · قاوم الحكام المسيحيون هذه القوى الاسلامية ، وفى ١٠٨٥ استعاد الفونسو السادس Alfonso صاحب ليون (طليطلة) · وسقطت قرطبة فى ١٢٣٦ ثم سقطت آخر منطقة موريسكية (غرناطة) فى ١٤٩٢ على يد فردينـاند الخـامس Ferdinand وايزابيللا Isabella · بقيت فى اسبانيا جماعتان من المسلمين هما الموديجار Mudejares والموريسك Moriscos · تولت محاكم التفتيش الاسبانية Inquisito التى أنشئت منذ ١٤٨٣ م تعقب الموريسك Moriscos المسلمين ، والمارانوس Marranos اليهود ، بالتحقيق المقترن بالتعذيب للاقرار بتمسكهم بدياناتهم الأصلية (الاسلام بالنسبة للموريسك واليهودية بالنسبة للمارانوس) ·

— The Concise Columbia Encyclipedia, op. cit., p. 563.
— Lexicon Universal Encyclopedia. Vol. 11, p., 183.

(١١) ترمز كلمة « الصوفية » ـ التى يحتمل أن تكون مستمدة من « ارتداء الصوف » ـ الى المذهب الباطنى بمعناه الذى يذهب الى الايمان بان المعرفة المباشرة بالله أو بالحقيقة الروحية يمكن ان تتم للمرء من طريق التأمل أو الرؤيا أو النور الباطنى ، وبطريقة تختلف عن الادراك الحسى العادى أو اصطناع التفكير المنطقى · ومع أنه كان لحركات خارجية أخرى بعض التأثير على مصطلح الصوفية ، فان الصوفية تنتمى بكل تأكيد الى الاسلام نفسه · =

السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) الذى يشكل أتباعه « القادرية » ، الطريقة الأصلية التى تنبثق عنهـا الفروع الأساسية : « الرفاعية » و « السعدية » · وكل من هذه الطرائق الثلاث تتمتع بوضع ممتاز فى مصر ، لكن « السعدية » فقدت نفوذها الكبير الذى كانت تتمتع به أيام « الدوسة » التى كان « شيخ السعدية » يركب خلالها حصانا ويسير به فوق ظهور حشد من الدراويش المتمددين على الأرض (دون أن يصابوا بأذى) · ومع أن هذا الاحتفـــال الذى كان مظهر التتويج فى موالد « النبى » (ﷺ) ، سيدنا الحسين « رضى الله عنه » و « الطشطوشى » لم ينتج عنه أى حوادث اصابة (كما ذكرت) ، فانه قد ابطل العمل به قبل هذا القرن (العشرين) · وتنسب الطريقة الســعدية الى « ســعد الدين الجباوى » ·

أما « الرفاعية » ، فانهم مشهورون بسبب الطرق الرائعـــة التى ينتصر فيها تأثيرهم الروحى على الألم والتقييدات الجسدية · ولم تفسر حتى الآن قدرتهم على السير على النار وأكلهم للجمرات البيضاء الساخنة ، والزجاج والمخلوقات السامة ، وهى أشياء تسبب الموت طبيعيا أو أكثر الاضطرابات الجســـدية ألما ــ أقول لم تفسر (هذه الخوارق) حتى الآن وفق مبررات مادية · وقد أشـير الى هذا النوع من الأشياء فى حواشى

= لكن تطورها بدأ فى أواخر القرن السابع والقرن الثامن عندما أثارت الدنيويات والخلاعة فى الدوائر الأموية الحاكمة رد فعل قوى بين أشخاص أتقياء معينين · حث البعض من هؤلاء كحسن البصرى المتوفى فى ٧٢٨ م المجتمع الاسلامى الى الالتفات الى الدعوة القرآنية للخوف من الله ، والتحذير من يوم الحساب ، والتذكير بأن الحياة الدنيا وقتية · وأنتج التأكيد على حب الله الانتقـــال الى الصوفيـــة Mysticism · ولابد أن نذكر هنـا « رابعـة العدوية » المتوفاة فى ٨٠١ م التى دعت الى حب الله لذاته وليس خوفا من الجحيم أو الأمل فى الجنة ·

انتقدت الصوفية مبكرا من جانب الذين خشوا أن اهتمام الصوفيين بالمعرفة الاختبارية experiential بالله قد يؤدى الى اهمال العقائد الدينية الراسخة ، وأن هدف الصوفى بالوحدة مع الله كان انكارا لمبدأ اختلافية Otherness الله عن الناس · ومن الثـابت أن اعدام الحلاج فى ٩٢٢م الذى ادعى الاتحاد الباطنى Mystical Communion مع الله له صلة بهذا الأمر الثانى ، كذلك فان بعض الصوفيين اتجهوا فى القرون المتأخرة الى أحدية معرفة الله عن طريق الكشف الصوفى أو التأمل الفلسفى أو كليهما theosophical monism (الأحدية الثيوصوفية) (ابن عربى المتوفى فى ١٢٤٠ م ، والجيلى المتوفى حوالى ١٤٢٨ م)، أما الغزالى فانه تمكن من جعل الصوفية مقبولة فى العالم الاسلامى عن طريق دمج الوضع الدينى التقليدى مع الشكل المعتدل للصوفية · مارست الصوفية نفوذا متعاظما ، من خلال الشعر الصوفى (جلال الدين الرومى) على سبيل المثال ، وتشكيل الطرق الصوفية ·
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 18, p., 327.

الموالد التى عرضـــنا لها ، وعلى وجـه الخصـوص موالد « الزفيتى » و « الانصارى » • وتتماثل حالة « الثريا Chandelier البشرية » الذى ثقب لحمه فى مواضع كثيرة ، ولم يبد أى أثر للألم أو الجرح أو الادماء بعد أن رطب « الشيخ الرفاعى » اصبعه بلسانه ولمس جروحه ، يتماثل هذا مع ما شاهدته من درويش فى « ذكر » مغمور فى « بولاق » • فقد حمل (هذا الدرويش) حزمة من الأشواك فى نار مجمرة حتى توهجت ، ثم رفع ثوبه المتهدل للحظة ، وضغط (الأشواك المتوهجة) على أضــلاعه حتى انغرست فيه ، ثم أخذ يدور دورات سريعة كبالون لامع مشـتعل ، حتى انسحب فجأة من الجمهور المهتاج ، وصـفع بأشواكه بعض المشايخ الذاكرين حوله صفعة خفيفة •

ومن أهم الطرق الصوفية ، طريقة « السيد البـــدوى » فى طنطا والمســماة « بالأحمدية » • كذلك فان لفروعها التى تتضمن « الطريقة البيومية » نســـبة الى على البيومى (انظر وصف مولده فيما بعد) ، الشـــعراوية ، الشــناوية ، وأولاد نوح — لفروعها هذه نفس الأهمية والشعبية • وتجذب هذه الطرق الأخيرة الاهتمام بشــبابها ، بالطراطير فوق رؤوسهم ، سيوفهم الخشـــبية ، السبح beads ، والفرقلات ويشاهد هؤلاء en evidence فى موكب « طنطا » •

هناك أيضا الطريقة « البرهامية » للشيخ « ابراهيم الدسوقى » ، « البـــكرية » و « الدمرداشية » • ولكل شهرته المحلية والعــامة (وهناك أيضا) الطريقة « العزمية » وطرق صوفية أخرى •

من بين الطرق الباقية ، الطريقة « الشــــاذلية » التى أسسها المكى « أبو الحسن الشــاذلى » فى القرن السابع الهجرى ، والتى لا يمكن اهمالها ، ذلك لأنها قوية ومنتشرة فى منطقة القاهرة ، ولها تأثير خيرى بين الفلاحين ، والحرفيين ، وشباب القرى ، وهذه « الطريقة » هى الطريقة المفضلة Par excellence عند الكافة Laity •

يعتبر بليس Bliss مؤلف « The Religions of Syria and Palestine » « الديانات فى ســـوريا وفلسـطين » « الشــاذلية » أكثر الطرق الصوفية روحية • ويرى أن مبادئها ليست تسولا ولا شعوذة ، أو (تدويم) Whirling أو عواء ، أو أكل نار • انها فى نظره متواضعة وخالية من التعمية والغموض والاستعراض • وأستطيع ان أشـــهد أن

كثيرا ممن أعرفهم شخصيا قد انخرطوا فى سـلك « الشـاذلية » برغبة متلهفة فى حياة أكثر شفافية · وينصح الناس الذين يحرصون على أن يكون مستخدموهم أو المتعاملون معهم حائزين لرخص Licenses أو شهادات ، وما الى ذلك من التوصيات ، ينصحون بالاهتمام بالضمانات التى يوفرها « السند » الذى يحمله « الشاذلى » · يستطيع المرء أن يتكلم عما يجد ، لكننى أستطيع أن أؤكد أن الفتيان « الشاذلية » الذى خدمونى كسياس (مفردها سايس) لم يخذلونى أو يخذلوا جوادى أبدا · ولا أستطيع أن أتذكر وجود فاسد بينهم · انهم مجرد أرواح بسيطة أمينة لا تنسى أبدا أن « الله سامع ، الله باصر ، الله عالم » ·

ورغم أن مؤسس (الطريقة الشـاذلية) مدفون قرب « الكعبة » فان له أتباعا وممثلين مشهورين فى مصر · ويبدو اسم « محمد الشاذلى » على الكثير من البيارق ، وفى مواجهة مسجد « السلطان الحنفى » يوجد — أو كان يوجد — ضريح منقوش أعلاه عبارة « زاوية السادة الشاذلية » ·

يمكن تمييز الطرق (الصوفية) المختلفة باللون المتغلب الذى يظهر فى بيارقها ، العمـامات أو الطواقى ، النطـاق والشـارات · فلون « الطريقة الرفاعية » أسود ، والقادرية أبيض ، والسعدية ، والبرهامية والشاذلية أخضر ، والأحمدية أحمر ، وكذلك الأمر بالنسـبة لفروعها ، البيومية ، الخ ·

قبل ترك الاعتبارات الخاصة للطرق الصوفية ، قد يكون من المفيد جدولة تواريخ مؤسسى « الطرق » التى نحن معنيون بها :

يأتى اسم جلال الدين (الرومى) فى القائمة طبيعيا ، ليس فقط لأن مبادئه الصوفية جعلت الحب والجمال وزهد النفس هى الوسائل للتقرب الى الله ، والعوامل الأولية فى تاليه الانسان المطلق (لربه) (ملطفة بذلك صرامة وحدة الاسـلام فى تلك الأيام الصـعبة ، بانسـانيات مدرسـة الاسكندرية ، والمفاهيم الشعرية الايرانية) ، ولكن لأن طريقته « المولوية Maulavis » لهـا تمثيل قوى فى مصر · ولقد كان هذا واضحا للغاية حتى سنوات قليلة ماضية ، وقبل أن يلغى احتفال « عاشوراء » الفارسى ،

اسم الطريقة	مؤسسها	تاريخ ومكان الوفاة
القادرية	عبد القادر الجيلانى	بغداد ١١٦٥ م / ٥٦١ هـ
الرفاعية	احمد الرفاعى	البصرة ١١٨٢ م /٥٧٨ هـ
الشاذلية	ابو الحسن الشاذلى	مكة ١٢٥٨ م /٦٥٧ هـ
صوفى مولوى	جلال الدين الرومى (١٢)	قونية ١٧٢٣ م / ٦٧٢ هـ
الأحمدية	احمد سيد البدوى	طنطا ١٢٧٦ م / ٦٧٥ هـ
البرهامية	ابراهيم الدسوقى	دسوق ١٢٧٨ م /٦٧٧ هـ
السعدية	سعد الدين جيبه	جيبا ١٣٣٥ م / ٧٣٦ هـ
بكتاش	الحاج بكتاش	القاهرة ١٩٣٨ م / ١٣٥٧ هـ
سنوس	محمد بن السنوسى	١٣٥٧ م / ٧٥٩ هـ
العزمية	محمد ماضى ابو العزايم	جرابوب ١٨٥٩ م / ١٢٧٦ هـ

(١٢) جلال الدين الرومى (١٢٠٧ ــ ١٢٧٣) مؤسس الطريقة الصوفية المعروفة باسم « الدراويش الدوارين » Whirling Dervishes أو « المولوية » ــ صوفى فارسى وشاعر ، اكتسب التوقير لتعاليمه الروحية وابتكاراته الشعرية · فى ١٢٣١ م بدأ فى تعليم افكاره الصوفية ، وفى ١٢٤٤ أصبح خاضعا لتاثير شمس التبريزى الصوفى المتجول · كانت أول أعماله الشعرية مجموعة من القصائد العاطفية للتبريزى · أما المجموعة الثانية فكانت ما يسمى بالمثنوى (حوالى ١٢٤٦ ــ ١٢٧٣) وهى مجموعة شعرية فى ستة كتب تحتوى على حكايات وخرافات تتناول بالشرح مطلب الروح الاتحاد مع الله · يتميز الأسلوب الشعرى للرومى بشعور عميق وثروة من التخيل مأخوذة من الحياة اليومية ، وبعيدة عن القواعد الصارمة للنثر الفارسى ·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 11, p. 345

وقبل ان يحرم الابتهاج « بالدراويش الدوارين » Whirling Dervishes ذلك الاحتفـال الذى لم يفهم ، ولم يقـدر · (ومع هـذا) ، فاننـا لانزال نلتقى أحيانا بهم فى ملابسهم المميزة وكساويهم الهندية الحدادية ، ونرى فى الموالد الرقصـة الصوفيـة « السـماع » التى أدخلهـا « جلال الدين الرومى » فى « قونية » ·

ويتحد « البكتاشية » كثيرا مع « المولوية » فى الأصـل والتاريخ والاتجـاه الدينى ، وقد اندمجوا مثلهم فى الاسـلام ، وقليلا ما يرى (البكتاشـية) فى الموالد أو شـوارع القاهرة ، لكن زيارة « لتكيتهم » وحديقتهم الجميلة فى المسجد الكهف للسلطان مغرورى Maghrouri (١٣) فى تـلال المقطم ، كذلك فان محادثة الى الدراويش وكبيرهم (بابا) اللطيف ، تجربة مدهشة ومضنيئة ·

ولا يوجد الكثير « للسنوسية » (١٤) فى « كتاب الموالد » هذا ، لكنها تظهر فى القائمة كدليل على الاستمرار عبر القرون والتمسك بفكر

---

(١٣) راجع الحاشية ١٢ من الفصل الاول ·

(١٤) السنوسية ، طريقة صوفية تسعى الى تطهير النفس ، الى جانب كونها حركة فكرية تهدف الى توضيح المبادىء على أساس منطقى · تلتزم بالسنة وتفتح باب الاجتهاد · تأسست عام ١٨٣٥ على يد « سى محمد بن على السـنوسى » المولود فى ١٧٨٧/١٢/٢٢ فى قرية (الواسطة) بالقرب من مستغانم بالجزائر · درس الفقه واسس الصوفية · فى عام ١٨٠٥ رحل الى (فاس) بالمغرب حيث درس على علماء الطريقة « الدرقاوية » و « التيجانية » ، وانضم الى الطريقة « القادرية » و « الشاذلية » و « الجازولية » ، فى ١٨١٩ أجيز للتدريس واشتغل به فى مسجد (فاس) واصبح له أتباع ومريدون · فى عام ١٨٢٢ اتجه الى مسقط رأسه ثم ذهب الى طرابلس · فى ١٨٢٣ ذهب الى القاهرة وتابع دراسة المذهب المالكى فى الأزهر الشريف ، وفى العام التالى اتجه الى « مكة » واتصل بالشيخ أحمد بن ادريس الفاسى شيخ الطريقة الأحمدية الادريسية · فى عام ١٨٣٦ انضم اليه بعض أتباع الشيخ الفاسى بعد وفاته وأقام فى مكة أول (زاوية) على جبل « أبى قبيس » غربى المدينة · فى عام ١٨٤٠ عاد الى شمال افريقيا ثم اقام فى ١٨٤٢ (زاوية) عند (برقة) بالقرب من « البيضا » سميت « الزاوية البيضاء » ، وكانت اهم الزوايا السنوسية لموقعها الممتاز عن طريق القوافل التجارية بين طرابلس ومصر وتونس ووادای · ظلت « البيضا » مركز الدعوة السنوسية حتى عام ١٨٥٧ · فى ١٨٥٣ نقل « السنوسى » نشاطه الى واحـة « الجغبوب » المصرية بالقرب من الحدود الليبية · توفى السنوسى ١٨٥٩ وترك ولدين هما (المهدى) و (محمد الشريف) · فى ١٨٩٥ انتقل (المهدى) الى (الكفرة) وارتبطت « الجغبوب » بالزوايا التى انتشرت فى الصحراء ونمت الحركة فى عهده ، فربط الزوايا بشبكة طرق ممتازة · بانتقال الدعوة الى (تشاد) ١٨٩٩ دخلت فى احتكاك مع الفرنسيين الذين كانوا يسيطرون عليها ، ونجحوا فى طرد السنوسيين من المنطقة · فى ١٩٠٢ انتقلت =

الدراويش ، الذين لا يمكن قتل صوفيتهم وايمانهم بالله ، بالمدنية ، أو المادية ، أو الالحاد (١٥) ٠

وخير دليل على ما قلت (فى السطور السابقة) هو مولد وتطور « الطريقة العزمية » فى السنوات القليلة السابقة ، والتى يرأسها ابن صاحب الضريح نفسه ٠ انه شئ يدعو للأسف أن لا يستطيع المرء أن يعتمد على سلسلة التناسخ Metemphychoses التى تســاعده على ملاحظة التطور أو الانحدار « لطريقة » ناشئة كهذه ! هل سيطويها النســيان ، كما حدث للكثير من غيرها ، أم هل سيشير نسل « صاحب الطريقة » المكرمون اليه عبر « سلسلة » طويلة كنجم فى كوكبة الأولياء ٠

« والذكر » الذى أشير اليه فيما يتعلق بالاستهلال ، هو الممارسة الأكثر انتشارا فى كل « الموالد » ٠ والكلمة مسماة كذلك من كلمة « ذكر » التى تقابل mention ، حيث ان عنصره الأساسى (أى الذكر) هو تكرار ذكر اسم الخالق « الله » (١٦) ! ويمارس « الذكر » ، داخل أو خارج المسجد أو « الزاوية » ، فى الشوارع ، فى المنازل الخاصة ، وفى كل مكان ٠ وتدخل بعض الطرق « كالبيومية » كلمات أو ايماءات خاصة بها ، لكن هذه (الاضافات) تصعب ملاحظتها بالنسبة للمراقب العادى ، مثل ما بعد « الفاتحة » ، والتمجيدات الأخرى للنبى (ﷺ) وأحباب الله ، فهناك مجال كبير فيما يمكن أن يصاحب أو يرتبط بنطق لفظ الجلالة « الله » ! الله ! الله ! ٠ هناك مقاطع تكرارية انشادية معينة قد اقتبست ، وهذه المقاطع يمكن أن تمتد الى حـد كبير ، هناك أسماء أو صفات لله تختار ، مثل « يا دايم » ، أو « أسماء الله الحسنى » التسعة والتسعين ٠

= زعامة الحركة الى (الشريف) الذى استمر يحارب للفرنسيين حتى عام ١٩١١ عندما انسحبت من الجنوب الفرنسى فى (واداى) ٠ حارب السنوسيون الايطاليون الذين كانوا قد احتلوا طرابلس واستمر القتال بينهما حتى ١٩١٨ عندما اعتزل الشريف السنوسى السياسة واتجه الى تركيا ثم الحجاز حيث مات ١٩٣٢ ٠

ـ الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ـ الجزء الخامس ٠ تحقيق عبد الوهاب بكر ـ هيئة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٩٥ ٠

(١٥) اذا كان صحيحا كما قرات وسمعت ان السنوسيين قد دمروا اضرحة اسلامية بتعصب الوهابيين ، ثم اقاموا نصبا بعد ذلك لمؤسس طريقتهم ، فانه لا يمكن اعتبارهم محل تقدير ، وعلى اية حال ، فان هدمهم للمقدسات يقلل من مصداقيتهم ـ حاشية للمؤلف ٠

(١٦) كان الماجور جاير ـ اندرسون Gayer-Anderson قد ذكرنى بان لفظ الجلالة « الله » يمكن أن يستبدل فى « الذكر » ببعض المسميات الالهية الاخرى مثل « هو » ، « الواحد » ، « الله حى » ، « وياحى » الخ ـ حاشية للمؤلف ٠

ويقود « الذكر » أحد رجال الجماعة الوقورين ، بواسطة « ناى » أو آلة (موسيقية) أخرى بسيطة ، بينما يخلو الايقاع tempo من أى اخطاء . وقد يأخذ العنصر الموسيقى (فى الذكر) شكلا ضئيلا أو معقدا ، كذكر ذكرته فى الصفحات التالية ـ أقصد فى « سيدى الأنصارى » . كان جمال الأصوات التى تنتجها أيد مدربة فى نشوة ، متعة لا تنسى ، معززة بالشكل الجميل ولون الآلات الموضوعة لهذا الغرض ـ الناى ، والسبس Sibs والنــاى flute والطبـول والنقرزان ، والطبـل البلـدى ، والطبـل الشامى ، والباز ، والصنج ، والدفوف الغريبة القوية ، وباقى ما سأشرحه أكثر ، حيث سيرد هذا ببعض التفصيل فى روايات الموالد المشار اليها .

وبصرف النظر عن النطق الايقاعى للفظ الجلالة « الله » وانشاد المقاطع الغنائية التكرارية والصلوات ، فان الغناء (نفسه) ليس مستبعدا من (طقوس الموالد) ، فالمنشدون يستدعون خصيصا لأداء « القصائد » ذات الطابع الروحى ـ الجنسى eroto-spiritual التى تهز قلب الصوفى ، وتماثل بصورة ملحوظة « أغنيات سليمان » (١٧) .

ليس فى اطار هذا العمل ، وقدرة مصنفه أن ينقل بالتفصيل ما يقال أو يغنى فى « ذكر » . وعلى أية حال ، فقد غطى « لين » Lane فى عمله الرائع « المصريون المحدثون » هذا كله ، وأوصى بشدة من لم يتعرفوا عليه أن يقرءوا روايته عن مولدى « النبى » و « سيدى العشماوى » اللذين تقدم فيهما قصـائد كثيرة ومواضيع أخرى ، وأيضـا القطع الموسيقية لكلمة

---

(١٧) أغنية سليمان Song of Solomon كتاب فى « العهد القديم » للانجيل ، تعرف بنشيد الانشاد Canticles . مجموعة من الشعر الغنائى التى تحيى الحب الانسانى . ومسألة نسبة هذه المجموعة الشعرية الغنائية لسليمان (الملك الثالث لاسرائيل ٩٧٢ ق.م ـ ٩٢٢) لا تستطيع أن تصمد للتدقيق . والشعر فى المجموعة يتعرض لنقد كثير فى اكثر من مجال . وتقول بعض المصادر إن شعر الحب الغنائى فى الفترة ٩٥٠ ـ ٧٥٠ ق.م قد جمع والحق بفترة ما بعد النفى الاسرائيلى Post exilic (الفترة الواقعة بين انقضاء الأسر البابلى لليهود ٥٣٨ ق.م الى السنة الأولى للميلاد) ، وقبل بين اليهود المتدينين كقصة رمزية عن العلاقة بين الرب واسرائيل . وقد قبلت الكنيسة المسيحية المبكرة هذا التفسير ، مع جعل القصة الرمزية هى العلاقة بين المسيح وكنيسته . ويفسر بعض المثقفين الأغنية بأنها مجموعة من التراتيل للحب الحقيقى ، المتطهر بالوحدة . يصف الشعر الطبيعة وجسدى الذكر والأنثى بشبق متوهج غير متعب .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol., 18, p. 64.

« لا اله الا الله » ، والتى يجب أن يركز على موضعها فى الذكر مثلما تنال « الفاتحة » هذا التركيز (١٨) ٠

وهناك مظهر آخر من مظاهر « المولد » ، يرتبط بشدة « بالذكر » ، هو قراءة القرآن ، الذى يقدم أحيانا فى شكل « ختمه » ،(أى) قراءة الكتاب كله ٠ كذلك فان « الحديث » يقرأ كثيرا ٠ ويقدم « لين » فى نفس الفصل وصفا « للدوسة » (١٩) التى أهملت الآن ، ولرد الفعل لبعض الذين

(١٨) قدم « ادوارد وليام لين » فى « المصريون المحدثون » وصفا تفصيليا « لذكر » فى الاحتفال « بمولد النبى » و « الشيخ درويش العشماوى » بالقاهرة ، فقال ان الذكر بدأ بعد ثلاث ساعات من الغروب ، واستمر ساعتين ـ بدأ الذكر بقراءة الفاتحة ، بعد أن صاح شيخ الدراويش قائلا « الفاتحة » ـ ثم انشد الذاكرون : « اللهم صل على سيدنا محمد فى الأولين ، وصل على سيدنا محمد فى الآخرين ، وصل على سيدنا محمد فى كل وقت وحين ، وصل على سيدنا محمد فى الملأ الأعلى الى يوم الدين ٠ وصل على جميع الأنبياء والمرسلين من أهل السموات والأرض ٠ ورضى الله تبارك وتعالى عن سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعن جميع أصفياء الله الاخرين ٠ حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠ اللهم ياربنا ، يا واسع المغفرة ، يا أرحم الراحمين ٠ اللهم آمين » ٠

أعقب هذا لحظة صمت ، تلتها عودة الى قراءة الفاتحة بسكون ـ ويسمى هـــذا « استفتاح الذكر » ويطبق فى جميع الطرق الصوفية ٠ بدأ الذكر بعد ذلك بانشاد الذاكرين وهم جلوس وببطء عبارة « لا اله الا الله » منحنين رأسا وجسدا ، مرتين كلما رددوا قولهم السابق ٠ ظلوا هكذا ربع ساعة تقريبا ، ثم أعادوا العبارة بالنغمة نفسها ، فى مدة متساوية ، ولكن على قياس أسرع ، واثناء ذلك أنشد المنشدون عدة مرات أجزاء من قصيدة أو موشح على النغم نفسه أو على تغاير منه ، تشير الى الرسول محبة ومديحا ٠ ويتخلل الذكر صياح أحد المنشدين بكلمة « مدد » مضخما كل مقطع ٠ وبعد ذلك يردد « الذاكرون » العبارات التى سبق لهم ترديدها على نغم مختلف وفى مدة مماثلة ، ببطء شديد اولا ، ثم بسرعة ٠ يعقب ذلك نهوض الذاكرين وقوفا بالنظام الذى جلسوا به ، ويرددون نفس العبارات بنغم آخر عميق أجش ، مع تشديد الصوت عند لفظة « لا » وما قبل المقطع الأخير من الكلام اللاحق ٠ واثناء ذلك يدير الذاكرون رؤوسهم يمينا ويسارا عند قول « لا اله الا الله » ، ورويدا رويدا يبدون أكثر هياجا ويرددون كلامهم بسرعة متزايدة ويديرون رؤوسهم بعنف ويحنون أجسامهم فى نفس الوقت ٠ ويتخلل ذلك مرور « الاشارة » (أى بيرق الطريقة) بين الذاكرين ٠ وخلال الاستراحة يتناول الذاكرون القهوة ويدخنون ٠

ـ ادوارد وليام لين « المصريون المحدثون » مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢٨ ـ ٣٣١ ٠

(١٩) الدوسة كما وصفها « لين » هى نوع من الطقوس التى يقوم بها اتباع « الطريقة السعدية » ، ومقتضاها ركوب « شيخ الطريقة » حصانا يمر به فوق أجساد عدد من الاتباع المنبطحين جنبا الى جنب على الأرض والمتلاصقين بقدر الامكان وأرجلهم ممدودة وأذرعهم تحت جباههم وهم يهمسون باسم الله ٠ وقد ذكر « لين » ان دوس الحصان لظهور هؤلاء الراقدين كان يسبقه جرى اثنا عشر درويشا حفاة على ظهور المنبطحين ، ويضرب بعضهم « الباز » ويصيحون « الله » ٠

ويعتبر هذا العمل « كرامة » أحدثتهـا قوة غير طبيعية منحت لشيوخ الطريقة ـ و « الكرامة » هى عدم اصابة أى من المنبطحين بأذى رغم دوس الحصان لظهورهم ٠

ـ المرجع السابق ، ص ٣٣٢ ٠

ساعدوا في الذكر • ويذكر « لين » من بين أشياء أخرى inter alia هتاف المنشدين بكلمة « مدد » (٢٠) ، كنوع من التضرع من أجل العون الالهى « أو القوة » • ولقد سمعت مثل هذا ، وانى لمندهش لهذا التوازى لهذه الكلمة (مدد) مع كلمة dynamis (٢١) التى يهتف بها فى أجزاء من القداس mass اليونانى الأرثوذكسى ، وهى كلمة طقسية Liturgical تظهر فى (اعمال) ســانت كريســوستوم St. Chrysostom (٢٢) • ورواية « لين » Lane عن الخصى eunoch الأسود الذى أصبح « ملبوسا » (أى تلبسه الجان) ، ومصروعا epileptic فى النهاية ، والذى كان يزبد من فمه ، وروايته عن حارسه الذى كان يهتز ويهمهم بصورة مرعبة ، كل هذه مناظر معتادة فى مثل هذا اليوم • ولقد رأيت أشياء كثيرة فى

(٢٠) لهذه الكلمة « مدد » دلالة باطنية mystical عميقة لدى الشعراء الصوفيين وآخرين • وفى تعليقه على قصيدة شعرية غنائية Ore ـ لجلال الدين الرومى ، يقول نيكولسون Nicholson فى كتابه « Divani Shamsi Tabriz » ان هذا المصطلح مستخدم بمعرفة جلال الدين الرومى ليشير الى الاشباع الابدى Perpetual replenishment للعــالم المحسوس Phenomenal بسلسلة من الفيض من المطلق) • وان المرء ليتساءل عما اذا كانت كلمة Selah المدسوسة فى « مزامير داود النبى » لها هذه الدلالة • حاشية للمؤلف •

و selah كلمة عبرية معناها غير معروف ، يحتمل أن تكون متصلة بكلمة Sâlâh وتعنى « راحة » rest • وفى « المزامير » تأتى الكلمة مرارا فى نهاية المقطع الشعرى ، ولا يعرف معنى لها ، ولكنها تفسر مرارا كاشارات الى فترة راحة Pause موسيقية • أما « داود » فهو ملك اسرائيل الثانى (١٠٠٢ ـ ٩٦٢ ق•م) المتوفى حوالى (٩٦١ ق•م) • تنسب الى « داود » « مزامير داود أو كتاب المزامير Book of Psalms • فى العهد القديم للانجيل يعتبر الكتاب اكبر مجموعة من الشعر الدينى العبرى • يتألف الكتاب من ١٥٠ قطعة مقسمة الى ٥ أجزاء • الفت المزامير كل بمفردها فى الفترة من القرن العاشر الى القرن الرابع ق•م • وتنسب المعتقدات القديمة « المزامير » الى الملك « داود » • لكن عناوين بعضها تحمل أسماء موسى ، سليمان ، ايثان ، وعساف كمؤلفين •

— Webster Unabridged Dictionary 2nd edition. USA. 1982, p. 1644.
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vols. 6, p. 48, 15, p. 584.

(٢١) Dynamis كلمة يونانية تعنى « قوة » Power .
Maxim Newmark « Dictionary of foreign words », Op. cit., p., 75.

(٢٢) St. Chrysostom سانت كريسوستوم Chrysostom, Saint John القديس يوحنا فم الذهب Golden mouth (حوالى ٣٤٦ ـ ٤٠٧) بطريرك القسطنطينية وأحد اباء الكنيسة الأربعة الشرقيين • تعلم اللاهوت على يد تيودور الطرسوسى Diodore of Tarsus . التحق بالكنيسة عام (٣٨١) كشماس deacon ، وفى ٣٨١ أصبح قسا Priest وفى الاثنى عشر عاما التالية لقيت عظاته ترحيبــا كبيرا • فى ٣٩٨ أصــبح بطريركا للقسطنطينية ، له اصلاحات عديدة ـ يحتفل بعيده فى ١٣ نوفمبر للشرقيين و ١٣ سبتمبر للغربيين .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol., 4, p., 421.

نفس الموقع الذي كتب عنه « لين » ، وقد كتبت عن هذه الأشياء في روايتي عن مولد « العشماوى » وآخرين · ومن النادر للغاية أن يثار أى شك حول « تصنع » putting on الشخص موضع الدراسة لمثل هذه الاعراض ، أو أنها نتيجة لأى شيء غير الحماس المتزايد والاخلاص ·

أدى الأمر بذكر « الله » ، والاعتقاد بعدم القدرة على تكرارها مرّارا ، أدى عبر العصور الى هذا التطور الاستثنائى · فمن خلال العقيدة الصوفية وغيرها من التأمل الروحى ، كان هدف « الذكر » هو « الجذب » ، الغشية الجذبية عندما تغسل الروح كل النفايات الكونية وتمتص لبعض الوقت فى التطهر الروحى all-soul · « والمجذوب » من « جذب » تعنى (أن يكون المرء) مجذوبا drawn « بواسطة الله » ، وهى (كلمة) افضل من « مليوس » (لوصف) هذه الحالة التى تفقد فيها الأشياء الدنيوية كل السيطرة ، وحيث تدرك الحقائق فى عالم آخر ·

واذا وجد المشاهد غير الخبير (أن) الهتافات الجشاء للذاكرين ، وتلوى أجسادهم ، والشكل الخارجى للذكر أشياء بشعة أو مضحكة ، واذا وجد أن المظاهر المطلقة « للجذب » مفزعة وبغيضة ، فان عجبه واعجابه لابد سيحدث للنشوة والعزلة الكلية عن العالم التى وصل اليها (الذاكرون) ، وأيضا لكمية الجلد (بفتح الجيم واللام) الجسدية التى يبدونها ·

عليه أيضا أن يتذكر ، أن الشرق أكثر تحررا من الغرب من قيود الخجل ، والعار الزائف pudor malus والوسائل الغربية على العين التقليدية المتحفظة ، وأن (الناس هناك) اميالون لاهمال قيود الدنيا (والانغماس) فى طقوس غير تلك التى فى الاسلام : كالجلد flagellation والرؤية الوسطية omphaloscopy (٢٣) فى النصرانية ·

---

(٢٣) ربما كان قصد المؤلف هو ان اهل الشرق ميالون الى ترك ملذات الدنيا ، الى تعذيب النفس عن طريق اجهاد الجسد (بالذكر) وهو ما يماثل جلد الذات فى النصرانية · وبالنسبة للكلمة Ompholoscopy فقد ترجمتها على اعتبار أن Omphalo تعنى السرة Omphalos باليونانية وأن Scopy لاحقة تعنى الرؤية أو الملاحظة ـ ولما كانت السرة هى الثقب الذى يتوسط البطن Navel ولما كانت navel تعنى ايضا النقطة المتوسطة أو المركزية لاى شيء ، فقد ترجمها على هذا النحو ·

— Webster Unabridged Dictionary, pp., 1198, 1248.

كانت رقصة التدويم Whirling (السماع) تؤدى فى « الذكر » مرارا على ما يبدو أيام « لين » ، واننى لسعيد أن أقول اننى رأيت (هذه الرقصة) كثيرا فى « أذكار » الموالد فى السنوات الحالية ، ودهشت للغياب الكلى للاعياء والدوار بعد تدويم مدوخ لأكثر من عشر دقائق ٠

ولا يقتصر « الذكر » اطلاقا على الدراويش أو حتى الشيوخ : فقد تشارك العامة من المؤمنين فيه بحرية ــ رجال كبار وشباب ، بل وصبية صغار ، وأحيانا نساء ٠ وفى بعض الأحيان ينظم الأطفال الصغار « ذكرا » صغيرا خاصا بهم ويتصرفون تماما كالكبار ، الذين لا يتدخلون طالما كانت نوايا (هؤلاء الأطفال) حسنة ٠

ومن المعتاد أن يمهد السبيل الى هذه « الأذكار » (جمع ذكر) بالمواكب ، التى قد تكون من أبسط الأنواع ، مجرد عدد قليل من المشايخ وآخرين ومعهم فانوس ورقى كبير ، فى افتتاح المولد ٠ ومع قرب انتهائه فان (الذاكرين) يمهدون بازاحــة النقاب عن الســاحة envergure حتى اذا جاءت عشـــية العيد ، أو فى مراحل قليلة من اليوم (العيد) نفسه ، (فانهم) يقدمون ــ عندما يكونون فى أحسن حالاتهم ــ أحد أجود المشاهد ذات الطبيعة الدينية التى يستطيع الشرق أن يقدمها ، وحتى فى الموالد الصغيرة ، فانها تستحق المشاهدة ٠

تبتعد الفوانيس الورقية أو يضـــاف اليها مشـــاعل أو مجامر (جمع مجمرة) حديدية مكشوفة على أعمدة ٠ ويغذى كل « مشعل » باستمرار بخشب سريع الاضطرام لغرضين : انارة الطريق اذا كان الموكب ليلا ، وشـــد جلد الدفوف والطبول وما يشابههما من الآلات ٠ وعمل الدراويش على هذه (الآلات) ، وخاصة الطبول الكبيرة المعروفة باسم « بدير قدرى » و « بدير عروسى » ، مجفل ، ويماثل فى بعض الأحيان سيلا من اطلاق النيران ، وأكثر من ذلك عندما يعالجون (هذه الطبول) بكل رفق ، فوق رؤوسهم ، مؤدين فى نفس الوقت نوعا من الرقص ، عندما تســـير الزفة أحيانا ، وأحيانا أخرى عندما يتحلقون بينمـــا (الزفة) متوقفـــة ٠

ثم تأتى بعد ذلك البيارق (مفردها بيرق) الخاصة بالطرق (الصوفية) المتعددة ، والتى تحمل شعارات اسلامية ، وأسماء محمد (ﷺ) وخلفائه « أبو بكر » ، « عمر » ، « عثمان » ، « وعلى » ، أو شكل الطريقة واسم فرعها . و « البيرق » هو نوع من « الراية » gonfallon معلق على عمود ، وعلى قمته هلال أو كلمة « الله » من النحاس ، أو بعض الرموز المقدسة . وعدد البيارق هذه فى « مولد » كبير ضخم . وحتى فى مولد « أبو العلا » (٢٤) فى عام ١٣٥٧ (١٩٣٨) ، حيث كانت « الزفة » نوعا من « التسوية » عقدت فى العاشرة مساء ، فقد شاهدت حوالى ثلاثين بيرقا (للطريقة) الشاذلية وحدها ، بعنوان « الطريقة الحامدية الشاذلية » - والاسم المحلى للفرع ، بما فى ذلك اسم قريتى « بين السرايات » والعزب المجاورة « كالدقى » و « ميت عقبة » (٢٥) .

يظهر الدراويش فى هذه المناسبات العظيمة بشعاراتهم وألوانهم ، وقد يتم التعرف عليهم من خلال العبارات التى على البيارق (التى يحملونها) . لكن هناك بعض الحيرة بشأن « اللون الأخضر » حيث انه ليس فقط اللون المفضل « للطرق » ، لكنه أيضا اللون المميز « للأشراف » . ومع هذا فان « الأخضر » الخاص بهؤلاء المنحدرين من نسل النبى ، من درجة داكنة متميزة ، وعماماتهم على وجه الخصوص ضخمة بصفة عامة .

---

(٢٤) هو الشيخ الصالح حسين أبى على المكنى بابى العلاء . سكن فى خلوته بزاويته بالقرب من النيل فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . اعتقد فيه من بين كثيرين الخواجة نور الدين على ابن المرحوم محمد بن القنيش البرلسى ، فجدد زاويته وخلوته وانشأ له مسجدا والحق به قبة دفن فيها الشيخ عندما توفى سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٦ م) - المسجد على طراز مدرسة ذات أربعة أيوانات متعامدة مزينة بالنقوش . أجريت للمسجد عمارة فى ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م ، وأخرى فى ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧) . فى ١٩٢٠ أجريت للمسجد اصلاحات شاملة واعتبر حرم حى بولاق باعتباره يقع فى أول شارع فؤاد (٢٦ يوليو حاليا) من ناحية الزمالك . فى ١٩٢٥ قام الملك فؤاد ملك مصر وتتئذ بتجديده وتوسيعه ، ثم افتتح المسجد بعد التوسعات الملك فاروق فى ٥ يونيو ١٩٣٦ .

حسن عبد الوهاب « تاريخ المساجد الاثرية » ج ١ - مكتبة الدار العربية للكتاب - ١٩ - ص ٢٧٦ - ٢٨٠ .

(٢٥) لاحظ أن مناطق « بين السرايات » و « الدقى » و « ميت عقبة » كانت مجرد قرى وعزب عام ١٩٣٨ - قارن هذه المسميات الآن وقد زحف العمران اليها .

ويزيد من أثر « المشكال » Koleidoscopic وجود الرقع (الملونة) فى الدلوق (مفردها دلق) الرثة (للدراويش) (٢٦) ، والثياب المغزولة باليد والمصـــنوعة منزليا ، والعباءات التقليدية ذات الألوان الكثيرة ، أيضـــا الهراوات اللافتة للنظر ، السيوف الخشبية وما الى ذلك ، أغطية الرأس ، العمامات والقبعات بأشكال والوان لا تحصى ، والطراطير (مفردها طرطور) التى لا يقتصر (لبسها) على أولاد نوح ، لكن تأثيرها شديد على الأطفال ، وتاخذ الطراطير أيضـــا أشـــكالا تعبدية غريبة ، وذلك بعرض رموز مقدسة وتضرعات لأولياء عديدين · ولقد كشف « لين » فى الاحتفال بعاشوراء « العاشر من محرم » (عن عبارات) على طرطور من نوع ردىء فى مسجد سيدنا الحسين (هذا نصها) :

« يا أبو بكر ـ ياعمر ، ياعلى ، ياحسن ، ياحسين ، ياسيدى أحمد الرفاعى ، ياسيدى عبد القادر ، ياسيدى الجيلانى ، ياسيدى أحمد البدوى ، ياسيدى ابراهيم الدسوقى » ·

أما الشخصية الرئيسية فى « الزفة » فهو « الخليفة » ، الذى يختار باعتباره أقرب الممثلين المتوفرين « للولى » أو « الشيخ » الذى يحتفل بمولده ، وغالبا ما يكون من نسل الخليفة أو الشيخ المباشر ·

ومن الأفضل (للمشاهد) أن يكون حاضرا (الموكب) من بداياته الأولى ، عندما تتجمع الوحدات المختلفة بكل أبهتها ، بينما يركب هذا النبيل (أى الخليفة) بوقار حصانه المطهم ، وكثيرا ما يركب معه صبى صغير من طائفته فى زى بدوى فاخر · ويجرى هذا غالبا فى مكان بعيد عن الموقع (موقع الضريح أو المولد) ، والمكان الأثير هو ضواحى أو مجاورات مســجد ســيدنا الحسين · وهذا هو ما يحدث فى (مولد) « سيدى البيومى » ، الذى (ينعقد موكبه) فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، فالجماعات ذات منظر رائع ، والمسافة كلها الى المسجد (والتى تســـتغرق حوالى

---

(٢٦) المشكال ـ اداة كالمصباح تحتوى على قطع زجاجية ملونة متحركة ، ما ان تتغير اوضاعها حتى تعكس مجموعة لا نهاية لها من الأشكال الهندسية المختلفة الالوان ـ أما الدلق بكسر الدال وجمعها (دلوق) فقد وردت فى ص ٣٤ من النص عندما تحدث المؤلف عن « الصالح ايوب » ، ونكر انه كان يجلس فى « دلق » مهلهل يصلح السلال · كذلك فقد ورد ذكرها عند « لين » فى « المصريون المحدثون) ، ص ٣٤٣ فى معرض حديثه عن « الصالح ايوب » ايضا ، ونكر انه كان يلبس « دلقا » ويعيش على صناعة السلال وغيرها من الخوص ـ وفقا لمكفرسون فان الدلق هو معطف مرقع من الوان مختلفة يرتديه الدراويش والأولياء ـ راجع الملحق (٢٥) ·

ـ ادوارد وليام لين « المصريون المحدثون » ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٤٣ ·

ساعتين) (تقطع) عبر منطقة مهيبة من المدينة القديمة · وتجتمع « زفة » « (سيدى) مرزوق » فى نفس الوقت تقريبا فى البقعة التاريخية خارج « باب النصر » (٢٧) ، بمنطقة العادلية ، وتوفر مشهدا جميلا · ثم تشرع (الزفة) فى التحـرك تجـاه المسـجد فى طـريق غير مبـاشر ، مخترقة « الموسكى » (٢٨) وتدور حول (مسجد) سيدنا الحسين ·

كانت « الزفة » فى الأيام القديمة (أو كما يبدو أنها كانت تسمى فى ذلك الوقت : الاشارة) حدثا قوميا واسلاميا كما فى حالة « الشيخ الطشطوشى » ، وكانت « زفة » « أبو هريرة » فى الجيزة فى « اثنين » عيد الفصح القبطى صباحا ، كانت وما زالت حتى الآن ، ضخمة ، وقديمة للغاية ، وهامة · ولا يزال لها بعض الشعبية والرواج · وحتى الوقت الحالى فان زفة « الشيخ حمزة » تقام ــ وأعتقد أنها ستستمر فى المستقبل ــ بعد الظهر عند مسجد « العشماوى » · « لسيدى سليم » فى بولاق « زفة » رائعة لا تزال تقام بعد الظهر ، حيث تلفت النظر الشارات المميزة للطرق « الرفاعية » ، « القادرية » و « الشاذلية » ·

---

(٢٧) باب النصر ــ بنى جوهر الصقلى سورا للقاهرة فى ٣٥٩ هـ وبنى امير الجيوش بدر الجمالى سورا آخر للمدينة فى ٤٨٠ هـ ــ كذلك فان صلاح الدين بنى سورا ثالثا فى ٥٧٢ هـ ــ وقد احتوت هذه الأسوار التى كانت تحيط المدينة لاغراض الدفاع على بوابات لخروج الناس ودخولها · وقد عدد جومار Edme Francois Jomard لمدينة القاهرة واحدا وسبعين بابا ، كان أهمها باب السيد ، باب طولون ، باب السيدة ، باب القرافة ، على الطريق الى مصر العليا ، باب الوزير ، وباب الغريب جهة الشرق ، باب الحسينية وباب النصر الذى انشاه امير الجيوش بدر الجمالى فى ٤٨٠ هـ ، وباب الفتوح ، وباب الغدر ، وباب الحديد جهة الشمال ومصر السفلى ، باب اللوق ، باب الناصرية جهة الغرب أو النيل · وكثير من هذه البوابات (مثل باب النصر وباب الفتوح) تنتمى الى سور قديم كان يقع وقت جومار داخل المدينة ويشغل كل الجانب الشمالى ــ ويقع باب النصر الآن فى شياخة الجمالية بحى الجمالية بالقاهرة ــ وبها شارع باسم شارع باب النصر ·

ــ جومار « وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل » نقله عن الفرنسية وقدم له وعلق عليه أيمن فؤاد سيد ــ مكتبة الخانجى ــ القاهرة ــ ١٩٨٨ ــ ص ٧٩ ــ ٨٠ ·

ــ تعداد سكان القطر المصرى ــ مرجع سبق ذكره ·

(٢٨) الموسكى ــ أحد اقسام مدينة القاهرة ، يقع بين منطقة العتبة الخضراء وحى الأزهر ، وحى باب الشعرية يسارا وحى الدرب الأحمر يمينا ــ كان يتبعه فى النصف الأول فى القرن العشرين ست شياخات هى المناصرة ، درب المهابيل ، العشماوى ، درب البرابرة ، كوم الشيخ سلامة ، درب الجنينة ·

ــ تعداد سكان القطر المصرى ، مرجع سبق ذكره ·

وبالنسبة « للزفات » المسائية ـ فان « زفة الانصاري » تدور ذهابا وجيئة حول ضريحه ، وتستريح دائما في جولتها عند « مسجد المرصفي » الذي يقع دون مستوى الأرض ، والذى يأتي مولده فى / قرب نفس موعد هذا المولد · أما « زفة أبو العلا » فانها تتجمع فى « السبتية » (٢٩) حوالى التاسعة ، حيث يوجد (للطريقة) الشاذلية مستودع لبيارقهم هناك ·

ورغم أن الدفوف tambourines التى أشير اليها مسبقا هى أكثر الآلات التى ترى أو تسمع اثارة فى هذه المناسبات ، فانها ليست على الاطلاق الالات الوحيدة · فمن بين الآلات الأخرى الصنج Cymbals ، آلات النفخ المتنوعة من « الزمارة » الصغيرة الى « الأرغول » الطويل للغاية وذى الصوت العميق ، وكذلك الصفارة flute ، والأنواع العديدة من النقارات ، وتصنع هذه النقارات من الخزف ونهايتها الصغرى مفتوحة ، وتغلق (من النهـــاية الأخرى) بجلد مشـــدود (٣٠) · وفى بعض مواكب الموالد تتنافس الطبول المتنوعة مع الدفوف (الطار) ـ وعلى ســبيل المثال ، فان « يوم الزفة » فى (مولد) « سيدى عبد الرحيم » (يشهد) الطبول المحملة على الجمال Camel drums وطبـولا أخـرى (يستحب) رؤيتها الى جانب الاستمتاع بصوتها ·

وقد يحدث أن يقطع (موكب الزفة) بعض الموسيقيين الجوالين ، كما تقطعها بعض العناصر الدخيلة ، والتى يستمتع البعض ـ من خلال العـــادة القديمة ـ بقبول (تدخلهم) كنوع من التكافل : ومن هؤلاء (المقاطعين) أصحاب الألعاب البهلوانية السكندريون الذين يقومون بدور الطليعة لأغلب « الزفات » الكبيرة كمشهد جميل وغير ضار · كذلك قد ينضم الى « الزفة » بعض المواكب الخاصة ، وعلى الخصوص مواكب الختان Circumicion ، تعميما للفائدة لكلا الموكبين ·

ومن الطبيعى أن تكون هناك فترات استراحة فى طريق الزفة ، وقد تقطع هذه الفترات بعروض خاصـــة من الرقص الطقسى ritual الذى يتضمن أحيانا رقصة « السماع » مع الموسيقى عادة ، وفى الليل بالمشاعل ،

---

(٢٩) السبتية ـ احدى شياخات حى بولاق الست والثلاثين ·
ـ تعداد سكان القطر المصرى ، مرجع سبق ذكره ·
(٣٠) المقصود هنا الطبلة ·

والسراج ، والفوانيس (٣١) ، والكثير من أدوات الاضاءة • ولقد استعرضت زفة « أبو العزايم » فى عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩) بثريات ضخمة متصلة بسلندرات كبيرة نسـبيا ومزودة بجهاز ضـغط يماثل وابور الطهى (بريموس) — وهى تضىء بشكل فعال ، لكنها ليست ابتكارا جميلا • وقد يتوقف المشـاركون عند « باب المتولى » وأماكن أخرى من أجل تلاوات « قرآنية » ، « والفاتحة » ، وبعض الصلوات الأخرى ، وهى اجراءات عادية فى الزفة •

ويدهش « الرفاعية » ، والطرق المماثلة المشـاهدين أحيانا ببعض الأعمال الخارقة كأكل النار وما أشبه ، رغم أن هذا ليس أمرا معتادا كما كان فى الأيام الماضية ، وفى الواقع فان من يرافق « الزفة » كثيرا ، يصادف الكثير من المفاجآت والتجارب • وأنا لا أستطيع أن أنهى ملاحظاتى هذه عن الجانب الخاص بالمواكب فى « المولد » بصورة جيدة ، دون الاشارة الى حكايتى التالية فى مولد « الزفيتى » •

كان المظهر الملحوظ (فى هذا المولد) هو احياء « الدوسة » مع بعض الاختلافات التى لم يكن ممثلو « الزفيتى » فيها ممتطين ظهور الجياد عندما كانوا يطأون ظهور الدراويش المستلقين على الأرض ، كذلك فان الأخيرين كانوا يلامسون الأرض بأصابعهم وأمشاط أقدامهم فقط وربما برؤوسهم • كانت أجسامهم وأعناقهم مستندة على أطراف خناجر طويلة صلبة حادة من النوع الدراويشى المعروف باسـم « دبوس » ، والذى سيشرح فى هـذه الرواية • كان تاريخ هذا الحـدث فى ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) •

وقبل الوصول الى الاحتفالات التى يختتم بها المولد ، فان هناك بعض العادات وشبه العادات الدينية تسـتحق الاشـارة • من هذه العادات « الختـان المجـانى » free Circumcision ، مواعظ الشارع ، وتوزيع الأحجبة Protective charms •

---

(٣١) سراج ، الخ — سراج ، سرج surug رغم استخدامها فى العربية ، التركية ، والفارسية كمصطلح عام لكلمة مصـباح Lamp ، فانها تبدو هنا وكأنهـا منطبقة على « لمبة الزيت » الصغيرة ذات الفتيل العائم ، مثل لمبة المذبح altor ، والتى اذا وجدت فى « زفة » فهى تحمل على مشعل Cresset لتحفظ فى الضريح • الفانوس ، الفوانيس ، رغم انها « مصباح » Lantern بصفة عامة ، فانها فى الفارسية تقابل المصباح الصينى ذا الأوراق الملونة Chinese Lantern — حاشية للمؤلف •

كنت قد أشرت الى « أكشاك الختان » وصالونات الحلاقة التى تحول مؤقتا الى هذه العملية ، والتى تشاهد فى كل الموالد قرب المسـجد أو الضريح . ويمكن التعرف عليها فورا بالصورة الكبيرة (لعملية الختان) . ويجرى هذا « البتر المقدس » «Ritual mutilation» لكل من الجنسين ، بأيد سريعة وماهرة ، وبنجاح ، فى مقابل قروش قليلة ، أو بالمجان للفقراء . الجو العام هو مؤسسة « فيجارو Figaro's establishment ، كل شخص مرحب به ليجلس ويراقب (ما يجرى) وينشر الشائعات (٣٢). وبالنسبة للذين يرغبون فى خصوصية ، فانهم يستطيعون ان يشهدوا اجراء العملية فى المنزل ، حينئذ يجرى استعراض (للأطفـال الذين سيجرى ختانهم) ، فى ملابس جميلة مع بنات فى سنهم (٣٣) فى عربات مكشوفة فى الشوارع ، مع تفضيل وقت المولد ، الذى تضاف الى « زفته » فرقة موسيقى نحاسية الى جانب حاشيتهم فى ألوان زاهية . ولعميد كلية (المشتغلين بالختان) الدكتور « محمود عنايت الله » الذى يستقر فى الامام الشافعى ، كشك رائع مزين بلمبات ملونة لا حصر لها وزينات ، حيث يروح عن أصدقائه ، وزبائنه وزواره بالمجان ، ويعرض نفس هذا البذخ فى بعض الموالد الأخرى ، وخاصة فى طنطا ، (حيث يجلب) بعض السود « سامبو » (٣٤) فى ألوان الحرب (الملونة بها أجسادهم) لتسلية الضحايا الصغار (أى الأطفال الذين سيجرى ختانهم) بتهريجهم وطراطيرهم ووسائل الاغراء الأخرى ، قبل أن يفطنوا (الأطفال) الى أسباب احضارهم الى هذه

---

(٣٢) فيجارو Figaro ، الخادم الخاص لكونت اسبانى ، كان هو الشخصية الرئيسية فى ثلاثية مسرحية للدرامى الفرنسى كارون دى بومارشيه Caron de Beaumarchais . يعرف « فيجارو » أفضل كبطل لاثنين من الاوبرات operas . حلاق اشبيلية The Barber of Seville (١٨١٦) لجيوكينو روسينى Gioacchino Rossini . والمستوحاة من رواية بومارشيه التى تحمل نفس الاسم (١٧٧٥) وزواج فيجارو The Marriage of Figaro لفولفجانج اماديوس موتسارت Wolfgang Amadeus Mozart (١٧٨٦) والمستوحاة من رواية كوميدية كتبها موتسارت فى ١٧٨٤ ـ بمعرفة الأوبرالى Librettist لورنزو دابونتى Lorenzo Daponte .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 8, p. 75.

(٣٣) استخدم المؤلف عبارة With their harim friends ـ وقد ترجمتها الى (مع بنات فى سنهم) لتقابل المعنى الذى يقصده المؤلف .

(٣٤) السامبو Sambo مولد احد أبويه زنجى والآخر خلاسى او هندى احمر ـ لكن الاسم استخدم فى مصر للاشارة الى الأطفال الصغار ذوى البشرة السوداء الذين كانوا يخدمون فى منازل الصفوة فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ـ وقد أظهرتهم السينما المصرية فى افلام الخمسينيات بعمائم بيضاء كبيرة وقفاطين بيضاء واحزمة قماشية عريضة حمراء .

ـ المورد ـ مرجع سبق ذكره .

البهجة ، وفي الحالات العويصة للتغطية على صراخهم (أثناء عملية الختان بالتشويش عليهم بالرقص والتهريج) الذى قد يجلب بعض المخاطر عندما ينتشر فزعهم بين الأطفال الآخرين الذين ينتظرون للختان • لمزيد من المعلومات عن هذا الموضـــوع ، فانثى أحيل القـارىء الى مولد فاطمة النبـــوية •

وفيما يتعلق « بالوعظ » ، فان هناك الى جانب المحاضرات المرخص بها والمحاضرات التقليدية ، والمدائح التى تلقى من فوق « المنبر » وما الى ذلك ، مواعظ ذات طبيعة أقل رســـمية تقدم فى « الذكر » ، البعض منها فى غاية القوة كتلك التى قدمت لهـا فى (مولد) « الأنصارى » ، لكننى فى استخدام مصطلح « وعاظ الشارع » ، أشير الى دعاة احياء الطرائق والعادات السالفة المتحمسين الذين يتخذون موقعا يستطيعون منه ان يجذبوا انتباه جمع ما ، ثم يهزون مشاعر المستمعين اليهم بفصاحتهم النارية • وقد وصفت حالة خطيرة كهذه فى (مولد) « زين العابدين » ، حيث نوم الخطيب البعض وأخاف الآخرين ، وهى حالة فريدة فى تجربتى • وفى الاتجاه المضاد تماما (هناك حالة) الشيخ الواقعى الدمث الكفيف « الحاج حسين » الذى نجد الاشارة اليه فى (مولد) « ستنا عائشة » ، الذى يختتم عظته الدينية دائما (بذكر) (أسماء الله الحسنى) التسعة والتسعين ، وتوزيع بعض النصوص القرآنية • ولقد افتقدته فى العام الماضى أو أكثر ، لكننى أرجو أن يكون لايزال « على قيد الحياة » كما سمعته يرددها • كانت آخر مرة رأيته فيها فى مولد « السلطان الحنفى » ، وقد ثبت فى مكانه بفعل مطر غزير نقعه هو ومستمعيه •

يأتى توزيع « الأحجبة » كثيرا فى أعقاب الموعظة الخلوية ، وهى فى الواقع تمثل فيما يبدو نهـــاية الموعظة والغرض منها • كان « الحاج حسين » يكتب دائما اسم متلقى حجابه ، (ومع أنه) لم يحدد أجرا منتظما (لهذا الحجاب) ، الا أن بعض القطع النقدية الصغيرة كانت تعطى له • ويبدو أن هذا كان الاجراء المعتاد ، رغم أنه كانت هناك بعض الاستثناءات ، فاغلب الدراويش الذين رأيتهم منشغلين فى هذا الأمر بدوا أكثر تمسكا بالأعمال الدينية عن تحصيل الأموال •ولقد عرفت شخصا لطيفا كان يقف قرب باب مسجد « سيدنا الحسين » وقت « المولد » ، وكان لا يتخلى عن الحجاب قبل أن يقدم لطالبه نصيحة مطولة مصـحوبة ببعض الأدعية والمدائح « للحسنين » وبعض القراءات القرآنية ، كما أنه كان يرفض التخلى عن أكثر من حجاب واحد فى المرة الواحدة • ولقد كان هنـاك

الكثيرون من الطالبين الذين كان يمكنه (من خلالهم) أن يجمع نقودا كثيرة لو أنه كان دنيوى التفكير ، لكنه كان يجمع قروشا قليلة بدلا من ذلك ٠

ومن الطبيعى أن يكون التصرف الدينى الرئيسى فى « المولد » هو زيارة الضريح الذى يخص الشيخ الذى يجرى تكريمه ــ والذى اذا كان « وليا » (أى شيخا ذا قداسة متميزة ، وأحد أحباب الله) فانه يعتبر أنه مازال حيا ــ ولنوال البركة ٠ ويتبع هذا ممارسة شعيرة بسيطة (٣٥) ، وتؤدى بعض الصلوات القليلة (للشيخ أساسا من أجل شفاعته) ، ثم توزع التقدمات من أجل / أو للفقراء مباشرة ٠ ورغم وجود عدد وافر من المتقبلين (لهذه التقدمات) ، فاننى لم اتعرض الا نادرا للاستعطاء من جانب أعضاء الجماعات الدينية الذين يعيشون على الصدقات « mendicants » ، والذين وجدهم « لين » فى كل وقت وكل مكان ubiquitous ، ولحوحين منذ مائة عام ٠ لكننى أتذكر فقط مرة أزعجت فيها ٠ كان ذلك فى ليلة مبكرة فى « مولد طنطا » ، لكننى أفترض أننى الذى جلبت ذلك لنفسى بسبب الأسلوب الطائش الذى وزعت به مبلغــا من المال أعطانيه أحد الأصدقاء القاهريين ، الذى لم يستطع أن يأتى (الى المولد) ، والذى سألنى خاصة أن لا أضع النقود فى صندوق (النذور) بالمسجد ، وتوزيعها بدلا من ذلك على الحالات المســتحقة ٠ ولقد أثمرت هذه (الحالات المستحقة) كرؤوس « بريريوس » Briareus (٣٦) ٠ وعندما فرغت النقود ، قرعت طبول الدعوة للتراجع beat a retreat ، محاولا تغطية انسحابى بالتنازل عن نقودى الخاصة ٠ وعندئذ بدا لى كما لو أن معجزة قد حدثت ! فقد رآنى الأعمى من بعيد : وطاردنى الأعرج وفاقد الساقين كالمهر ، وجذبنى المصاب بالشلل الرعاش وذو الأيدى المشلولة كأبطال المصارعة اليابانية Jiu-Jitsu ، وترك طريحو الفراش محفاتهم وشاركوا فى المطاردة ، وبدا لى كما لو كان الموتى قد قاموا (من رقدتهم) بوجوه مروعة ومحاجر عيون غائرة وأذرع معروقة ممدودة ٠ جريت ، ولم أشعر بالأمان الا عندما وصلت الى « برج الساعة » فى الميدان ٠ ومنذ ذلك الوقت

---

(٣٥) تتضمن هذه الشعيرة عادة وضع الأيدى أولا على الضريح ، ثم مسح الوجه بهما ، والطواف حول المقام مع ترديد بعض المديح للشيخ ، وتتضمن الصلاة قراءة الفاتحة ــ (حاشية للمؤلف) ٠

وهل تخلو الصلاة من قراءة الفاتحة ؟ ٠ لكن العذر يلتمس للمؤلف لجهله بقواعد العبادات فى الاسلام ٠

(٣٦) بريريوس Briareus فى الأساطير اليونانية ، كائن خرافى ضخم له الف ذراع وخمسون راسا ٠

— Webster Unabridged Dictionary, Op. cit., p., 226.

فان شكل العمل الخيرى الذى أتبعه هو أن أسبغ على العطشى « سبيل الله » ، « نافورة الله » • وهذا يبدو طيبا ، لكنه يعنى ببساطة شراء « قربة » ، أو دورق من « التمر هندى » ، « العرقسوس » أو أى مشروب ســـكرى مثلج ، بينما اختفى أنا • ولقد اشتريت مرة كل ما مع بائع « دندورمة » (لتوزيعه على الناس) ، لكنه اقتنصنى فيما بعد شاكيا من خشونة المعاملة من جانب الأمهات اللاتى حضر أولادهن الصغار متأخرين (عن التوزيع) ، وطالب بتعويض عن ملابسه التى تمزقت وماكينته التى تخربت •

ومن أعظم أشكال أعمال الخير (فى هذا المقام) منح الحكومة والمنح الخاصة والوصايا التى تخصص لصيانة ضريح ، الانفاق على مولد ، (أو مساعدة) الفقراء • كذلك فان العشاء الذى يقدم للمحتاجين هو أحد الأشكال الخيرية الشائعة • ويمكن ملاحظة هذا الشكل فى موالد النبى (ﷺ) ، سيدنا الحسين ، المحمدى ، السيدة زينب ، وآخرين ، وعلى مستوى خاص صغير فى كل الموالد تقريبا • وقد يكون هذا فى أى / كل ليلة خلال فترة عمار المولد ، لكنه يكون أساسا فى الليلة الختامية • ولعل ابرز الأعياد التى يقدم فيها عشاء هى التى تقع فى الجانب الشرقى لمسجد سيدنا الحسين ، ولقد شاهدت حادثة لافتة للنظر فى عشاء للفقراء فى منطقة العشماوى ـ وهو مشروح فى مولد هذا الولى •

تنهى الموالد المعتبرة هامة ـ أو هى هكذا فعلا ـ باحتفال مماثل فى الأساس لذلك الذى افتتحت به • ويأخذ هذا شكل تشريفة ، وهو حفل استقبال من بين مقدمة ما يقام لأجله فى القاهرة موالد « النبى » ، الامام الشافعى ، والمحمدى • و « مولد النبى » حدث قومى الى جانب كونه حدثا دينيا ، يقام تحت رعاية الملك ، نقيب الاشراف ، العلماء والوزراء •

والعناصر المعتادة (للتشريفة) هى زيارة للضريح ، قراءات للقرآن مع مدائح للولى ، مع نوع من (المدح) المستمر لممثليه الأحياء ، بعض الخطب ، وكلمة من الشخصية التى تترأس الاحتفال ، الذى قد يكون أحد أعضاء النسل المحمدى (أى من الاشراف) ، أو « الخليفة » المحلى ، أو امام المسجد (الذى يقام فيه الاحتفال) أو (شيخ) الطريقة ، أو أحد الأعيان العلمانيين Lay • ولقد كان هذا الأخير هو الحـــالة (التى شاهدتها) فى عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨) فى قنا ، عندما احتل « المدير » كرسى الشرف • (ومع هذا ، فقد يكون محتملا أنه أحد أعضاء الطرق الصوفية) •

وقد تضاف فى بعض الأحيان بعض المراسم ذات الاجلال الخاص ، كذلك المشار اليه فى (مولد) « المحمدى » ، حيث أحضرت شموع مضاءة وعباءات بيضاء . ويحضر العلماء والوزراء والأعيان هذه التشريفات ، وكذلك الكثيرون من الجمهور العام . ويبدو للعيان (فى هذا النوع من المناسبات) الحلوى والسجائر والقهوة (أثناء توزيعها) ، والترحيب والموسيقى فى بعض الأحيان ـ ولقد شاهدت هذا فى كل التشريفات . وكثيرا ما كان العازفون هم صبيان فرقة الاصلاحية الموسيقية فى « بين السرايات » ، الذين كانوا أيضا يسـمعون حتى وقت قريب فى موالد « الطشطوشى » وغيرها خلال الليلة الختامية بأكملها .

يبقى فى النهاية « الختمة » أو « الخاتمة » (التى تحدث) فى اليوم (المفترض أنه يوم مولد) الولى ، والتى تعقب « عشية » (المولد) الكبيرة . وتتضمن هذه « الختمة » فى « سيدنا الحسين » الطواف حول المسجد فى الظهيرة بواسطة بعض الطرق ببيارقها ، الخ ، ولكن فى العادة (هنـاك استثناء لحالات قليلة يمتزج فيها الموكب الكبير بالختمة فى ذلك اليوم الأخير) : فان هذه الطقوس الأخيرة تختلط بازالة الزينات ، رحيل الحجاج الزائرين ، مع وجود رد فعل طبيعى معين بأن هناك جو النزول أو حركة ما بعد المناخية فى الرواية catabasis بعد ذلك الزحف anabasis (الذى كان يحدث) فى الأيام الأولى (للمولد) وذروة الليلة الكبيرة .

أخشى أن تذكر أى شىء بعد يوم « الختمة » الأخير هذا سوف يعطى مذاق الايمان بالأخرويات eschatology . لكننى لا أستطيع أن أحجم عن الاشارة الى طقس صغير لاحظته بعد سبعة أيام من انتهاء مولد « فاطمة النبوية » بنت جعفر الصادق ، مجددا بعضا من ممارسات المولد عند الضريح وعلى مستوى مخفض . لم أكن قد شاهدت أو سمعت بهذا ، وعندما عبرت عن دهشتى لشيخ عند التابوت ، هتف قائلا : « نحن نحتفل « بسبوع » الطفل بعد سبعة أيام من ولادته ، فلماذا لا نحتفل بذكرى ميلاد ولى عظيم بعد سبعة أيام من تاريخ ميلاده ؟ » . ولم أستطع سوى أن أردد (معه) ولم لا !

الفصـل الرابع

المـوالد : الجانب العلمانى منهـا

يستخدم مصطلح « secular » هنا فى معناه الأصلى الصحيح المأخوذ من كلمة « Saecular » كما فى (مصطلح « Carmen Saeculare » ، ومصطلح « Secular Hymn » المؤلفة للألعـاب الرومانية ، ومصطلح « Secular bird » الذى يطلق على العنقاء المصرية Egyptian Phoenix كشىء جليل اجتاز عوادى الأزمنة (١) . وأنا أفضـل كلمة Profance « دنيوى » ، لكن جيلا أحمق قد أساء استعمال مضمونها ، وهى كلمة مثل pro-fanum اللاتينية التى تعنى « أمام المعبد » ، وهى تصف حشـدا فى مولد أمام الضريح ، يكرمون الله والشيخ (أو الولى المحتفل بمولده).

---

(١) Secular _ صفة adjective ، من انجليزية العصور الوسطى Secular Seculere . ومن الفرنسية القديمة Seculier ، وتعنى فى هذا كله « مؤقت » temporal . فى اللاتينية المتأخرة والعامية تعنى Saecularis (دنيوى) Worldy . وفى اللاتينية بصفة عامة تعنى ما ينتمى الى زمن ، وتأتى من Saeculum وتعنى « جيل » ، (زمن) . تعنى الكلمة ايضا ما يحدث او يلاحظ مرة فى العمر أو فى قرن ، او على مراحل طويلة مثل the secular games in ancient Rome ، او ما يعيش لزمن او ازمنة كالعنقاء phoenix التى تسمى Secular bird . أخيرا فان الكلمة تطلق على ما يتصل بالدنيا او باشياء غير روحية او مقدسة او متصلة او مرتبطة بالاشياء الدنيوية ، او منفصلة عن التعليم الدينى والمبادىء كالتعليم المدنى Secular education ، والموسيقى المدنية Secular music . فى روما القديمة كان ما يسمى بال Seculargames عبارة عن مسابقات او احتفالات تقـام احتفالا بالآلهة وتستمر ثلاثة ايام وليال ، وتعقد فى فترات غير منتظمة ، ويصحبها تقديم أضحيات ، منازلات ، عروض درامية وترنيمات Hymns الخ . وكلمة Carmen كلمة لاتينية تعنى « اغنية » ، « شعر » ، « شعر غنائى » فى اللاتينية . والخلاصـة ، ان المؤلف يقصد من مقـدمته هـذه أن مصـطلح Secular يقصد به الاحتفالات السنوية وما يصاحبها من عروض وتسلية .

— Webster Unabridged Dictionary, p. 1641.

بعباوات في جو من المرح الخالي من الهموم • وفي الحقيقة أنني أفصل بطاعة كارهة للعرف ، الجانب التعبدي devotional عن الجانب الدنيوي Secular ، لأن التقدير الشاكر للأشياء الطيبة التي خلقت من أجل متعتنا هي بلا شك شكل مقبول من التقوى والعبادة •

أليس واضحا من كتابات القدامى والكلاسيكيين من الشرق والغرب ، أن الألعاب games تدين بتطورها ـ ان لم يكن اصلها ـ الى الطقوس الدينية ؟ من ذا الذي يستطيع أن يذكر قصة واحدة من قصص الألعاب الكثيرة التي تضمها الصفحات الطويلة من « هومر » Homer ، والتي ليست متممة لمراسم تعبدية • انها أساسية في الواقع عندما تكون هذه الأشياء ذات طبيعة شعبية ؟

لقد أشرت في الفصل الأول الى حكاية فرجيل Vergil ، عن مولد مطابق في الأزمنة القديمة ـ وأعني به (مولد) « سيدي » « أنشيزيس » « Anchises » عند ضريحه في « صقلية » Sicily ـ العبادة ، المسابقات والتضحيات من أجل الناس •

وهؤلاء الذين يفصلون « المسابقات » عن « العبادات » في موالدنا الحديثة انما يتركون « التضحية » في الواقع ، ولكنها « تضحية » ليست من أجل الناس ، وانما تضحية بالناس ، بحقوقهم الموروثة ، بمرحهم ، وبديانتهم مع هذه الأشياء •

ولا تتصل وجهة النظر هذه بحقيقة وجود مكان وحاجة أكثر من ذي قبل في الوقت الراهن الى « روح الدرويش » الصارمة والمتأملة والتي أنتج الشرق منها الكثير « ان هناك بهجة في الأشياء الصارمة » « res severa est verum gaudium » (٢) • وهذه الصرامة والتأمل يخرجان الحدس والالهام من مجال العلوم الانسانية والتفكير العقلي « Transmanar significar per verba » non si poria. Pero l'esem- pio basti a cui esperienza grazia serba (٣) •

---

(٢) Webster Unabridged Dictionary, pp. 1645, 1721, 215, 2050, 451. —

(٣) لم أستطع التعرف على معنى هذه الفقرة اللاتينية •

لقد دعا رهبان ونساك الاسلام « وخاصة الصوفيون » الى الحب والبهجة فى المسائل الدنيوية باعتبارها موصلة الى النشوة فى الأمور السماوية : والكنيسة المسيحية تؤمن بمذهب المتعة hedonistic بافراط فى الطريق الصحيح • والكنيسة ، التى أنجبت جيشا من الشهداء ، وجمهرة من النساك والمتأملين والزاهدين ، تستخدم طقسا مليئا بالدعوة الى البهجة والغناء • وافتتاحيات صلاة القداس فيها تبدأ كثيرا بعظات مثل Gaudete Leatare «البهجة لأحد الربيع الرابع» (٤)• ويضع القديس بولس St. Paul صارم العقل ، الخير والبهجة فى مقدمة كل ثمار الروح • وسليمان Solomon أعقل الرجال ، ومؤلف كتاب التراتيل « Canticles » المحبوب ، وكتب كنسية أخرى ، يصف فى « كتاب الحكمة » « Book of Wisdom » سلوك الحكمة عندما كان الرب يخلق العالم • تقول الحكمة المقدسة والخالدة :

« Eram cum Eo, cuncta compones, et delectabor in singulos dies, Ludens coram Eo omnitempore, Ludens per orbe terrarum ».

« لقد كنت معه ، وكنت أسعد بأيام فريدة ، مقارنة بكل الأيام ، والعب معه وجها لوجه فى كل وقت ، والعب عبر أجراس الأراضى » (٥) • ان الحكمة المقدسة ، رغم أنها جوهرية فى « تكوين كل الأشياء » ، فانها كانت تلعب وتلهو ، وتمتع نفسها ، كانت تلعب كل يوم ، كانت تلعب (أمام الله) كل الوقت ، كانت تلعب فى كل مكان من العالم ، بينما كان الله the Almighty يعمل فى خلق مكان جميل لنا نحن المخلوقات غير المستحقة وغير المقدرة (لما يفعل) • ومع هذا فانها (الحكمة) لم تكن غير مبالية لجنسنا،ذلك أنها هى نفسها تضيف « et deliciae meae filiis hominum » ورقتى مع أبناء الرجال •

---

(٤) Gaudete كلمة لاتينية تعنى البهجة ـ Laetare كلمة لاتينية تعنى يوم الأحد الرابع من فصل الربيع Lent • وكان يسمى هكذا لان الكنيسة المسيحية كانت تبدا الصلاة العامة Service فى ذلك اليوم بترنيمة Laetare, Jerusalem اى البهجة للقدس rejoice jerusalem .

— Webster Unabridged Dictionary, op. cit., p. 1014.

(٥) ترجم هذا النص اللاتينى السيد الدكتور / صالح رمضان ـ فله الشكر •

وبالتأكيد فان لا بابا Pope ، خليفة ، ملك ، أمير ، عاهل ، حاكم ، أو معلم ، لا رجل يجفف بلا رحمة ، أو بلا ضرورة ، الابتسامة بدلا من الدمعة من وجه الناس ، ويأمل (بعد ذلك) فى أن يبتسم له الله أو يجفف له دموعه ·

اغفر لى ، عزيزى القارىء ، لهذا الخلط والتشويش ، ودعنا نذهب الى المولد ــ هذه الشوارع المزينة بالأعلام ، والمزدانة بالأنوار المتلألئة ، المقاهى المزينة ، والمحلات التى يسترشد اليها بالســـطوع المتزايد والبريق ، الانفجار المتكرر كطلقة مسدس ، والذى يشير الى أن بعض الشباب المتلهف قد دفع « الوابور » عبر الطريق المتعرج بقوة ليفجر الكبســـولة عند القمة (٦) : تجاوز الطوابير المتألقة من « العرايس » على أكشاك السكر ، والمراجيح ، وأعشاش الأوز والطرق الملتوية round-abouts ، والأعداد التى لا تحصى من الأكشاك الصغيرة وعربات اليد ، وعبر الجموع حتى تصل الى المقام ، وقد نشهد « زفة » أو نرى « ذكرا » على الأقل · بعد زيارتنا « للشيخ » ، فلنذهب لنشاهد « القره‌قوز » (الأراجوز) ، وخيال الظل المصاحب له والعروض التى نرى فيها أكلة النار واللاعبين بالأفاعى ، وما الى ذلك · نأخذ بعض الراحة فى أحد مسارح المنوعات ، أو فى خيمة لعرض الكلاب ، أو بعض المفاجآت الجذابة : فى الهواء الطلق ، لننضم الى حلقة من الناس يشاهدون لعبة العصا والرقص ، أو حيل الحاوى أو الاستماع الى « الراوى » · فاذا كنت فارسا ، فانك قد تعجب بهذه المخلوقات الجميلة وهى ترقص أو تتبختر ، أو تضرب الأرض بحوافرها بحثا عن الكنز المدفون ، أو (احضر) « مولدا » فى قرية · والسباق مع البدو أقوياء الأجسام وحسنى المنظر · فاذا كنت معنيا بالرماية ، فانك تستطيع أن تصــوب ببنادق صغيرة على أهداف دقيقة فى مــدى محدد ، فاذا كنت مغفلا dunce فى السابق فحسبك أن تكون مجرد فائز · واذا كنت عظيما فى لعبة الكريكيت Cricket ball ، فان مهارتك ستنفعك فى « لعبة القنانى التســع » أو

---

(٦) يشير المؤلف هنا الى لعبة « دفع الطارة » التى تتكون من عربة حديدية على قضبان ترص فوقها الأثقال الحديدية وتدفع بقوة لتسـير الى الطريق المرتفع الذى يتعين أن تسلكه ، فاذا ما كانت الدفعة قوية ارتطمت العربة فى نهاية مشوارها بكبسولة تنفجر معلنة نجاح « دافع العربة » فى طرق الكبسولة ، وفى هذا اعتراف بقوة هذا « الدافع » ، وقد عبر « صلاح جاهين » فى أوبريت الليلة الكبيرة عن هذه المنافسة بقوله على لسان « مشغل » اللعبة « ورينا القوة يا بنى انته وهوه ــ من عنده مروه وعاملى فتوة ــ يقدر بقدارة على زق الطارة ويفرقع بمبة » ــ فيرد أحد الشبان المتحمسين بقوله : « وسع وسع انا ازق الطارة واضرب ميت بمبة ــ دانا الاسطى عمارة من درب شكمبة ــ صيتى من القلعة لسويقة اللالا انا واخد السمعة » ·

ــ أوبريت الليلة الكبيرة ــ تاليف صلاح جاهين ·

(أى مباراة) رماية أخرى • فاذا كانت مواطن القوة فيك هى الأعمال الشمشونية Samsonian deeds ، فانك يمكنك أن تسقط المنزل بفرقعة الكبسولة بوزن من الأثقال (لا يسبقك اليه أحد) محملا على « الوابور » ، أو بقرع الجرس على قمة صار بضربة ثقيلة من مطرقة على سندان (٧) أو بلعبة الأثقال والتعب « Jeudes poids et halteres » أو بدق مسامير فى جذع شجرة •

واذا كنت ممن يولعون بالقمار ، ولم تحضر معك « ملاليم » ، فانك تستطيع أن « تفك » (من فكة) قرشك عند أحد « البنكية » وتبذير عملتك التى حصلت عليها على (موائد الدبابيس) بأنواعها المختلفة (٨) ، أو أن تلعب لعبة « النرد » التى تلون جوانبها بألوان تتماثل مع مربعات (على مائدة) تضع عليها رهانك ، أو أن تلعب لعبة « قذف المليم » « Shove-milliéme » التى تقذف فيها برهانك على مائدة مربعة « table quadrillée » وتكسب اذا سقط (الرهان) فى أحد المربعات الكثيرة دون أن يصطدم بالخطوط (الفاصلة) : ويمكنك أن تراهن على محطة « القاهرة » ، « طنطا » ، « بنها » أو « الاسكندرية » التى توقف الدوران فيها يد دوارة ، أو تزيد اعجابك بفريق من الحمام البيتى أو الفئران ، أو أن تشترى « بنكلة » بسكويتا قد يحتوى أو قد لا يحتوى على عملة تصل الى « بريزة » (عشرة قروش) ، أو أن تكسب زجاجة شربات أو عروسة أو أى ثروة أخرى من على مائدة « المعلوم » المسلية ، عن طريق شراء مظروف الحظ Lucky envelope وقد ترغب فى أن تزيد حدود المال المعتاد وتخسر قرشا كاملا فى لعبة « الثلاث ورقات » ، اذا لم يكن هناك أحد من البوليس •

والمهارة لها دور هنا فى تنويعات كثيرة من (لعبة) « رمى الحلقة » ـ والغرض هو احدى هذه البطات العائمة ، التى تختفى من الحوض اذا طوقت رقبتها ، لتعاود الظهور مع انتهاء المدة المحددة fullness of time ، على مائدة الرامى على ما أعتقد • ولأحاسيس البطة لحسن الحظ ، فانها تمثل الآن على الماء بصفة عامة بطائر خشبى ، يقايض بالشىء الأصلى اذا كسب •

---

(٧) راجع الحاشية السابقة •

(٨) لعبة الكرة والدبابيس Pin ball machine اداة تسلية تتخذ للمقامرة احيانا ، تدفع فيها كرة فوق سطح منحدر وسط دبابيس واهداف •
ـ المورد ص ٦٨٩ •

فاذا هربنا من أحابيل « مونت كارلو » (٩) ، فاننا نسرع الى عجيبى الخلقة من الناس freeks ، ـ هذه « زبيدة » ابنة الستين ربيعا ، وأقل من هذا الرقم بالبوصات (طولا) ، العجل ذو خمس الأرجل الذى كانت تركبه بقوة لخمسة عشر عاما دون أن تبدو عجوزا ، « ثم تأتى المعجزة الكبرى » العملاق ·

« وكثيرون طوال للغاية ، رهيبون كالجرجونات Gorgons مكسوات الرؤوس بالأفاعى بدلا من الشعر والسمك الخرافى (شبيه) الهيدرات hydras ذات الرؤوس التسعة » ·

قرب أكشاك الختان سنرى عملا صغيرا ولكنه دائم ، من أعمال التشويه mutilation ـ وأعنى به «الوشم » tattoing ، وهو عمل يتم بمنتهى الحذق والخبرة ومسل ، وربما كان الأكثر تسلية هو الصور ذات الأطر للتصميمات الملونة على الزجاج للاختيار منها ـ لكن المسلمين الصميمين يختارون الأشكال الهندسية (من الوشم) أو نصوصا قرآنية بخط الثلث ، أو اسما أو عنوانا ، أو تسجيلا لنذر vow : وفيما عدا ذلك فهناك الثعابين ، الأسود ، الطيور ، الأشجار ، الحبيبات ، الخ · وهناك فى بعض الأحيان اختيارات غريبة للغاية · « لقد رأيت فى احدى المرات شابا مخنثا effeminate ذا شعر طويل ، من الذى يصنفه لين lane كـ « جنك » gink (١٠) ، وقد دق وشما يحمل أسماء زبائنه الدائمين ، بقدر ما سمح السطح الملائم بالدق · « كان هذا قرب قنطرة من مجرى العيون الذى أنشأه محمد على ، بعيدا عن مولد « حسن الأنور » الذى كان قائما وقتئذ ·

(٩) Monte Carlo مدينة منتجع فى امارة موناكو Monaco ، تقع على جرف يطل على الريفيرا الفرنسية والبحر المتوسط · تمت المدينة حول أشهر كازينو للقمار فى العالم (بنى ١٨٥٨) ، بها فنادق فاخرة ، فيلات انيقة ، وحدائق جميلة ·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vil. 13. p., 552.

(١٠) مارس الرقص والخلاعة فى الموالد والمناسبات فى مصر شبان كانوا يسمون « خولات » ، يقومون بدور النساء فيرقصون رقصهن ، ويستعملون الصنوج ، لكنهم مع هذا يدفعون فكرة كونهم من النساء ، فيرتدون ما يناسب حرفتهم الطبيعية ، فيلبسون سترة ضيقة وحزاما وجبة ، لكن الأنوثة تغلب على هيئتهم العامة ، فهم يرسلون شعورهم ويضفرونها ، وينتفون شعر الوجه ، ويتكحلون ويتخضبون ، وفى بعض الأحيان يتنقبون عندما يسيرون فى الشوارع فى غير وقت الرقص تقليدا للنساء ، وكانوا يفضلون على الغوازى فيستخدمون للرقص فى الحفلات الخاصة وكثيرا ما كانوا يرقصون فى الحفلات العامة · ويطلق على الفرد من تلك الطبقة « غايش » · وكانت توجد طبقة أخرى من الراقصين الذكور ، يشبهون أولاد « الخولات » فى الرقص والملبس والهيئة العامة ، وتميزهم تسمية =

ومن « غرز » البوظة نسمع نغمـــة من طرقات حديدية فى ايقاع منضبط ، مع بعض الموسيقى الغربية الأخرى · كان مصاحبا لرقصـة سحرية سودانية · لكن هذا يحتاج الى ملاحظة أكثر خصوصية ، كما سيحدث بالنسبة لأشياء جذابة مفهرسة بعاليه ·

ثم نهاجم وليس نغوى برائحة مثيرة من أكشـــاك تطشطش فوق صوانيها أصابع السجق ، أقراص الطعمية ، الفول ، الكباب ، الكفتة ، والأرز ، والعديد من المشهيات ، ويقدم (أيضا بدون سقوط فى الاغواء) الماء المثلج ، الليمونادة ، التمر هندى ، العرقسوس ، الشربات ، ومشروبات أخرى متنوعة · والســـجائر أيضا ــ بما فى ذلك (ماركة) ويلزفلاج Wills Flag ، وهى تشترى عادة الواحدة « بنكلة » (مليمين) : وقد ينظر البائع اليك بارتياب اذا طلبت علبة كاملة · كانت « السبارس » رائجة حتى عام مضى ، عندما حرم تشريع جمع الـ « ميجوت megots »(١١) فى الشوارع أو التعامل فيها ، ميسرا قدرا كبيرامن تجارة محرمة ، وانتاج « سجائر هافانا » محلية بواسطة عصابات صغيرة من المغامرين ، حيث كانت العلامات الأسبانية (التى تلصق على هذه السجائر) تطبع محليا ·

= مختلفة « جنك » · والجنك تحمل اكثر من معنى · فهى آلة ذات أوتار تستخدم فى العزف عند الفرس ، أما عند الجبرتى وأحمد الدمرداش فهى تحمل معنى ممارسة نوع من أنواع التسلية والرقص · ففى الجبرتى ١/٢٥٥ (وزفت العروس فى موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعيب والبهلوانات والجنك والطبول) وفى ص ٤/٢١٨ (وببعض الأماكن والحانات ملاه واغان وســـماعات وقيان وجنك رقاصات) · وفى الدمرداش (٤٣) : (واتى أبو اليسر الجنكى بديوان الغورى بمماليك وجنك اليهود فى ديوان قايتباى) ، (٤٤) : (فكان اول يوم قاضى عسكر بقضاة المحاكم والجنك فى ديوان الغورى) و (٤٥) (واعطى خازندار ابراهيم بك أبو شنب عشرين عثمانى والى كل مملوك خمسة ذهب طره وأرضى الجنك وأرباب الملاهى) · وفى التركية الجنك تعنى الغجر gipsies · وكانت فرق الجنكية فى مصر من اليهود والارمن والاروام والاتراك ·

ــ أحمد السعيد سليمان (تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل) ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ ــ ص ٦٨ ·

ــ جيمس ردهاوس (تورکجه ــ انكليزجه لغت كتابى) ــ استانبول ــ ١٩١٨ ــ ص ٧٣٢ ·

ــ المصريون المحدثون ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ٢٨٤ ·

ــ احمد الدمرداش كتخدا عزبان (الدرة المصانة فى اخبار الكنانة) تحقيق دانيال كريسيليوس وعبد الوهاب بكر ــ الزهراء للنشر ــ القاهرة ١٩٩٣ ــ ص ٤٣ ــ ٤٥ ·

(١١) لم أصل الى معنى كلمة Megots ولعل المؤلف يقصد بها أعقاب السجائر لورودها فى النص فى سياق الحديث عن هذه الأعقاب ·

فاتني شيء واحد ، وفي الحقيقة فانني لم أشاهده منذ « مولد » سيدنا الحسين عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨) ، وهو « حلبة الموت » « Piste à la morte » التي يمارسها (اللاعب) الكندي الجسور « بيلي ويليامز » Billy Williams ، والتي كانت لسنوات شيئا جذابا فريدا • وهي نوع من حفرة الدب bear-pit تغلفها حوائط رأسية طويلة ، (اعتاد) بيلي أن يدور فيها بسرعة دوامية vertiginous على دراجته النارية •

كانت جسارة « بيلي » تتمثل في عصب عينيه بينما يندفع أعلى وأسفل وعلى بوصات قليلة من القمة والقاع في الحفرة ، راكبا هكذا دون أيد أو أعين ، وهذا في حد ذاته أمر فريد ، ومع تقديمه هذا العمل على فترات لا تزيد عن نصف الساعة خلال مدة المولد ، فان المرء يستطيع أن يخفي خوفه من الاحتمال السيئ •

وبالاضافة الى هذه المظاهر والأشياء المعتادة ، فان هناك الكثير من الأحداث المتفرقة والمفاجآت ، التي قد تكون أحيانا مخيبة للرجاء أو حتى مسببة للصدمة ، وفي بعض الأحيان على العكس لدرجة كبيرة ، أشياء تذكر بأيام الفراعنة أو اليونان أو أشياء ماضية التأثير أو مروعة من ابتكار اليوم ، لكن ما هو جاذب للاهتمام دائما ، هو رد الفعل على المتفرجين الذين لا يعرفون شيئا اسمه السأم •

من بين الأمور التي تدعو الى اشارة أقل ايجازا عن المسائل التي أشير اليها سابقا ، هي تلك التي سميت سابقا بأكشاك السكر Sugar booths (في هذه الأكشاك) يجلس البائع جاثما بين رفوفه من التماثيل السكرية التي يطلق عليها الاسم العام (عروسة) • وهي كلمة تعني الفتاة التي تخطب أو تتزوج bride ، والتي قد تشير الى دمية doll ، ذلك أن الشكل الشائع (في هذه التماثيل) هو شكل العروس أو العذراء في ملابس مبهرجة رائعة • ولقد أتيح لي أن أرى (صانعي هذه العرائس السكرية) وهم يصبون السكر الساخن الأحمر أو الأبيض في قوالب خشبية ، في مكان قريب من « باب الفتوح » ، لكن كيفية عمل ذلك ، والنتيجة المكسوة بروعة في زينة ورقية ، بأشرطة من الذهب ، والترتر اللامع ، وباقي الأشياء ، ثم بيع هذه (العروسة) بأسعار تتراوح بين خمسة مليمات ونصف فرنك « عشرون مليما » هو في حد ذاته سر •

وبالاضافة الى « العروسة » ذاتها ، فان هناك (من هذه التماثيل السكرية) راكب الحصان ، البط ، الأرانب ، الكلاب ، الماعز ، الخ ، مفردة أو مجمعه ، ومصنوعة بشكل غير مصقول ومعبر عنها بفجاجة ومنفذة بشكل خشن ، ورغم أن بعض هذه النماذج البذيئة قد منعت في القاهرة ، فان البعض منها لايزال يعرض فى بعض الاقاليم . وانتقاما En revanche من هذه الرقابة للآداب ، فان نموذجا حديثا للغاية قد ظهر أخيرا يمثل غرفة عروسين بالمرايا ومضجع (يرقد) عليه العريس والعروسة . وقد أبلغت أن هذا الأمر هو احياء لكلاسيكية قديمة تعرف « بعزيزة ويونس » (١٢) .

---

(١٢) (عزيزة ويونس) ، (أبو زيد الهلالى) و (عنتر) أو (عنترة) هى بعض نماذج من الأدب الشعبى (الفولكلورى) التى تؤرخ لحياة الشعوب فى شكل الحب والبطولة والفداء من خلال وصف أبطال هذه القصص وأعمالهم وألوان حياتهم وتاريخهم وكيف كانوا يعيشون ويحبون ويحاربون ويستشهدون فى سبيل المبادىء والمثل والشرف ، فى قصص متصلة متناسقة مرتبطة بعضها الى بعض بشىء من التاريخ المختلط بشىء من الخيال . وهذه النماذج من الأدب الشعبى تمثل تراثا يشكل حلقة هامة من حلقات التطور التاريخى والتفكير الادبى للشعوب باعتباره عاكسا لآلامهم وآمالهم والمعبر عن الجانب الجمالى للثقافة . ويرى بعض المتخصصين فى دراسة الأدب الشعبى أن المجتمع البشرى فى حاجة الى معرفة تاريخه لكى يظل على اتصال دائم بماضيه ، من أجل الحاضر واستشراف آفاق المستقبل . والمعرفة التاريخية لمجتمع ما ليست رهينة بقراءة الكتب التاريخية أو الانتظام فى فصول الدراسة للاستماع الى دروس التاريخ ، وانما تتوفر من خلال انتقال الأخبار التاريخية شفاهة من جيل الى جيل ممزوجة بكثير من القصص والخيال . ومن خلال حوادث التاريخ التى يتناقلها عامة الناس مشافهة يختارون حدثا تاريخيا ، أو بطلا تاريخيا ، ليكون محورا لموضوع حكاية يتداولها الفنانون الشعبيون وعامة الناس . والحكاية موروث يغلفه الخيال ويتزامن مع موروث واقعى هو حوادث التاريخ المجردة ، وكل الفرق بين التاريخ والحكاية هى أن الأول يحمل الواقع أو جزءا منه بينما تحمل الحكاية جانبا غير مادى من هذا الواقع ، هو جانب الانفعالات النفسية والأمانى العاطفية ازاء حادثة ما أو شخصية ما أفرزها التاريخ على أرض الواقع . والأمثلة الفائتة تجسد العلاقة بين الحكاية والواقع . ولم يقتصر الأدب الشعبى على الأبطال التاريخيين فقط ، لكنه اتسع ليضم اللصوص والظرفاء ، ففى الغرب هناك قصة روبين هود robin Hood لص انجلترا فى العصور الوسطى الذى كان يسرق من الأثرياء ليعطى الفقراء مبينا حبه للعامة من الناس ، وفى مصر العصور الوسطى كان هناك على الزيبق ، وفى العصر الحديث ظهر أدهم الشرقاوى الذى كان يحارب ظلم الملاك الكبار لصغار الفلاحين ، ومن قصص اللصوص الظرفاء قصة « حسن أبو على سرق المعزة » .

ـ قاسم عبده قاسم « الرؤية الشعبية للحروب الصليبية فى ألف ليلة وليلة » ، فى فصلية « المأثورات الشعبية » الصادرة عن مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ـ العدد ٦ ـ السنة الثانية ـ الدوحة ـ قطر ـ ابريل ١٩٨٧ ـ ص ٨٦ ـ ٨٩ .

ـ السيد حنفى عوض « بنو هلال بين السيرة والواقع الاجتماعى » . مكتبة نهضة الشرق ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٨٥ ـ ص ٣٢ ـ ٣٧ .

— Lexicon Universal Encycloperia, Vol. 16, p. 243.

وهناك امثلة شعبية اخرى ك « أبو زيد » (الهلالي) و « عنتر » ، راكبا بسلاحه ، وتماثيل للصوص مثل « أبو علي سرق المعزة » ·

وقد توحي هذه ، والأسماء الأخرى بالفولكلور ، وتقدم مجالا لبحوث الأنثروبولوجي كالتماثل (على سبيل المثال) بين هذه الدمى وأشكال تاناجرا Tangara ، والكثير مما اكتشف في بومبي Pompeu (١٣) ، مما يجعل هذا أمرا ممتعا للأثرى archeologist · وفي الحقيقة ، فقد وجدت أساتذة في هذه التخصصات صاحبوني الى الموالد ، كانوا منبهرين بعرائس المولد ، لكن مختاراتهم الهشة (من العرائس) تفتتت أو التهمها النمل قبل أن يلتقطوا لها صورا أو قبل أن يتركوا سجلا دائما للعلم ·

وانني لسـعيد بأن أعلم من البروفيسـور ايفانز بريتشـارد Evans-pritchard الذي قرأ ما سبق أن تماثيل العرائس الخاصة به لم تندثر كالمعتاد ، لكنه بعد تصويرها قام باعطاء المجموعة الى متحف بيت ريفرز pit rivers في أوكسفورد Oxford .

ولقد تسـببت الوفاة المؤسفة للمرحـوم البروفيسـور هوكارت Hocart من الجامعة المصرية ، في منعه من ترك سجل دائم لمجموعة كنت قد ساعدته في جمعها ·

ولقد أخـذني الميرالاي جاير ـ أندرسـون Gayer-Anderson تلطفا الى مكان في منطقة « الجمالية » ، حيث تصنع هذه العرائس بصب السكر المنصهر في قوالب خشبية · ومنذ ذلك الوقت فانه قد صنع نماذج دائمة من البلاستر لبعض التماثيل الأكثر اثارة ·

وبصرف النظر عن تماثيل « تاناجرا » وما شـابه ، فان هذه « العرائس » تذكرني « بسانتوس (اقليم) بروفانس » Provence ، البسطاء (صانعي) الخبز بالتوابل Bonhommes de pain d'epices الذي يعرض في الأسواق الموسمية الفرنسية ، وكعكة الزنجبيل المموهة القديمة « old gilded gingerbread » التي أزيل منها الآن طلاؤهـا الذهبي ، ان لم تكن قد أصبحت مجرد عملة بطل استعمالها ·

---

(١٣) تماثيل وجدت في تاناجرا Tanagra احدى المدن الاغريقية القديمة في بوتيا Boeotia ـ أما بومبي Pompeii فهي مدينة قديمة على خليج نابولي دمرت في ثورات جبل فيزوفياس vesuvius (٧٩ م) ·

— Webster Unabridged Dictionary, pp. 1802, 50.

وكنوع من الترضية للدين (الذى ربما تكون تماثيل العرائس قد أساءت تمثيله) ، فان أرفف « العروسة » تقدم نماذج (سكرية) من « الكعبة » و « الحرم » ، وكاغراء اضافى للأطفال فان تشكيلة من الحلوى الثانوية (تعرض) كالسمسمية ، الحمصية ، وجوز الهند ، الخ .

ويستحق القره جوز (الأراجوز) مكانا عاليــا فى قائمة الأشياء الجذابة ، ذلك أننى أجد أن ولعى الشخصى بعرض « بانش وجودى » punch & Judy (١٤) منذ شبابى المبكر ، يشاركنى فيه كل « الأولاد » فى مصر ، والجوجوقلر Chojokler فى تركيـــا (١٥) ، وأيضـــا الـ petit gosses فى أوروبا (١٦) ، الذين يحصلون اما على « بانش » الكلاسيكى أو على الأقل جوينول Guignol (١٧) أو آخرين من ذريته الملاعين الذين يرثون رقته الطريفة ووقاحته الفظة . وقد علمت أن لهذه الشخصية تأثيرا كبيرا فى الشرق الأقصى .

تماثل المسيحية الأرثوذكســـية « بانش » Punch ببونتوس بيلاطس Pontius pilate ، كما تماثل جـــودى Judy بيهوذا الأسخريوطى Judas Iscariot ، الذى خان جنسه وسيده ، أما توبى Toby فهو ليس شيئا آخر غير هذا الفتى الجذاب توبياس Tobias الذى يشرق فى ضوئه المنعكس الملاك رافاييل Raphael فى الطقوس ولوحات ما قبل القرن الثامن عشر الزيتية old masters ، وجـــروه puppy رفيقه الملازم ، الذى يأخذ مكانه فى الدراما الصغيرة (١٨) .

---

(١٤) العرض المقابل للاراجوز فى الغرب .

(١٥) Chojuq جوجوق ــ كلمة تركية تعنى (طفل) Child أما لر Ler نهى أداة الجمع فى التركية . فتكون جوجوقلر Chojuqler تعنى الأطفال .

ــ جيمس ردهاوس ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ٧٣٤ .

(١٦) Petit gosses عبارة فرنسية تعنى الأطفال الصغار .

— Larousse Elementaire Illustre-Librairie Larousse, Paris, 36 eme ed., pp., 365, 595.

(١٧) Guignol شــخصية فى عرض الدمى الفرنسى فى اطــار المسرح الباريسى Grand Guignol المؤسس عام ١٨٩٧ ، وهو نوع من المسرحيات المرعبة Blood Curdling Play

— Maxim Newmark « Dictionary of Foreign Words and Phrases »., Op. Cit., pp., 101, 103.

(١٨) بونتوس بيلاطس Pontius Pilate الحــاكم الخامس ليهوديا Judea (٢٦ ــ ٣٦ م) الذى حكم على المسيح بالموت . عين فى عهد الامبراطور تيبريوس Tiberius وكانت له سلطة الحكم على السامرة Samaria وجزء من ايدوميا Idomea . تميزت فترة حكم بيلاطس بنزاع مع اليهود ، لاعدامه الكثير من السامريين فى محاولته سحق حركة دينية . لكن الاضطرابات انتهت بازاحته عن منصبه . تصور الاناجيل بيلاطس كرئيس =

لكنني أشتبه في أن يكون « بانش » قديما هذا القدم ، وأنه ارتد من بعض الديانات الوثنية ، وانه دخل الاسلام فيما بعد ، وتحـول اسـمه الى قره جوز « العين السوداء » (مذكرة بعدد من العيون السود والتى جمعها على مفاصل أصابعه فى هجماته على رجال البوليس وآخرين) . ولقد رأيت هذا الاسم مقصورا « كقره قوحه » (الزوج الأسود أو السيىء) ، اشارة الى سـلوكه غير الزوجى unmarital تجـاه زوجته (بخيتة) ، التى يجب أن يعترف المرء فى دفاعه ـ (بأنهـا تبدو) شيئا من زانتيبـا Xantippe (١٩) . وفى مصر هنا أيضـا يطلق عليه اسم قره قوس .

وعرض القره قوز (الأراجوز) عصـور وسـطوى بفجاجـة Crudely mediaeval ولا يصلح للتثقيف ، ولا ينصح به فى المناقشات المغالطة والمغرضة المرسـومة لايقاع المرء فى الشرك (شرك الخطأ) .

= للمحكمة التى حاكمت المسيح . ورغم اعتقاده ببراءته فانه يرضخ لرغبات المتظاهرين بعدم المسيح . طبقا للمعتقدات المسيحية فان بيلاطس وزوجته قد تحولا الى المسيحية واستشهد وتقول رواية اخرى انه انتحر فى روما . اما يهوذا الاسخريوطى Judas Iscariot فهو تابع المسيح الذى خانه . وفقا لانجيل متى ٢٤ ـ ٧ فان يهوذا الذى انهلته ادانة المسيح، اعاد مكـافاته (٣٠ قطعـة من الفضـة) وشـنق نفسـه ، ووفقا للفقرات ١ : ١٨ فان يهوذا اشترى حقلا بالمكافاة ، لكنه شعر بانه غير مستقر فيه ، فجرح نفسـه ، ومات . وبالنسبة لتوبى Toby فهو العم توبى Uncle Toby احد شخصيات رواية تريسترام شاندى Tristram Shandy للورانس شـترن Laurence Sterne احـد الروائيين الانجليز فى القرن الثامن عشر (٢٤ نوفمبر ١٧١٣ ـ ١٨ مارس ١٧٦٨) . الف شترن رواية شاندى فى ١٧٦٠ ، وحققت له شهرة كبيرة باعتبارها مؤسسة على نظرية جون لوك Johnlocke اتحاد الافكار association of Ideas . وفيما يتعلق بتوبياس ورافاييل ، فمن بين الاربعـة عشر سفرا والتى تلحق احيانا بالعهد القديم من الكتاب المقدس والمسـمـاة ابوكريفـا Apocrypha ـ كتاب توبياس Book of Tobit ، الذى كتب حوالى ٢٠٠ ـ ١٧٠ ق.م بالعبرية او الارامية . يحكى الكتاب كيف أن توبيت اليهودى الورع المنفى فى اشور Assyria قد كوفىء هو وابنه توماس لورعهماواعمالهما الحسنة . دفن توبيت جثث اليهود الذين اعدموا فى نينوى Nineveh . ورغم هذا فقد كان اعمى . وبينما كان يدعو ربه لينهى حياته ، كانت ساره Sarah الارملة ذات سـبعة الازواج الذين قتلوا ليلة زفافهم بواسـطة الروح الشريرة أسـموديوس Asmodeus تدعو الله لينهى عذابهـا . يرسـل الله الملاك رافاييل Raphael الى الارض ليساعدها ، فيتزوج توبياس من ساره وبمساعدة رافاييل يتغلب على الروح الشريرة ويحفظ لابيه نظره . تبدى بواعث الايمان بالشياطين والسحر والفولكلور فى القصة امتزاجا بقصص الشعر الادبى القديمة من ٥٠٠ ق.م فصاعدا .

— Lexicon Universal Encyclopedia. Vols 15. p., 302-18, p. 261-19. pp. 219-220.

— Webster unabridged Dictiotary op. cit., Passim.

(١٩) زوجة سقراط Socrates التى يرمز بها للمرأة الوقحة .

— Op. Cit., p., 77.

أما « بانش » فهو مسل للغاية ، وصوته وايماءاته مدعومة بمهارة غير عادية في العروض المحلية . ويصل تمكنه Savoire faire وتمتد جوانبه الى حد قدرته على سرعة اتباع الأسلوب المهذب لدى وصول زوار يشخصهم كمثقفين وواسعي علم ، والذين يلمح اليهم في ثرثرته بقدر كبير من الرقة bonhomie ، مع توجيه التحية واسباغ البركات عليهم ، (لكنه مع هذا) لاينسى التلميح من طرف خفي الى (طلب) السجائر والنقود المعدنية (نكلة) ، وهي تلميحات مقيدة (له) عادة .

أما « خيال الظل » فهو عرض باستخدام « الظل » ويشاهد عادة في نفس أكشاك « القره قوز » تحت دعوى aegis مستر « بانش » ، متراوحا بين عرضه ، وحيله السحرية ، أكل النار وبعض وسائل جذب الانتباه البسيطة ، وكل هذا برسم دخول قدره (نكلة) ، مع بعض الموسيقى والطبل . ويزود الزوار الذين يحسن استقبالهم دائما ، بكراسي اذا كان من المتيسر توفرها ، فاذا لم يمكن فان عددا ملء الذراعين من الأطفال يلقون في أركان (المكان) لافساح مكان على المنصات دون أن يبدى (هؤلاء الأطفال) أى احتجاج . ومع الأسف ، فانه لا يتوفر أى نوع من تكييف الهواء في مثل هذه الأماكن . وفيما وراء التلميحات غير المباشرة كتلك التي يمارسها المتكلم باسم (القره قوز) بانش ، أو تلك التي يقوم بها محرك عرائس الماريونيت خلف الستارة (الذى تستحق حركاته اليدوية المشاهدة من خلف الشاشة) ، فانه ليس هناك تحايل من أجل البقشيش ، ويحدث نفح قرش أو ما الى ذلك الى الموسيقيين أو المؤدين حماما من ابتسامات الامتنان والدعوات .

وأيضا فان النكات والايماءات ليست من النوع المهذب ، وعلى الزائر (لخيال الظل) أن يكون مستعدا للصدمات ، كما أن اصطحاب سيدة الى خيال الظل يماثل في مخاطره مخاطرة زيارة (جبلاية) القرود في حديقة الحيوان ، لكنه ليس هناك في هذه العروض ما يصيب الأخلاق أساسا ، ولا الكثير من الفظاظة مثل ما تعرضه الأفلام (السينمائية) الرديئة التي تصلنا من الجانب الآخر من الأطلنطي ، تلك الأفلام التي تدمر هيبة ومظهر الأجناس الغربية في عيون الشرق ، ويقال انها (الأفلام الغربية) تحدث في الهند ضررا أكثر من كل أنواع الدعاية الأخرى . وبصفة عارضة ، فانه لا شيء يحطم الكيان في الأصوات الصادرة عن عروض « بانش » أو أى أصوات أخرى ، مثل تلك « الخنة » twang أو الثرثرة التي تفاقمت بسببها رداءة « السينما » .

والالعاب السحرية التى لاحظتهـا والمرتبطـة مرارا « ببانش » و « خيال الظل » كثيرا ما تكون طفولية بسيطة ، مثل « الكرة السحرية » بالحبل الراسى ، التى تقف لدى سقوطها عند أى نقطة بكلمه من امرها ، لكن بعض الألعاب الأخرى تضم مهارات كبيرة ومحيرة ، ومسلية لدرجة كبيرة ، رغم أن هذا غالبا ما يكون على حساب الشخص هادىء الأعصاب من المتفرجين . ان السحرة المصريين خبراء فى العـاب حيل الورق Card tricks وفى بعض ألعاب خفة اليد Legerdemain ، كما تشهد (أعمال) رجال الجلا جلا galli-galli فى الشوارع ، لكن الهنود لا يزالون يتمتعون بالقدر المعلى فى هذه الأمور . ومن هؤلاء « الحاج أحمد الهندى » الذى يدير عرضا مستقلا فى كشكه الخاص ، وهو عميد صانعى المعجزات فى الموالد .

وفى هذه العروض ، فان كل الحاضرين يستمتعون ، حتى ولو لم نكن نحن كذلك ، وهم يمتعوننا بمنشط طيب بضحكاتهم وتعليقاتهم المرحة والتى أحيانا ما تكون لاذعة ، كما أن سلوكهم الصديق نحونا يترك لدينا انطباعا حسنا . وتدار مسارح المنوعات عموما على معدل تنافسى أكثر من هذه الأماكن الصغيرة التى شرحتها آنفا ، هى تتراوح ما بين منصة خارج مقهى ، محل ، أو منزل ، أو ستارة من الخيش أو خيمة فى ركن من فناء ، أو فى ممر بين المبانى ، حيث يمكن مشاهدة فصول كوميدية قصيرة وقليل من الغناء أو الرقص ، الى خيمة فسيحة بقوائم مرتفعة من المنصات فى حلبة كبيرة تكفى لسيرك ، تقدم فيها منوعات ترفيهية على نظام السيرك . وفى المدينـة الكبيرة والموالد الجبلية يمكن أن يوجد عـدد من هذه المسارح .

تميز مسارح الخيام الكبيرة منصة خشبية على كل من جانبى المدخل ، تخصص احداهما لفرقة الموسيقى النحاسية ، أما الأخرى فهى تتسع — على فترات متفرقة — لبعض أو كل المؤدين ، المغنين ، الراقصـين من الجنسين ، المهرجين ، الأقزام ، العمالقة ، راقصى العضلات ، الذين يقدمون أمثلة من فنونهم ، فاذا بلغ الحماس بالجموع منتهاه الى حد شراء التذاكر ، عندئذ يبدأ العرض بالداخل . ويكتسى الأخيرون (راقصو العضـلات) بمآزر تستر العورة Loinclothes ، وكلهم رجال ثابتون (فى أماكنهم) لا ينحرك فيهم شىء سوى عضلاتهم ، صدورهم ، بطونهم ، أدرعهم — التى يرقصـونها فى أسـلوب رائع ، تسـاعدها حركات غير معقولة للحجاب الحاجز . ولو سمح للراقصـات بأن يعرضن أنفسهن فعليهن أن يحاكين

فى رزانة خطوات وتموجات (راقصات) الثيزموفوريازوساى Thesmophoriazousai المبتهلات للعفيف ديميتر Demeter (٢٠) .

صحيح انهن كن لسنوات قليلة مضت يتبعن خطوات كلاسيكية أقل جدارة بالثناء ، وأصبحن اغريقيات بعض الشىء ، لكنهن كن يرقصن دائما مرتديات كامل ملابسهن ، ولم يرقصن أبدا مع الرجال ، ولم يجذبن أبدا الشباب المزوقين عاشقى الجاز gazz ، الذين كانوا يجدون ضالتهم من أنصاف العاريات « أرانب العناق » bunnyhugs فى التعريشات الأكثر ثراء والكائنة فى الكباريهات المحترمة والفنادق . وعندما حرم حكام الأقاليم City fethers (أو الجدات) أو أيا من كان من الذين يفصلون فى الأمور اعتباطا منذ سنوات قليلة ، عندما حرم هؤلاء فى أمور الرقص تلك الرقصة القديمة المسماة «برقصة البطن» danse de ventre ، وتذمر الجمهور صاخبا لذلك المنع ، لجأت الراقصات اللاتى لا يعرفن شيئا سوى هذه الرقصة الى أساليب غريبة من التحايل . وفى احدى المرات أوقف أحد الصبية (المعينين للمراقبة) الرقصة ، عندما أعلن عن اقتراب البوليس من المدخل ، وبقوة حضور ذهنية حولت كبيرة الراقصات Premiere danseuse ظهرها ، وتبعتها الأخريات فى الحال ـ وسددن الباب بعضلاتهن ، ولا يوجد تشريع ضد « رقصة القمر » Ladanse de Lune التى لم تكن معتبرة مخالفة .

وقد غابت عن الأنظار شخصية معروفة جيدا فى الوقت الحالى ، نجم فريد فى أسلوبه . يرقص دائما فى ملابس ، زينة ، شعر ، أحمر شفاه ، وتصرفات امرأة . والذين شاهدوه للمرة التاسعة عشرة لا يستطيعون تصديق أنه غير ما يبدو ، كان يحصل من المتفرجين حوله على ابتسامة متكلفة ، وبابتسامته المتكلفة كان يقدم صورته التى تحتها « **الراقص المصرى الشهير حسين فؤاد** » ، ويلى هذه العبارة عنوانه من أجل الترتيبات الخاصة (كحفلات) الزفاف وغيرها .

اننى لا أستطيع أن أقرر أن حركاته الرزينة كانت بارادته الحرة ، أو أنه جذب انتباه المسئولين ، وكان مدفوعا لذلك (السلوك الرصين) .

---

(٢٠) Thesmophoria لقب أو نعت للالهة ديميتر Demeter الهة الزراعة الاغريقية ـ كما أن المصطلح يطلق على احتفال اغريقى قديم وشهير تحتفل به النساء المتزوجات تكريما للالهة ديميز (Ceres) باعتبارها أم النسل الجميل .
— Webster Unabridged Dictionary, op. cit., p. 1895.

كانت المرة الأخيرة التى شاهدت فيها « حسين فؤاد » على ما أذكر فى حفل رأس السنة فى بيت انجليزى قرب (ضاحيـــة) « الزيتون » ، بقيادة (قائد الفرقة) محمود لالو Mahmoud Lalu، الذى كان هو نفسه يدير احدى الخيام فى الموالد • وقد أحضر (لالو) راقصين جيدين ومسلين ، بعث بهم السرور فى نفوس الحفل الملتزم بقدر ما بعث فى نفوسهـــم الدهشة من جو الهزل الجديد كلية بالنسبة لكل الحاضرين تقريبـــا • « وقد أضاف الكاتب نوعا ناجحا للغاية من الاثارة ، عندما أغار على المنزل بعد اخفاء شخصيات خدمه فى زى ضابط بوليس ، وخفراه • وقد جنب النفاق والمداهنة الحلوة ، ووجوه الســـيدات الحاضرات ، اللاتى أخذن الموقـف بجـدية au sérieux ــ جنب هـذا تنفيـذ تهـديد البوليس (المزيف) بربطنا جميعا بالحبال وأخذنا الى القراقول Caracol » (٢١)•

ويقوم على جانب التسلية فى الموالد مجموعة من المحترفين الذين يتبعون هذه الموالد من مكان الى مكان ، حتى فى الأقاليم ، الى حد أنه أينما ذهب المرء ، فانه قد يرى نفس الوجـــوه المألوفة وقد يتعرف عليه هو شخصيا من جانب أصحاب (عروض التسلية) وتستطيع الأذن الحادة أن تلتقط صوت « بانش » (الأراجوز) الذى هو نفس الأراجوز فى القاهرة ، طنطا أو أسيوط • وينطبق نفس الأمر على (دكاترة) الختان Circumcision doctors لكن الانطبـــاق يكون أكثر بالنســبة لمديرى وفنانى العروض المسرحية •

وأكثر العروض شـــعبية (فى الموالد) هو ذلك الذى يقوم به « البروفيسور » شوال Showal ، شخصية ضـخمة ورجل قوى البنية بعضلات وقوة • ويمكن (لشوال) أن يكون (شبيها بـ) كاستور Castor أو بوللوكس Pollux لشجاعته وضـــخامته ، ومن شـــكله البيضوى الذى يحافظ به على بيضة ليدا Leda (٢٢) •

---

(٢١) qaraghoul قراغول تعنى بالتركية (دورية ، حرس ، حراسة أو خفارة) • منها تأتى كلمة قراغولخانة ـ qaraghoul-Khana أى مقر الحرس أو نقطة البوليس police-station, guard house • جيمس ردهلوس ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٤٣ ، ١٤٤٩ •

(٢٢) كاستور وبوللوكس Castor & Pollux لهان توءمان عند الاغريق والرومان ، ابنا جوبيتر Jupiter ، وضعا حديثا بين النجوم باسم الجوزاء Gemini أو Twins التى تعنى اجراما فى مجموعة Constellation وعلامة دائرة البروج Zodiac • أما Leda فهى أم كاستور وبوللوكس وهيلين Helen وكليتيمنسترا Clytemnestra فى الأساطير الاغريقية • كان الاله جوبيتر يزورها فى شكل بجعـة •
— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., pp., 66, 58, 1967.

يقدم « شوال » كل (فرد) من فرقتـــه ، ويدعو لعجائب مسرحه بخطبة هزلية يحرص فيها على القواعد النحوية ، كالوقوف والوصـــل والتنوين ــ لأنه يعرف جيــدا أنـــك اذا لم تتكلم بطريقة مقنعـــة talk over لجمهور مصرى ، فانه سرعان ما ينسلخ عنك ويطؤك تحت أقدامه • ويستقبل هذا المجهود البلاغى بالتصفيق ، وهو هكذا دائما ، وفى ختام خطبته فانه يضع كل طاقمه من الرجال فوق رأســه أو كتفيه أو كرشــه ثم يدور (بهم برشــاقة) ويسر ــ وهذا (مجرد) عربون لما يمكن أن تتوقعه عندما يبدأ عرضه لقوته • (وشوال) مفرط الحماس لسمعة وانتظام فرقته ومحيطها ، وهو لا يسمح ولا يطلب ولايدع الفرصة لدعوة التعاون البغيض للبوليس • ولقد شاهدت فى احدى المرات ضيفا ثقيلا كان يحاول دخول العرض دون رســوم ، أو يجمع حول البوابات حشدا مشاكسا ، لكن « شوال » « بفرقلته » متعددة الحبال فرق الجمع وما يضمرونه فى قلوبهم • ولقد رأيته مرة ينهب لمساعدة البوليس الذى كان يحاول أن يفرق ويكبح اثنين من « الفتوات » belligerents « ذلك أن المشاجرات تبدأ عادة فى أفضل الموالد تنظيما » ، فالتقط المنتهكين للنظام تحت كل ذراع وعصرهما عصرا موجعا a tender bear-hug ثم ألقاهما ليظلا ويطلبان لاهثين حماية القانون •

وخصم contre-partie « شوال » فى « الجوقة » قزم ، غير لافت مظهره للنظر ، لكن احساسه بالوقت وايقاعه حاذق لدرجة أن حركاته عندما يرقص تبدو جذابة للغاية برغم ساقيه المقوستين • ويملك (هذا القزم) مائة طريقة مسلية ، لكنه لا يكون كذلك عندما يبلغ غضبه أقصاه • ولقد رأيته ينطلق لمصارعة مع خصم يفوق حجمه ثلاث مرات • وذلك من بين المتفرجين •

كنت قد ذكرت الفئران والحمام كاضــافات فى انغماســات القمار على معدل بالغ الصغر • وحيث اننى لم يسبق لى أن رأيتهم يستخدمون فى هذا المجال فاننى سأشرح الاجراء فى حـــالة الفئران (كوسيلة للعب القمار) • ان مائدة الفار عبارة عن قرص خشبى بقطر حوالى متر ، وبها بيوت صغيرة للغاية حول محيطها الخارجى ، تتسع أبوابها لدخول الفار • ويحمل كل بيت رقما يتطابق مع تلك التى على اللوحة للرهان • عندما توضع الرهانات ، يوضع فار كبير أبيض فى منتصف المائدة ، وعنــدما يدخل الفار بيتا ما فان رقم هذا البيت هو الذى يحدد الفائز (الذى يكون الرقم الذى وضع عليه رهانه على اللوحة هو نفس رقم البيت الذى دخله

الفأر) • ان من الصعب على « أبو فيران » Father of Rats ان يمنع أى تأثير غير مستحق يمكن أن يؤثر على اختياره القارضي rodent • فعلى سبيل المثال ، شاهدت (فى احدى المرات) صبيا صغيرا يضع سرا بعض قطع الجبن فى « البيت » الذى به رقمه المختار (ليحث الفأر على دخوله ومن ثم يفوز) •

تجتذب « الرنجو » Ringo السودانية « أو الرنجا » Ringa التى ترتبط دائما بشرب مشروبهم الوطنى booza (بوظة) ، أقول تجتذب العلماء ، وخاصة أولئك الذين سافروا الى مناطق جنوب مصر • وهناك مقومات مبهمة ترتبط باصل وتناظر هذه العادة العجيبة التى تجتذب اهتمام هؤلاء السادة ، لكن لا أحد لن يصدم بالطبيعة الفريدة لما يحيط به فى أكشاك البوظة هذه « يسميها السـودانيون فى بلادهم مريسـه « merissa » ، وهو مصطلح نادر الاستعمال هنا فى مصر •

ليست خطوة «الدوران الطاحونى» « tread-mill.-Like فى الرقصة (رنجو) والآلات العجيبة التى تضم قطعة من خط سكة حديدية ، ليست كأى شىء آخر ، وهذه البيرة السودانية (البوظة)الحامضة والقاتمة التى تقدم فى طاسات أو « قرعات » gourds بواسـطة أيد أبنوسـية (اللون) غريبة أيضا : ومن حسن الحظ أن الشاى ، القهوة ، أو القرفة يمكن أن تقدم بدلا من تلك (البوظة) •

وتعود الشعبية المتعاظمة « للرنجو » فى مصر خلال العقد الأخير الى مظاهرها غير المألوفة على ما أعتقد • وبعد ندرتهـا التى كانت ، فان « الرنجو » توجد الآن فى كل مولد كبير تقريبا ، وقد يوجد منها اثنان أو ثلاثة (فى مولد واحد) وقد توطدت الرقصة فى بعض أماكن قليلة فى القاهرة على أسس دائمة ، خلاف الموالد •

وكما هو مشار اليه فى وصف مولدى « فاطمة النبوية » و « موفق » ، والبعض الآخر ، فانه بدلا من بسط ملاحظات عنها (الرقصة) هنا ، فاننى سأختتم الأمر بارفاق خطاب كتب عن الموضوع الى صديق أنثروبولوجى anthropologist ، يتناول أساسا احدى الآلات المستخدمة (فى هذه الرقصة) ، الشخشاخة sistrum ، وأفكار برفيسور سابق بالجامعة المصرية يتصل بها •

٢٦ نوفمبر ١٩٣٥ (٢٩ شعبان ١٣٥٤) •

الشخشــــاخة

عزيزى ايفانز ـ بريتشارد Evans-pritchard

لقد أثبت مطلب الشخشاخة أنه لطيف ، وان كان طويلا نوعا ما وغير خصب ، ورغم (أنها) مصرية الأصل ـ على ما اعتقد ـ وأدخلت الى اليونان مع عبادة ايزيس Isis ، فان موطنها الآن على أى حال كآلة موسيقية ، يبدو أنه جنوب مصر ، ذلك أنه رغم شيوعها بصورة كافية هنا فى القاهرة ، فانها دائما فى أيدى السودانيين أو « البرابرة » Barberines (٢٣) ، أو على الأقل فى رقصتهم « الرنجا » أو غرز « البوظة » ، أو فى الاحتفالات التى يتسيدون فيها • ومن الغريب بدرجة كافية أن هذه الآلة غير معروفة كآلة وسيطة أو متداخلة • ويؤكد لى « موسى » خادمى « الطيبى » Theban (٢٤) ، وآخرون من مصر العليا أنهم لم يسمعوا بالشخشاخة أو يروها حتى أتوا الى القاهرة (يهمنى أن أعلم اذا كنت قد وجدت هذه الآلة منتشرة فى أثيوبيا Abyssinia).

يبدو أن « الشخشاخة » تلعب عند السودانيين دور « الزمارة » المصرية • وحيث يصعب وجود « الزمارة » دون « الطار » ، فان الشخشاخة تتكافل مع « الرنجو » ، و « الكوريه » Kuria • ولعلك ستتذكر « الرنجو » التى اما أنها تعطى اسمها الى العرض كله ، أو تأخذه منه ، « الرنجا » : هذا النوع من « الأرغن » harmonium ذى المفاتيح الخشبية الرأسية ، والأنابيب ، أو القرعات gourds الملونة التى تتذبذب بلا نهاية : « والكوريه » التى تشابه قسما من خط السكة الحديدية ، التى تستخرج منها نغمات ايقاعية بواسطة قضيبين حديديين •

---

(٢٣) استخدمت كلمة « بربرى » Barberine فى مصر للاشارة الى ذوى اللون الداكن من أصحاب الأصول الأفريقية الذين اتخذوا من مصر موطنا ، وهو استخدام سوقى على أى حال ولا يمت للمصطلح العلمى Berbers الذى يقصد به المنحدرون من الشعوب قبل العربية بشمال أفريقيا من الحدود المصرية الى المحيط الأطلنطى ومن ساحل البحر المتوسط الى النيجر ، والذين يسمون انفسهم أمازيغ amazighبأى صلة • كذلك فان المصطلح لا صلة له باهالى الولايات البربرية Barbary States سكان المنطقة الساحلية من شمال افريقيا الممتدة من المحيط الأطلنطى الى مصر والتى تضم مراكش ، الجزائر ، تونس ، وليبيا •

— Lexicon Universal Encyclopedia Vol. 4, p., 207.

(٢٤) أى المنحدر من « طيبة » (الاقصر والكرنك الان) عاصمة ملك الاسر : الحادية عشرة (٢١٣٣ ق•م) ، السابعة عشرة والثامنة عشرة • تدهورت طيبة خلال الحكم البطلمى (٣٠٤ ـ ٣٠ ق•م) •

— Op. Cit., Vol., 19, pp. 154-155.

وبالاشـــارة الى النقطة التى أثارهـــا البروفيســـور ن N ، فاننى لا أستطيع أن أجد أن « الشخشاخة » تستخدم خاصـــة فى الاحتفالات المتصلة بالبلوغ Puberty ، لكنها تقترن مع « الرنجو » و « الكوريه » ، فى كل الاحتفالات « كالختـــان » ، والزواج ، الموالد ، والزار الى جانب الاجتماعات الاجتماعية البسيطة من أجل السمر واحتساء البوظة ٠

وأنا لم أعرف أبدا استخدام هذا النوع من الشخشاخة منفصلا عن الرقص : الرقص الذى يذكر عادة بدورة الطاحونة (الرحى) أو سحق الخنفساء ، ورغم كونه رشيقا وايقـاعه منضبطا ، فان الراقص الحامل لزوج من « الشخاشـيخ » فى يديه يثب بين الفينة والفينة من دائرة الى الهـــواء بحيوية عجيبـة ٠ وحافز الرقص المعتـاد هو تحلق حوالى نصف دستة من الريفيين المولعين حول Nigra-sed-formosa (٢٥) ، عارضين سحرهم ومواهبهم فى استخدام الشخشاخة ، وواحـدا فواحدا يأخذها فى ذراعيه ، حتى يقبل فى النهاية أحدهم (كأفضـــل لاعب) ٠ وغناؤهم اذا أطلق العنان له عبارة عن اطلاق صرخات ودندنة غنائية ، وقـد يـكون نقد القديس جـــيروم S. Jerome (٢٦) « Gemit umpro cantuhabent » مبررا بصـورة أفضل من تطبيقه له على حمائمه » (٢٧) ٠ وبين الفينة والفينة ، يزداد غناؤهم حماســـة ، وقد سمعتهم يرددون بالعربية :

---

(٢٥) Nigra-sed-formosa عبـارة لاتينية تعنى سوداء ولكن جميلة ٠

(٢٦) القديس جيروم Jerome. Saint (٣٤٧ ـ ٤٢٠) ، أحد آباء الكنيسة ، الذى تعد ترجمته للانجيل الى اللاتينية أعظم انجازاته ، ويسمى هذا العمل Vulgate (اى الترجمة اللاتينية للانجيل والمعتمدة من الكنيسة الكاثوليكية) ٠ بعد توليه مناصب دينية متفرقة فى عهد البابا داماسوس Pope Damasus فى روما استقر جيَروم فى ١٣٨٦ فى دير ببيت لحم Bethlehem اقامته له باولا Paula الثرية الرومانية التى كان ناصحها الروحى والتى ظلت صديقة عمره ٠ بقى جيروم فى الدير ٣٤ عاما أنجز فيها أعظم تعليقاته الانجيلية والقسم الاكبر من عمله عن الانجيل اللاتينى ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. II, p., 348.

(٢٧) Gemit um pro Cantu habent عبارة لاتينية تعنى « انهم ياتون من أجل الحرية » ٠

أيوه ، أيوه ، من السـودان ، سرق الصـندوق محمد ، لكن مفتاح معايا (٢٨) ٠

ورقصة « الرنجا » التى شاهدناها فى ١٨ توت (١٩٣٥/٩/٢٨) فى مولد « مار برسوم العريان » القبطى « بالمعصرة » قرب حلوان ، كانت تشابه تماما تلك التى تعرض فى مصر ، سواء فى الاحتفالات الاسـلامية أو القبطية ، ولعلها تختلف فقط عن الشكل السودانى الخالص فى أن طاسات البوظة تلحق بأكواب من القهوة او القرفة ٠ ويرى المرء بين الحين والآخر فتيات صغيرات وجميلات للغاية يرقصن (الرنجا) ، لكن منظرهن يوحى (كما لاحظت مسز هوكارت Hocart التى صاحبتنى الى مولد « سيدى موفق » مع البروفيسور « هوكارت » منذ بضع ليال) بابداعات ابستين Epstein (٢٩) ٠ على الجانب الآخر ، فان بعض الصغيرات كانت لهن ملامح رقيقة كالتى يجدها المرء فى التماثيل ٠

الشخشاخة Sistrum عبارة عن أسطوانة Cylinder من المعدن الأبيض الصلب ، أطول من القدم ، ذات ممسك وغطاء مخروطى ، وتحتوى على حصوات ٠ وتوضع ما بين شخشاخة الى أربعـة عاليـا وأمام الراقص عندما يهتز ٠ ويختلف الشكل قليلا عن الشخشاختين اللتين أعلمتك عنهما بالأمس ، لكن فى حالات كثيرة فان هناك ممسكاً معدنياً مزيناً ٠ والواحدة

---

(٢٨) وردت هذه الترنيمة فى احدى أوبريتات سيد درويش والتى سجلهـا فيلم « سـيد درويش » ، لكن المقطع الذى قدمه سـيد درويش يقول : « شيكا شيكارنجا ، شيكا شيكارنجا : سرقوا الصندوق يا محمد ، لكن مفتاحه معايا » ، ويلاحظ أن مصطلح (رنجا) وهى الرقصة التى تصفها هذه الصفحات من عمل ماكفرسون قد وردت فى الترنيمة التى قدمناها ــ كذلك فان ترجمة المؤلف للترنيمة بها أخطاء فى كلمة « سرق » ، (مفتاح) ــ كما أن المخاطب هو محمد الذى يذكره المؤلف سارقا للصندوق ٠

(٢٩) ابستين Epstein, Jacob (١٠ نوفمبر ١٨٨٠ ــ ١١ اغسطس ١٩٥٩) ، مثال بريطانى اشتهر بأعماله الجريئة فى تجسيد الشخصيات التى صنعها من البرونز أو الحجر ٠ ولد فى نيويورك لأبوين يهوديين ، ودرس الفن فى باريس (١٩٠٢ ــ ١٩٠٥) ، وتأثر خلال هذه الفترة بالنحت المصرى الذى شـاهده فى اللوفر Louvre, ، كما تأثر بالأعمال دوناتيللو Donatello ، وميكلانجلو Michelangelo ٠ انتقل الى لندن (١٩٠٥) وبدأ انتاج تماثيله النصفية الانطباعية المتعددة المظاهر والجوانب التى اشتهر بها والتى تميزت بالجرأة غير التقليدية ، وقد تضمنت موضوعاته (أعضاء الأسرة ، الأصدقاء ، الشخصيات الشهيرة) ٠ بدأ ابستين فى هذه الفترة فى انتاج أعماله العامة البارزة التى اثارت فضائح وجدلا حول سيرته الفنية ٠ كانت مشكلة ابستين أن الناس لم يفهموه بسبب اعتيادهم على مفاهيم النحت التقليدية الاكاديمية ، فاستنكروا اعماله الجريئة التى ساوتها لم يكن مقبولا فى زمانه ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 7., p., 223.

كهذه توحي بشكل كل من السمكة وذكر الانسان Phallus ، ولقد حاولت أن أشترى واحدة من هذه (الشخشاخات) فى مولد قريب ، لكن الأبستينية المتطرفة Super-Epsteinienne (٣٠) تمسكت بها مبررة ذلك بوفائها لذكرى صديقها الصياد الذى مات فى النيل . (كانت هى صيادة أيضا ، لأنواع رديئة من السمك ، تظاهرا بالأوامر البطرسية (Petrin mandate (٣١) .

كانت أول مرة أرى فيها الشخشاخة Sistrum فى حفل « زار » فى عام ١٩١٩ : حيث كانت « العالمة » « أو الكوديا » Godeya تحيطها (أى الشخشاخة) بنوع من المذبح altar ، بعد تضحية بالدم (أى ذبح ذبيحة) فى شعيرة rite تذكر بالحداد على « أدونيس » Adonis et ecce ibi mulieres plangentes Adonidem) (٣٢) .

وفى هذه الحالة لم تكن (الكودية) ؛ أو عائلة المرأة الملبوسة Possessed من السودانيات ، لكن الجن الذى كان (مطلوبا) اخراجه (من جسد الضحية) exorcised وبعض مساعدى (الكودية) كانوا كذلك فيما أعتقد .

هنـــا أيضـــا ، فان ممسك الشخشاخة handle كان موحيا بعبـــادة Icthyphallic (٣٣) لمينا Min فى مصر القديمـــة قبـــل

---

(٣٠) نسبة الى المثال الجرىء ابستين Epstein, ، ويقصد ماكفرسون أن السيدة صاحبة الشخشاخة تضع شخاشيخها على نمط ابستين الفاضح .

(٣١) القديس بطرس Peter, Saint ـ احد اشهر تلاميذ المسيح ـ كان صيادا للأسماك من الجليل ، تصفه الاناجيل كقائد ، متحدث عن اتباع المسيح ، وقد اختير باعتباره الصخرة التى سيتبنى عليها الكنيسة . يعتبر هو واخوته جيمس James وجون John شهود تجلى transfiguration المسيح . بعد القبض على المسيح أنكر بطرس معرفته ثلاث مرات ، وفيما بعد تاب عن انكاره . اما رسالته فهما اثنتـــان Epistles of peter وتشكلان قسما من جزء من العهد الجديد من الانجيل يسمى الرسائل العامة . وهما الكتابان الحادى والعشرون والثانى والعشرون من لائحة الأسفار المعترف بأنها تؤلف الكتاب المقدس .

— Lexicon Universal Encyclopedia — Vol, 15, p., 199.

(٣٢) ادونيس Adonis ، فى الأساطير الافريقية شاب أحبته الزوديت Aphrodite لجماله المفرط ، قتله خنزير برى .

— Webster Unabridged Dictionary, op. cit., p. 26.

اما العبارة et ecce ibi mulieres plangentes Adonidem فهى عبارة لاتينية تعنى : « انظر هناك حيث تضرب الزوجات ادونيس » .

(٣٣) Icthyphallic كلمة يونانية من شقين Icthy وتعنى سمكة . واما Phallic فهى صفة adjective للفالوس phallus وتعنى ذكر الرجل ـ وتعنى عبادة الذكر Phallic Worship أو Phallicism . وتشير هذه العبارة الى تبجيل الذكر =

شعبية ايزيس Isis ، لكن (هذا الايحـــاء) فى تصـــورى من باب الصدفة المحضة .

ولا أتذكر رؤيتى (للشخشاخة) مرة أخرى حتى مولد « فاطمـــة النبوية » ،حيث كان هناك العديد من (رقصـــات) « الرنجا » فى ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٣ ، (٣٤/٧/٩) ، ورغم احتمال أننى افتقدتها عند زيارة موالد ، فاننى واثق أن شعبيتها ــ وكذلك رقصـة الرنجا قد تزايدت بدرجة كبيرة حاليا . ولعلك لاحظت عندما كنت معى ، (رقصات) الرنجا فى مولد النبى ، وموالد « البيومى » ، « المطراوى » ، « المحمدى »، و « مظلوم » ، « والأخير هو المولد الذى يقام فى الحقول حيث (كان) قاطع طريق قد كشف وأعدم على غير وفق القانون « Lynched » » . وقد زرت هذا الشهر « شعبان ــ الذى ينتهى اليوم ، وهو كرنفال للاحتفال قبل الصيام » ــ بعض أماكن « الرنجا » ليس فقط (فى مولد) « الموفق » المشار اليه فى الصفحات السابقة ، ولكن فى موالد الامام الشافعى ، المطراوى ، منسى ، صالح حداد ، سلطان حنفى ، وأولاد بدر . وكانت هناك (رقصتان) من « الرنجا » فى « السلطان الحنفى » ، زرت احداهما مع مسز ويمان بيرى Wyman Bury ، والأخـرى مع البروفيســـــور هوكارت Hocart . كذلك فقد كانت هناك حلقتان مزدهرتان « للرنجا » فى مولد « أولاد بدر » الصغير للغاية ، وذلك منذ يومين . ورقصة « الرنجا » سائدة أيضا فى مولد السيد البدوى .

ومن المهم ملاحظة أنه رغم (أن الأمر) صفة أو خصيصة لاحتفالات دينية ، فان هذه الرقصات مع ذلك تمارس فى حدائق الملاهى ، وليس فى مسجد أو كنيسة أو حتى فى ذكر .

= phallus كرمز للعضو المنتج فى الانسان الرجل male . عبادة الذكر عبادة قديمة ، وتبدو أمثلة من تقاليدها القديمة فى الأساطير اليونانية القديمة كما فى ديميتر Demeter وايليوسيس Eleusis وفى عقيدة بريابوس priapus الرومانية . والذكر Phallus كرمز للاخصاب generation كان جزءا من البنيان الرمزى والشعيرى لديانات عديدة . وتبدو هذه الرمزية سائدة فى المجتمعات الزراعية حيث تعتبر المرأة مثلا للأرض ، والرجل بالبذار البذار Seedgiver . وكتعبير شعيرى شعبى وقانون ، فان عبادة الذكر لا تزال توجد فى الممارسات الفولكلورية لمجتمعات عديدة فى الهند ، اليابان ووسط أوروبا .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 15, p. 219.
— Dictionary of Foreign Words, op. cit., p. 111.

لقد تناولت حتى الآن شكلا واحدا من الشخشاخة ، لكننى أرسل اليك ثلاثة من أنواع مختلفة كلية ، مصنوعة من مادة السلال الملونة ، فى شكل كرة قطرها ٣ أو ٤ بوصات · ومنذ خطابك عن الموضوع ، فقد زرت احتفال أحد أيام الآحاد ، يقام كل أسبوع فى ساحة مسجد «ستنا نفيسة»، واشتريت هذه الشخاشيخ التى أرسلها اليك ، من أمام باب المسجد · ولقد شاهدت هذا النوع من (الشخاشيخ) فى أيدى بعض الأطفال فى « بين السرايات » منذ عام أو أكثر · ولقد تعقبت الأطفال بمساعدة (خادمى) « جاد المولى » ، ووجدت أن آباءهم قد اشتروا هذه الشخاشيخ من (عند) « ستنا نفيسة » عند زيارة هذه « الولية » Saint كطقس Ceremonially · ولم أستطع التأكد من امكانية الحصول عليها من مكان آخر · ويؤكد لى « جاد » أن « الشخاشيخ » احياء لذكرى « ستنا نفيسة » ، التى كانت مغرمة بها · (يذكرنى هذا بسيينا Sienna ، حيث تحفظ الخيول الصغيرة وبعض اللعب الخاصة بالقديسة كاترين S. Catherine وتستنسخ كتذكارها لجماعة المؤمنين · وانى لأخشى أن تكون شخاشيخ (ستنا) « نفيسة » الأصلية قد فقدت) ·

قد يهم البروفيسور نيوبرى Newberry ، كعالم مصريات كبير ومتخصص فى « الشخشاخة » ، أن بعض الأطفال على مقربة من المسجد قد أطالوا شخاشيخهم فى شكل صولجان Sceptre-Like بواسطة عصا ·

ويوجد الآن شكل من « الشخشاخة » ، لايزال على شكل الصولجان ، يوضع على سارية فى « الزفة » فى كثير من الموالد ، وفى مناسبات أخرى على ما أعتقد · ورغم أن هذا النوع من الشخاشيخ مزخرف بشكل أكثر من الشخشاخة المعتادة ، فانها مع هذا تسمى بنفس الاسم « شخشاخة » · ولابد أنك قد رأيت هذا النوع من « الشخشاخة » محاطة ويتبعها رجال وفى بعض الأحيان دراويش فى أزيائهم البهية والمكسوة ، متعددة الأشكال · ولقد عرفت هذا لمدة ثلاثين عاما ، ويبدو أن استخدامها فى حالة انحدار ، رغم أننى سعدت لأن أرى « الزفة » فى قمة تألقها بعد ظهر الأربعاء الماضى ، ورغم أن « الزفة » كاملة بأعلامها و « الخليفة » الراكب لم يكن مسموحا به (بزعم قيام المظاهرات) ·

والآن ، فان لك ان تفيد من هذا اذا كانت فيه أية فائدة ـ ذاكرا اسمى أو غير ذاكر اياه كما تريد . لقد ساعدني « ابراهيم » راقص « الرنجا » الأسود وآخرون ، لكن « موسى » المهتم بالمطلب الذى يعرف أنه لك ، كان مصدرى محل الاعتماد والذكاء لدرجة كبيرة ، ولقد حصل على الشخشاخة المعدنية .

لقد شوهد هلال رمضان ، فرمضان كريم « يا عزيزى » .

المخلص

ج.و. ماكفرسون .

وفي رده على هذا الخطاب ، أبلغنى البروفيسور ايفانز ـ بريتشارد ضمن أشياء أخرى Inter alia أن الشخشاخة التى أرسلت اليه من مصر مودعة الآن فى متحف بيت ريفرز Pit Rivers بأوكسفورد Oxford . كما ذكر بأنه من بين ارتباطات الشخشاخة العديدة مع مصر ، ذلك الاستخدام الذى طبقته كليوباترا Cleopatra فى معركة اكتيوم Actium ، حيث حصلت (الشخشاخة) على اسم « بوق كليوباترة » « Cleopatra's trumpet » .

وسيكون بريتشارد مهتما وكذلك البروفيسور نيوبيرى Newberry وبدرجة كبيرة « بالدبوس » Dabus الذى فحصه بعد سنوات فى مولد الزفيتى ، والذى سيجد وصفه تحت هذا العنوان ، حيث انه بصرف النظر عن استخدامه الصوفى بواسطة الدراويش ، فانه (الدبوس) جمع كل متطلبات الصولجان الملكى النموذجى ـ الشكل الكروى المطابق بالمسك الطويل ، الرأس الشخشاخية المعبأة ، بالاضافة الى القطع الرنانة من المعدن التى تدعو للنظام ، وكاتم الصوت فى كل طرف . لقد كنت غير قادر على الحصول فى ذلك الوقت على واحدة لارسالها الى أوكسفورد ، لكننى حصلت على واحدة حاليا بفضل سماحة الماجور جاير ـ أندرسون ، والتى (الشخشاخة) تدين بقدراتها الشخشاخية كلية للقطع جرسية الشكل المعدنية على السلاسل ، والتى ليس لها جسيمات حرة لهذا الغرض داخل الرأس المفرغة .

أعتقد أننى قد سردت فى هذا الفصل والفصل الذى سبقه ما فيه الكفاية عن الأشياء المميزة التى يراها أو يسمعها المرء فى « المولد » ، تلك الأشياء التى تثقف ، تسلى ، أو تمتع ، دون ما ليس أكثر من الاشارة

العابرة الى ذلك الدجال quack الذى يغريك « بالدواء » لشفاء كل الأمراض ، والأطباء الذين يقتلعون بالسحر charmout سنة تالفة ، او قارىء البخت fortuneteller وكتابته على الرمل « ضرب الرمل » ، الخ ، الخ ، أو حتى تلك العروض الاكثر ندرة من قراءة الكف ورؤية الطالع بالنظر فى يد « الوسيط » ، أو ما يسمى « بالمندل » ، وما يشابه ذلك من ضروب التنجيم · أحيانا تكون هناك مفاجآت ، قد تتضمن اهتماما معينا بالأمسية على كل من الجانبين الدينى والعلمانى · وكثير مما وصفته أو حذفته من الذكر تافه للغاية ، أو بدائى لدرجة كبيرة ، وحتى الآن قد استبعد من ليالى البرنامج التقليدية والحديثة ، وهناك الكثير الذى لن يكون له تأثير كبير على الناس ، لكن لا أحد يستطيع أن يكون غير مكترث بالتقوى البسيطة والسعادة القلبية التى تتخلل جو المولد — على أى حال ·

(فى الموالد) تتوفر الحرية للحركة أين والى أى مكان تريده semel huc, at queilluc (٣٤) ، وترك أى مشهد لا يروقك الى شىء أفضل — لا جو سجن ، ولا ضجر الاحتجاز فى أماكن مغلقة ، ذلك (الاحساس) الذى يفسد حتى العروض المسرحية ، الحفلات الموسيقية ، معارض الصور وما أشبه ، ويصبح الأمر « استشهادا » عندما يذهب المرء الى متعة مفترضة ، وبدلا من ذلك فانه يجلس ساعات فى سأم كامل ، باحثا دون جدوى عن وجوه المولد السعيدة ، المتحمسة ، البسيطة ليحيى أحدا منها ·

لقد اختلف الكاتب — مقدرا — الى أماكن الجاذبية البسيطة غير المعقدة والانسانية فى الموالد بصورة متساوية Pari passu ، مع شعور بالأسف للأشياء القيمة فى التسليات التقليدية ، نتيجة لاستبدال الموسيقى بصورة غير شرعية بموسيقى الجاز Jazz بتلازمها الكريه والخطأ الشنيع (الذى يماثل) ميكنة وحى الشعر Muses can be mechanised . أيضا فقد كان دورا مؤسفا أن نساعد فى انتصار التنافر النغمى الصاخب والدندنات المقززة على النغم الايحائى والترنيمات المحببة التى أورثتها الروح الحارسة للمعلنين العظماء لنا عبر القرون · شعور بالحزن أيضا لرؤية استسلام الجمهور الفنان لهذا الغزو عديم النفس

---

(٣٤) Semel huc, atque illuc عبارة لاتينية تعنى « فى اى وقت هنا وهناك » ·

أو النشـــاط ٠ وحزين لأن أعلم أن الموسيقيين المحترفين الذين أدخلوا البهجة على نفوسنا ، موسيقيون حقيقيون وممتازون ، عليهم أن يختاروا بين قتل فنهم (الأصيل) والموت جوعا ٠

لكن المأساة الكبرى ، أو هى كما يبدو لى ، هى أن الأجيال الشابة التى ولدت فى هذا (الجو) لاتملك الفكرة الصحيحة عن كل ما ضحى به، وبالتالى ليس لديها حفز كثير لمنازلة هذا الأسر الذى قيد الموســـيقى والفن ، أكثر من ذلك الذى لدى الشاب الفيجى « fijian » تجاه ما اعتاد عليه منذ مولده » ، من استنكار أكل لحوم البشر Cannibalism « الذى يعتبره شيئا طبيعيا منذ طفولته ٠

لقد قال لى « حسن باشا أنيس » الموسيقى الممتاز والأستاذ المتميز فى علوم الطيران ، فى احدى المرات انه قد لاحظ موسيقى أفريقية بدائية فى (موسيقى) الجاز ، موسيقى من « الرنجا » والأنواع المماثلة ٠ وهذا شىء مفيد لكنه لا يواسينا عما كان أفضل من « الرنجا » أو « الجاز » ، خاصة وأن هذه (الموسيقى) قد فقدت روحها وبساطتها فى هجرتها الى البيت الأمريكى الزنجى الداعر ، واستغلالها بواسطة متعهدى الحفلات فى (تقديم) الطعم المشكوك فيه ، أولا فى العالم الجديد ، وبعد ذلك فى العالم القديم ، حتى عادت لتستقر مرة أخرى فى أفريقيا ٠

من الذى سيدحرج الحجر من فتحة قبر آلهة الشعر Muses (٣٥) ويحررنا من هذه الأمور البشعة ، القبيحة ، المتنافرة والبذيئة وتمثيلهـا الهدفى على شاشـة هوليود Hollywood (٣٦) ، ومساندتها الخشنة بواسطة الراديو ، الى حد أن أهل الثقافة والدماثة الذين يؤمل فى قيام

---

(٣٥) Muse فى الأساطير الاغريقية ، أى من الحوريات التسع أو الآلهة الثانويين والذين يمثلون عامة كعذارى صغيرات جميلات ، اللاتى ترأسن الفنون الجميلة الحرة ٠ كن بنات زيوس Zeus ونيموسين Mnemosyne ، وضمن كليو Clio الهة التاريخ ، ايوتيرب Euterpe للشعر الغنائى ، ثاليا Tahlia للكوميديا والشعر الرعوى Idyllic ، ملبومين Melpomene للتراجيديا ، تربسيشور Terpsichore للموسيقى والرقص ، ايراتو Erato للشعر الجنسى ، كاليوبى Calliope لشعر الملاحم والبلاغة ، أورانيا Urania للنجوم والفلك وبوليهيمنيا Polyhymnia للتراتيل المقدسة والتناغم ٠
— Webster Unabridged Dictionary, op. cit., p. 1184.

(٣٦) هوليود Hollywood ، منطقة فى مدينة لوس انجيليس Los Angeles كاليفورنيا ٠ تعتبر مركز صناعة السينما فى الولايات المتحدة ، كذلك فانها مركز لشركات تسجيل الراديو والتليفزيون والموسيقى ٠ تأسست فى ١٨٥٣ ، وانشىء أول استوديو للافلام بها عام ١٩١١ ٠
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 10. p. 204.

ثورة فى قلوبهم ، قد تسمروا mesmerised بصرعات هذه العقيدة (التى من مظاهرها) تشويه أردافهم بالأذرع فى الخصور akimbo ، صفع مؤخراتهم buttocks وابراز اصبع الابهام ، كصبية الاسطبل والنساء البذيئات fishwives بطريقة تكسبهم ـ ليس منذ زمن بعيد ـ المخزون أو « بيت النسيج » فى الوطن أو « وتر القوس » هنا (فى مصر) . اننا بالتأكيد (فى) سباق أغنام ، قليلو الاهتمام بما اذا كنا سودا ، بيضا أو مخططين ، ونتبع أى راع مخادع يملك خداعا غير عادي ووقاحة ليفرض موضاته fashion .

ولقد سعدت ، وأنا أقرأ « بورص اجبسيان » Bourse Egyptienne هذا المساء ، لأن أرى أن أفكارى لم تحجب بواسطة قلة معزولة ـ قرأت :

« يتقلقل ، ويخلع فخذيه ويضرب بيديه وقدميه ، ويهز الرأس كالبندول المعلق ، يعوى كما فى الغابة تلك هى السيمفونية الزنجية التى تقدم فى صالوناتنا فى الوقت الحالى .

Se tremousser, se déhancher, frapper des mains et pieds, agiter la tete a la masiere d'un pendu, hurler comme dans la Jungle, telle est la symphonie negroide qu'offrent nos salons al'heure actuelle ».

وقد رد بعض القراء بأننى لم أنح وأندب على « راقصى الرنجا » وموسيقاهم البشعة ، وأننى قد كتبت بتعاطف ما فى الموضوع . وعلى هذا القول أجيب بأنه رغم أننى لم أر أى شىء آثم أو منفر فى أكشاك البوظة ، وأننى أتردد فى وضع « الرنجا » فى مستوى منخفض كالجاز Jazz (الذى فى بلادنا) ، فاننى (مع ذلك) لا أشيد بها كعنصر تثقيفى فى مولد ، كشىء شديد الغرابة يشد الانتباه للنظر أو السماع أو الدراسة مرة واحدة أو مرتين ، ويجب استنكار ومقاومة تفشيه فى صالوناتنا ، فنادقنا « الأفضل » ، وكل أماكن التسلية ، ليسود كل شى وكل شخص ويطرد موسيقى الثقافة والتفوق . ان « الرنجا » شأن « الجاز » بدائية للغاية ورديئة . وعلى عكس الجاز ، ليس لها لحسن الحظ دعاة ونصراء ليسببوا هذه النتيجة المنافية للعقل . ان الشر يكمن فى الافراط ، ان

موقفا للجاز قد يؤدى الى اصابة التسلية بالحدة والحرافة piquancy ، تماما مثل بقع النمش القليلة على شيء جميل رزين ، لكن عندما تصبح البقع مندمجة كنهير فى نهر على وجه مجتمع ، فانهـــا تشبه المرض المعدى الكريه ٠

اذا كان الامتحان القاسى للبهجة الطبيعية الحقيقية بالمقابلة للصخب والقصف القهرى ، هو غياب كل الميول نحو ما هو كئيب ومروع ، فان المتعة فى عروض « المولد » تبدو جيدة بوضوح ٠ وحتى لو أقيم « المولد » فى مقبرة ، فان الكآبة والمهانة المتعمدة والترويع لن يكون لها مكان ٠ ولــن توحى أى مــن عروضـــه (المــولد) « بكبــاريه العـــدم » « Cabaret du Néant »، أو « الســـماء » Le Ciel و « الجحيـــم » L'Enfer فى مدينـــة النـــور Laville Lumiere ، (وســـتكون) أقل كثيرا من « القداس الأسود » Black Mass فى سرداب الموت Catacombs (٣٧) ٠ ولحسن الحظ ، فان الجــو فى هــذه البـــلاد المباركة (مصر) ضد هذا النوع من التسلية ، رغم ما جاء فى مقالة فى « La Bourse Egyptienne »لابورس اجبسيان فى ٢٦ مارس ١٩٤٠ عن تطور النزوع نحــو الترويع macabre trend حتى فى مصر ٠ وتصف المقالة بعنوان « سر الأصوات فى القبر الآخر Le mystère des voix d'outre-tombe » ، غزو مقـــابر « الشـــاطبى » بواســـطة خمسمائة سيارة وخمسة آلاف شخص تركوا كبارياتهم ، والفوكس ــ تروت fox-trot (٣٨) وما الى ذلك ليشاركوا فى صيد شبح مزعوم ٠

لكن اذا كان أحد من قرائى كان فى برلين Berlin منذ حوالى عشرين عاما ، فانه سيكون قد تحقق من مدى العمق الذى ســـقط فيه « الجاز » متأثرا بالترويع ، كما أنه من الدلالة بمكان ذلك الترحيب الحار (بهذا « الجاز ») وتشجيعه هناك أكثر من أى مكان فى أوروبا ٠ وقد

---

(٣٧) القداس الاسود Black Mass هو القداس الدينى الذى يرتدى فيه رجال الدين الملابس السوداء ، وسرداب الموت Catacombs هو الحفرة أو الكهف grotto لدفن الموتى ٠ ينطبق أصلا على عدد كبير من المقابر السرية Subterranean sepul chers على بعد ثلاثة أميال من روما ، كانت تحفظ فيه جثث الشهداء الاوائل للمسيحية ــ عادة يكتب المصطلح جمعيا Catacombs .

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., p. 283.

(٣٨) Fox - trot رقصة مختصرة تتضمن مشيا عاديا : ربع دورة ، انزلاق جانبى للقدمين ، وخطوات سريعة وبطيئة متغيرة ٠ اخترعها هارى فوكس Harry Fox عـام ١٩١٣ ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol., 8, p. 256.

جرت التغييرات (فى الجاز) الى « رقصات الموت » Dances of Death ـ فالس رقصة الموت Waltz Macabre ، رقصة الموت Der Tanzende Tod (فالس بوسطون) Valse Bostan ، شيمى لايدر Shimmy Lieder (٣٩) ـ والفوكس تروت foxtrots : ولم تكن برامج صالات الرقص الشهيرة Tanzsall أو أعياد الرقص الراقية Tanzfest الخاصة بالطبقة الاجتماعية العليا das vornehmeleben لتكتمل دون الرقصة الغنائية Fox Macabre Totentanz رقصة الموت الفوكس تروتية والتى كانت « اللازمة » refrain (٤٠) فيها تسير على النحو التالى :

« Berlin, dein Tanzerist der Tod ! Berlin, du Wuhlst mitlust in kot ! Haltein ! Lassein, und denk ein bischen nach, Du tanzt dir doch vom leibe nicht die schmach, denn du boxt, und du Jazzt und du foxt auf dem pulver-fass ».

« برلين ، رقصتك هى رقصة الموت ! برلين تدورين ببهجة فى الفحش والقذر ! قفى ! توقفى ! وفكرى فى الأمر لحظة : لا ترقصى العار الخارج من رحمك ، لأنك تلاكمين ، وترقصين الجاز ، والفوكس تروت على برميل بارود » ·

كانت هذه « اللازمة » معلنة على شكل صورة ضخمة كالكابوس ، وفيها جماعة ترقص على قنطرة امتدت فوق حفرة جهنم العميقة فى اللحظة التى كانت القنطرة فيها تتهاوى مسقطة اياهم (فى القاع) · كان هذا كله قريبا من قمة التفسخ الشنيع ، ولقد كان من الصعب فهم ماذا كان الرحم Mutterleib يرتب لتقديمه لهذه الحرب ، حيث ان الخطوة التالية الوحيدة على ما يبدو قد تكون « Berlin, dein Tanzerist die Holle »

(٣٩) Shimmylieder جملة المانية تعنى اغانى رقصة شيمى ، Lied تعني اغنية بالالمانية ، أما شيمى Shimmy فهى رقصة من رقصات الجاز Jazz الامريكية التى شاعت فى عشرينيات القرن العشرين ، وتتميز بالهز الكثير للجسم وخاصة الاوراك والاكتاف

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., pp., 66, 58, 1976.

— Larousse Universal. Tome second, Librairie Larousse, Paris, 1923, p. 944.

(٤٠) اللازمة refrain عبارة تتكرر على نحو موصول فى قصيدة أو اغنية ·

— Webster Unabridged Dictionary. op. cit., p., 1519.

برلين ، رقصتك هى رقصة الجحيم (٤١) . لكن لهذه المجادلات والكوابيس Cauchemars هدنة ، ولندع هؤلاء الذين يحبون الموت والتصوير الشخصى له ، يذهبون الى قلب ألمانيا ، (والذين يحبون) الجاز الى الأويكيماتا Oikhmate فى أقصى الغرب حيث يمكنهم رؤية الكونجوا Congua ، وعناق الأرانب « Bunny hug » والمؤخرة السوداء Black Bottoms وسماعها فى أصولها النقية (٤٢) .

« Juvat integras accedere fontes,
Atque haurire ».

« يساعد كل الينابيع كى تتصل وتتفرع » .

أو حيث « Non Cuivis contingit a dire Corinthum » لم يلمس ذلك كى يصل الى كورنثة (٤٣) .

(وفى هذا المقام) ، فان مطبخ الجحيم Hell's kitchen أو الطبقات الدنيا bas-fonds فى فريسكو Frisco أو شيكاجو Chicago قد تفى بالغرض ، ناهيك عن أماكن أخرى قرب الوطن ، ـ لكن أولاء الذين يفضلون جوا من الورع الطبيعى البسيط والبهجة ، وجو الفردوس النقى ، بعيدا عن ظل الموت وتشخيصه أو شبه ظله ، قد يفعلون ما هو أسوأ من الذهاب معى مرة فى الطريق الى مولد ، وللتفضيل ، مولد ريفى .

وقد تقول أو تفكر ، مع بايرون Byron (٤٤) :

أحلامنا جميلة ، من مرح المدينة الى المرح الريفى .

---

(٤١) يلمح المؤلف هنا الى ما قدمه الالمان من مظاهر لتصوير الموت Macabre فى الرقصات التى ابتدعوها فى برلين تحويرا لرقصات الجاز Jazz والفوكس تروت Foxtrot الأمريكية فى العشرينيات ، وما فى ذلك من ارهاصات لتلك الحرب التى حدثت فى (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) والتى كانت المانيا الهتلرية مسؤولة عن اندلاعها .

(٤٢) لم استطع الوصول الى معنى Oikhmata ولا Congua ولعل المؤلف يقصد اماكن ظهور رقصة الجاز الزنجية الأصول .

(٤٣) ترجم هاتين العبارتين اللاتينيتين الدكتور/ صالح رمضان ـ ولو انى لم استطع الربط بين معانيهما وسياق النص .

(٤٤) جورج جوردون بايرون Byron, George Gordon ٢٢ يناير ١٧٨٨ ـ ١٩ ابريل ١٨٢٤) اكثر الشعراء الرومانسيين الانجليز تاثيرا وشهرة ـ تعتبر القصيدة دون جوان Don Juan (١٨١٩ ـ ١٨٢٤) من اشهر اعماله .
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 3, p., 603.

الفصل الخامس

الملامح الشخصية للموالد

لقد صورت الصفحات السابقة « الموالد » بصفة عامة ، رغم رسم صور فى حالات محددة • وهذا الفصل يحمل طبيعة الدليل الذى يرسم ملامح الموالد الشخصية ، أو خصوصياتها كما لاحظها الكاتب من خلال زيارات متكررة لكل هذه الموالد تقريبا ، ومن مصادر مباشرة بالنسبة للأمثلة القليلة الباقية • ولم يشهد الكاتب أو يطلب قوائم رسمية أو تفاصيل ، والتى كان يمكن أن تجعل من هذا العمل وثيقة أكثر قيمة بلا شك من الناحية الفنية والاحصائية ، لكنه يترك هذا للآخرين ، لأن النية من وراء هذا التصنيف أن تكون بحثا ذا طبيعة لطيفة فى ميدان مهمل لكنه جدير بالاستحقاق • ولكونه عملا رائدا ، فان هناك العديد جدا من الثغرات Lacunae التى تحتاج للملء ، وخاصة عدم تضمن العمل الموالد الاقليمية الهامة ، وذلك بسبب الحاجة الى الاتصال الشخصى والمعلومات المباشرة التى يعتمد عليها •

ورغم أن كل الموالد يجب أن يكون لها جانبها التعبدى ، فان هذا الجانب يتراوح بين كونه « المظهر الوحيد » ، فى بعض الموالد الصغيرة ، وخاصة تلك التى لها طبيعة شبه خاصة ، كمولد (أبو) « العزايم » ، وبين (موالد) أخرى « كالحلى » الذى ينزع الى الجانب الآخر • وهناك موالد أخرى (كمولد) « النبى » لها طبيعة من نوع « رسمى » ، (وهناك) البعض الذى يستمد سحره مما يحيط به من مجاورات جميلة أو قديمة • ولتجمعات الصحراء والريف عناصرها الفاتنة الخاصة ، فظلال العادات الموغلة فى القدم تظلل القليل (من الموالد) ، وقد يدخر لنا الدراويش والموسيقيون (بعض) المفاجآت ، وهكذا ، ففى النهاية (نقول) ان قليلا من الموالد تخلو من بعض عناصر الشخصانية •

وكما شرح فى الفصـــل الثانى ، فان التاريخ الذى يحتفل فيه « بالمولد » يتقلب عادة لدرجة كبيرة ، لعدة شهور فى بعض الأحيان ، وهذا بالنسبة للاحتفالات الاسلامية التى لها الغالبية العظمى ، الى حد تعذر اعداد تقويم لايزيد عن أن يكون تقويما تقريبيا • وقد ألحقت (بالدراسة) محاولة كهذه ، ستعطى على أى تقدير ، فكرة عن الوقت الذى نبدأ فى التطلع فيه الى « مولد » معين ، لكن الاشارة الى المولد كما سيشرح فيما بعد فى هذا الفصل ستقرب المرء أكثر (الى موعد المولد) •

وسيلاحظ (القارىء) أننى غامرت فى هذا التقويم بوضع اليوم الفعلى (للمولد) من الشهر فى ثمانى حالات ، واحدى هذه الحالات (مولد) « بهلول » فى التاسع والعشرين من شعبان ، (ومع هذا) فان (ذلك التاريخ) ليس دقيقا تماما ، ذلك أنه يقصد به عشية أول رمضان ، وقد يكون شهر شعبان ثلاثين يوما ، رغم أنه تسعة وعشرون يوما فى العادة • ويحتمل أن ينطبق الأمر أيضا على العديد من الموالد الصغيرة (التى تقام) عند « أبواب » « الفتوح » ، و « النصر » ، وأماكن أخرى • وهناك فى الفصل الثانى أيضا التواريخ التقريبية للموالد القبطية القليلة نسبيا ، وفقا لهذا التقويم • ولقد سبقت الاشارة الى أن مولد « أبو هريرة » بالجيزة يهمل التقويم الاسلامى لصالح اثنين Mondey عيد الفصح القبطى Coptic Easter Monday ، وأن (مولد) « السيد البدوى » يتبع الأشهر الشمسية وليس القمرية ، فيقع فى أكتوبر الموافق « لبابه » القبطى • كذلك فان (مولد) « البيومى » يقع فى مارس « برمهـــات » ، ومولد « الامبابى » فى يونيه « بؤونه » •

ولما كانت الأهمية تعلق دائما على يوم الأسبوع بدلا من يوم الشهر ، فان الجدول الذى فى نهاية الفصل الثانى يمكن أن يكون مفيدا •

لقد تم ترتيب المائة والستة والعشرين مولدا التالية وفق الحروف الأبجدية ، وتظهر فى الفهرس العام تحت (عنوان) « المولد » بنفس الترتيب •

وللقراء الذين لا يعرفون العربيــة ، فقد ألحق جدول بالكلمــات العسيرة Glossary العربية المستخدمة ، ورتبت أبجديا وفقا للترجمة الانجليزية :

المواعيد التقريبية للموالد التى تتبع التقويم الاسلامى

« حيثما يتراوح الموعد أكثر من شهر ، فان الشهر الأول المحتمل هو الذى سيذكر »

محرم	عبد الدايم	القاهرة	جمادى الأولى	أبو السباع	القاهرة (بولاق)
	أبو طرابيش	حلوان		أحمدين	القاهرة
	جلال	القاهرة		بدران	القاهرة
	خليل	شبرا		البنهاوى	القاهرة
	محمد البحرى	القاهرة		الدسوقى	جزيرة الذهب
	مظلوم	الشرابية		جلال الدين	اسيوط
	عمر	القاهرة		جودة	منيا القمح
	قرنى	منطقة الواسطى		حمزة	القاهرة
	الشطبى	منطقة القاهرة		هلال	القاهرة
	التونسى	منطقة القاهرة		حنيدق	الاسماعيلية
صفر	سيد الملك	القاهرة (السبتية)		القريشى	زنين
١٠ ربيع الأول	العشماوى	القاهرة		سكينة	القاهرة
	فاطمة النبوية	القاهرة		سلامة	القاهرة

(تابع) : المواعيد التقريبية للموالد التى تتبع التقويم الاسلامى

			جمادى الآخرة	عارف	تلا ، منوفية
١١ ربيع الأول	مولد النبى	القاهرة (العباسية)		أبو عميرة	كرداسة
	السلطان صالح	القاهرة		جمال الدين	كفر ترمس ، سفط
ربيع الثانى	أبو العلا	القاهرة		الغريب	ميت عقبة
	فرج	القاهرة		حسن الأنور	مصر القديمة
	فرغل	أبوتيج		عثمان	الأهرام
	الحسين	القاهرة		لاشين	ميت عقبة
	نصر	القاهرة		العقبى	ميت عقبة
	شبل	الشهداء ، منوف		سليم	القاهرة (بولاق)
	حسن الطرطورى	منطقة القاهرة		طرطورى	الحطية(ميت عقبة)
جمادى الأولى	أبو قتاتة	منطقة الجيزة		الزفيتى	الدقى
	أبو الليل	بنى مزار		زين العابدين	القاهرة
رجب	عبد الله	القاهرة	١٤ شعبان	أولاد بدر	بولاق
	أبو قفص	حلمية الزيتون		أولاد شعاب	القاهرة
	العجمى	الاسكندرية		عائشة	الخليفة
	أبو العزايم	القاهرة		عائشة التونسى	الخليفة
	دشطوطى	القاهرة	٢٩ شعبان	بهلول	القاهرة
٢٦ رجب	أو طشطوشى			عمرى	القاهرة (محمد على)
				عمرى	القاهرة (طولون)

(تابع) : المواعيد التقريبية للموالد التى تتبع التقويم الاسلامى

٢٦ رجب	ابراهيم	المطرية
	الكردى	بولاق
	معروف	القاهرة
	موفق	القاهرة
	القاصد	القاهرة
	الشامى	جزيرة الذهب
	الواسطى	بولاق
	زينب	القاهرة
شعبان	عبد الله الحجر	الخليفة
	عبد الله خفير	الخليفة
	الدرب	
	عبد الباسط	باب النصر
	عبد الكريم	باب النصر
	عبد القاصد	القاهرة
١٤ شعبان	عبد الرحيم القناوى	قنا

٢٩ شعبان	فاطمة النبوية بنت	باب الخلق
	جعفر	
	الجلادين	بولاق
	جانب	القاهرة (السروجية)
	سلطان الحنفى	القاهرة
	هارون	القاهرة (طولون)
	الخصوص	بولاق
	الليث	الامام
	مرصفى	القاهرة
	منسى	القاهرة
١٤ شعبان	المطراوى	المطرية
	المحمدى ، الدمرداش	الدمرداش
	شاهين ، المحمدى	الخليفة
	القزازى	الجمالية
	صالح حداد	القاهرة
	السمان	الامام
	الامام الشافعى	القاهرة

(تابع) : المواعيد التقريبية للموالد التى تتبع التقويم الاسلامى

١٤ شعبان	عبد الواحد	بولاق
	أبو بدر	القاهرة
	أبو ضيف	القاهرة (الامام)
	أبو زيد	القاهرة (الامام)
	على الجيزى	القاهرة (المماليك)
	الأنصارى	القاهرة
	الأربعين	القاهرة
١٤ شعبان	السطوحية	باب الفتوح
	يوسف الحجاج	الأقصر

جدول بالشهور العربية والشهور القبطية :

الشهور العربية	الشهور القبطية
المحرم	توت
صفر	بابه
ربيع الأول	هاتور
ربيع الآخر	كيهك
جمادى الأول	طوبة
جمادى الآخرة	أمشير
رجب	برمهات
شعبان	برمودة
رمضان	بشنس
شوال	بؤونة
ذو القعدة	أبيب
ذو الحجة	مسرى

ملاحظة : أول المحرم ١٣٥٩ يقابل التاسع من فبراير ١٩٤٠ ــ ويبدأ التقويم الاسلامى بهجرة الرسول (ﷺ) من مكة الى المدينة (٦٢٢ م) ــ وكل شهر يتكون من ٢٩ أو ٣٠ يوما ؛ لتكون السنة الهجرية أقل من السنة الشمسية بأحد عشر يوما ٠

الأول من توت يقابل الحادى عشر من سبتمبر ١٩٤٠ ــ ويبدأ التقويم القبطى من « عام الشهداء » (٢٨٤ م) ٠ يتكون الشهر الصغير « نسىء » من خمسة أو ستة أيام كبيسة inercalary لاستكمال السنة الشمسية ، أما الشهور الأخرى فان كل منها يتكون من ثلاثين يوما ٠

وبالاضافة الى هذه الأيام فى السنوات المذكورة ــ فان هناك السنة اليهودية المعترف بها فى مصر ، والتى تبدأ من « الخلق » Creation ٠ وأول تشرى Tishri (١) عام ٥٧٠١ « من سنوات العالم »

---

(١) التقويم اليهودى هو تقويم يستخدمه اليهود لحساب التاريخ اليهودى ، الأعياد ، الخ ٠ وهو مؤسس على الشهر القمرى ويحسب بدءا من عام ٣٧٦١ قبل الميلاد وهو التاريخ التقليدى لبدء الخليقة ٠ وأشهر التقويم اليهودى هى : تشرى Tishri (ثلاثون يوما) ، شيشفان Cheshvan ٢٩ أو ٣٠ يوما) ، كيسليف Kislev (٢٩ او ٣٠ يوما) ، تيبت Tebet (٢٩ يوما) ، شيبات shebat (٣٠ يوما) ، ادار Adar (٢٩ او ٣٠ يوما) ، نيسان Nisan (٣٠ يوما ، ايار Iyar (٢٩ يوما) سيفان Sivan =

الثـــالث من أكتـــوبر ١٩٤٠ A. M., anno mundi . (كذلـــك) فان أول تشرى عام ٥٧٠٢ (من سنوات العالم A.M., anno mundi) « Rosh Hashanah » يوافق الثانى والعشرين من سبتمبر ١٩٤١ » (*) .

= (٣٠ يوما) ، تموز Tammuz (٢٩ يوما) ، آب Ab (٣٠ يوما) وايلول Elul (٢٩ يوما) . وحوالى مرة كل ثلاث سنوات (سبع مرات فى كل ١٩ سنة) يأتى شهر اضافى فيدار veadar (٢٩ يوما) ، ويقع بين ادار ونيسان ، حيث السنة اليهودية بها ٣٥٤ يوما فقط . والشهر الأول من السنة اليهودية يبدأ فى أواخر سبتمبر أو فى بواكير اكتوبر . وهناك اسماء بديلة للشهور هى ايثانيم Ethanim لتشرى ، مارشيشفام Marcheshvam أو بول Bul لشيشفان ، أبيب Abib لنيسان ، زيف Zif لايار ، ادارشينى Adar Sheni لفيدار . وتبدأ السنة العبرية Rosh Hashana فى الأول والثانى من شهرى تشرى Tishri .

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., p., 984.

(★) قدم المؤلف بعد ما فات خريطة دليل Index Map للقاهرة ، قسمها الى عشرين قطاعا بالأرقام اللاتينية ، ثم أتبع هـذا بقائمة بالخرائط القطاعية Sectional Maps للمدينة ذكر فيها أسماء الموالد الموجودة فى الخرائط القطاعية ـ بعد ذلك قدم المؤلف عشرين خريطة قطاعية للقاهرة ، حدد فى كل منها مواقع الموالد بحروف لاتينية وأرقام ، وزود كل خريطة بأسماء الموالد وفق أرقامها وحروفها ـ فقدم تحت رقم I قطاع بولاق وبه موالد فرج F 1 الجلادين G1 ـ سليم S 9 ـ الحل H 6 ـ الكردى K 4 . واتبعه بخريطة قطاع II لجزيرة بدران وضمت مولد بدران تحت رقم B 1 . وكانت الخريطة III لقطاع الشرابية وفيها مولد جلال تحت رقم G 2 . وكانت الخريطة IV لقطاع عزبة الصفيح (شمال الشرابية) وضمت مولد مظلوم تحت رقم M 9 . الخريطة القطاعية V لشمال شرق القاهرة (قرب الدمرداش) . وضمت مولد المحمدى رقم M 11 . الخريطة VI لبولاق وضمت موالد عبد الواحد A 7 ابو العلا A 16 ـ أبو السباع A 23 ـ أحمدين (27) A 2 أولاد بدر A 31 ـ هلال H 5 ـ خصوصى K 2 ـ موفق M 10 ـ نصر N 2 ـ سيد الملك S 8 وامنطى W 2 . الخريطة VII لحى كلوت بك وضمت مولد بحرى B 3 . الخريطة VIII باب النصر ، باب الفتوح ، وما يجاور شارع فاروق وضمت موالد عبد الباسط A 2 ـ عبد الكريم A 4 ـ منسى M 4 ـ البيومى B 5 ـ البنهاوى B 6 ـ الدشطوطى D 4 جمال G 6 ـ السطوحية S 16 . الخريطة IX للعباسية وضمت مولد النبى N 3 . الخريطة X لعابدين ومجاورتها وضمت موالد عبدالدايم A 3 ـ عبد الله AB ـ حمزة H1 معروف M 1 ـ المغربى M 3 الخريطة XI لشارع محمد على وضمت موالد الأنصارى A 28 ـ الاربعين A 29 ـ العشماوى A 30 ـ ضرغام D 3 فاطمة النبوية بنت جعفر F 4 ـ العمرى E 1 ـ مرصفى M6 =

سيدى (العارف) بالله سيد محمد الجمل « انظر خريطة الدلتا » ـ A1:

لا علم لى بشىء عن هذا المولد زيادة عن رؤيته مذكورا فى احدى الصحف العربية عام ١٣٥٧ (١٩٣٨) والتى تشير الى أنه له بعض الأهمية ٠ كان المفروض أن يقام قرب « تلا » فى محافظة المنوفية (محطتان من طنطا على الخط الرئيسى) ، من يوم الجمعة التاسع من جمادى الآخرة الى الخامس عشر « يوم الجمعة أيضا » ـ وهو يوافق الخامس من أغسطس الى الثانى عشر منه عام ١٩٣٨ ٠

= سلامة S 2 ـ الخريطة XII منطقة الموسكى وضمت موالد : الحسين H 8 ـ مرزوق M 7 ـ القزازى Q 1 ـ الصالح ايوب S 3 ـ الخريطة XIII السيدة زينب وابن طولون وضمت موالد : ابو العزايم A 13 ـ الحنفى H 2 صالح الحداد S 4 ـ زينب Z 3 ـ هاروز H 2 ـ خضيرى K 3 ـ الخريطة XIIII جنوب شرق القاهرة (مجاورات باب الوزير وسوق السلا وضمت موالد : بهلول B 2 ـ فاطمة النبوية F 3 ـ جانب G 7 ـ ابراهيم I 2 صعودى S6 ٠ الخريطة XV المذبح Abattoir وضمت مولدى حسن الأنور H 4 ـ زين العابين Z2 ـ الخريطة XVI ابن طولون وضمت مولد عمرى E 2 ـ الخريطة XVII ما حول مقابر المماليك والخلفاء العباسيين وضمت موالد : عبد الله الحجر A9 عبد الله خفير الدرب A 10 عائشة A 33 ـ عائشة التونسى A 34 ـ الجيزى G.10 ـ نفيسة N 1 ـ سكينة S 1 ـ السمان S 5 ـ الخريطة XVIII حصن بابليون وضمت مولد جرجس G 9 ـ الخريطة XIX مقابر ـ الامام الشافعى Necropolis of Imam El-Shafei وضمت مولدى الامام الليث L 1 الامام الشافعى S 11 .

أما الخريطة XX التى خصت ما تحت تلال المقطم والتى كان بها مولد الشاطبى S 13 فهى الخريطة الوحيدة التى تضمنت المسميات العربية والانجليزية (المغاورى ـ الجيوشى ـ عمر بن الفارض ، سيدى جاهين ـ الشاطبى) ـ تلت هذه الخرائط خريطة تخطيطية لمنطقة « الدقى » وضمت مولد الزفيتى Z 2 ـ وقد أورد المؤلف فى هذه الخرائط القطاعية أسماء الشوارع الهامة ، وارقام خطوط الترام والأوتوبيس التى تسير فيها ، والكنائس الشهيرة ، والمدارس المعروفة ، والمرافق الحكومية الكبيرة ، والمعالم الطبوغرافية ذات الاهمية كالنيل ، والقلعة ، والكبارى ، والقنوات ، وخطوط السكك الحديدية ، والمقابر الشهيرة ، والمساجد الكبرى ، وأسوار المدينة القديمة ، والحدائق الكبرى ، والمرافق الهامة ٠ وقد ارفقت هذه الخرائط بعد تعريب اسماء الموالد فى كل خريطة ـ وجعلتها ضمن ملاحق الدراسة ٠

عبد الباسط (انظر الخريطة القطاعية (A 2 (VIII :

يبدو أن هذا المولد الميكروسكوبى يقام دائما فى شعبان أو قرب نهايته • (فى عام ١٣٥٥ كان التاسع والعشرون من شعبان يوافق « الوقفة » لرمضان « ١٤ ــ ١١ ــ ١٩٣٦ ») •

ويعتبر هذا المولد الأصغر فى مجموعة من الموالد الصغيرة التى تقام معا فى قطعة من أكثر المناطق جمالا وتأثيرا فى مصر (القديمة ancient) حول بوابات الجانب الشرقى للقاهرة ، باب الفتوح وباب النصر (١ مكرر)• والمولد يقع على مسافة متساوية من البابين ، فى شارع « الضبابية » • ويمر أتوبيس (الخط رقم) ١٢ بين « بيت القاضى » و « العباسية » بنهاية هذا الشارع •

عبد الدايم « انظر الخريطة القطاعية A3-« X

شاهدت هذا المولد الصغير فى يوم الجمعة ١٦ محرم (١٣٥٤) وفى يوم الجمعة ١٦ ربيــع الآخر ١٣٥٦ ، « ٢٥ ــ ٦ ــ ١٩٣٧ » والمسجد الصغير الحديث للشيخ عبد الدايم ، شديد القرب من « محطة باب اللوق » فى شارع عبد الدايم ، الذى يسير موازيا لشارع الدواوين ، وينضم الى شوارع « قوله » و « كوبرى قصر النيل » •

ولا يحظى هذا المولد بشهرة عريضة ، وليس به الكثير من المظاهر الجذابة الدنيوية ، لكن أثره يأتى من السلوك التعبدى لمريديه ، الذين يملأون المسجد والشارع الصغير بصلواتهم وأذكارهم •

عبد الكريم « انظر الخريطة القطاعية A 4-VIII »
« انظر مولد السطوحية S 16 »

. أحد الموالد الصغرى الذى يقام عند / قرب نهاية شعبان فى منطقة باب الفتوح وباب النصر •

(★) لا يضم العمل سوى خمسة فصول تصل الاربعة الأولى منها الى ص ٩٧ ــ اما الفصل الخامس فيبلغ عدد صفحاته ٢٢١ صفحة قدم فيها المؤلف خرائط القاهرة الدليلية Index وخرائط قطاعات المدينة وجداول الموالد ومواعيدها ، ثم انتقل بعد ذلك الى دراسة ١٢٦ مولدا • وفصل بهذا القدر من الصفحات قد يخالف التخطيط العلمى للكتابة ، ويبعد الفصول عن التوازن اللازم ، لذلك فقد اضفت مجموعة الجداول والخرائط الى قائمة الملاحق ، جاعلا الفصل يقتصر على الوصف التفصيلى للموالد المائة والستة والعشرين ، ونوهت الى ذلك فى مقدمتى •

(١ مكرر) عن باب الفتوح وباب النصر ــ راجع الحاشية ٢٧ من الفصل الثالث •

عبد القاصـــد « انظر مولد الســـطوحية S 16 (في الخريطـــة القطاعية A5 (VIII :

مولد آخر صغير من مجموعة « السطوحية » ، يقام فى منطقة باب الفتوح وباب النصر عنه / قرب نهاية شعبان · وهناك ضريح « لسيدى القاصد » فى « شارع عبد الدايم » يقابل فى الغالب مسجد شـــارع عبد الدايم وقرب شارع القاصد « بباب اللوق » ، حيث أبلغت أن مولدا يقام هناك · لكننى لم أستطع الجزم بذلك ·

عبد الرحيم القناوى « انظر خريطة الوجه القبلى » :

هذا هو أحد الموالد الرئيسية فى مصر ، وفى مجال الأعياد الاقليمية فاننى أتصور أنه يمكن أن يكون الثانى بعد « مولد السيد البدوى » فى طنطا · ونظرا للاحتفال به فى « منتصف شعبان » ، هذا الوقت المقدس ، فانه يتداخل دائما مع موالد « المطرية » و « الأقصر » · ومع بعض الموالد الأصغر · وعلى سبيل المثال ، ففى عام ١٣٥٦ (١٩٣٧) وقع مولد « سيدى هارون » الصغير الجميل فى نفس الليلة ، لكن لحسن الحظ فقد تم تجنب ذلك منذ هذا الوقت ·

ونظرا للجاذبيات المتعارضـــة لهذه الموالد المتزامنة ، وبعدها عن القاهرة ، فاننى لم أشهد على الاطلاق (مولد) سيدى القناوى حتى عام ١٣٥٧ (١٩٣٨) ، عندما مكننى كرم الدكتور اى · اى · ب E.E.E.P.(٢) ، وزميل كان يدرس معه أساليب أهل « طيبة « Thebes » ، من ملاحظة المظاهر البارزة (من المولد) على مدى أربعة أيام كاملة · كانا قد هجرا مقرهما لبعض الوقت ــ وكان فى جزيرة ــ وشغلا غرفا فى فندق « دندرة » بقنا ــ (الذى) يطل على الشارع الرئيسى بحدائقه الصغيرة وترعته التى مرت خلالها أسراب من الحمير المسرعة والجمال ، والموسيقى ، ومواكب من النساء ، والماعز ، الخ ·

---

(٢) يقصد الدكتور بريتشارد E. E. Evans-Pritchard صديق المؤلف وصـــاحب « التقديم » لهذا العمل · وقد كتب عنه المؤلف فى حاشية بصفحة ٣٦٧ من عمـــله انه محاضر بحث Research lecturer فى علم الاجتماع الافريقى African Sociology بجامعة أوكســـفورد Oxford لكنه كان وقت كتـــابة العمل ١٩٣٨ ـ ١٩٤٠ فى خـــدمة فعليـــة active service على الحدود الاثيوبية ــ كما ذكر انه كان أستاذا للاجتماع فى الجامعة المصرية ، وان من بين اعماله الرئيسية « Witchcraft, Oracles and Magic among the Azande » و« The Nuer p. من شعوب حوض النيل · كذلك فقد اثبت المؤلف فى خلاف العمل ان بريتشارد حاصل على الماجستير M.A من اكســـفورد ، والدكتوراه PhD. من لندن ، وانه يحمل رتبة (بمباشى) Lieut Col.

وبعبور القنطرة الى السور الضخم الذى يحتاط مجموعة رائعة من المبانى المقدسة ، ومقامات « عبد الرحيم » و « القرشى » « هذا مقام عبد الله القرشى » ، كان محزنا فى الليالى الافتتاحية أن تشعر فى الحال أن الجو كان حتى هنا فاترا بعض الشىء بسبب روح الوقت Zeit geist المفسدة للبهجة ٠

كانت الأضواء براقة وجميلة ، لكن الأضواء سقطت على مراجيح لم تتأرجح ، وأعشاش الأوز لم تدور ، والوجوه المحبطة للكثيرين الذين أتوا من على بعد مئات الأميال ليقدموا بهجة بريئة ويكسبوا القليل من المال ، لكنهم طردوا بعد أداء الفروض الدينية ليتسكعوا ، أو ليزوروا مسرحا أكثر قتامة ، وكشكين أو ثلاثة ٠ هل أصبحت خطيئة فجأة أن تشاهد عرضا « لخيال الظل » أو « حاوى » ، أو لاعب الثعابين ، أو الساحر ، أو البهلوان أو آكل النار ؟ ، وهذا القره جوز البائس ، بانش الشرق Purch ، الذى كان مسلما طيبا هنا وفى تركيا وأماكن أخرى لمئات السنين ! هل تحول الى مهرطق فى هذه السن المتأخرة ؟

فى يوم الجمعة ١٣ شعبان ، زالت القتامة عندما جرى عرض لخيول جميلة وراكبين ماهرين رائعين ، ولكن لمدة ساعة واحدة فقط قبل الغروب٠ وفى يوم السبت الرابع عشر من شعبان بدت الليلة براقة بما فيه الكفاية ولم تفتقد سوى بعض ضروب التسلية القليلة ، وفى النهاية بدأت المراجيح فى الدوران وعشش الاوز تعمل ، رغم أن « قره جوز » لم يظهر ٠

كانت الأضرحة ممتلئة بالناس ، والمجموعات حول حلقات الذكر ضخمة ومنتظمة تماما ٠ (لكن) لماذا أجبر الناس الطيبون الذين فضلوا أن يقفوا ، على الجلوس أرضا عن طريق الاستخدام البسيط للسياط التى لم تكن واضحة تماما ، لكنها (مع ذلك) نزعت الى احداث السكوت والانتباه ٠ تلقيت التحية مرات عديدة من « مجذوب » عرف بقدراته التنوعية Hypnotic الرائعة فى مولد « زين العابدين » فى ١٧ جمادى الآخرة ١٣٥٧ (١٩٣٨) ، كما شرحت فى هذا الاحتفال ، لكنه كان هنا مجرد واحد بسيط فى ذكر ، كلما رأيته ، جاذبا القليل من الاهتمام ــ مؤكدا المثل الذى يقول : « لا يعدم النبى آيات التشريف الا فى وطنه » (٣) prophet is not with out honour, save in his own country.

(٣) مثل اصله اية فى « انجيل متى » يقول : « واما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته (الاصحاح ١٣ الاية ٥٧) ــ يقابله فى العربية (لا كرامة لنبي فى وطنه) و (مغنية الحي لا تطرب) و (بنت الدار عوراء) ٠
ــ انجيل متى (١٣/٥٧) ٠

ولقـــد جرى تكريمنا بدعوة الى « التشريفة » وأماكن فاخرة ، ومنعشـات الخ ، قرب صـــاحب العزة « مدير قنا » الذى كان يرأس (الاحتفال) • وكانت هناك كلمات بليغة وخطب فصيحة •

كان المظهر الرئيسى للمولد كله Clou هو « الزفة الكبيرة » يوم الأحد ، ١٥ شعبان (١٩٣٨/١٠/٩) حوالى الساعة العاشرة والنصف فى حرم المقام sacred enclosure : الموســيقى المعتـادة ، الدراويش ببيارقهم وشاراتهم ، وخلفاؤهم على خيول مطهمة ، وبعد راكبى الجمال بالطبـول النحاســية ، لاعبو الفلوت flute والبقية ، جاء « الطوب » tub ، وهو نوع من « المحمل » تكريمـا لـ « ســيدى عبد الرحيم » ثم تكرار لذلك المحمل على معدل أصغر ، فى شكل عدد كبير من التوابيت tabuts المعدة على شكل « تختروانات » (٤) فوق جمال مزركشـة ، كل لتكريم شيخ شهير أو « ولى » • ولقد كان من بين أكثر الجماعات جذبا للاهتمام هو حشد من « الشرفاء » (أشراف) الذين يلوحون بأغصان خضراء ويصيحون بتســابيح ، توحى وتذكر بموكب « أحد السعف » Palm Sunday (٥) فى أوجـه ، عندما يلوح حشد من الأطفال بأغصان النخيل ويصيحون صيحات تهليلهم Hosannas (المجد لله) •

بعد احتفال فى خيمة التشريفة حيث يتواجد صـــاحب الســـعادة (المدير) ، « مرت الزفة » وآلاف من الحشود خلال المقبرة الكبرى وبعيدا داخـل الصـــحراء ، متوقفين فى العودة عند قبر « نبى اللوشـــا » Nebi el-Lusha ، حيث يجرى احتفال جدير بالملاحظة من التدحرج على الرمال المقدسة داخل « حرم المقام » • كان هذا (التدحرج) يذكر بشدة بالنســـاء المتدحرجات أيام الجمع عند ضريــح الســـلطان المغـــاورى Sultan Maghrouri عند تكية البكتاشية فى سفح المقطم •

من بين التفاصيل التى تبدو لنا منقصة الى حد ما للتقوى (الواجبة) فى الحاج ، وتقلل من عظمة موكب الزفة على طول المقبرة ، تلك الحالة

---

(٤) التختروان نوع من « المحفة » على ظهر جمل

ـ راجع قائمة الكلمات glossary فى العمل (الملحق / ٢٥) •

(٥) أحد السعف ، يوم الأحد الذى يسبق الفصح وفيه تحيا ذكرى دخول المسيح ظافرا الى بيت المقدس حيث نثر على طريقه سعف النخيل •

ـ المورد ص ٦٥٣ •

المؤسفة للقبر ـ رغم أن هذا لا يمكن تجنبه ، وهو حالة من « الضرورات لا تعرف قانونا » (٦) necessity having no law · وقد نجت بالكاد مساحة من القبر Campo santo لا تتجاوز مترا مربعا ، نجت من التلوث (الناتج) عن المخلفات الانسانية ، وفى حالات كثيرة فان القبور لم تنج هى نفسها من هذا المصير ·

لكن الصدمة الكبرى وخيبة الأمل كانت فى غياب موكب « القارب » Boat (٧) الذى كان أحـــد المظاهر الجميلة والمتميزة لهذا المـــولد « ولم يشاركه فيه سوى مولد سيدى يوسف فى الأقصر » ، منذ قرون ، ولآلاف السنين ، وفى الحقيقة فاننا نرى أن علماء المصريات يتمسكون بأنه (القارب) قد تكيف بالاسلام (وأصبح) كجزء مكمل لهذه « الزفة » من المواكب فى الأزمنة الفرعونية · ولابد أنه (القارب) يعود الى ما قبل عصر (رمسيس الثـــالث) ، حيث ان صوره موجودة على جدران معبده فى « الكرنك » · ولست أعرف من أو ما الذى سبب تعطيل هذا التقليد المتمتع بقداسة القدم « time-honoured » · ولكن يالها من مسؤولية أن يعبث بعادة مصرية جميلة وجليلة ، جزء من السحر الخاص بمصر الذى يدعو للاعجاب ، ويجذب شعور الصفوة ومثقفى العـــالم ! ان المصريين يعيشون فى ثروة من الآثار المجيدة ، مادية وروحية ، (لكنهم) يدركون بالكاد قيمة هذه الثروة التى لا تقدر بثمن ، وهم أسخياء الى حد أنهم يتخلون عن مسلاتهم Obelisk ويقبلون (تلك) الحداثة البغيضة ، ويقاسون اندثار العادات القديمة ، دون ادراك الخسارة التى لا يمكن تداركها لكل تضحية يضحونها ، وأن شـــظية من « مجد مصر » قد رحـــلت ·

---

(٦) فكرة مستمدة من القاعدة الشرعية الرومانية Necessitas non habet Legem يقابلها فى العربية « الضرورات تبيح المحظورات » و « للضرورة احكام » ·
ـ المورد، ص ٦٨ ·

(٧) قارب قريب الشبه بالقارب الكانتونى (نسبة الى مدينة Canton فى الصين) والمسمى Slipper junk كما أوضحته الصورة المنشورة فى London News بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٣٨ ص ٨٣٦ ـ حاشية للمؤلف ·

والجنك Jank كلمة اسبانية وبرتغالية أصلها Junco مستمدة من الملاوية Malay (dgong) وتعنى مركبا ذات قاع مستو flat bottomed ذات أشرع لها عوارض خشبية battened sails تستخدم فى الصين واليابان ·
— Webster Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 992.

كان الوقت بعد الظهر عندما وصلنا الى المقـــام مرة أخرى ، وتم الطواف سبعا بواسطة كل الجماعة التي تألفت من « الزفة » ، وهو احتفال غطى foreshadowed اليوم كله ، بالجموع المهرولة من الجمالة ، وراكبي الحمير ، وراكبي الخيول ، مشهد جذاب وبهيج للغاية . ثم زحف (هذا الموكب) الى المدينة في اتجاه « المديرية » . ولقد أبدى « الجمل » الطيب الذى كان يحمل « الطوب » رفضا عمليا لأى انحراف عن الطريق التقليدى عندما برك . ولم يقبل النهوض الا عندما نوشـد بجوقة من الصائحين : والنبى قم !

وفي النهاية ، وعند غروب الشمس ، وبالوصول الى المديرية ، انتهى الاحتفال الكبير بالنثر الرمزى للنقود بين الحشود ، وكم كان الناس متعطشين للحصول على واحد من هذه الملاليم اللامعة « والبركة » المرتبطة بها ! . « وزعت علب صغيرة من هذه الملاليم المباركة على بعض الأعيان الأتقياء الذين شاركوا (فى الاحتفال) ، ولا شك فى أن هذا كان من أجل أن تمتد البركة الى أهالى قراهم » .

« قنا » مستودع لثروة من الفولكلور والأساطير ، التى يتركز الكثير منها حول الحج والحجيج ، ذلك أن « قنا » تقع على نهاية النيل لطريق الحجاج القديم عبر الصحراء الى ميناء القصير (٨) ، ومن الطبيعى أن يكون « سيدى عبد الرحيم » هو بطل الكثير من هذه الروايات . وقد رويت لى احدى هذه الروايات ، والتى كنت قد سمعت أشكالا متنوعة منها عندما كنت فى (موقع المولد) : رويت لى بشكل آخر على لسان راعى حديقتى ــ الذى كان هو نفسه من قنا ــ وقدمها لى بصورة جافة بالانجليزية كالآتى :

لم يكن سيدى « عبد الرحيم » قناويا بالميلاد ، لكنه أعطى القداسة « لقنا » بوفاته فيها . كان متقدماً فى السن وواهنا عندما أتى من موطنه الذى يقع فى مكان ما فى الجنوب القاصى . وعندما ترك النيل عند « قنا » كان فى طريقه الى « القصير » ، (وفى الطريق) نفقت ناقته . وان كان معه رفاق ، فقد ساروا فى طريقهم تاركين اياه ليتبعهم متألما على الأقدام .

---

(٨) كان طريق الحج القديم يسير من القاهرة الى « قوص » ثم يقطع ركب الحج الصحراء من عند « قوص » الى « القصير » على البحر الأحمر ، ومنها يستقل الركب السفن الى « جدة » .

ــ تاريخ وآثار مصر الاسلامية ــ الهيئة العامة للاستعلامات ــ ص ١٩٩٠ ، ص ٨٦٦ .

وعندما كلت قدماه الضعيفتان استمر يتحرك على الأربع ، حتى كلت يداه أيضا • أخذه التدحرج والزحف على البطن الى ما قرب « القصير » ، ولقد كان هدفه النهائي هو « مكة » ، عندئذ حاول أن يتحرك الى الأمام عن طريق الجلوس على الرمل وهز نفسه إلى الأمام ، لكن هذا لم يزد سوى السحجات السطحية •

وأخيرا رقد عاجزا داعيا ألنسيم « يا سعد (٩) ، اذهب وقل للنبى (ﷺ) ، اننى فعلت كل ما فى وسعى ، لكننى لا أستطيع أن أذهب أبعد من ذلك » ، وعاد النسيم وهمس : « النبى يساوى بين الارادة والفعل ، ويمنعك من المحاولة مرة أخرى ، الا أن تعود » •

كان عجيبا أن يتلقى رسالة من النبى ـ رغم أنها كانت محبطة ـ عن كيفية رجوعه • وقد فعل أخيرا رغم الألم فوصل الى قنا ، لكنه وصلها ليموت • وعلى فراش الموت جاءه النبى وحياه قائلا : « لقد بذلت كل الجهد الذى يستطيع بشر أن يبذله ، وأكثر ، لتأتى الى لكنك لم تستطع ، لذلك فاننى جئت اليك ، لأباركك » •

اذا كان يمكن تصديق روايات ذات طابع مختلف أو مادى ، فان منطقة « قنا ـ القصير » تعتبر منجما من الثروة بشكل آخر • ان هناك أكثر من آثار للمناجم التى عمل بها الرومان للحصول على الفضة والأحجار الكريمة ، هناك مستودعات الفوسفات التى تجلب الثروة لشركة ايطالية حاصلة على امتياز (التنقيب) ، وكذلك هناك شركة السادة (كروكسون وولده) الأسكتلندية Messers. Crooksone & son ، وأستطيع أن أقول ان هناك آخرين • ويسمع المرء فى كل مكان (القصير ، سفاجا ، قنا الخ) روايات عن اكتشافات حديثة لأحجار كريمة • وأعرف أكثر من عائلة ثرية فى « قنا » تؤكد للواحد ـ من تحت غطاء sub-rosa ـ أن ثروتهم قد قامت على زمرد ألقى الضوء عليه جد أو بعض الأسلاف القريبين •

ولكن لكى نعود الى ما هو أكثر قربا من موضوع هذا الكتاب ، فاننى أوصى القراء الذين يرغبون فى اجازة فريدة دون هجر مصر ، أن يذهبوا الى « البحر الأحمر » ، وبعد أن يقضوا وقتا كافيا فى القصير ليستمتعوا

---

(٩) « سعد » ترمز الى المعاون او المساعد ـ فالاسعاد تعنى الاعانة ، والمساعدة هى المعاونة ـ كقولك (سعديك) •
ـ مختار الصحاح ـ ص ١٢٦ •

يسحرها ، يركبون جملا الى « فنا » دون عجلة فى صحبة مرشد بارع . واذا كانت الفرصة طيبة ليكونوا فى « القصير » فى منتصف « شعبان » كما كنت ، فانهم سيشاهدون شعائر غريبة بين المقابر الكثيرة التى أقيمت لهؤلاء الذين ماتوا هنا فى طريق العودة من « مكة » : عربان فوق جمال مجهزة بسروج رائعة ، تختروانات على ظهور الجمال التى تطوف الأضرحة شديدة القداسة ، فيما يجاور القلعة القديمة . هناك الكثير الذى يذكر بالمولد فى هذا ، لكن ما أفهمه على المستوى المحلى ، فان هذا الاحتفال عام للغاية ولا يصح تصنيفه كمولد ، لتبرير (نظريتى) فى عزو (الاحتفال) لولى معين .

ورغم أن الكاتب قد زار منطقة « طيبة » مرات عديدة ، واجدا مظاهر جديدة للجمال والاهتمام كل مرة على مدى أربعين عاما من الاقامة ، فانه سيسترجع فى فكره هذه التجربة الأخيرة للمولد كشىء فريد ، وسيوصى كلا من القاهريين والزوار أن يفعلوا كذلك . النيل ، التوليفة من « الصحراء والبذار » ، الآثار المجيدة حتى فى القرى الجميلة المنعزلة كقرية « العويضات » ، السماحة القلبية والكرم عند الغنى والفقير ، ترابط أماكن كهذه فى المجاورات القريبة ، كقفط Qoft ، التى أعطت اسمها للبلاد (١٠) ، ولعقيدة قديمة وعظيمة (١١) . وبالاضافة الى هذا المولد العظيم ، فان فيضان هذا العام كون بحرا من التلال الليبية وحتى التلال العربية ، كل هذا اتحد ليكون صورة ليس من السهل أن يكون لها نظير (١٢) . ولا يعكر صفاء هذه الصورة سوى الخوف من أن يستمر

---

(١٠) قبط Copt ، اسم ـ اللاتينية المتأخرة تسميه Cophti ، والعربية تسميه (قبط او قبطى) ، يحتمل أن يكون الاسم مشتقا من gypt فى Aigyptos اليونانية التى تعنى مصر Egypt .

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., p., 403.

(١١) يقصد الديانة المسيحية حيث يسمى اتباعها فى مصر بالأقباط من قبط ـ قفط Copht.

(١٢) فيضان النيل ، بالطبع فان فيضان النيل لا يتوافق بالضرورة مع موعد المولد ، الذى كان موعده منتصف شعبان ، والذى يتناقص كل عام أحد عشر يوما فى السنة الشمسية . وفى يوم ١٥ شعبان هذا الذى كان يوافق ٩ أكتوبر كان أقصى قدر من الأرض تحت الماء . وعزل مركز عمل مستر ايفانز ـ بريتشارد فى قفط الأمر الذى استلزم استخدام رمث (رمس) من الجرار الفخارية واغصان السلال للذهاب والعودة . وكان يجر هذا الرمث فتى أو اثنان عرايا عبر مسافة كبيرة من الماء نادرا ما تكون عميقة الى حد الاحتياج الى السباحة . قفط أو قبط هى Coptus القديمة وهى مدينة من أشهر المدن فى التاريخ المصرى ـ حاشية للمؤلف .

تقليم هذا المولد الرائع ، حتى يأخذ قص أجنحة طائر التاريخ هذا والتقاليه ، كل جماله ، لكن فلنأمل أن ينهض هذا المولد مرة أخرى كالعنقاء Phoenix ، قبل أن يتحول الى رماد ٠

عبد الواحد « انظر الخريطة القطاعية VI - A 7 » :

يرجع تاريخ المرة الوحيدة التى زرت فيها هذا المولد الى الأحد ٢٥ رجب ١٣٥٥ (١٩٣٦/١٠/١١) ٠ المكان فى الحديقة الصغيرة على الجانب الغربى « لشارع عبد الجواد » ، شارع بولاق الكبير الذى يبدأ (من) أمام مسجد « أبى العلاء » ، غير بعيد عن تقاطعه مع « درب النصر »٠ ويمر أتوبيس رقم ١٥ به ٠ ويحمل (المقام) لافتة تقول « هذا مقام سيدى عبد الواحد » ٠

والمولد صغير للغاية ولا يتجاوز الحديقة ومقهى كبيرا ، فى مجاورة خشنة وغير مسلية ٠ والناس المحتشدون (فى المولد) ليسوا من النوع الطيب المعتاد ، لكنهم تكونوا أساسا من أطفال قذرين turpissimi « Pueri » (١٢م) ، الذين أظهروا اهتماما غير ملائم بى وببعض الأصدقاء الانجليز والهولنديين الذين أحضرتهم معى ٠

عبد الله (انظر الخريطة القطاعية X - A8) :

فى كل من المناسبات الخمس التى شاهدت فيها هذا المولد ، كان يوم الجمعة هو القاسم المشترك فيها ، لكن التاريخ تراوح بين ٢٤ رجب ١٣٥٣ هـ الى ٢١ شعبان ١٣٥٥ (١٩٣٦/١١/٦) ٠

من السهل الوصول الى مسجد « الشيخ عبد الله » غير البعيد عن محطة باب اللوق ، على مبعدة من (شارع) الدواوين ــ (وتصل اليه) خطوط ترام ٤ ، ١٢ و ٧ وأتوبيسات عديدة ٠ وهو على الجانب الشمالى من شارع الشيخ ريحان (١٣) ٠

(١٢م) ترجم هذه العبارة عن الايطالية السيد/ شريف عثمان فله الشكر ٠

(١٣) ملاحظة :ـ يقدم كمب Kemp فى عمله « Egyptian Illustration » حفرا جميلا على الخشب Wood cut لضريح الشيخ ريحان ، الذى أعطى اسمه بلا شك للشارع٠ لم أجد أثرا للضريح أو سجلا عن الشيخ : ويبدو أنه قد راح فى اللانهائية Ewigkeit فى الأزمنة الحالية ــ حاشية للمؤلف ٠

ومنطقة الشيخ ريحان هى تلك المنطقة المخاطة حاليا بمنطقة لاظوغلى جنوبا وشارع محمد محمود شمالا وميدان التحرير شرقا وعابدين غربا ٠

وهو مولد صغير ، لكنه كان متألقا حتى ١٩٣٣ ، وكان المسجد ممتلئا ، وله « زفة » جيدة ، ببعض الأكشاك القليلة وبعض الناس في المنطقة الفسيحة المجاورة : وعلى مسافات مناسبة كان هناك القره جوز ، وآكلو النار ، الخ . ومن المناظر اللطيفة ذلك الغناء في الشوارع الصغيرة الجانبية بواسطة فرق خاصة تصحبها في الغالب بعض الموسيقى البسيطة .

ما الذى سبب الهجمة الشرسة (على المولد) فى ١٣٥٢ (١٩٣٣) ، عندما أخلى المكان عند المسجد بسرعة ، حتى من النساء الجالسات تحت جدرانه ؟ ليس (السبب) بالقطع هو تسهيل حركة المرور ، فليس هناك شيء منها عبر هذا المكان الفسيح . ولقد تحمل (المولد) هذه المعاملة الغليظة فى ١٣٥٣ هـ ، لكنه انتهى تقريبا تماما فى ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦) ، ولذلك فانني لم أذهب فى ١٣٥٦ (١٩٣٧) . ولقد أبلغت أنه بدا شيئا قد زال . ومع هذا ففي ١٣٥٥ (وأستطيع أن أقول بعض السنوات الأخرى) كانت هناك زفة صغيرة بين العاشرة والحادية عشرة فى المساء ، تتألف من حوالى دستة من أقسام الطريقة الحامدية الشاذلية . كذلك فان جماعة من المغنين ظلت تعمل بشعبية للغاية خلف المسجد ، لكن يبدو أن هذا قد اختفى فى ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨) ، وكل ما رأيته عند باب مسجد شبه خال ، (منظر) رجل بعربة يد ووجه كئيب يأمل أن يبيع بضاعته من البطاطا Sweet Potatoes .

سيدى الشيخ عبد الله الحجر (انظر الخريطة القطاعية XVII) A 9 :

أقيم هذا المولد المتناهى فى الصغر والذى يعقد ليوم واحد فقط ، فى عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨) فى التاسع والعشرين من شعبان عشية رمضان ، على مقربة من تابوت « الشيخ عبد الله » الواقع خارج المسجد ، وتشير اللافتة « هذا مقام سيدى الشيخ عبد الله من نسل الحسين » ، الى أن هذا « الولى » حسينى ، « أى من نسل الامام الحسين » .

ولكونه لصيقا (بضريح) السيدة عائشة ، فان خطى ترام ١٣ و ٢٣ يمران به . ويبدو أن هذا « المولد » يخص « الأطفال » فقط ، ولكونه فى حى جذاب للغاية ، فان المنظر يبدو جميلا .

(أما) « الزفة » التى وعد بها بعد الظهر ، كما أكد لى أنها جرت كذلك فى السنوات السابقة ، فانها لم تظهر .

ولقد وجدت « المولد » فى هذا العام ١٣٥٩ هـ عامرا in action ، وفى نفس الموعد كما فى عام ١٣٥٧ هـ ، عشية رمضـــان ، الأربعـاء ٢/١٠/١٩٤٠ . ولم يحدث أى تغير لخصائصه ، وقد تأكدت بلا ريب تلك الخاصية المتعلقة بكونه « مولد أطفال » .

عبد الله خفير الدرب (انظر الخريطة القطاعية XVII ، A 10) :

فى كل من المناسبتين اللتين شـاهدت فيهما هذا المولد الرائـع الصغير ، كان التاريخ هو ٢٧ شعبان (كان التاريخ الآخر ٢٧ شـــعبان ١٣٥٤ هـ (٢٦/١١/١٩٣٥)) .

ويقع مقام الشيخ فى منطقة غريبة غير اعتيادية ، ساحرة نوعا ما ، خلف السجن الواقع خلف منشية محمد على وقريبا من مقابر المماليك (١٤)، ورغم أن المرء يشعر بأنه بعيد عن العـــالم هنـــاك ، فان الموقع على بعد مجرد دقيقة من خط الترام المؤدى الى الامام الشافعى ، ترام رقم ١٣ .

وهو مولد صغير للغاية ، فى شارع نظيف يقع فيه المقام . والجمهور هناك متعطش للغاية ، وأغلبه من الأطفال ، وهذا يأخذ كل وقت المشايخ المحليين لمنع تحطيم بوابة المقام المقدسة (بسبب التدافع) . وفوق هذه (البوابة) لافتة تقول : « هذا مقام سيدى عبد الله خفير الدرب » .

ويبدو ان المقابل الوحيــــد للتسلية (هناك) هو عرض صـغير للاستمتاع ومقهى كبير .

سيدى أبو عميره A 11 (١٥) :

يحتـــاج هذا المولد المحير الصغير ، قرب « كرداسة » الى مغامرة كبيرة . وقد أبلغت أن هذا (العمل أو المغامرة) يجزى عنهـــا روعته (المولد) ، وجمال موقعه بين الصحراء والبذار .

---

(١٤) وفقا للخريطة القطاعية XVII ، فان ما قدمه المؤلف من وصف لموقع مولد « عبد الله خفير الدرب » يبين أن هذا الموقع تحده شمالا القلعة ، وجنوبا مقابر المماليك ، وغربا السجن الذى يقع على شارع الامام الشافعى . ومن الواضح أن منطقة المولد هى « منطقة الامام » — وقد جاء الاختلاف عندما تحدث المؤلف عن منشية محمد على التى يقع خلفها السجن ، فقد استبدل « القلعة » « بالمنشية » . وكان ينبغى أن يقول بالانجليزية Behind the Prison which is behind the citadel, Moh. Ali. ولكنـه قـال Behind Manshiah

— راجع ص ١٣٩ من العمل . والخريطة القطاعية XVII وموقع المولد A 10 فى الملحق رقم (١٩) .

(١٥) يلاحظ ان هذا المولد لم يرد ذكره فى اى من الخرائط القطاعيـة العشرين القاهرة ، لكنه ورد فى قائمة الموالد التى تتبع التقويم الاسلامى ، . وفى المجموعة التى =

لقد خذلت أكثر من مرة بسبب المواعيد غير الصحيحة ، ولكنني نجحت أخــيرا في الوصــــول اليه بواســـطة أتوبيس من الكوبرى الانجليزى (١٦) فى يوم الخميس ١١ جمادى الآخرة ١٩٥٣ (١٩٣٤) ، لكنني وجدت نفسى معزولا عنه بأرض مغمورة بالمياه • لقد كان ينبغى على أن أحصل على فلوكة ، عند العثور على حمار في المولد لتعود بى الى « ميناهاوس » (١٧) ، أو ربما الجيزة ، لكننى فضلت أن أعود بالأتوبيس كما أتيت ، حيث انه كان (الأتوبيس الأخير) • وكان الوقت وقتئذ العاشرة •

أعتقد أن الوصول الى هذا « المولد » يكون أفضل باستخدام الحمار أو الجمل من الأهرام : لكن الآن وقد ألغى نظام « الرى الحوضى » فان الوصول اليه يمكن أن يكون بالدراجة أو حتى بالسيارة عبر « بولاق الدكرور ، زنين ، وصفط •

أبو أتاته A 12 (١٨) :

لا أســتطيع أن أعطى تاريخا محددا لهذا المولد ، حيث انه فى المناسبتين اللتين حضرته فيهما ، كانت الليلة الختامية فى ١٧ ربيع الأول ١٣٤٨ ، و ٦ جمادى الأولى ١٣٥٣ (١٦/٩/١٩٣٤) على التوالى •

يقع ضريح « سيدى أبو أتاته » فى قرية تدعى « العزبة الغربية » قرب « اصلاحية الجيزة » ، ولكن على الجانب الآخر لتقاطع السكة الحديد Level Crossing ، والترعة ، على بعد حوالى نصف ميل الى الجنوب •

= تقام فى شهر جمادى الآخرة ـ وموقعه كرداسة • وهى بلدة باقليم الجيزة ـ أما رمز A11 فهو يعنى ترتيبه الحادى عشر بين الموالد التى يبدأ اسم أصحابها بحرف A اللاتينى ـ ويندرج تحت هذا من كان اسمه يبدأ بحرف (أ) كأبو ـ أو (ع) كعبد الرحيم ، حيث ان المؤلف لم يستخدم النقحرة transliteration فى دراسته ـ فجاءت (ع) غير الموجودة فى اللاتينية مماثلة لـ (١) • والنقحرة مصطلح لغوى مختصر لكلمتى (نطق) و (حرف) ، ويعنى النطق الحرفى للكلمات العربية عند غير المتكلمين بها •

(١٦) كوبرى الانجليز ـ أحد كبارى القاهرة ، يصل الجزيرة بالجيزة ، وهو مع كوبرى قصر النيل يتممان الاتصال بين القاهرة والجيزة • طوله ١٤٥ مترا وعرضه ١٩ • دائر على صينية تحرك بالكهرباء • بنته شركة كليفلاند Cleveland الهندسية وفتح للمرور سنة ١٩١٤ ـ وكان يفتح من الساعة ١٥ر١٢ وحتى الساعة الواحدة مساء ولا يفتح صباحا •

ـ وزارة المالية ـ تقويم سنة ١٩٣٥ ـ المطبعة الأميرية ـ ١٩٣٥ ـ القاهرة ـ ص ٦٣٩ ، ٦٤١ •

(١٧) مينا هاوس ـ أحد الفنادق الكبيرة الواقعة فى منطقة الأهرامات بالجيزة •

(١٨) ورد ذكر هذا المولد فى قائمة الموالد التى تتبع التقويم الاسلامى . فى المجموعة التى تقام فى شهر جمادى الأولى ـ وموقعه فى الجيزة •

ـ راجع ص ١٠٠ من العمل •

وأفضل طريقة للوصول اليه من القاهرة هى ترام رقم ١٤ أو ١٥ أو الأتوبيس رقم ٦ عبر الزمالك الى « مديرية الجيزة ، والدوران يمينا الى « شارع البرنسات » ، عبور الخط عند نهايته ، الدوران يسارا متتبعا الترعة · ويصلح الطريق للسيارة ·

(والمولد) نموذج طبق الأصل « لمولد » الريف ، بجمع جاد حول الضريــح ، ومشــهد بهيج فى حقل مجاور ، وبه القره جوز والعروض المعتادة ، المراجيح ، الخ ، لكننى أبلغت أن المولد قد فقد كثيرا من شعبيته السابقة فى الوقت الحالى ، ويبدو أنه لم يعقد هذه السنة ١٣٥٩ هـ « ١٩٤٠ » على الاطلاق ·

ابو العزايم « سيدى محمد ماضى ابو العزايم » « انظر الخريطة القطاعية XIII « A 13 :

لعل سيدى محمد أبو العزايم هو أحدث الأوليــاء المحليين الذين رفعوا الى مرتبة الولاية« raised to the altars » فى الاسلام ، حيث توفى حديثا فى ١٩٣٦ « ١٣٥٥ هـ » ، بعد السيد البدوى بحوالى سبعة قرون على سبيل المثال ·

انه من المطمئن والمثير أن نجد أن العالم الحديث لا يزال يستطيع إنجاب « ولى » ، ويعترف بقداسته ، بل والاعتراف الشعبى بها عن طريق « مولد » ، ذكر ، « وزفة » ، واحتفالات الدراويش الجليلة الأخرى · ويعتبر الكاتب نفسه سعيد الحظ بتعرفه على الطائفة العزمية الصغيرة ، ورئيسها الجليل الحالى ، ابن سيدى ماضى أبو العزايم ، ــ وذلك من خلال (تلك) الحادثة الغريبة للتقلب البسيط للقمر ، الذى أفسد التقويم ·

كنت عائدا من جامع القلعة مساء الأحد العاشر من سبتمبر ١٩٣٩ ، الموافق ٢٦ رجب ١٣٥٨ وفقا للتقويم الرسمى ، ولتقاويم أخرى رأيتها ، وعلى ذلك (فهى) « ليلة الاسراء أو ليلة المعراج » ، عندما يحتفل باسراء النبى (ﷺ) الى بيت المقدس والجنة ــ (حيث كان قد تقرر من قبل السلطات العليا أن القمر قد تعارض مع التقويم وأن الليلة التالية هى الليلة الصحيحة للاسراء « Ascension » (١٩) ، ومن ثم فقد أطفئت أنوار

---

(١٩) الصحيح ان تكون ليلة الاسراء فى السابع والعشرين من رجب وليس السادس والعشرين ·

ــ تقويم سنة ١٩٣٥ ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ٦ ·

المآذن التى كانت قد أضيئت ، وأجل الاحتفال (الذى كان مزمعا اقامته) بجـــامع محمـــد على الى مســـاء الاثنين) ـ وكنت فى طريقى الى « مولد الطشطوشى » لأرى ما اذا كان قد عانى نفس التأجيل ، عندما لاحظت حشدا كبيرا تحت « باب زويلة » (٢٠) مع عدد كبير من المصابيح والكثير من الانشاد •

وأعتقد أن كل من يعرف القاهرة ملم بهذه البوابة الرائعة ، التى تتدلى منها التقدمات النذرية من الشـــعر hair ، الأســنان ، قطــع القماش ، الخ ، والتى يختفى خلفها « ولى » حسب اعتقاد بعض الناس • وقد اعتقدت أولا أن الاحتفال مقصور على تكريم « ولى البوابة » ، لكننى لاحظت « بيرقا » كبيرا كتب عليه « الطريقة العزمية بالديار المصرية » • وهى نحلة جديدة تماما بالنسبة لى • وعند سؤال حامل البيرق أبلغنى أن هذا هو مولد «سيدى محمد ماضى أبو العزايم » ، وأن « الزفة » قد أتت من (جهة) « سيدنا الحسين » وكانت فى طريقها الى التابوت « ضريح « الولى » المتوفى • وبذهابى الى هناك فقد استقبلت بحفاوة من قبل شيخ الطريقة القوى « الشـيخ أحمـد ماضى أبو العزايم » شـيخ الطريقة العزمية بوادى النيل ، « شيخ السادة العزمية بوادى النيل » •

---

(٢٠) كان « باب زويلة » هو البوابة الجنوبية القصوى الرئيسية لسور القاهرة الفاطمى ، وكان الشارع الرئيسى الشمالى ـ الجنوبى « القصبة » يجرى بين تلك الباب « وباب الفتوح » الباب الرئيسى الشمالى الأقصى للسور • مع تزايد أعداد السكان فيما وراء أسوار المدينة وخاصة فى الجنوب ، أصبحت أبواب المدينة ومن بينها « زويلة » فى وسط القاهرة العصروسطوية ، ولقد كان مركز بوليس القاهرة يوجد فى قلب المدينة بجوار هذا الباب مباشرة ، كما كان مقر سكنى الوالى (قائد البوليس) ، ولعل هذا يفسر لنا كيف ان باب زويلة كان موقع تنفيذ أحكام الاعدام حيث كانت تعلق أجساد المشنوقين من قمته ، كذلك فان تغير اسم « الباب » الى « بوابة المتولى » ـ وهو الاسم الذى أطلقه العامة على الباب حتى الوقت الحالى يعود اما الى وجود « الوالى » عنده حيث كان يطلق على قائد البوليس أحيانا اسم « المتولى » أو « متولى الشرطة » أو الى ما اعتقده الناس من وجود « ولى » « قطب » ، « القطب المتولى » داخل بناء البوابة ، فاطلقت التسمية عليه « بوابة المتولى » •

— Daniel Crecelius & 'Abd al-Wahhab Bakr » Al-Damurdashi's Chronicle of Egypt. 1688-1755 - Al-Durra al-Musana fi Akhbar al-kinana: E.J Brill-Leiden, 1991, p. 108.

ـ اندريه ريمون « فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية » ـ ترجمة زهير الشايب ـ كتاب روز اليوسف ـ العدد ١٧ ـ يولية ١٩٧٤ ، ص ٤٠ ـ ٤١

أبلغنى (الشيخ) أن هذه كانت الليـــلة قبل الختامية ante -penultimate night ، ودعانى الى ما تبقى من الاحتفالات ، وخاصــة الليلة الختامية ، يوم الثلاثاء ، ٢٨ رجب ١٣٥٨ (١٩٣٩/٩/١٢) . (ولازال) الضريح فى مكانه بحارة الفريق ، بين « السلطـان الحنفى » و « الخليج » بسراى آل العزائم .

وباللحاق « بالزفة » مساء الأربعاء حوالى الساعة التاسعة والنصف، فقد استمتعت وانبهرت بالشعائر التى سبقت « الأذكار » (مفردها ذكر) ، وقراءة خطاب بواسطة الشيخ ، تقاطعه آهات التعجب والهتاف من الجماعة « الله أكبر » ، والثناء على الشيخ المتوفى ، وفى النهاية (الهتـــاف) « يحيا الخليفة الشيخ أحمد ابو العزائم » .

اننى أود أن أعرف الخطوات الاستهلالية فى مجال الاعتراف «بالولى» ، وما الشـــعائر التى تؤدى الى رســامة « ولى » « Making of Wali » . يفحص الفاتيكان عــادة الأســباب (الموجبـــة للرســـامة) على مـــدى فترة تبلغ سنوات كثيرة ، رغم أن شهورا قليلة أحيانا تكفى ـ كما فى حالة سانت تريزا Teresa « الزهرة الصغيرة » The little flower والتى يشترك فى الافتنان بها فى كاتدرائيتها بشبرا ، المسلمون واليهود الى جانب الكاثوليك والأرثوذكس من المسيحيين . ويعين محام للشيطان Devil's Advocate (٢١) لينقد دعاوى المرشح ، ويقدم أى شىء يعوق انضمامه الى قائمة القديسين . ولابد من اثبات المعجزات (المنســـوبة للمطلوب تســـميته قديســا) ، وفى (حالة) « درجـــة الســـمو » gradus and altare ، فإن المرشح (لابد) أن يكون « جليلا » و « مباركا » قبل أن يسمى « قديسا » واننى لأشك قليلا فى أن يكون الاجراء فى الاسلام موازيا لذلك الذى شرحته ، ويحتاج (الأمر) الى تسليط أكثر للضوء mehr licht (٢٢) .

---

(٢١) Devil's Advocate هو المدعى Promoter of the faith فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، أو الناقد الرسمى للأسماء المقترحة للتطويب Canonization (اى اعلان قداسة الشخص بعد وفاته ، وضمه بالتالى الى قائمة القديسين) ، ومن ثم فهو الشخص الذى يدعم الجانب السيء ، تضليلا او من اجل الجدال .

— Webster Unabridged Dictiinary, Op. Cit., p. 949.

(٢٢) اعتقد المؤلف خطأ ان رسامة القديس او الطقوس المسيحية التى تتخذ لاعتبار شخص ما قديسا يقابلها شىء مشابه فى الاسلام .

وللمؤلف عذره ، فهو مسيحى على أى حال وليس مطلوبا منه أن يعرف أنه لا رهبنة فى الاسلام ، وأن « الولى » يصل الى هذه المرتبة من التبجيل بطريقة عرفية عندما يعتقد الناس فى تقواه وورعه وحرصه على دينه ، على ان دعاوى الناس بعد هذا بكرامات لهذا الولى وما الى ذلك من الخرافات لا تعدو أن تكون نوعا من الجهل الذى يسود الثقافة الشعبية فى المجتمع المصرى .

ومنذ كتـــابة الســـطور السابقـــة عن هذا القديس العصرى Latter-day Saint (٢٣) ، فان الضـوء الأكثر الذى أردته قد توفر (بفضل) سماحة ومعرفة دكتور ايفانز ــ بريتشارد ، عالم الاجتماع • وتبـدد (معلوماته) ما افترضـــــته من أن « الولاية الاســـلامية » Islamic Saintship تتم من خلال تقليد كهنوتى hierarchial investment لأنها فى هذه الحالة على الأقل ، تؤسس بوضوح عن طريق اقتراع شعبى ، فى اطار انفلك الدراويشى تقريبا ، ذلك أن الشيخ « محمد ماضى » قد بدأ (حياته الدينية) كمتلق لمبادىء « الطريقة الشاذلية » جاعلا من « العزمية » فرعا من « الطريقة الكبرى » •

ولد الشيخ « ابو العزايم » كما هو معـــروف عنه فى عام ١٨٧٠ (بمدينة) دسوق ، لكنه استقر فى قرية (المطهرية) فى المنيا ، والتى أصبحت مقر رآسة « الطريقة العزمية » •

شعر (الشيخ) بأنه لديه رسالة المصلح الدينى ، وجذب حماسه والمعتقدات الشـاذلية اللطيفة والجديرة بالثناء ، الكثيرين وخاصـــة صغار الموظفين فى مصر والسودان ، خـــلال عشرين عاما من الخدمة فى وزارة المعارف المصرية وادارة التعليم بحكومة الســودان • لكن أفكاره وأعماله فى عام ١٩١٥ أصبحت ذات نزعة معينة ، الأمر الذى أدى الى فصله من الوظيفة التى كان يشغلها وقتئذ فى كلية جوردون Gordon College (بالسودان) • لقد جلبت أذكاره الليلية ، واجتماعاته السرية ، وعظاته النشطة العديد من الحواريين ، لكنها خلقت الشك عند الدوائر الرسمية (وعلى ذلك) فقد أعيد من السودان الى مصر •

وهناك عبر عن أفكار كانت فى الغالب هى المعتقدات الوهابيـة الصـارمة ، المختلطة بالجدل العنيف ضـد الفرق الأخرى غير طريقته ، والغلو السياسى من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الرجل أبدى ليبرالية تصل الى حد اللين ، وخاصة فى معاملة النساء • (فللشيخ) سمعة طيبة فى تمتعه بجاذبية مغنطيسية للجنس الآخر ، كما أنه متهم من جانب البعض بأنه قد حصل على الكثير من ثروته الضـخمة من الاتجـار فى الأحجبة

---

(٢٣) لا شك فى ان قصد المؤلف هو ان احمد ابو العزايم « ولى » حديث مودرن ، لكن مصطلح Latter-day Saint وهو عضو Mormon تطلق ـ مع هذا ـ على « المورمونى » فى طائفة دينية امريكية انشاها جوزيف سميث Joseph Smith عام ١٨٣٠ وقد اباحت تعدد الزوجات فترة ثم حظرته • — Ibid, p. 1026.

(والتعويذات) وما ماثلها ، دون استبعاد شرب الخمر Poculum amoris (٢٤) . ولقد ذهبت بعض أمـــواله في شراء مطبعتين ، وفي ذلك الوقت تضمنت جهوده السياسية مقالات في (جريدة) الأخبار . وقد لوحظ هذا الجانب من رسالته بدرجة كبيرة وقت دخول تركيا الحرب (العظمى ١٩١٤ ـ ١٩١٨) .

أحبط حماس (الشيخ) للعمل البرلماني بعداء الطلبة الذين رموه بالحجارة مرة على الأقل .

وفيما بعد ، وباستثناء مقالات سياسية عنيفة بمناسبة ما ، فقد ارتد الى شخصيته الدينية والتي كانت له في سنواته المبكرة ، وعرف جيدا في مصر « كفقيـــه » وواعظ حتى وفاته في عام ١٩٣٧ (١٣٥٨) بين العديد من مريديه المخلصين والنصراء .

كانت شعبيته في السودان كبيرة في وقت ما ، لكنها بعد وصولها الى أقصاها في العشرينيات المبكرة تناقصت بشكل كبير . ومن الناحية الأخرى ، يبدو أن (الشيخ) يتمتع بقدر كبير من الاحترام في مصر ، وخاصة في القاهرة .

الشيخ أبو بدير A.14 :

يقام هذا المولد المتناهي في الصغر ، مع غيره من الموالد الكثيرة في منتصف شـــعبان ، أو هكذا كان الأمر عندما زرته في مرة وحيدة ، ١٤ شعبان ١٣٥٢ (١٩٣٣) .

ويقع ضريح الشيخ في عطفة تحمل اسمه ، بعيدا عن «باب الشعرية» . ويمر أتوبيس رقم ١٠٢ من « بيت القاضي » بالمدخل الى (تلك) العطفة .

---

(٢٤) Poculum كلمة لاتينية تعني فنجان Cup ، قـــدح ، طاس ـ وكلمة Cup نفســـها تعني الى جـــانب الكوب والفنجـــان ، الكأس والخـمر او معاقرتهـا كقولك Pleasures of the Cup ـ كما أن مصطلح in one's cup تعني الثمل او السكران ، وكذلك فان ساقي الخمر يسمى Cubbearer . اما Amoris فهي كلمة لاتينية أيضا وتعني الحب ، والرغبة المتعطشة ، فمن المعقول اذن القول بان Poculum amoris تعني معاقرة

— S. C. Woodhouse « Latin Dictionary » Routledge-London, 1987, p. 129, 10.
— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., p. 445.

الشيخ أبو ضيف A 15 :

يروى أنه أحد مجموعة (موالد) الامام الشافعى ، ويقام فى شعبان، لكننى لم أجد موقعه حتى الآن ٠

السلطان أبو العلا « انظر الخريطة القطاعية VI » A 16 :

لقد استمتعت بمولد السلطان (أبو العلا) البديع مرات عديدة ، مبكرا فى هذا القرن ، قبل حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ٠ كان المولد كبيرا وشعبيا ، ولم يمتد فقط حول وعلى طول المسجد ، بل الى أبعد من ذلك فى حارات بولاق الضيقة على الجانب الآخر من الشارع الرئيسى ٠ كان يحيط بالمولد تألق وقور : لم تكن هناك عروض دنيوية لكن (كان هناك) شيوخ مغنون كثيرون فى الحوانيت والمنازل ، وكان مسموحا للناس أن يتجمعوا ويستمعوا ويستمتعوا بسلام ، دون تنغيص ودفع بخشونة أو ضرب كما فى السنوات الحالية ، أو نخسهم الى نوع من الحركة المستمرة ٠

وفجأة جاءت المأساة : انهار جزء من المسجد مسببا نتائج مأساوية ٠ ولقد كان لهذا أثر قلبى عميق ، ليس بسبب الخســـارة فى الأرواح والنفقات اللازمة للاصلاح ، ولكن بسبب الصدمة التى يحدثها سقوط مكان مقدس كهذا ٠ « لماذا لم يتدخل السلطان أبو العلا » سأل بعض الأتقياء البسطاء ٠ ولقد ترك أمر شفاء الأرواح الكثيرة لآخر ، (أعنى) الملك فاروق الشاب ، اذ سرعان ما جعل بعد توليته ، صلاته فى يوم الجمعة فى ذلك المسجد المجدد ، وطرح جانبا اللوم والتأنيب ، وأعاده الى مجده مرة أخرى ٠ لم أشهد جمعا متحمسا وضخما فى القاهرة كهذا الذى احتشد فى بولاق فى هذا اليوم المبارك ، الا نادرا ، ولم أر شعبا أكثر ابتهاجا من بعض المشايخ الذين ترددوا على المسجد (مثل هذا الشعب) ٠ لقد عقب أحدهم : « لقد سرنا فى الظلام » (كل) هذه الأعوام العشرين ، والآن فان « فاروق » قد أضــــاء (الطريق) ! يجب أن يكون خليفتنـــا كما هو مليكنا ! (٢٥) ٠

---

(٢٥) نودى « بفاروق » (١٩٣٦/٤/٢٨ ـ ١٩٥٢/٧/٢٦) ملكا على مصر فى نفس يوم وفاة والده « احمد فؤاد » ، ولم يكن عمره يتجاوز السادسة عشرة (ولد ١٩٢٠/٢/١١) ٠ على عكس أبيه الذى لم يحز محبة الشعب ، فان « فاروقا » أحرز شعبية حقيقية واسعة النطاق ، وكسب بسرعة شديدة عطف المصريين بسبب شبابه النضر وبساطته الحقيقية والجانبية الشخصية له ودماثة خلقه ٠ وقد تضاعفت انعاماته ليس على الأزهر والطلاب المحتاجين ، ولكن على كل مؤسسات البر فى المملكة ـ وبناء على نصيحة مستشاريه وعلى راسهم الشيخ (محمد مصطفى المراغى) شيخ الأزهر ، فان الملك داب على زيارات منتظمة لمساجد القاهرة التى كان يزور احدها مرة كل يوم جمعة ، حيث كان يختلط بجماهير =

وقد تبع هذه الحادثة السعيدة ذلك التجديد المبهج « للمولد » على مستوى سخي ، فكان « مولدا » شديد الشعبية (بحق) · كانت العودة (عودة المولد مجددا) في يــوم الخميس ١٥ ربيع الثــاني ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧/٦/٢٤) ، وتكررت يوم الخميس ١٠ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨/٦/٩) ، ويوم الخميس ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٨ (١٩٣٩/٦/٢)·

من السهل العثور على هذا المسجد الشهير حتى بواسطة الأجانب عن القاهرة · فهو على بعد مائة ياردة الى الشرق من كوبرى بولاق (٢٦) ، وفي شارع فؤاد الأول (٢٧) ، وتمر به خطوط الترام أرقام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ و ٣٣ وأتوبيسات ٦ و ١٥ · ويمر ترام رقم ٧ بحديقة الملاهى ·

تبعد مجموعة الأكشاك ، ومســارح الخيــام ، وحلبــة الموت « Piste a la Morte » لبيلي ويليــامز Billy Williams والعديد من أماكن العرض ، تبعد بمســافة حريصة عن المسجد حيث الصلوات ، والأذكار ، والزفات غير المتفرقة ، وقد تم وضعها (المجموعة) بشكل جميل على ضفة النيل : (أما) « الرنجا » و « القره جوز » وبعض (وسائل) الجذب الأخرى ، فانها تقع في شارع جانبي صغير ·

يستمد « السلطان أبو العلا » شعبيته بشكل كبير من حقيقة كونه « وليا » محليا · ويشير « عبد الوهاب الشعراني » في « الطبقات الكبرى » الى كبير الأوليــاء « أبو العلا » بأنه مدفون في ضريحه بالقــاهرة ، عند « بولاق » قرب النيل · ويؤكد لي المواطنون من (أهل) الموقع أن هذا صحيح ، بيد أن روحه السائرة تراقب النيل ، مثل روح « ولي » آخر قرب

= المصلين الفقراء ، كاشفا لرعاياه عن ورعه الديني ومستكملا مظاهر تدينه ، وهو ما جعله جديرا باللقب الذى أطلقه الشعب المصرى عليه (الملك الصالح) · لكن صراعه المستمر مع الحزب القوى (الوفد) ، وما أشيع عن حياته الخاصة ، والفساد في حاشيته وبعض الشوائب حول الاتفاق العسكرى في الحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى ـ كل هذا جعله يصبح في نظر شعبه مثلاً للفساد والاستهتار ·

ـ مارسيل كولومب « تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٢ » ترجمة زهير الشايب · الطبعة الأولى ١٩٧٢ ـ مكتبة سعيد رأفت ـ القاهرة ١٩٢٧ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٥ ·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 7, pp. 28-29.

(٢٦) اشتهر باسم كوبرى أبي العلاء ، وكان اسمه فيما بعد كوبرى فؤاد الأول ، يصل بولاق بالجزيرة ، طوله ٢٧٤ مترا وعرضه عشرون ـ عليه شريط مزدوج للترام وله فتحة كان المفترض أن ترتفع كهربائيا · بنته شركة فيف ـ ليل عام ١٩١٢ ·

ـ تقويم سنة ١٩٣٥ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٦٤٠ ·

(٢٧) ٢٦ يوليو حاليا ·

« قفط » « سيدى مسعود » وفقا لرواية البعض ، وسيدى قناوى وفقا لرواية آخرين ، أو كما يزعم فى المنيا (حيث يوجد) راعيها « سيدى الفولى » « (الذى) يمنع أى تمساح من العبور شمالا ، فاذا عبر ، فان الروح المعوقة تجبره على قلب بطنه الى أعلى ليصبح فريسة سهلة · ولقد سألت لماذا تطلق البواخر أبواقها عند المرور قرب « كوبرى بولاق » · وأشك فى أن يكون هذا لتكريم « أبو العلا » ، ومع ذلك فمن الممكن أن تكون مجموعة « المقامات » التى تجاور مسجده محل تقدير أيضا · وتتضمن (هـذه المجموعة « سيدى موفق » الذى له « مولده » الخاص ، كما « لأحمدين » ، « هلال » الذى له ، أو كان له « زفة » ، وله ضريحه الصغير الجميل للغاية ، والشيخ « مصطفى » ، وآخرين ·

ولقد أبلغنى « الشيخ أبو العلا بدوى » من « العجوزة » ، بأن السبب الذى أدى الى سقوط مسجده (السلطان أبو العلا) على هذه الصورة من الانهيار ، هو « حظر تهديدى » ضد بنـاء أو اصــلاح (فى) أى بنـاء « للسلطان » نفسه ، وليس هذا أمرا فريدا ، ف « السلطان الحنفى » كان لديه نفس الخوف على مسجده الجميل من العبث به ، وقد وضع نفس هذا الحظر على الاصلاح ، الى حد أنه حتى الوقت الحالى فان جزءا من البناء قد غطى تماما تقريبا بدعامات وصلبات خشبية ·

أيها الوردة Floreasa ، أبو العلا ! لعل البركة تحل على رأسك فى المستقبل ، وعلى مسجدك ، ونيلك ، و « مولدك » · مثل (مولد) « أبو العلا » فى سنة الحرب ١٣٥٩ (١٩٤٠) مظهرا غير عادى ، الأمر الذى يستلزم ملاحظة خاصة ·

كان « المولد » قد عقد فى يومه الذى يقام فيه دوما ، الخميس وفى نفس التاريخ المعتاد ، ١٦ ربيع الثانى (١٩٤٠/٥/٢٣) ، وكان الجانب الدينى والذكرى طبيعيا تقريبا ، باستثناء أننى لاحظت غيـاب الحشود الكبيرة والهيبة اللتين يجب مراعاتهما فى « الزفة » اللائقة ·

لم تكن ايطاليا قد أعلنت الحرب بعد ، لكن نوعا من « الاظــلام » كان يطبق بينما كان المولد فى تألقه ، وفى كل مكان لم يكن هناك أى أثر « لحديقة الملاهى » فى موقعها الفاتن المعتاد على النيل وكوبرى بولاق ، ربما بسبب الاحتياطات الخاصـــة والتعليمات المتعلقة بالكبارى · لكن سياجا على الجانب الجنوبى من شارع فؤاد الأول ، وعلى بعد ثلاثمئة متر

شرقى المسجد (٢٨) ، ضم مراجيح ، بعض ألعاب القمار وموائد أخرى ومسرحا ضخما • وقد ظل هذا (النشاط) لبضعة أسابيع • وقد لاحظت أن القزم الذى سبق الاشارة اليه مرارا فى هذه الصفحات قد وجد نظيرا له فى شخص سوسى Sosie الواعد •

فى الليلة الكبيرة للمولد أو على الأصح بعد الظهر ، كانت هناك مظاهر جذب مسلية للغاية خلف المسجد وفى منطقة « الشيخ موفق » ، لكنها ما لبثت أن تفرقت عند الغروب • هناك بقيت جماعات غناء كثيرة (وحلقات) ذكر كبيرة ، وربما كان أكثر الأشياء اثارة للزائر هو ذلك المنظر الجميل لداخلية المسجد عند الأبواب العديدة لخلف المسجد والتى كانت مفتوحة على مصاريعها • كانت المجموعات الكبيرة للعباد ، والتفاصيل الجميلة للعمارة والزخارف التى كانت ملونة مثيرة الى درجة (كبيرة) •

كان أكثر الأشياء شعبية عند ضريح « الشيخ موفق » جديدا تماما بالنسبة لى ، وأعتقد بالنسبة للموالد أيضا • فقد تكون (هذا الشىء) من كرة ضخمة من الخيش منفوخة ككرة قدم كبيرة ، تدور ببطء على محور رأسى (يصل عموديها الشمالى والجنوبى) ، وملونة فى أقسام يحمل كل منها اسم بلد ما • ونظرا للضوء الباهت ، وللزحام ، ولحقيقة أن البوليس هاجم (المكان) فى هذه اللحظة ، فاننى لم أستطع أن أتبين سوى (أسماء) ألمانيا ، ايطاليا ، وأمريكا • وكانت « الرهانات » Stakes توضع على لوحة ملونة بألوان مماثلة •

ابو الليل (انظر خريطة مصر العليا) A 17 :

هذا هو أحد موالد (بنى مزار) ، أقيم فى عام ١٣٥٧ فى جمادى الأولى ، ويقال انه هام ، محليا على الأقل ، لكننى لا أملك أية معلومات محددة عنه •

أبو الطرابيش (انظر خريطة مصر العليا) A 18 :

رغم أننى لم أذهب الى هناك بنفسى ، الا أن أصدقاء انجليز وآخرين ممن كانوا هناك يوم الجمعة ١٠ ذى الحجة ١٣٥٥ (١٩٣٦) قد أبلغونى أنه كان « مولدا » كبيرا وممتعا ، فى خلفية صحراوية فاتنة •

---

(٢٨) ظلت حديقة الملاهى الصغيرة هذه تعمل بعد المولد ـ حاشية للمؤلف •

والمولد (المذكور) خارج (حلوان) ، يصل اليه المرء على الأقدام بسهولة أو راكبا حمارا ·

سيدى أبو هريرة (انظر خريطة مصر العليا) A 19 :

لقيت مصادفة خطابا كتب منذ سنوات عديدة الى واحد من كبار علمائنا الأنثروبولوجيين ، يغطى الكثير من أرضية المولد المعتادة على المستوى الدنيوى ، أرفقه حرفيا · وحيث ان الخطاب يصور اعتقاداً دينيا محددا ذا أصول قديمة للغاية ، فانه لم يؤكد على الجانب الدينى بطبيعة الحال · ومع ذلك ، فان هذا (الجانب) لم يهمل ، تشهد بذلك لقاءات الطرق (الصوفية) ، الأذكار ، القراءات فى المساجد ، الحجاج الى الضريح الخ · وعنصر الدراويش الذى يفصل نفسه عن المظاهر الزائفة المتعددة الألوان Kaleidoscopic Charivaria التى تضمنت « العربة الملكية » (٢٩) ، والعديد الآخر من الصبية المرتدين لملابس الفتيات · ومع ذلك ، فان تقليص الأجزاء الأكثر دنيوية (فى المولد) لم يؤد الى تقوية الجانب الروحى اذا كان للمرء أن يحكم من الحالة المزرية والموحشة التى وجدت الضريح قد آل اليها عندما زرته فى أعقاب خطابى المرفق ، ومن تقلص عدد الزوار · ان (حالة الضريح) تحكى عن الفقر والهزال والحاجة الى محسنين أثرياء ·

ان زيارة فى الفجر فى اليوم الكبير للمولد ، الذى كما أشرت ، هو أيضا أحد أهم الأعياد المصرية المتميزة فى السنة « شم النسيم » ، تكشف عن نهوض الكثير من الناس من نومهم الى الحقول لتحية الشمس المشرقة · والدليل على أن هذا هو بقية من « عبادة رع » (٣٠) ، هو نهوض حشد

(٢٩) سيرد تفصيل العربة الملكية فى الخطاب الذى أرفقه المؤلف والمشار اليه فى السطور السابقة ـ والذى يرد ذكره لاحقا ·

(٣٠) آمون رع ، كبير الآلهة واله الشمس فى زمن الأهرام ، اعتقد المصريون القدماء انه خالق كل الأشياء · صنع تمثاله فى معبد الشمس بعين شمس Heliopolis من الذهب اللازورد Lopis Lozuli وحمل تاجا مزدوجا : الأحمر لمصر السفلى ، والأبيض لمصر العليا · ويوحى رمز آمون عند الفجر ، الخنفسة السوداء التى تدحرج روثها ، يوحى بالشمس التى تتدحرج أيضا من الشرق الى الغرب · وبالنسبة لرع ، فان هذا المثل مثل برجل له رأس صقر محاط بقرص الشمس والكوبرا الذهبية · ركب « رع » أب كل الفراعنة ، قاربه الشمسى عبر السموات كل يوم ، وتحت العالم كل ليلة متجاوزا محطات الظلام الاثنتى عشرة ·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 1, p. 376.

ممن أمضوا ليلتهم فى الحقول والطرق حول المسلة فى « المطرية » فى نفس اللحظة ولنفس السبب ٠ (يجرى) هذا فى نفس موقع معبد « رع » ، ونهوض العنقاء Phoenix ٠

وبرغم المهابة الكبيرة التى « لأبو هريرة » وخاصة فى « الجيزة » ، فاننى لا أعرف شيئا ثابتا أو يمكن الاعتماد عليه عنه من خلال التحقيق المحلى ٠

فاذا كان هو ــ كما أعتقد ــ « أبو هريرة » الذى أرخ له الشيخ عبد الوهاب الشعرانى (انظر المجلد الأول ، ص ٢٢ من عمله « الطبقات الكبرى ») ، فان تاريخه يعود الى القرن الأول من الهجرة ، حيث ان موته ثابت « بالمدينة » عندما كان عمره ثمانية وسبعون عاما فى خلافة «معاوية» ، وكما نعرف فان « معاوية » قد عارض الامام « على » ، واغتصب الخلافة من الامام « الحسين » حفيد الرسول (ﷺ) وكان مسئولا عن الثورة الكبرى فى مصر (٣١) ٠

ويبدو أن (قصة أبو هريرة) واحدة من حالات كثيرة لجثمان أحد اتباع أو نسل أسرة النبى المباشرة ، التى أحضرت الى مصر بواسطة الفاطميين ، بهدف الفوز بحظوة المصريين بلا شك ، برغم كرههم للبدع الفاطمية ٠

تذكر شخصية « أبو هريرة » البسيطة المتواضعة ، حبه للفقراء ، ومخلوقات الله الانسانية أو غير الانسانية ٠ واخلاصه المتزايد ،

---

(٣١) ولد معاوية بن أبى سفيان فى حوالى عام ٦٠٢ م وتوفى فى أبريل عام ٦٨٠ ، ويعتبر هو سادس الخلفاء ومؤسس دولة بنى أمية ، فتح بلاد الشام بعد وفاة الرسول (ﷺ) ثم حكم لمدة عشرين عاما ٠ ومن هذا الموقع تنافس مع « على بن أبى طالب » على السلطة ٠ فى عام ٦٦١ اغتصب الخلافة من « الحسن » خليفة « على بن أبى طالب » وابنه ، بادئا أكبر إنشقاق فى الاسلام بين السنة والشيعة ، كذلك فانه كان اول من حول « الخلافة » الى ملكية ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 13, p.630.

(يذكر هذا كله) المرء الى حد ما بالقديس فرانسيس الأسيزى (٣٢) الذى كان محبا لقطة صغيرة ، ومحبا لخدمة أى من الناس ، فقيرا أو غنيا ، حاملا حزمة من العصى على رأسه ، أو ممارسا أى عمل وضيع · ويقال انه كان يبدأ يومه بالتسبيح اثنتى عشرة الف تسبيحة لله ، وكره ما ينقص شكره للخالق ، الى حد أنه قسم وقت النوم الى ثلاث فترات ، تتولى واحدة منها زوجته فتتعبد الى الله ، وفى الفترة الثانية كانت جاريته السوداء تقوم بذلك الدور ، أما الفترة الثالثة فكانت له ·

ومن الغريب أنه كان لديه فزع ملحوظ من الموت ، وكان يبكى بمرارة عند نهـايته قائلا · « كيف لى أن أعرف اذا كنت سأستيقظ فى الفردوس أم فى الجحيم ؟ » ·

« مولد الشيخ أبو هريرة « الجيزة »
أستاذ علم الاجتماع ـ الجامعة المصرية
عزيزى البروفيسور

عندما كنا نناقش (معا) الانقطاع المؤسف للأعياد المصرية القديمة ، والاحتفالات البديعة ، بل والقمع المهدد للموالد فى ظل التأثير التخريبى مفسد البهجة (الذى يحدث) حاليا ، صدمك ذكرى لعنـاصر (عبادى قضيبيه) Phallic فى زفة (مولد) بالجيزة منـذ ربع قرن مضى · لم أكتشف أن هذه (الأشياء) لها قيمة أنثروبولوجية وعلمية ، لكن تأكيدك لهذه (الأهمية) ، يجعلنى أسجل لك من الذاكرة ماشاهدته مع انجليزى آخر (تعرفه أنت والذى سيؤكد ما أذكره) ، فى مولد الشيخ أبو هريرة فى / حوالى عام ١٩٠٨ ·

وكما تعلم ، فان « الزاوية » أو « ضريح » الشيخ ملاصق لسوق الجيزة ، وهو مكان فسيح يجرى توسـيعه فى هذه المناسـبة للتمكين

(٣٢) فرانسيس الاسـيزى Francis of Assisi ـ ولد فى اسيزى Assisi بايطاليا حوالى ١١٨٢ ـ مؤسس الرهبانية الفرنسيسكانية ـ أسس مدرسته عام ١٢١٢ باسم Poor clares وهى فرع لطريقة القديس كلار Clare وخصصها للنساء ، وفى ١٢٢١ أسس مدرسته للرجال والنساء وأسماها the third order · من أشهر أعماله محاولته تحويل Convert السلطان الكامل (١٢١٨ ـ ١٢٣٨) أثناء الحملة الصليبية التى حاصرت دمياط (١٢١٩) · وفى فرانسيس فى ١٣ اكتوبر ١٢٢٦ ، واعتبر قديسا فى ١٢٢٨ · وعيده فى الرابع من اكتوبر ·
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 8, p. 274.

لسباقات الخيل البدائية من أن تقام ، وكانت هذه (السباقات) ، التى أعتقد أنها كانت الافتتاح الرسمى (بصرف النظر عن الأذكار وبعض الطقوس الاسلامية الأخرى بالطبع) ، على وشك أن تبدأ عندما وصلت حوالى الساعة العاشرة صباحا ، ولما كنت ممتطيا (حصانا) عربيـــا رشيقا ، فقد أعطانى هذا حماقة كافية للمشـــاركة فى السباق • كان مسموحا للمتســابقين أن يستخدموا عصـــا لضرب خيول منافسيهم ، أو لاعاقة الراكبين ، تمـاما كما فى جائزة السباق Palio الذى يجرى فى سيينا Siena فى عيـد رفـع مريم assumption (٣٣) • وبعـد بعض الألعـــاب الابتدائية القليلة للتعود على هذه الشروط الغريبـة ، تسابقنا وفزت وسط تصفيق صاخب وحاد ، جزئيا لأن « البراق » (٣٤) كان ينعم باطعام أفضل من الخيول الأخرى ، وسبق له التدريب الجيد فى « نادى الجزيرة الرياضى » (٣٥) ، ومن ناحية أخرى ـ وربما هى الأكثر ـ بسبب الاستخدام الخفيف للعصى (التى استخدمها المتسابقون لضرب خيول منافسيهم) • (لكن) انتصارى كان قصير العمر ، فقد تخطيت فى تدبير ركوبى فى نهاية السباق ، فقد شكم المتسابقون خيولهم لمســافة ، لكننى ارتكبت بعض الفوضى فى الحشـــد المتجمع قبل أن أتمكن من التوقف • ولقد أخـذ الراكبون والمتفرجون هذا (المسلك من جانبى) بنفس المزاج الشهم الطيب • وحتى الناس الذين خشيت أن أكون قد آذيتهم ، قد رفضوا أى تعويض • لكن بائعا رائعا للعرقسوس ، وهو شراب يصنع أساسا من السارساباريللا sarsaparella (٣٦) ـ كان فى موقع الأحداث ، اشتريت منه كل حمولته (لادخال) بهجة (المشروب البارد) على الجمع المتجهم quicumque vult (٣٧) • ومع ركوبى عائدا

---

(٣٣) راجع الحاشية ١٢ فى الفصل الثانى •

(٣٤) اسم جواد المؤلف • نسبة الى « البراق النبوى الشريف » الذى سار بالنبى (ﷺ) فى رحلته (الاسراء والمعراج) « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الذى باركنا حوله » ـ الاسراء ـ ١ •

(٣٥) ناد رياضى يقع فى منطقة « الجزيرة » بالزمالك بالقاهرة ، أنشىء فى تسعينيات القرن التاسع عشر ـ كانت عضويته قاصرة على الجالية الانجليزية فى مصر ، جرى تمصيره بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وأصبح مباحا لمن يرغب الاشتراك فيه من المصريين •

(٣٦) السارساباريللا Sarsaparilla نبات ينمو فى أمريكا الوسطى والمكسيك والبرازيل ، يصنع منه شراب العرقسوس •

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., 1609.

(٣٧) المفروض أن تكون الكلمة الأولى quicumque وهى كلمة لاتينية تعنى بالانجليزية all that, What so ever, who so ever, each

أما Vult فهى كلمة لاتينية ايضا تعنى Stern look .

— Latin Dictionary, Op. cit., pp. 143, 206.

كنت أسمع صيحة البائع « ســـبيل لله ياعطشـــانين » ، وتجمهـر الناس حوله ٠

كان هناك جمع كبير حول الضريح ، الى جانب (لاعبى) الأكروبات ، المشـعوذون ، الفتيات الراقصـات وغيرهم ، وكانت الشـوارع مزدحمة لدرجة ان تقدمى أصبح صعبا للغاية ، وكان على أن أختصر الطريق عبر « حى المومسات » « harlot's quarter » ، والذى كان مهجورا فى هذا الوقت المبكر ، وبعيدا عن طريق « الزفة » ٠ كان التقدم أكثر عند بداية السوق والشارع الرئيسى للمدينة الصغيرة مستحيلا ، وأصبحت متجمدا فى مكانى لمدة ساعة أراقب الموكب ، وهناك لمحت « W » ـ وهو انجليزى آخر ـ فى نفس حالتى ٠ وبعد الطرق (الصوفية) المعتادة ، بأعلامهم وموسيقاهم وأوشحتهم Sashes وشـــاراتهم ، جاء رتل لاينتهى من العربات حاملة مجموعات ترتدى كل منها ملابس حرفتها أو بعض الملابس الملونة ، وعربات أخرى يجر كل منها حصان أو حمار تحمل ثلاثين طفلا أو أكثر ، ونساء فى ملابس المهرجان، ثم لاحظت اقتراب عـربة كبيرة بمنصة مرفوعة على مقدمتها ٠ وفى وسط هذا كان هناك عرش ، يقف أمامه صبى وسيم فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ، عار تماما الا من تاج ، وسترة فضفاضة تبلغ الخصر bolero مفتوحة ، ومصنوعة من القماش القرمزى المطرز بالذهب ، ولها أكتاف من نسيج مقصب كانت تمر عبره أحبال غير مرئية ٠ كانت هناك دوائر براقة لامعة لونت ما حول سرة (الصبى) وحلمتى ثدييه ٠ وعلى كل من جانبى الصبى وقف وزير فى عباءة رائعة مستمدة من ملابس السياس Syces ، يحمل مبولة ذهبية بينما حمل الآخر طستا،وكانا ينحنيان احتراما كل فترة ٠ كان الموسيقيون يضربون « الطار » و « الطبلة » و « الدربكة » darabuka من منصة أقل ارتفـاعا بخلفية العربة ٠ لكن الشىء المـذهل كان « عضـــو التذكير » Virile (٣٨) عند الملك (الصبى) الذى كان يرقص مع الموســيقى فى اثارة ظاهرية ، فيتحرك يمينا ويسارا ، وينخفض الى أسفل ، ثم يرتفع الى أعلى وأسفل كما لو كان يحرك بزنبرك ٠ وقفت « العربة الملكية » لدقيقة أو أكثر وعلى بعد ياردات قليلة من حيث كنت أقف ٠ (ومن مكانى) استطعت أن أكتشف خيطا رقيقا قد اتصـــل بالجزء الأمامى من هذا الماريونيت marionette (المصنوع) من اللحم والدم ، ومر تحت

---

(٣٨) عن عبادة عضو التذكير فى الرجل Phallicism راجع الحاشية ٣٣ من الفصل الرابع ٠

إحـــدى الكتفين المطرزتين epaulettes وانحـدر من الخلف الى الجزء الأسفل من العربة ، حيث كان واضـحا أن لاعبا بالخيوط String-puller (يجلس هناك) مختفيا ٠

لم أشاهد شيئا من الأحداث التالية ، لكنها حسب علمى ، كانت تلك المعتادة فى أى مولد ٠

ورغم أننى شاهدت « الزفة » فى مناسبتين أو ثلاثة حديثا ، لكننى لم أشهد شيئا من « العربة الملكية » قبل الحرب ٠ ولا أعلم اذا كان قد تم الغاء (هذا العرض) رسميا أم لا ٠

لقد أنهت الحرب (١٩١٤ ــ ١٩١٨) هذا المولد تقريبا ، رغم أنه استعاد بعض مجده القديم فى الأيام الحالية ، كما فى حـــالة « سـوق الثلاثاء » بالجيزة ٠

وليس يستحق الذكر (القول) بان مولد « الشيخ أبو هريرة » لا يتبع التقويم الاسلامى « حاليا على أية حال » ، الذى يتبع تقريبا من قبل كل الموالد الأخرى ، لكنه يعقد فى « شم النسيم » ، اثنين Monday الفصح Easter الخاص بالكنائس القبطية واليونانية ، وأشك فى أن يعود تاريخ « الزفة » بعناصرها العبادى قضيبية phallic الى احتفالات الربيع ما قبل الاسلامية وما قبل القبطية ٠

المخلص ج٠ و٠ ماكفرسون ٠

سيدى أبو حسن العبابدى A 20 :

يحتاج هذا المولد الى معلومات ، حيث قد سمعت أنه ينتسب الى منطقة « القصير » ، والى الجنوب من هذه المدينة البحر أحمرية ، وأنه ذو أهمية كبيرة ، لكننى لا أستطيع الجزم بمعلومات (عنه) ٠ وقد ذكر (شهر) « ذو القعدة » باعتباره الشهر الذى يقام فيه المولد ، لكن هذا يحتاج الى تأكيد ٠

ويؤكد الدكتور ايفانز ــ بريتشـــارد ــ الذى كان قد درس « قبيلة العبابدة » البدوية الهامة ، والتى يراها المرء أساسا (فى المنطقة) من

قنا حتى أسوان (٣٩) ـ (يؤكد) وجود مولد ، وهو أمر غير عادى فى هذه المناطق باستثناء « مولد النبى » ، لكنه لا يستطيع فى الوقت الحالى أن يعطينى التاريخ الصحيح والمكان ٠

أبو قفص A 21 :

رغم أننى سمعت عن « أبو قفص » مرارا « كولى » جدير بالمشاهدة ، فان معلوماتى (مع هذا) كانت متأخرة دائما لتساعدنى على مشاهدته ٠

ويقول دكتور (ر) R الذى يعيش قريبا من محطة « الحلمية » ، ان (هذا المولد) يقام تحت نافذة (منزله) حيث يمكن رصده جيدا ٠ واستنتج مما أبلغنى به وآخرون ، أن تاريخ (هذا المولد) يقع فى / حوالى (شهر) رجب ٠

أبو قريش A 22 :

لقد كان تعارفى بهذا المولد عاصفا حوالى عام ١٣٤٨ (١٩٢٩) ، فقد وصلت حوالى الساعة التاسعة والنصف ، فى نفس الوقت الذى كان البوليس يغير عليه ، ويهدم الخيام ويوقفه كلية ٠ وأعتقد أن هذه الخطوة كانت تبررها اقامة المولد دون تصريح ٠ فى يوم الخميس ١٣ جمادى الأولى ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤) ذهبت بلطف كاف ، وكذلك فعلت فى يوم الخمس ١٥ جمادى الآخرة ١٣٥٧ (١٩٣٨/٨/١١) ٠

(يقع المولد) فى قرية (زنين) ، ويمكن الوصول اليه بواسطة أتوبيس « كرداسة » من الكوبرى الانجليزى ٠ فى ١٣٥٧ (١٩٣٨) كان هناك تاكسى يقوم بخدمة التوصيل بين المكانين فى مقابل قرش صاغ للفرد ، بعدما طال عدم انتظام الأتوبيسات التى توقفت عن الخدمة بعد ذلك ٠ ويمكن زيارة المولد أيضا بالسيارة عن طريق شارع البرنسات وعبور الخط عند « مصنع بيرة الأهرام » Brasserie des Pyramides ، وسلوك طريق ريفى خشن ٠ (وأبو قريش) مولد ريفى بسيط ، حى وفاتن ، ويستحق الزيارة ، وخاصة قبل حلول الظلام ، ليمكن تقدير جمال « زنين » بمياهها والزراعات المحيطة بها ٠

---

(٣٩) العبابدة ـ قبيلة من الشعوب الحامية التى انتشرت فى الصحراء الشرقية من أسوان الى هضبة الحبشة جنوبا ٠

ـ تاريخ آثار مصر الاسلامية ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٧٤٧ ٠

على الجانب الدنيوى ، فاننى لم أر مسارح فى ١٣٥٧ (١٩٣٨) ولا عروضا ، رغم أن كثيرا من الأكشاك الشعبية المخصصة للتسلية كانت موجودة ، لكننى دهشت لدرجة كبيرة عندما وجدت أن كل المقاهى الكبرى كانت لها فرقها الموسيقية وراقصاتها · ولقد كان هناك الكثير مما يولم به ، حيث كان قد نحر ثمانية جمال فى الصباح ·

وفيما يتعلق بالشيخ « أبو قريش » ، فاننى لم أستطع استخراج معلومات يعتمد عليها بما فيه الكفاية لأقدمها ·

أبو السباع (انظر الخريطة القطاعية VI A 23 :

ان موعد هذا المولد غريب الأطوار ، لكنه كان يقام فى كل مناسبة أذهب فيها وألاحظ الموعد ، فى يوم الخميس ، لكن الشهر كان يتراوح بين ربيع الأول عام ١٣٤٨ الى جمادى الأولى فى ١٣٥٣ · وفى عام ١٣٥٦ كان موعده فى الثامن من ربيع الثانى (١٩٣٧/٦/١٧) ·

ويقع مسجد (أبو السباع) فى نهاية شارع عبد الجواد من ناحية السبتية ، الشارع الكبير الجديد فى بولاق (٤٠) ، وهى منطقة واطئة نوعا ما ، وتحتفظ ببعض تقاليد ميناء القاهرة القديم ، وليست جميلة على نحو فريد ــ (يوصل اليها) أتوبيس ١٥ أو ترام رقم ٤ ·

---

(٤٠) كان للقاهرة منذ الفتح العربى ميناء فى قرية تسمى (أم دنين) ، أطلق عليها (المقس) · وكانت تقع شمالى الفسطاط · والاسم مشتق من (المكس) أى الضريبة · كانت المقس تقع على النيل مباشرة فى المكان الذى يشغله ما بقى من حديقة الأزبكية حاليا ، وجامع أولاد عنان عند ميدان رمسيس · حتى أوائل العهد المملوكى كان شاطىء النيل الشرقى تجاه القاهرة يحف بالمقس من جهتها الغربية · فى ١٢٨٠ م انحسر النيل عن جانب من المقس واتصلت الأرض الواقع عليها الآن منطقة باب الحديد (رمسيس) بجزيرة بدران · وفى ١٣١٣ م سمح السلطان الناصر محمد بن قلاوون (١٢٩٣ ــ ١٢٩٤ ، ١٢٩٩ ــ ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ــ ١٣٤١) للناس بالبناء فى تلك الأراضى ، وتكون من مجموع ذلك بلدة جديدة هى بولاق · وفى منتصف القرن الرابع عشر اكتمل بناء المنطقة الواقعة على ضفة النيل وضمت عددا من الأحياء كزريبة قوصون ، موردة الجبس ، خط الجامع الطيبرسى ، زريبة السلطان وبولاق ، وضمت الى جانب ذلك أسواقا ، مطاحن ، مدارس ، حمامات ، ربوعا (مفردها ربع) · ومع أن هذا التطور السريع فى المنطقة الواقعة غرب القاهرة على طول النيل جرى فى عهد السلطان الناصر محمد ، فان القرن الخامس عشر وخاصة بداياته شهد تدهور الأحياء فى هذه المنطقة ماعدا بولاق ، التى لعبت دورا هاما بواسطة أرصفتها ــ التى وفرت حركة ليلية · وتشير المصادر الى أن بعض القوارب التى كانت تفرغ حمولاتها سابقا فى المقس ، كانت تأتى فى ذلك الوقت الى أرصفة بولاق · ومع الوقت أصبحت بولاق تقوم بمهام المقس الذى لم يعد قادرا على استقبال السفن · واصبحت بولاق ميناء =

ورغم تقليصه كثيرا ، فانه (لا يزال) مولدا كبيرا ، له مسارحه ، قره‌جوز ، الرنجا ، الخ فيما يتعلق بجانبه الدنيوى ، وفى بعض السنوات المتأخرة قدم (بيلى ويليامز) عرضه الشهير « حلبة الموت » ٠

ابو زيـــد A 24 :

يوصف كواحد من مجموعة الامام الشافعى ، ويقام فى شعبان ، ولكن (مكانه) غير محدد ٠

شيخ العدوية A 25 :

يوصف كأحد الموالد الصغيرة فى منطقة الامام الشافعى ، ويقام تابعا لمولد الامام فى شعبان ٠

ومع هذا ، فاننى لم أستطع تحديد مكانه ٠

سيدى محمد العجـــان A 26 :

أحد الموالد الصغيرة للغاية ، لكنه مزين بالأعلام المبهجة ، يقام فى منتصف شعبان ، فى شارع صغير بعيدا عن شارع الخيرات (٤١) ، وتمر بهذا الطريق خطوط الترام أرقام ٧ ، ٤ ، ١٢ ، وأتوبيسات ٣ و ٩ ٠ ويعلو ضريح هذا الشيخ عبارة « هذا مقام سيدى محمد العجان » ٠

سيدى الأحمدين « انظر الخريطة القطاعية VI » A 27 :

رغم وجودى (به) يوم الأحد ٣٠ جمادى الأولى ١٣٥٣ (٣٤/٨/١٦)، وفى مناسبة أخرى أغفلت ملاحظتها ، فاننى (مع هذا) لم أستطع تحديد

= للغلال واصبح لهذه السلعة ساحل يسمى ساحل الغلال ـ وهكذا أصبحت بولاق ميناء استقبال السفن القادمة من الشمال ، وفى القرن الخامس عشر أصبحت السفن القادمة من مصر السفلى ملزمة بالتوقف فى بولاق ، وأصبح جمرك بولاق يسيطر على حركة النيل الملاحية القادمة من اتجاه الدلتا ، وظل الامر كذلك حتى نهاية العصر العثمانى ٠

— Nelly Hanna « An Urban History of Bulaq in the Mamluk and Ottoman Periods » Institut Francais D'Archeologie Orientale-Cahier No. 3. Le Caire 1983. pp. 3-32.

ـ تاريخ وآثار مصر الاسلامية ـ مرجع سبق ذكره ، ص ١١٦٨ ـ ١١٦٩

(٤١) يحتمل ان يكون قصد المؤلف هو « شارع خيرت » الشهير ، فى حى « السيدة زينب » بالقاهرة ، وهو شارع يمر بشياخات الانشاء ، سويقة السباعين ، والناصرية ٠ ولا يوجد فى منطقة السيدة زينب شارع باسم الخيرات ، وهذا يعزز ما اقترحه ٠

ـ تعداد سكان القطر المصرى سنة ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ٠

يومه الصحيح لسنوات عديدة ، واذا كان لا يزال يقام فلابد أن تغييرا كبيرا قد أصاب موعده ·

يقوم مقام سيدى الأحمدين فى شارع صغير يحمل نفس الاسم ، بعيدا عن (الشارع) العريض الجديد أمام مسجد (أبو العلا) ، ويسهل الوصول اليه ، نظرا لكونه على بعد (مسيرة) دقيقتين من هذا المسجد المعروف · ويمر أتوبيس ١٥ بهذا (المسجد) ، كما أن أتوبيس ٦ وخط الترامواى رقم ١٣ ، ١٤ ، ١٥ والتى تعبر كلها شـــارع فؤاد الأول تقف عند (أبو العلا) ·

والشارع رائع للغاية وبه مقاما شيخين بالاضافة الى المسجد ومقام سيدى الأحمدين ، الذى يحمل لافتة فوق مدخله (عليها عبارة) « مقام سيدى الأحمدين » ·

ويكاد الجانب الدنيوى (من المولد) أن يكون معدوما ، ومظهر المولد العظيم هو « زفته » التى تحدث بعد الظهر المتأخر · وتأتى (هذه الزفة) من اتجاه « السبتية » لتصل الى الضريح من منعطف شارع « الواجهة » · (والمولد) آمن ويؤم بكثرة ، وأرجو أن أجده لا يزال مزدهرا ·

سيدى محمد الأنصارى « انظر الخريطة القطاعية XI) A 28 :

فى كل مناسبة حضرت فيها هذا المولد الجميل الصغير ، كان يقام فى الأسبوع الأخير من شعبان ، فى السادس والعشرين (من الشهر) فى أعوام ١٣٥٤ « ١٩٣٥ » و ١٣٥٥ « ١٩٣٦ » ، وفى السابع والعشرين فى عام ١٣٥٧ ، « ١٩٣٨/١٠/٢١ » · وفى عام ١٣٥٦ « ١٩٣٧ » كان مقررا أن يقام فى السادس والعشرين ، لكنه أجل نظرا لوفاة أحد أعضاء أسرة « الشيخ مدبولى » ، الذى أعلم أنه « أنصارى » منحدر من المؤسس (مؤسس العائلة) · وفى هذا العام ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » ، كان موعد (المولد) فى السادس والعشرين من شعبان ·

يقام (هذا المولد) فى « حارة الأنصارى » بالغة الصغر ، على مبعدة من « شارع محمد على » ، وعلى مسيرة دقائق قليلة من (ميدان) العتبة يمينا · ويقع الضريح مع الباب الرئيسى للمنزل خلف « الحارة » ، حيث توجد هناك مساحة كافية للصلاة والأذكار ·

هذا هو سحر الموالد ، ذلك أنه مع أن المرء عرضة للصدمات وخيبة الأمل ، فان هناك (أيضا) فرصة مشاهدة المناظر ذات الجمال المدهش والامتاع ، والابتعاد عن هذا العصر الميكانيكي الخالي من الاحساس blasé age ، الى نوع من الجو الشرقي الذي يقرأ المرء عنه ويحلم به . لقد أسعدني هذا المولد البالغ الصغر الى حد المغامرة بوصف ما سمعته وشاهدته (فيه) بشيء من التفصيل .

كنت أستمتع في يوم السبت ٢٦ شعبان ١٣٥٤ « ٢٣/١١/١٩٣٥ » بمولد لطيف للغاية كلاسيكي وصغير ، يواجه محكمة الاستئناف في « قنطرة الأمير حسين » (٤٢) ، (هو مولد) « الشيخ نور الدين المرصفي » ، عندما أهلت علينا « زفة » جيدة التجهيز ، « بخليفة » يركب مع ابنه الصغير جوادا مطهما ، وعازفين مهرة يضربون طبولا ضخمة فوق رؤوسهم بينما كانوا يرقصون . وعندما (فرغوا) من تسخين آلاتهم على شعلات المشاعل التي تصاحب المواكب دائما ، كان تساوق نغماتهم منضبطا وقويا

---

(٤٢) تعددت القناطر في القاهرة نتيجة لوجود الخليج الذي احتفره عمرو ابن العاص سنة ٦٣٩ والذي كان يشق القاهرة في اتجاه طولها الى قسمين متفاوتين . كان هذا الخليج يأخذ من النيل أسفل مقياس جزيرة الروضة في نفس المكان الذي يوجد به « مجرى العيون » ، ويصب في قناة « ابي المنجا » قرب شبين القناطر . وفي سنة ٧٦٢ كان هذا الخليج قد سد تماما . في سنة ١٣٢٤ حفر السلطان المملوكي الناصر محمد ابن قلاوون الخليج الذي يحمل اسمه (الخليج الناصري) . كان هذا الخليج يخرج من النيل عند النقطة التي يتقابل فيها شارع كورنيش النيل بشارع السلاملك ، ثم يسير الى الشرق بدوران نحو الشمال الى أن يتقابل بشارع القصر العيني ، ثم يسير بجوار هذا الشارع ، وعند وصوله الى شارع الشيخ ريحان ينعطف نحو الشرق ويسير مقاطعا شارع التحرير ، ثم يسير شمالا الى ميدان عرابي ثم يتجه الى ميدان رمسيس ثم ينعطف الى المستشفى القبطي بشارع رمسيس ، ومن هناك ينعطف الى الشرق حتى ينتهي الى شارع بورسعيد (الخليج المصري) حيث كان يصب في الخليج الأصل . في عهد محمد علي ردم جزء كبير من هذا الخليج في المسافة من فمه الى المستشفى القبطي ثم ردم الباقي منه الى نهايته بشارع بورسعيد في عهد الخديو اسماعيل . بنيت فوق هذا الخليج عدة قناطر لتسهل للمواطنين عبور ضفتيه الى قسمي المدينة التي كان يشقها كما ذكرت ـ فكانت عليه قنطرة الجير ، قنطرة السباع (ميدان السيدة زينب الآن) قنطرة عمر شاه ، قنطرة سنقر ، قنطرة الأمير حسين (بين باب الخرق وباب الشعرية) ، قنطرة الموسكي . والقناطر الجديدة .

ـ « وصف مصر ـ وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ـ لجومار ـ ترجمة وتعليق وتقديم أيمن فؤاد سيد ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٨ ـ ص ١٥٦ ـ ١٦٠ .

— Daniel Crecelius & Abd al-Wahab Bakr « Al Damurdashi's Chronicle of Egypt », Op. Cit., p. 358 and Cairo-map.

مصورة تذكر بطلقات الرماية · وبتركي مسجد « سيدى المرصفى » الواقع تحت مســــتوى الأرض ، مررت بغرفة صغيرة عبر شــــارع الصــــاعقة Thunder-bolt « شارع السويقة » ، حيث كانت التحية الواجبة تؤدى لمسجد سيدى الأربعين الصغير · ولقد لاحظت أن المسجد كان مزينا بالأعلام من أجل مولد سيقام · ثم لدى عبورنا شارع محمد على ، استقبلنا بترحيب شيخ وقور نبيل ، يعرف باسم الشيخ الرفاعى ، على باب ضريح سيدى الأنصارى الذى كتب فوقه « مولد سيدى محمد الأنصارى » ·

وفى الحال بدأت المراسم الدينية « بالذكر » ، وكان الشيخ الجليل برأسه (حاملا) سوطا يستخدمه ضد أى من الحشد الذى يهمل واجب الملاحظة الأمنية « Custodia oculorum » ، أو الذى يقع فى خطيئة حب الزحام والتزاحم « Admirato Populi » · وكان (الناس) يأخذون ذلك (الســلوك من جانب الشيخ) بروح ســمحة ونادمة — باستثناء أحد السادرين الذى تذمر · ولقد كان نصيبه مزيدا من الضرب بالسوط ثم الطرد الى الظلام الخارجى ·

وفى نفس الوقت وتحت الأعلام والمصابيح فى الحوش ، كان كثير وكثير من الآلات الموسيقية يتوارد ، بعضها غريب ، وبعضها ذو جمال عظيم ، وعلى وجه الخصوص « النقرزان » ، وهو (على شكل) نصف كرة من النحاس المتوهج ، مزينة باسراف من حافتها ، كشكل جذاب من النقارية أو « الطبل الشامى » · وقد مثلت الأنواع العديدة من الطبول بشكل كبير ، متراوحة ما بين « الباز » البالغ الصـــغر ، الى ما أعتقد أنه كان « طبلا بلديا » ، لكنه كان يذكر بالطبلة العسكرية البريطانية ، وأنواع النقارة كانت واضحة فى أشكال وأحجام عديدة ، وكان بعض هذه النقاقير (مصنوعا) من خامات جيدة وصناعة بسيطة ، ومزينة تقريبا كالنقرزان · ومن أنواع الدفوف tambourines ، (مفردها تار) لم تقتصر مشاهدتى على « التار » المسطح الكبير فقط ، ذى التأثير الكبير فى « الزفة » ، والمسمى « بدير قدرى » ، (لكننى شاهدت) أيضا طرازا أعمق (يسمى) « بدير عروسى » ، وكذلك « الرق » الصغير · كان هناك أيضا الصنوج النحاسية Cymbals ، المشابهة — ولكن أكبر من — هذه المستخدمة فى « القداسات » Services القبطية « كاس » · من آلات النفخ (شاهدت) « السبس » الصغير ، ذا البوصات الثمانى طولا ، « والناى » الذى يبلغ

ضعف طول « السبس » . ويسمى هذا أحيانا « فلوت الدراويش » ، حيث انه يستخدم فى هذه المناسبة ليقود الأوركسترا المقدسة (٤٣) .

بدا العازفون كموسيقيين مدربين ، وكانت أرواحهم فى الموسيقى (التى يعزفونها) . كان الوقت والتناغم رائعين ، وكان هناك نوع من الغموض فى هذا الأمر ، يعززه ذلك الجو المحيط mise en scène . اننى نادراً ما استمتعت بمتعة موسيقية كهذه . وسيلاحظ أن هذا التأثير (الموسيقى) البديع قد أنتج بدون أى آلات نفخ نحاسية ، أو أى من الأشكال المعتادة « للزمارة » و « الأرغول » . كذلك فان الآلات الوترية « كالقانون » ، العود ، والكمنجة كانت مستبعدة ، وكل (هذه الآلات) مبهجة فى أماكنها الصحيحة ، لكنها قد تذكر « بالعوالم » (مفردها عالمة)، أو بمـذاق المسرح ، أو بالفرقة الموســيقية Coneer ، أو (كمـا فى (رقصة) الرنجا والشخشاخة) بكشك البوظة .

ولتلهفى للاستمتاع بهذه الموسيقى مرة أخرى ، فقد كنت حريصا منذ ذلك الوقت على ألا يفوتنى هذا المولد كل عام ، لكننى أصبت بخيبة أمل فيما يتعلق بالموسيقى . لقد كان ما سمعته شيئا مبتذلا . ففى سنة ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » على سبيل المثال ، كانت هناك فرقة نحاسية فى « زفة » بدون « خليفة » وقليل من اللاعبين الواهنين نسبيا على « التار » ، وقليل من مشهد للأشياء الأفضـل كثيرا ، الى حد أننى هجرت الحارة الضيقة ، وجعلت أطوف على الموالد الأخرى ، التى كانت ـ كمولد بهلول ـ تشتغل من أجل الليلة الختامية ، أو تكمل فى الواقع ليلتها الأخيرة . ومن هذه الموالد كان مولد « عبد الله » قرب « باب اللوق » ، « عائشة التونسى » الملاصق « لستنا عائشــة » ، « وضرغام » و « العمرى » البعيدين عن « شارع محمد على » .

لكننى بمرورى راكبا الترام حوالى منتصف الليل ، شاهدت حشدا متزايدا فى « حارة الأنصارى » ، يشاهد درويشا دوارا . وبنزولى من الترام فى (ميدان) « العتبة » والعودة على قدمى ، وجدته لا يزال يدور ،

---

(٤٣) قد يبدو فى كلمة Sacred Orchestra بعض الغموض عند القارىء ، لكن من يشهد « حلقة الذكر » التى يصفها المؤلف ، يستطيع ان يتبين ان المتحلقين يؤدون حركاتهم على ايقاعات آلات النقر التى تصاحبها آلة نفخ بسيطة « كالفلوت » ، ويقود هذا كله رئيس ينظم حركتهم بالتصفيق على يديه احيانا . ويبدو هذا كله كما لو كان فرقة موسيقية متساوقة الأنغام . ولما كان الذكر هو أحد الممارسات المرتبطة بذكر الله ، أى المتصلة بالدين ، فقد وصف المؤلف هذه العبارة بعبارة «الاوركسترا المقدسة Sacred Orchestra .

ويشرع فى خلع طبقات ملابسه السبع « seven veils » دون أن يتأثر دورانه • وتبع هذا (الدرويش الدوار) درويش ملتح من الرفاعية ، يلوح « بدبوس » منذر (٤٤) ، والذى بدأ بخطبة أعتقد أنها لم تسمع منذ أيام « بطرس الناسك » Peter the Hermit (٤٥) • كانت لغته قوية للغاية ، وكانت لديه القدرة الصوتية على اخراج أصوات عديدة ، من نداء الطبول trumpet call الى الهمس الرقيق • كان يستطيع ان يزأر ، ينبح أو يدمدم ، يدندن أو يحتدم ، يستخدم النغمات المتقطعة ، يصبح أجش الصوت أو (ذا صوت) كصوت الجرس ، وأن يترك كلماته تسقط كنوتات الموسيقى على سلم نغمى يطوق الطبقات العالية Fasetto والقرار العميق deep base.

كان موضوع خطبة الدرويش خليطا من الاحيائى والفلسفى ، والصوفى فى الأساس • وفجاة ودون قطع حديثه ، بدا كمحارب اسكندنافى berserker (٤٦) ، يدور دورانا سريعا ودبوسه على طول ذراع •

---

(٤٤) الدبوس ، عصا طولها قدمان مغطاة الرأس بالحديد ، تضرب بها الرؤوس فى القتال • فى الفارسية « دبوس » بلا تشديد ، وفى التركية « طبوز » بضم الطاء ، وتشريب الباء والزاى • وقد شرح « الدبوس » فى « صبح الأعشى » بانه آلة من حديد ذات اضلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة (اى الخوذة) • فالدبوس هو العمود من حديد والمضلع • ذكره الجبرتى فى ٤/٢٩٨ « وبات يطوف على الباعة ويضرب بالدبوس هشما بادنى سبب » •

— أحمد السعيد سليمان « تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل » دار المعارف ، القاهرة — ١٩٧٩ — ص ٩٥ •

(٤٥) راهب فرنسى (حوالى ١٠٥٠ — ٨ أو ١١ يوليو ١١١٥) ، كان واحدا من أكثر الوعاظ تأثيرا فيما يتعلق بالحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥ — ١٠٩٩) • فى عام ١٠٩٦ قاد مع الفارس والتر المفلس Walter the penniless عصابة ضخمة من الفلاحين عبر أوروبا الى « القسطنطينية » • فقد « بطرس » السيطرة على أتباعه الذين عبروا الى الاناضول قبل وصول الجيش الصليبى الرئيسى ، وهناك جرى ذبحهم • أما « بطرس » الذى عاد الى القسطنطينية للبحث عن المساعدة فقد انضم الى الجيش الرئيسى • حاول بطرس ان يعتزل فى انطاكية Antioch (١٠٩٨) لكنه شارك بنصيب فى فتح القدس فى ١٠٩٩ • ساعد بطرس فيما بعد فى تأسيس دير نيو فموتيير Neuf moutier فى بلجيكا وأصبح رئيسا لرهبان هذا الدير الاوغسطينى •

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 15, p. 200.

— قاسم عبد قاسم « الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية — دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥ — ١٠٩٩ » ، دار المعارف ١٩٨٣ — ص ١٣٩ — ١٦٨ •

(٤٦) البرسركر berserker ، واحد من المحاربين الاسكندنافيين الذين عرفوا بقتالهم المسعور •

— المورد — ص ١٠٠ •

سلاسله ترن وسنه المدبب يلمع : وبعد ذلك قطع الدرويش خطبته بطعن الدبوس في حلقه ، تحت لحيته • تلا ذلك انقطاع مفاجيء عن الكلام ، ولعل المرء سمع صوت سقوط الريش لدى سقوط الدرويش على ركبتيه وارتخائه ، بينما ترنحت رأسه للأمام ، راميا بثقله على سن (الدبوس) الذى كان رأسه الكروى أسفل في وضع رأسي • وعندما توقعنا أن نرى سن الدبوس يخرج من خلف رقبته ، اذا بدرويش أثرى يقفز بخفة على كتفيه ويعلن عظمة الله « الذى يصنع وحده المعجزات » أو كلمات بهذا المعنى (٤٧) •

لا شك فى أنه توجد قوى تعمل خلف نطاق ادراكنا الانسانى ، فقد نهض الرجل مرة أخرى ، وانتظر لبرهة حتى يلمسه الدرويش القيادى ويشفى سحريا الموضع المثقوب (من رقبة الدرويش) ، وبعد ذلك تحدث الدرويش فى صوت هادىء عن الوظائف شبه الروحية للقلب • وربما كان يقتبس عن جريجورى بالاماس Gregory Palamas ، أو بعض « هزيساشت » جبل آثوس Hesychast of Mt. Athos (٤٨) •

لكن عينى وانتباهى تاها فى شاب فى مجموعتنا ، (كان) عاريا الا من سرواله Libas ، والذى كان قد تحول الى ثريا Chandeleer

---

(٤٧) اعتبرت ان كلمة half الواردة فى السطر ١٢ من ص ١٥٩ have ـ وأن هذا كان خطأ مطبعيا ـ يؤكد ذلك ما سجله المؤلف فى ص ٣٤٢ من جدول للاخطاء ، لم احد فيه هذه الكلمة مع ذلك •

(٤٨) Hesychiaste, Hesychast، اسم اطلق على نساك شرقيين اقلقوا الكنيسة اليونانية فيما بين القرنين الحادى عشر والرابع عشر بهرطقتهم القائمة على نوع من الصوفية quietisme من نوع آخر ـ وقد أعطى هذا الاسم Quietism لنوع من التصوف Mysticism المسيحى فى أواخر القرن السابع عشر ، والذى كان القس الاسبانى ميجيل دى مولينوس Miguel de Molinos هو مبتكره الرئيسى • آمن أصحاب الـ quietism أنه يمكن ان يكون للروح تشارك Communion مباشر مع الرب دون أى ممارسة دينية فعالة ، وان هذا التشارك يمكن تحقيقه من خلال حالة السلبية المطلقة ومحق الارادة •

أما آثوس Athos فهو جبل فى اليونان يقع على الرأس الشرقى لشبه جزيرة كالسيديك Chalcidique ، المتقدمة فى الأرخبيل • وتضم أديرة الرهبان الأرثوذكس فى هذا الجبل مخطوطات نادرة •

— Larousse Universel. Tom I. Op. Cit., pp. 154, 1109.
— Lexicon Universal Encyclopedia Vol. 16, p. 26.

وبالنسبة لبالاماس ، فيحتمل ان يكون المؤلف قد أخطأ فى اسمه الأول • ذلك أن المصادر لا تتحدث الا عن الشاعر اليونانى وافر الانتاج كوستيس بالاماس kostis Palamas (١٣ يناير ١٨٥٩ ـ ٢٧ فبراير ١٩٤٣) الذى كان العقد الأول من القرن العشرين هو اكثر فترات انتاجه •

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 15, p. 29.

حية · كانت دبابيس حادة من النوع الردىء قد رشقت فى لحم ذراعيه ، صدره ، وظهره ، وثقلت من عند نهايتها السفلى ، وزودت فى الرأس بشموع موقدة · ومع انتهاء الخطبة ، دفع دبوس كالسيف عبر خديه ، وفيما كان يقبض على النصل فى فمه بأسنانه ، ثبتت شموع وأوقدت فى كل من نهايتى (الدبوس) ، وبدأ الشاب يدور ببطء ·

لم يكن الشاب مستثارا ، كما لو كان قد خرج من « ذكر » ، بل كان طبيعيا ـ اذا كان من الطبيعى من أن يكون المرء طبيعيا فى ظل ظروف غير طبيعية كهذه ·

لم يبد (الشاب) أى مظاهر للألم أو عدم الارتياح ، أو الاستمتاع بالأحداث ، ولا حتى عندما مالت الشموع المحترقة نحو لحمه · وعندما حصنته اللمسة المباركة من الدرويش الأثرى من أى نزف أو أى نتائج سيئة ، فانه اتخذ مكانه ببساطة بين الصبية الآخرين ، دون أى علامة على الوعى · وانى لأترك لآخرين أن يفسروا هذه الأشياء : الفرضيات لا تصنع « hypothses non fingo » · لم أكن فى المقاعد التى تحت أضواء خشبة المسرح ، أراقب الأحداث على خشبة المسرح ذى الستائر ، المرايا ، المصابيح ، والأشياء الأخرى ، لكننى كنت اقرب ما أكون الى المأوى (الذى تمارس منه هذه العروض) ، وكان لدى الحرية فى اختبار ولمس (أى شىء) ، ولا أستطيع أن أحصل (مع هذا) على أى دليل مادى (يفسر لى ذلك) · وسأكون شاكرا لو أثار لى أحد هذا الغموض المحيط « بعيد تطهير العذراء » هذا Candlemas .

سيدى الأربعين « انظر الخريطة القطاعية XI » A 29 :

يقام هذا المولد الصغير للغاية غالبا فى نهاية شعبان ، وقد أقيم فى عام ١٣٥٧ (١٩٣٨) فى اليوم الثامن والعشرين · ويقع المسجد الصغير غير الجذاب فى « شارع السويقة » ، فى مواجهة « حارة الأنصارى » من « شارع محمد على » تقريبا ، وليس بعيدا من نهاية « العتبة » · والشارع ومجاوراته تفتقر للجمال ، ولعل أكثر العناصر تسلية هو تلك الزجاجة الضخمة المحتوية على « علقات حية » Liveleeches

فوق محل قريب من المسجد ٠ وقد وضعت لافتة فوق الزجاجة بعنوان « دود رومى » Sangsues (٤٩) ٠

سيدى العشماوى « انظر الخريطة القطاعية XI » A 30 :

هذا هو أحد الموالد القليلة نسبيا التى تحدد موعد (اقامتها) ٠ وهى الآن كما فى أيام « لين » Lane ، منذ أكثر من مائة عام ، (تقام) عشية الحادى عشر من ربيع الأول ، دائما فى اليوم السابق لمولد النبى (ﷺ) العظيم ٠ ومن السهل رصد هذا المولد ، حيث انه أكثر الموالد توسطا ، (فهو) فى شارع العشـــماوى خلف مكتب البريد وقره قول الموسكى « نقطة البوليس » ، الشارع الصغير الذى يتفرع من شـــارع عابدين غير بعيد من « الأوبرا » ٠ ومع هذا ، فقد تقلص (المولد) الآن لدرجة أنه أصبح من السهل أن يمر المرء على جانبى الشوارع الرئيسية دون أن يلحظه ٠

من أكثر الأجزاء سحرا فى كتـــاب « لين » العظيم « المصريون المحدثون » ، قصة « الذكر » عند زاوية « العشماوى » ، (الواقعة) فى الشارع المسمى وقتئذ « سوق البكرى » ٠ كان ذلك حوالى (عام) ١٨٣٠ عندما كان قصر « الشيخ البكرى » هناك على مقربة من البحيرة الصغيرة التى هى الآن « حديقة الأزبكية » ، و (لقد) كان هذا الجزء من القاهرة هو الموقع الذى يقام فيه « مولد النبى » ، « والدوسة » (٥٠) ٠ ويقطن

---

(٤٩) استخدم الدود الرومى Sangsues بواسطة الحلاقين فى مصر كوسيلة لشفط الدم من أجساد الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم باعتباره ذا قدرة عالية على امتصاص الدماء التى تسيل من جروح الجسم عندما يحدثها الحلاق فى جسم المريض ٠ كان الحلاق يقوم بتشريط بعض مواضع من جلد المريض بارتفاع ضغط الدم ثم يضع الدود الرومى على مكان الجروح لتمتص الدم الخارج من هذه الجروح ـ كما استخدم الحلاقون وسيلة أخرى لاخراج الدم الزائد من الجسم باستخدام ما يسمى « بكاسات الهواء » ، وتتلخص فى تشريط بعض مواضع من جلد المريض ثم وضع كؤوس زجاجية فوق مواضع التشريط بعد تفريغها من الهواء بواسطة اشعال قطعة من القطن المبللة بالكحول فى الكأس قبل وضعه على الجسم ، فتحدث عملية التفريغ الهوائى شفطا للدم من الجروح ٠ وهكذا ينقص من الجسم ، فينخفض ضغطه ٠ وبالطبع فان هذه كانت الوسيلة المستخدمة لعلاج ارتفاع ضغط الدم قبل ظهور الأدوية التى تعالجه كيميائيا ٠ ولقد كان من بين مظاهر التفاخر والسمعة الطبية فى طائفة الحلاقين ، الاعلان عن قدرة الحلاق على تركيب الدود الرومى لعلاج حالات ضغط الدم ، كما كان الحلاقون يعلنون فى اعلاناتهم اســماء مرضاهم الذين شفوا بعــد علاجهم بهذه الطريقة البدائية ٠

(٥٠) عن الدوسة ـ راجع الحاشية (١٩) ـ الفصل الثالث ٠

« الشيخ البكرى » الخاص بوقتنا هذا فى « شارع الخرنفش » ، وهناك شائعة مقلقة مفادها أن قصره قد تقرر هدمه ٠

والآن ، وكما فى ذلك الوقت الماضى (أى أيام لين) ، فان الطقوس (فى هذا المولد) ذات طبيعة دينية خالصة فى الغالب ، لكن بعضا من الغناء اللطيف بواسطة شيوخ ومنشدين ، وزقاق صغير قرب نهاية شارع عابدين ، حيث كانت تقام لعبة « التحطيب » وتسليات بريئة كانت تقام منذ سنوات قليلة مضت ، الى جانب « الأذكار » و « الزفة » ٠ وعمليا ، فان لا شىء من ذلك قد بقى ، لكننى أبلغت أن « الزفة » الموقوفة قد أعيدت فى ١٣٥٧ هـ « ١٩٣٨ م » ٠

فى عام ١٣٥١ هـ « ١٩٣٢ م » شاهدت حادثة عادية ـ تذكر بشدة برواية من « ألف ليلة وليلة » ـ لصبى شرس farouche لكنه جسور ، تحدى شيخ الأتباع المؤمنين بلغة وعبارات عنيفة وواخزة ، حيث ان الافراط الشديد فى لغته جلب له العفو على ما يبدو ٠ كان « العشاء » يقدم فى خيمة لعدد كبير من الفقراء ، وعندما أوشك على الانتهاء ، اندفع صبى طويل فى حوالى الخامسة عشرة ، فى أسمال بالية ، وذو شعر مشعث أسود وعينين متوحشتين سوداوين ، اندفع بلا استئذان داخل الخيمة ، لكنه أخرج كما دخل ٠ أهاج الصبى هذا (المسلك) ، واندفع الى داخل الخيمة مرة أخرى ، لكن ضابطا من البوليس أبلغه بلطف أنه جاء متأخرا ، وسلمه الى عسكرى ليبعده ٠ لكن الصبى ركل ، قاتل ، وحاول أن يعض ، وانبرى يشتم من كان الحفل تحت رعايتهم بألفاظ غير منتقاة ٠ « لقد أتيت للعشاء » ، قال الفتى صائحا : « ولكنكم أعطيتمونى اللكمات ، اللعنة على هذا الاحسان ! » ٠ ومرة تلو المرة بذلت المحاولات لاخراجه بهدوء ، ولكنه رغم اللين والرفق الرائعين ، فان عنفه سرعان ما أحال أسماله الى خرق ممزقة ، وظهرت آثار الدم على وجهه ٠ وأخيرا تحدث اليه ضابط كبير (المأمور على ما أعتقد) واثنان من « الافرنج الذين كانوا فى الخيمة ، بكل رقة مخاطبينه (بكلمة) « يا جدع » ، وابتسما لغضبه الجسور ، وقبل أحدهم رأسه ، وفى النهاية هدأ ٠ ثم أقتيد بعد ذلك الى الداخل ووضع أمامه صحن كبير من « الفتة » اللذيذة ٠ لقد كان النصيب الأكبر من هذا الصبر والرقة يعود بلا شك الى الحالة المزرية للشاب الوسيم المقدام الهائج ، لكن (نصيبا منه أيضا) كان للرغبة فى ابعاد الفأل السيىء عن الاحتفال ٠

كنت أود أن أسأل عن اسم الصبى وأن ألاحظ عمله ، فلقد كان (يشابه) فى أعماله « أتاتورك » (٥١) ٠

يذكر « لين » فى وصــفه « لذكر » (فى مولد) العشــماوى ، وجمال الموســيقى وكلمات الغنــاء التى كان يؤديهــا المنشــدون ، يذكر أثر ذلك على جندى وخصى eunoch من خصيان « الباشـا » ٠ فقد أصبح الخصى « ملبوسـا » Possessed ، وأخذ يصرخ بوحشية الله ٠٠٠ لا ! لا ! لا ! يا عمى ! ٠٠٠ يا عشــماوى ! ٠٠٠ يا عمى ! عشماوى ، ثم سقط فى نوبة فى النهاية ٠ ولو كان « لين » حاضرا فى مولد ١٣٥٦ هـ « ١٩٣٧ م »،فانه لم يكن ليشكو أى ثورة من التوهج والحماس الذى يوحى به « الذكر » ٠ كانت أرضية « مقام » سيدى « محمد البيدق » فى الشارع الصغير الذى يصل شارع العشماوى بشارع عبد العزيز ، كانت كميدان معركة صغير فى فترة ما ، فقد أصبح الواحد بعد الآخر « ملبوسا » ، ثم سقط لبرهة ٠ (وكان الأمر) طيبا الى هذا الحد ، لكن الزقاق الصغير السابق الاشارة اليه ، والذى كان الغناء فيه ، ولعب العصا وما الى ذلك قد منع ، والذى أقيم فيه بدلا من ذلك « ذكر » لأول مرة ٠ فى هذا الزقاق ، كان المنظر أبعــد ما يكون عن التهذيب ، بل وأظهر ـ على ما أعتقد ـ خطر وعدم أصوبية قمع الحماس الطبيعى والرغبة

---

(٥١) كمال أتاتورك (١٢ مارس ١٨٨١ ـ ١٠ نوفمبر ١٩٣٨) مؤسس وأول رئيس للجمهورية التركية (١٩٢٣ ـ ٣٨)٠ انضم الى حركة تركيا الفتاة Young Turks كضابط صغير وقاد توسع الحركة فى (سالونيكا) ٠ شارك بدور فعال فى الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد II عام ١٩٠٩ ٠ كان العثمانى الوحيد الذى حاز شهرة فى الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٨) ، فقد هزم المحاولة البريطانية (١٩١٥) للنزول فى غاليبولى Gallipoli وحفظ الجيش التركى فى سوريا فيما بعد متماسكا عندما دفع الى الأناضول بواســطة البريطانيين ، الذين ساعدهم الشريف حسين بن على بثورته (١٩١٦) ٠ قاوم كمال قرار الحكومة التركية بالاستسلام (١٩١٨) وتوقيع معاهدة سيفر عام (١٩٢٠) ، التى تنازلت فيها عن مناطق كبيرة من الأناضول للاحتلال الأجنبى ٠ ولأن الحكومة رغبت فى حث المقاومة برغم الاحتلال الأجنبى لاستانبول ، فقد عين ، مع هذا لمراقبة تسريح القوات الباقية فى الأناضول ٠ استخدم أتاتورك هذه السلطة وشهرته أثناء الحرب ليلتحم بقوات المقاومة التركية الناهضة ، منظما جيشا وطنيا قاعدته أنقرة ٠ وفى النهاية طرد هذا الجيش القوات المتحالفة العديدة المحتلة ، وألغى السلطنة ، واستبدل بها جمهوريه عاصمتها أنقرة ٠ وكمكافأة له أعطى اسم اتاتورك Atatürk (أبو الأتراك) من أمة معترفة بجميله ٠ أدخل اتاتورك اصلاحات سياسية واقتصادية وثقافية وتنويرية فى بلاده ، وأقام حزبا واحدا ليمارس تطوير البلاد ويقوم على تنفيذ برامجه الطموحة ، وقام بنقل الأفكار الغربية المناسبة لبلاده ٠ فى السنوات الأخيرة قبل وفاته قادت الفاشية الايطالية والنازية الألمانية ، أتاتورك الى علاقات أوثق بكل من بريطانيا وفرنسا ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 2, p. 287.

فى اللعب الى جانب الصلاة · فقد أصر صبيان ضخمان على مقاطعة (الذكر) ، بطريقة خشنة وبلغة غير ملائمة ، آذت « الذاكرين » ، وبسرعة أصبحا « ملبوسين » بعنف · وقد خمدت ثورة واحد (منهما) ، لكن الآخر ، وهو شاب أسود ، أصبح أكثر عنفا لدرجة احتاجت أناسا عديدين ليمسكوه ، وفى النهاية حمل بعيدا · ولقد قال المتفرجون ان «سامبو» (٥٢) كان سكران · فى السنة التالية وعندما وصلت متأخرا بعض الشيء ، كان مقام « الشيخ البيدق » مغلقا ، والزقاق خاليا ، والمسجد والشارع مهجورين بالمقارنة بالماضى ·

الله ! الله ! يا عشماوى ! يا عمى عشماوى ! يا عمى ·

أولاد بدر « انظر الخريطة القطاعية VI » A 31 :

يتوسط هذا المولد الصغير ، المساجد والضريح فى « درب الشيخ فرج » ، المجاور « لدرب النصر » ، « وشارع عبد الجواد » الكبير الجديد فى بولاق · ويفترض أن يقام هذا المولد فى بواكير شعبان ·

ومنطقة المولد غير طيبة ، والموالد تدفع غاليا لأى سلوك مخالف (من جانب المرتادين) — وهو سلوك نادر للغاية لحسن الحظ · على أى حال ، فاننى أعتقد أن (هذا المولد) قد عطل فى ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) · ولدى ذهابى فى ١٣٥٤ (١٩٣٥) لما يفترض أنه كان « الليلة الكبيرة » ، ٣ شعبان (١٩٣٥/١٠/٣١) وجدت أن الأعلام وكل الزينات قد أنزلت ، ومنعت كل الاحتفالات « التى تضمنت « رنجا » أو اثنتين وبعض العروض الصغيرة » · ولم يبق سوى حرية التردد على المسجد · ومع هذا ، فان المولد بعد هذا الانذار ، سمح له بأن يستأنف ، ومرت الليلة الختامية ، ٢٧ شعبان (١٩٣٥/١١/٢٤) بسلام ·

أولاد شعيب A 32 :

لم أتمكن من تحديد هذا المولد الصغير على الاطلاق ، لكن « موسى » « مراسلتى » (٥٣) محل الثقة ، أبلغ الجمعة مساء ٢٨ شعبان ١٣٥٥ (١٩٣٦/١١/١٣) أنه كان قد حضر فى ذلك المكان وشاهد «زفة» جميلة فيما بعد الظهر المتأخر · من أجل ذلك فاننى أضمن « الزفة » فى سجلاتى ، لأن « الزفات » أصبحت نادرة ·

---

(٥٢) عن « سامبو » راجع الحاشية ٢٤ من الفصل الثالث ·

(٥٣) المراسلة هو ما يطلق عليه بالانجليزية Orderly · وهو الجندى الذى يلحق بخدمة الضباط فى الجيش لقضاء احتياجاته ·

-- Webster Unabdidged Dictionary, op. cit., p. 1295.

أما الموضع فقد أعطى على انه بين « شارع عابدين » ، « وشارع عماد الدين » ، في « حارة الفوالة » · فاذا كان الأمر كذلك ، فان المولد فى الخريطة القطاعية F 8 & 9 - X ·

عائشة « انظر الخريطة القطاعية XVII » A 33 . (٥٤) :

رغم أننى لم أشهد هذا المولد الا يوم الخميس ١٦ شعبان ، ١٣٥٦ (١٩٣٧/١٠/٢١) ، الا أننى أعتقد أنه يقام فى منتصف شعبان سنويا ·

يقع المسجد قرب « مقابر المماليك » ، على بعد ياردات قليلة الى اليمين من خط ترام « الامام الشافعى » ، وخلف بوابة قديمة جميلة من بوابات المدينة ، ووسط مجاورات أثرية لم تمسسها يد الافساد ، وهى منطقة جديرة بالزيارة ، بصرف النظر عن المولد · ويتوقف تراما ١٣ و ٢٣ عند محطة « السيدة عائشة » ·

(والمولد) صغير لكنه شيء رائع ، فيه القليل من الجانب الدنيوى غير رقص العصا ولعبها ، رغم أنه توجد مقاه فى الطريق الرئيسى ترقص فيها الراقصات ·

كان المنظر ، عندما كنت هناك ، للحاج حسين الأعمى يعظ قرب بوابة المدينة القديمة · كان يستخدم لغة عربية حسنة ، وكان مهذبا وملتزما · بعد الخطبة كان يكرر أسماء الله التسعة والتسعين ، ويكتب اسم أى واحد راغب على نسيج مزخرف كان يحمل منه حزمة ·

كانت هذه السيدة (عائشة) ابنة « جعفر الصادق » سادس الأئمة (الشيعة) ومن ثم ، فهى فى الخط المباشر للنبى (ﷺ) ، ويجب أن لا تختلط مع عائشة ابنة أبى بكر الصديق ، وزوجة محمد (ﷺ) ، التى يقع ضريحها قرب « المدينة » (المنورة) ، والذى دمره « الوهابيون » (٥٥) ·

---

(٥٤) يلاحظ أن المؤلف قد ضم عائشة A 33 وعائشة التونسى A 34 الى قائمة الموالد التى تبدأ بحرف « أ » — أى انه لم يستخدم ما يسمى ب transliteration أى كتابة الحروف او نطقها وفق أبجدية اللغة المستعملة (ينقصر) · وفى حالة هذين الاسمين فانه كان ينبغى أن يضيف الى حرف A علامة A' فوقه لينطق عينا ، لكنه لم يفعل ·

(٥٥) نسبة الى محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ — ١٧٩٢) المصلح الدينى المسلم ، مؤسس الوهابية ، المذهب الرسمى فى المملكة العربية السعودية ·

توصف في (كتاب) « الطبقات الكبرى » بأنها مقدسة على نحو فريد ·
وأحد أقوالها المأثورة « سأومن بالله حتى ولو ألقاني في النار » وهي نفس
كلمات أيوب Job المقدس ، الذى قال « Etiam si occiderit me,
inipsosperabo » (٥٦) ·

عائشة التونسى « انظر الخريطة القطاعية XVII » A 34 :

مولد صغير للغاية ، قريب جدا من مولد السيدة عائشة بنت جعفر
الصادق ، أقيم في عام ١٣٥٧ ، يوم الجمعة ٢٧ شعبان
(١٩٣٨/١٠/٢١) ·

سيدى بدران « انظر الخريطة القطاعية II » B 1 :

حضرت هذا المولد في السادس عشر من جمادى الأولى فقط ، وعلمت
أنه مولد جديد لم يبدأ نشاطه الا في العام الماضى فقط · يقع مسجد
« سيدى بدران » في « شارع مسرة » المتفرع من « شارع شبرا » ، ويمكن
لأى ترام من ترامواىات شبرا وأتوبيس رقم ٨ أن يوصل اليه ، نزولا في
المحطة السابقة على « مدرسة التوفيقية » « اذا كان المرء قادما من البلد » ،
والدوران بزوايا يمنى الى اليسار · ولما كان هذا يتضمن مشيا طويلا في
مسرة ، فان الأفضل هو أخذ الاتوبيس رقم ١٥ من « ميدان
الاسماعيلية » (٥٧) ، حيث ان هذا ـ بعد مشوار لطيف على ضفتى النيل ،
وعبر منطقة « جزيرة بدران » ، يمر أمام باب المسجد ·

افتتح هذا المولد على مستوى كبير ، وأظهر جودة في ١٣٥٣
(١٩٣٤) · وكان المسجد مع الضريح يكتظان (بالزائرين) ، وفي
المجاورة ، ولكن ليس قريبا جدا ، كانت هناك خيمة مسرح كبيرة بها قزم ،
ورجل قوى سمين ، مع راقصى العضلات والبقية · (كان هناك) أيضا
« بانش وجودى » (القرهجوز) ، « ولعبة الموت » Piste a la Morte
التى يثير بها « بيلى ويليامز » الحضور المتعاقب بركوبه الجرئ للدراجة
النارية على الحوائط الراسية في « حفرة الدب » bearpit .

---

(٥٦) Job أيوب ، في الكتاب المقدس رجل تحمل الكثير من المعاناة والمشاكل لكنه
لم يفقد ايمانه بالله ، وهناك كتاب من العهد القديم Old Testament يحكى قصة هذا
الرجل ·

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., p. 986.

أما عبارة « Etiam si occiderit me, in ipso sperabo فتعنى « وأيضا لو أنه
سيقتلنى سوف أمل فيه هو نفسه » ·

(٥٧) ميدان التحرير في الوقت الحالى (١٩٩٥) ·

ومع الأسف ، ولأسباب غير معلومة لى ، فان البوليس أظهر ضرواة غير مألـــوفة ، وكانت (حـــالة من) « فلينج كل من يســـتطيع » Sauve qui peut للزحام الخائب الأمل : وتوقف المرح والتقوى •

وعلى حد علمى ، فان البائس « سيدى بدران » لم تقم له قائمة بعد ذلك ، لكننا نأمل فى أحوال أفضل •

سيدى سيد محمد البهلول « انظر الخريطة القطاعية XIV » B 2 :

فى كل مناسبة حضرت فيها الليلة الكبيرة (لهذا المولد) ، فان موعدها كان التاسع والعشرين من شعبان ، وقفة رمضان ، ولذلك فانها كانت تتزامن مع « الرؤية » ، ذلك الاحتفال الذى يحدد فيه ما اذا كان قد أمكن رؤية « الهلال الجديد » للشهر ، وبالتالى ما اذا كان شهر الصيام قد بدأ •

يقع ضريح « بهلول » قرب « باب الوزير » ، فى « شارع المحجر » • ويسهل الوصول اليه باتوبيس رقم ١٧ من « غمرة » الى « باب الوزير » مرورا « بالعتبة الخضراء » • أيضا فان أى « ترام » الى القلعة يوصل ، وفى هذه الحالة فان المرء يغادر الترام عند « المنشية » ويسير صعودا الى منتصف التل الصغير تجاه القلعة ، ثم ينحرف الى اليسار ، على بعد ياردات قليلة من الضريح •

كان هذا المولد مولدا عظيما عندما اكتشـــفته للمرة الأولى فى عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) ، ذلك أنه بالرغم من أننى قد سمعت مرارا عن مولد كبير « عند القلعة » ، فان الموعد كان يصلنى خطأ ، وأفشل (نتيجة لذلك) فى تحديد مكانه • ولقد أصر الشيخ (أبو الشط) ، الذى ساعدنى عندما كان شابا فى أعمال المباحث فى « الجبل » ، لقمع التهريب غير الشرعى للأسلحة (٥٨) ، والذى يبدو أنه أصبح الآن مسئولا عن الضريح ، أصر على تقديمى « لقدس الأقداس » • كان الساكن الوحيد للمكان ، امرأة عجوزا لم أر ثرثارا مثلها أو تخيلت أن يكون كذلك فى حياتى ، ورغم أنها كانت ودودا الا أنها غمرت الضريح بالكلام ، حتى اننى عجزت عن قراءة النقش الذى على الضريح أو أن أعى أى شىء سوى كلامها •

---

(٥٨) راجع مقدمة الدراسة •

أعجب بعض من تناولت معهم العشاء تلك الليلة ، بما فى ذلك ، أحد أشراف المصريين ، وبروفيسور انجليزى من الجامعة المصرية ، أعجبوا بروايتى عن « سيدى بهلول » ، الى حد أنهم سألونى ان أقودهم الى هناك ، لكن الاقتراب الى الضريح بدا كما لو كان قد تغير ، الى حد أننى وجدت صعوبة فى العثور عليه وايجاد مدخل لنا ، لكن أحدا لم يعترضنا أو يعرقلنا أو يحذرنا أن (ذلك الوقت) كان الوقت المخصص للنســـاء (لزيارة الضريح) • واكتشفنا متأخرا أن منتصف الضريح كان يحيط به كلية حشد من النساء الخاشعات جالسات على الأرض • وقد اعتذرت لهن وشرحت لهن أننى كنت قد وجدت الضريح خاليا قبل ذلك بساعات قليلة ، وقد سامحن تطفلنا بروح طيبة ، لكنهن أصررن على أنه مادمنا فى الضريح فانه يجب علينا أن نطوف حول الضريح بالأسلوب الصحيح • ولقد قال رفيقنا الشريف ان هذا يجب أن يكون فى عكس اتجاه عقارب الساعة • ولقد أدينا الشعيرة ritual لكننا وجدنا صعوبة كبيرة فى الحيلولة بين هذا العمل وبين أن يصبح فى طبيعة « الدوسة » (٥٩) ، فلقد كانت « المريدات » متكدسات وملتصقات عند الضريح •

وأعتقد أن هذا كان « مولدا كبيرا » فى وقت ما ، وذا « زفة » هامة ، ويرتبط به موكب من القلعة الى ساحة القاضى « والرؤية » ، نظرا لأنه يقام عشية أول شهر رمضان • ولقد تضاءل هذا المولد لدرجة كبيرة وخاصة فى السنوات الحالية ، لكن أمارات الاحياء والانتعاش عادت للظهور فى ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) لحسن الحظ ، ورغم أنها (علامات الانتعاش) كانت صغيرة فان المولد كان لطيفا ورائعا للغاية ، وغير معرض لهجمات البوليس القامعة • ولقد كانت بلاغة الشـــيخ الأعمى حســـين ، مظهرا مميزا (للمولد) •

محمد البحرى « انظر الخريطة القطاعية VII » B 3 :

أقيم هـــذا المولد يوم الخميس الثـــامن من المحرم ، ١٣٥٤ هـ « ١٩٣٥/٤/١١ م » (ويوم) الخميس ٢٥ صفر ١٣٥٦ هـ « ٣٧/٥/٢٥م » • تعارض هذا المولد فى أول هذين الموعدين مع مولد « سيدى مرزوق » •

---

(٥٩) المقصود هنا أن النساء كن من الكثرة أثناء قيام المؤلف ورفاقه بالطواف حول الضريح ، الى درجة أنه ورفاقه كانوا يدوسونهن بأقدامهم كما يدوس الحصان وراكبه المستلقين فى طريقه أثناء عملية « الدوسة » التى يمارسها أتباع الطريقة السعدية •

ـ راجع :

— Lane « The Modern Egyptians », Op. cit., pp. 541-53.

وسيلاحظ ان (هذا المولد) يقام فى مواعيد مختلفة لدرجة كبيرة ، لكنه يقام على ما يبدو يوم الخميس (بصفة عامة) ، كما هو الحال بالنسبة (لمولد) مرزوق ٠

يقع المسجد فى الجانب الشمالى من « شارع باب البحر » قرب « كلوت بك » (٦٠) ، من حيث ينطلق شارع « باب البحر » فى اتجاه « باب الشعرية » ٠

وليس لدى ما أقوله عن هذا المولد الذى كان متألقا فى يوم من الأيام سوى رواية مؤسفة ٠

كانت الاحتفالات حتى ١٣٥٤ هـ « ١٩٣٥ م » تجرى بكل الزينات داخل وحول المسجد ، والى حدٍ أقل فى منزل يقع فى حارة ضيقة شمال المسجد ٠ كانت العناية الالهية قد وفرت مكانا نموذجيا (لممارسة) بعض التسليات الخفيفة بعيدا عن المسجد ، ولو أنه لا يبعد عنه بياردات كثيرة ، فى أرض غير مأهولة terrain vague بين شارع « باب البحر » وشارع « بين الحارات » الموازى ، (وكان يمكن) الوصول الى ذلك المكان بواسطة الحارة الضيقة على جانب المسجد ، والمشار اليها حالا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عن طريق فتحة صغيرة قرب بقايا الحائط الفاطمى ، والتى يصعب العثور عليها ، بهذه المناسبة ٠

حمى هذا السياج المسارح ، القره جوز punch & Judy ، الرنجا ، والأكشاك التى لا تحصى وأماكن التسلية ، مع أماكن متوفرة لحلقات الذكر فى النهاية الشرقية الآمنة ٠ ولقد سار كل شىء بشكل سعيد ، بعيدا عن السياسة والهموم الدنيوية ٠

---

(٦٠) كلوت بك ـ أحد شوارع القاهرة الشهيرة بدائرة حى الأزبكية ـ تخليدا لذكرى كلوت بك Clot (١٧٩٣ ـ ١٨٥٦) الطبيب الفرنسى الذى وفد الى مصر عام ١٨٢٥ ليعمل فى خدمة محمد على ، والذى اسس مدرسة الطب المصرية بابى زعبل ١٨٢٧ ، ثم مدرسة الطب بالقصر العينى ١٨٣٧ ، وصاحب الأعمال الطبية الشهيرة بمصر ٠ فى أواخر القرن التاسع عشر وعلى مدى النصف الأول من القرن العشرين اكتسب الشارع سمعة غير طيبة لوقوعه فى منطقة البغاء الرسمية المعروفة فى القاهرة (وش البركة) و (الوسعة) ٠

- عبد الرحمن الرافعى بك « تاريخ الحركة القومية المصرية ـ عصر محمد على » ، دار النهضة المصرية ـ ١٩٣٢ ـ ص ٤٤٦ ٠

— T.W. Russel Pasha « Egyptian service » 1902-1946 » John Murray, London, 1940. p. 178.

فى عام ١٣٥٥ حظر المولد نظرا لوفاة الملك فؤاد الحالة (٦١) • وأشك فى أن يقبل جلالته هذا الامتناع (فيما لو كان حيا) ، لكن الكل تفهم بسرور هذه الاشارة من الاحترام والحزن ، لكن أنصار المولد القديم توقعوا بصورة طبيعية أن يسمح لهم بأن يكرموا الشيخ البحرى مع الارتقاء المجيد للملك فاروق للعرش ، وشرعوا فى عمل الاستعدادات (اللازمة) • لكننى دهشت فى ليـــلة الختـــام apodosis ، ٢٥ صـفر ١٣٥٦ هـ « ١٩٣٧/٥/٢٥ م » عندما وجـدت البوليس يحرس المدخل من « بين الحارات » ، ويمنع المريدين الساخطين (للشيخ) من زيارة الضريح بواسطة هذا الطريق • لم أجد صعوبة فى تجاوز الحصار ، لأكتشف أن لا شئ فى الداخل (يســـتوجب ذلك) سوى السوداوية الباعثة على الكآبة • كان بعض المغنين وما الى ذلك قد أبعدوا عن عملهم الذى يدخل البهجة ، الى جانب محاولة كئيبة (للغناء) عند ذكر •

وعلى ذلك فقد أخذت طريقى الى الحارة ، تجاه الشارع الرئيسى والمسجد ، ملاحظا اختفاء أصوات قراءة القرآن فى طريقى ، ولا نشاط للذكر من ذلك البيت الذى أصبح مظلما ، بعد ما كان يبعث صداه بالبهجة الدينية والحماسة ــ الوهن النموذجى لروح المولد عندما يحظر جسمه الأساسى • وعند مقاربة نهاية (الطريق) توقف نشاطى نتيجة حصار أكثر قوة من ذلك الذى عند مدخل « بين الحارات » ، واكتشفت أننى مع بعض الضحايا الآخرين قد سجنت بين حرسين يوقفان الطرق العامة فى وقت السلم ، (ويوقفان كذلك) البهجة المفترضة •

« ممنوع المرور » ، قال العسكرى عندما حاولت المرور ، فأجبت شاعرا أن اللباقة والصبر مطلوبان : « لكن ، اذا كان طريقا المرور ممنوعين، فكيف أعود الى منزلى يا أنباشى (٦٢) ، أو كيف يصل الناس البؤساء المقيمون هنا الى بيوتهم » • « تصفيق من الضحايا الآخرين » ــ (رد العسكرى) : مش عارف حضرتك ، مش شغلى • فسألته : لكن لماذا قد

---

(٦١) فؤاد الاول (٢٦ مارس ١٨٦٨ ــ ٢٨ أبريل ١٩٣٦) ، أول ملك لمصر الحديثة • ابن إسماعيل باشا خديو مصر الأسبق ، خلف أخاه حسين كامل كسلطان عام ١٩١٧ ، وأصبح ملكا مع استقلال مصر عام ١٩٢٢ ، تميز عهده بنفوذ بريطانى مستمر فى السياسة وبصراع الملك مع حزب الوفد •

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 8, p. 351.

(٦٢) اونباشى ، اون باشى ، كلمـة تركية تعنى رتبـــة عسـكرية من رتب صف الضباط فى الجيش والشرطة فى مصر حتى عام ١٩٥٨ عندما استبدلت بها الكلمة العربية « عريف » ــ اونباشى تعنى لغويا رئيس عشرة •

منع المولد بهذه الطريقة ؟ ـ أجاب (العسكرى) : « الملك مات » ، فأجبته « لكن هذا كان منذ عام مضى » ، فقال : « وأنا مالى هو لسه ميت » (٦٣) ٠

في الوقت نفسه كنت أناور بحركة جانبية منحرفة نحو الاتجاه المطلوب ، وفى النهاية تمكنت من الافلات ، لأجد حول المسجد قليلا من المصلين ، لا مرح أو حماس ، قليل من الناس يبدو عليهم الرعب ، وجماعة متطفلة من البوليس ٠ قلت لنفسى : بالقطع ، لابد أن يكون سيدى محمد البحرى « الولى » الراعى لرجال البوليس bobbies (٦٤) ، لكنهم ليسوا ملزمين بالضرورة أن يجعلوه خاصة لهم فقط ٠

ولم يزل حبى لاستطلاع حقيقة الأمر فى أمر « الشيخ البحرى » ، حتى استفهمت من سلطة أعلى من العسكرى (السابق الاشارة اليه) ، فأفادنى بالسبب « أن المولد يعوق حـركة المرور » ٠ سـبب مغضب وسخيف ، فالمولد كان يقام دائما فى أرض غير مأهولة terrain vague حيث لا حركة مرور ، والسياسة المتبعة الآن بتحويل كل شخص الى الشارع الرئيسى هى التى عرقلت المرور فعلا (وليس المولد) ، ان لم يكن بسبب زيادة البوليس والناس المتسكعين فى توقع عديم الجدوى ٠ هذا السبب (كما فى نصه) يذكر المرء بالسخافات التناقضية فى ترتيبات البوليس فى الوطن (انجلترا) ، عندما أردت ـ شراء زجاجات قليلة من الجعة ، فأبلغنى صاحب المحل بأننى لا أستطيع شراءها ما لم أشتر زجاجة من الكونياك فى نفس الوقت ـ شرح لى صاحب المحل هذا القرار بابتسامة ساخرة ، بأنه من أجل كبح الشراب ٠

---

(٦٣) يكشف المؤلف فى الحوار الطريف الذى دار بينه وبين رجل البوليس المكلف بمنع نشاط المولد ، عن الغباء الشديد والالتزام الحرفى بالأوامر الذى يتسم به رجال البوليس فى مصر ٠ لكنه نسى أن يذكر أن هؤلاء الرجال كانوا تحت القيادة المباشرة للضباط الانجليز منذ عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٤٦ ، وخاصة فى القاهرة والاسكندرية ومحافظات القنـــال ٠

ـ راجع عبد الوهاب بكر « البوليس المصرى ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢ » ـ دار الزهراء للنشر ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٩٣ ـ مواضع متفرقة ٠

ـ عبد الوهاب بكر « البوليس المصرى ١٨٠٥ ـ ١٩٢٢ » رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ـ ١٩٧٧ ـ مواضع متفرقة ٠

(٦٤) Bobbies مفردها Bobby ـ مصطلح يستخدم فى بريطانيا فقط للاشارة الى رجال البوليس ٠ نسبة الى سير روبرت بيل Robert Peel (او بوبى Bobby) (١٧٨٨ ـ ١٨٥٠) الذى حدث قوة بوليس لندن ٠

— Webster Unabridged Dictionary, Op. cit., p., 202.

فى المحرم وصفر من عام ١٣٥٧ هـ ، وفى ربيع ٠٠٠ ذهبت الى الشيخ البحرى ، لكنه أو على الأقل مولده بدا أنه قد تم حظره نهائيا ٠ تعجب شيخ ضئيل ساخط يدعى أنه ينحدر روحيا من الشيخ (قائلا) : « ان هذا من عمل الجن » ٠

فكرت فى آخر آية من القرآن الشريف ، وانصرفت فى طريقى « **قل أعوذ برب الناس ٠٠٠٠٠٠ من الجنة والناس** » ٠

سيدى على البيومى « انظر الخريطة القطاعية B 5 « VIII :

رغم اقامته فى يوم خميس دائما ، فاننى أجد موعده (مع ذلك) محيرا للغـــاية ، ذلك أنه قد تأرجح من ذى القعدة فى عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م)،الى « صفر » فى عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) ، متوسطا ذا الحجة فى عام ١٣٥٣ هـ والمحرم فى عام ١٣٥٥ هـ ٠ وتتضح أهمية ملاحظة كل من التواريخ الاسلامية والمسيحية عبر عدد من السنين فى حالتنا النموذجية هذه ، عندما نعرف أن كل هذه التواريخ القمرية واسعة الاختلاف تقع فى مارس ، بين الثامن والثامن والعشرين (منه) ٠ وهذا يؤكد بشدة ــ رغم أنه أمر تجريبى ــ أن مولد البيومى يتبع « التقويم الشمسى » ، ويؤدى الى توقعنا أن يكون فى مارس ، أو وفق الحساب القبطى ، فى شهر « برمهات » ٠ ولقد وجدت مؤخرا تأكيدا للأول من هذه النتائج فى كتاب « موراى »(٦٥) Murray (Egypt) ٠ وسأستشهد بالفقرة عن الموضوع فى اطالة in extenso ، حيث انها تبين أن تغييرات هامة قد وقعت منذ أن كتب فى عام ١٨٨٨ ٠

« مولد البيومى ــ هذا المولد عبارة عن احتفال دراويشى وســـوق رائع ، يعقد سنويا فى الجزء المبكر من شهر أكتوبر ٠ وموقع هذا المولد فى القطعة من الصحراء التى تحد طريق العباسية ، شمال باب الحسينية تماما ٠ ويقام هذا المولد تكريماً للسيد على البيومى ، مؤسس طريقة الدراويش البيومية الكبرى « أحد فروع الطريقة الأحمدية » ، الذى تحترم ذكراه لدرجة كبيرة فى مصر ٠ وكل ملامح « مولد النبى » (ﷺ) ، تتكرر هنا (فى هذا المولد) » ٠

سيلاحظ أن هذا المولد كان فى ذلك الوقت (١٨٨٨) صحراويا ، وأن موعده كان فى أكتوبر ٠ ويحتمل انه كان هناك احتفـال ثان فى « مارس » ولم يذكره « موراى » ، كما فى حالة الاحتفالات الأصــلية

---

(٦٥) عن موارى Murray ٠ راجع الحاشية ٦ ٠ الفصل الثانى ٠

Parent feasts « للســـيد البدوى » فى « مارس » و « أكتوبر » « وثالث علاوة على ذلك » ٠

من الغريب أن المولد القاهرى الآخر الذى يقام وفق المواسم seasons وليس القمر ، هو مولد سيدى « اسماعيل الامبابى » الذى كان طنطاويا ، وأرسل من هناك لينشر الطريقة « الأحمدية » ٠ وبالاستشهاد مرة أخرى من « موراى » ، فانه يبدو أنه كان يوجد مولد آخر يتبع (التقويم الشمسى) باتباعه « المولد البيومى » ، ألا وهو مولد « العفيفى » ـ الذى لم أنجح فى التوصل اليه ، والذى أعتقد أنه قد اندثر ٠

يحتفل « بمولد العفيفى » ـ وهذا مولد رائع أيضـــا ـ دائما بعد « مولد البيومى » مباشرة ٠ وموقعه فى الاتجاه الشرقى لمقابر المماليك الجراكســـة ، حيث يوجد ضريح العفيفى ، مؤسس الطريقة الكبيرة للداويش القاهريين ٠ وبين المقابر هنا تنصب خيام لا حصر لها ، ويعسكر حولها أهل الريف من كل مكان فى مصر ، بما فى ذلك الكثير من البدو ٠ ويعمر المولد ثمانية أيام كالعادة ، وهو من النوع المهرجانى شـــبه الدينى Semi-Religious .

يقام مولد سيدى بيومى الآن فى مسجده وضريحه ،فى الشارع الذى يحمل اسمه ، الى الشمال من « باب الفتوح » ، وعلى ذلك فانه يمكن الوصـــول اليه بواسـطة أتوبيس رقم ١١ الذى يسير بين « العباسية » و « بيت القـاضى » ويمر بالمسجد من الاتجاهين ٠ ولما كانت مباهجه الدنيوية (تقام) على أرض مهملة بين شارع البيومى وشارع فاروق ، ويمكن رؤيتها وسماعها من الشـــارع الآخر ، فان أى ترام يذهب تجاه العباسية الى شـــارع فاروق يمكن استخدامه ، على أن يكون النزول (من الترام) قبل « الحسينية » ٠

ان مولد البيومى حدث جميل ، عندما يعطى فرصة عادلة ، وربما كان أقرب الى ما كانت عليه الموالد فى الأيام الماضية ، وهو ليس على الاطلاق أكبر الموالد أو أعظمها ، لكنه مرض بصـــورة متميزة فى بســـاطته الشـــديدة ٠

لا ينبغى على الاطلاق التخلف عن « الزفة » (التى تســير) من « سيدنا الحسين » الى « البيومى » فيما بعد الظهر ٠ انها من أجمل ما يرى

فى القاهرة هذه الأيام ، وفقا لعلمى على الأقل · ولقد سلبنى نزوع سيىء الى القيلولة Siesta من « مظاهرة العصر » الرائعة هذه ·

ان تجمع « الطرق » فى بعد الظهر المبكر فى ســاحات « سيدنا الحسين » مشهد رائع ، ويمارس الحشد خليطا ســعيدا من الابتهاج والتقوى ، عندما يمتطى « الخليفة » جواده المطهم ، ويتحرك الموكب بالأعلام والرايات والشارات والموسيقى فى سلام · ينطلق البهلوانات السكندريون بكركاتهم (مفردها كرك) boleros الرائعة وكســـواتهم الأخرى ، ومشاعلهم الطويلة وآلاتهم الموسيقية الطريفة ، منبئين الحشود المصطفة على طول الطريق من « سيدنا الحسين » الى « البيومى » أن « الخليفة » قادم بدراويشه وألوان متنوعة تتبع ، وكل الناس متلهفون بالتوقع ·

تملأ هذه الامارات Prodromoi أى تأخير بالحيل البهلوانية وبعض العروض ، وتتوقع ملاليم قليلة من المتفرجين ·، وهذه هى المرة الوحيدة خلال المولد والتى يطلب فيها من أحد أن يدفع نقودا « فيما عدا العروض المقفلة والمقاهى بالطبع ، حيث تتراوح الأجرة بين مليم وقرش » · ان هذا تغير لطيف منذ الأيام التى كتب عنها « لين » Lane ، حتى كانت كل مرحلة من كل احتفال تبدو مصحوبة بتبرعات مألوفة ·

تمر « الزفة » لدى نزولها الى « النحاسين » بهذه المجموعة الرائعة (من المساجد) قرب « بيت القاضى » والتى تضم مسجدى « قلاوون » و « برقوق » ، ثم تستمر على الطريق الرئيسى « باب الفتوح » بعد السبيل وبعض المساجد القديمة الغالية · وبمرورها تحت الباب ، فانها تشق طريقها بجهد عبر حشد هائل الى مسجد وضريح « البيومى » ، حيث تباشر الطقوس الملائمة ، غير معترضة بالتجمع الحيوى فى الأرض المهملة terrain vague المبعد بمسافة قصيرة ولكن كافية (عن الزفة) ·

هناك على الأقل مسرحان بالخيام عادة ، وعروض أصغر ، ورقصات « الرنجا » ، وبالطبع « القره جــوز » punch دائم الوجود ubiquitous والأذكار والمقرئون المستخدمون فى منازل كثيرة فى المجاورة · وفى العادة فان هذا المولد غير معرض للمضايقة (من جانب البوليس) أو هكذا تقريبا، وذلك راجع أساسا لعدم وجود طريق للمواصلات عبر هذه القطعة القفراء من الأرض ، لكن التدخل فى عام ١٣٥٢ هـ « ١٩٣٣ م » وصل الى ما يماثل الاضطهاد · كان بعض الأساتذة البارزين قد صحبونى ، وكانوا يستمتعون بالمشاهد المرحة والجو المنشط للجمع السعيد المنتظم ، عندما ولأسباب

لا أعرفها « وفى الحقيقة غير متصـــورة لنا ، لأن أحدا لم يكن يعترض طريق أحد » هوجمنا بقوة من العساكر ، وتفرقنا كلية ، مع صعوبة كبيرة فى تحقيق فرار جماعى · كانت الطريقة الفعالة التى تسلق بها عساكر البوليس المرتفعات وقاتلوا بضراوة الجموع ، جديرة بسبب حقيقى وهام · لقد صدم أصدقائى البائسون ودهشوا (خوفا) على أرواحهم ·

كانت أغلب الموالد بعد وفاة الملك فؤاد المؤسفة فى ١٣٥٥ فى حالة حداد endeuil حتى ما بعد انتهاء حداد القصر الرسمى ، لكن المولد فى ١٣٥٦ هـ « ٨ أبريل ١٩٣٧ م » كان جيدا بصورة تبعث على الدهشة· حقيقة جرت بعض الحوادث البسيطة ، منها على سبيل المثال ما جرى عندما تكدس الناس مع توقف « الزفة» لدى وصولها وضغط (المتدافعين) من الخلف ، وما جرى من ســـوق عســـكرى خيال لمجموعة منا فى عطفة « أبو العلاء » الصغيرة الواقعة خلف المسجد ليخفف الضغط عن الشارع الرئيسى · كان لا بأس بهذا حتى ذلك الوقت ، لكن خيالا آخر ، جاهلا لحقيقة أن العطفة مسدودة cut de sac ، ومملوءة تماما بالنساء والأطفال والعربات قبل أن ندفع اليها ، حاول أن يســوق الى الداخل ويدفعنا أمامه · أصيب من (جراء هذا الحادث) صبى بجروح خطيرة لكن ضررا كبيرا لم يحدث · تكررت أيضـــا مناورة الهجوم على المرتفعات ، ولكن بطريقة مخففة نسبيا ، فلم يتعرض سوى الأطفال للخطر · مع فرار هؤلاء تحت العربات ، وفى الشقوق أو أى مكان آخر طلبا للأمان ، توســلت أم قريبة منى للعساكر فى نغمات مثيرة للمشاعر : « وحياة النبى تحاسبوا على الأرانب » For the Love of the prophet, Spare the rabbits .

هناك أماكن حول هذا المولد وأماكن أخرى ، يستطيع « الأرانب » الصغار أن يهربوا اليها ، لكن « الذكور » البالغة تتعرض للخطر · وقد مررت بهذه التجربة وبالخيبتى عندما كنت أستكشف بعض الأزقة الصغيرة الغريبة ، والمداخل الشبيهة بالكهوف للقصور القديمة نصف الخربة ، التى كان ينبعث منها ضوء وصوت لحلقات « ذكر » أو موسيقى ورقص ! · جذبنى الى احدى هذه الأزقة (والخرابات) الزغاريد ، هذه الذبذبة والتردد اللسانى التى يسمعها المرء فى الأفراح والكثير من المناسبات الاحتفالية ، فغامرت بالدخول لأجد بعد فوات الأوان ، أننى قد تطفلت على مناسبة

نسائية خالصة ، توحى « بزار » Zarr (٦٦) • واجهتنى كتلة من النسوة الساخطات المهددات ، ومع أننى كنت أكثر من مدرك للخطر ، فاننى لحسن الحظ جاءنى الالهام بأن أهتف قائلا : « اللى تحب النبى تزغرت » •

ولوهلة خشيت أن أكون قد تورطت فى أسوأ مما أنا فيه ، لكننى كنت قد وضعتهن فى حيص بيص ، وأعتقد أننى التجأت الى روح الفكاهة عندهن ، ذلك أن عقوبتى لم تتجـاوز مطاردتهن لى مع « كورس » من الزغاريد •

كان مسجد « البيومى » فى حاجة ماسة للاصلاح منذ زمن طويل ، وقد شرع فى هذا ، قبل التعرض لتراجيديا مشابهة لتراجيديا (مسجد) « أبو العلاء » ، فى ١٣٥٦ « ١٩٣٧ » واستمرت (عمليات الاصلاح) لحوالى سنتين ، لم يقم المولد خلالهما •

فى رمضان ١٣٥٨ « ١٩٣٩ » شهد الملك احتفال اعادة الافتتاح ، وهى مناسبة شعبية كبيرة تشابه الى حد كبير تلك التى أعاد لـ « أبو العلاء » فيها قيمته الكبيرة • وكما حدث فى « أبو العلاء » ، فان عملية الصيانة والاصلاح أتبعت باعادة المولد ، وفى يوم الخميس ٥ صفر ١٣٥٩ هـ « ١٩٤٠ م » ، ورغم اضعاف الموالد « حيث لم يكن هناك حظر فعلى » ، المعزو الى ظروف الحرب ، فان « السلطان البيومى » كرم وفق الأسلوب القديم الطيب • لم تفقد « الزفة » شيئا من عناصرها الأساسية ، وعرضت عظمة (الطريقة) البيومية ، حيث ان الرايات الحمراء وشارات هذا الفرع من (الطريقة) « الأحمدية » ، امتدت فى « زفة » بعد الظهر الى ميل أو أكثر •

---

(٦٦) الزار ـ محاولة للتخلص من الأرواح الشريرة بطردها exorcism • تقام لهذا الغرض احتفاليات تهدف الى ايجاد نوع من العلاقة الطيبة بين شخص مفترض أن روحا شريرة قد تقمصته ، وبين تلك الروح • تحدد تبعا لذلك « شيخة » متخصصة فى هذا الميدان ، من خلال ترجمة أو تفسير احلام المريض ، الذى هو فى نفس الوقت (الروح) ـ تحدد شخصية هذه الروح أولا ، ثم تحاول ترضيته بتقديم الأطعمة المفضلة له (حمام ، دجاج ، أرانب وما ماثلها) وذلك فى « زار كبير » يستغرق يوما باكمله • بعد ذلك يأتى المريض من وقت الى آخر الى « زار » صغير أو (حضرة) ليرقص للروح أغنيتها المفضلة •

دخل الزار مصر والمنطقة العربية من اثيوبيا حيث ظهر فيها ، مارا عبر السودان ، ويلاحظ الأثر الأفريقى للزار فى موسيقاه وفلسفته

— Littman, Enno. « Arabische Geisterbeschworungen aus Egypten ». Leibzig, 1950, Passim.

أما حديقة الملاهى فى الأرض المهملة terrain vague ، فقد تقلصت الى درجة كبيرة بسبب المبانى التى كانت لاتزال تقام ، لكن كل شىء كان سعيدا وآمنا خلال الساعة أو الساعتين اللتين قضيتهما هناك ، كما كان التدفق على المقام كافيا لدرجة كبيرة ٠

سيدى البنهاوى « انظر الخريطة القطاعية VIII « B 6 :

سمعت بهذا المولد للمرة الأولى فى عام ١٣٥٣ ، ومنذئذ كنت أتأخر كثيرا عن مشاهدة الليلة الرئيسية (التى تقام) فى الثالث عشر من جمادى الأولى ، وكل ما استطعت مشاهدته هو ما بقى من احتفالات صغيرة وزينات بقيت الى اليوم التالى ، فى « الختمة » (التى تقام) يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الأولى « ١٩٣٤/٨/٢٣ » ٠ ويبدو على وجه القطع أن المولد لم يقم فى عام ١٣٥٤ ، ولم أستطع التأكد ما اذا كان قد احتفل به منذ ذلك الوقت ٠

لقد ضمنت (دراستى) هذا المولد أساسا ، نظرا لأن مسجده الصغير يقع فى شارع جميل صغير ، وفى واحدة من أكثر أجزاء القاهرة جمالا والتى لم تتلوث (بعد) ، ويجاور « باب الفتوح » ٠ يسهل الوصول الى هذا المولد بواسطة الأتوبيس رقم ١٢ الذى يذرع (المسافة) بين « باب الحديد » و « بيت القاضى » ، ويعبر شارع البنهاوى فى الطريق الى « بيت القاضى » ، ولكن ليس فى رحلة العودة ٠ كما أنه يمكن استخدام الأتوبيس رقم ١١ بين العباسية « وبيت القاضى » ، حيث انه يمر بباب الفتوح فى كلا الطريقين ، وينتهى البنهاوى عند « باب » (الفتوح) من الناحية الشمالية ٠

ولابد أنه كان مولدا بسيطا صغيرا ، لكن جاذبيته كانت فى موقعه وبساطته الشديدة ٠

النبى دانيال « انظر خريطة الدلتا » D 2 :

لقد أكد لى أن « للنبى دانيال » مولده فى الاسكندرية ، وأفهم أنه يتركز حول مسجده الذى يحمل اسمه ، لكن فيما عدا ذلك فاننى جاهل بكل أسف ، كذلك فاننى لم أستطع أن أربط بينه وبين الموكب النوبى الضخم الذى يقع فى العاشر من ذى الحجة ، أول أيام عيد التضحية Courban Bairam

تصطبغ « الزفة » التى تسير من « مسجد النبى دانيال » الى مسجد « الميرغنى » بطابع يهودى Judaic وبيزنطى Byzantine سـخى ، يدعم الى حد كبير نظريات عجيبة معينة تتعلق بالتاريخ الدينى للأمة النوبية التى كانت قوية فى الأزمنة الغابرة ·

لقد جـذبت انتبـاهى مقالة للدكتـور باباليكسيس Papalexis بسطت فيها هذه النظرية ــ وكان فى البعض من نقاطها دلالات ، (تدفعنى) الى عرض ذلك الجزء الذى يحتوى على « الزفة » ، معتذرا بأن طول المقالة كلها يعوق اضافتى أفكاره الأخرى ومعلوماته المسـتنيرة عن « صعود وانحطاط النوبيين » La Grandeur et Decodence des Nubiens .

« الفصلة التى فى حوزتى غير مؤرخة ، لكننى أتصور أنها كتبت منذ ثلاث أو أربع سنوات » (٦٧) :

« البقاء الدينى المثير للاهتمام

من مقالاتنا عن مدينة الاسكندرية

هل أهل النوبة كانوا قد مارسوا الديانتين اليهودية والمسـيحية الواحدة بعد الأخرى ، قبل أن يهتدوا الى الاسلام ؟

قد تكون هذه الفرضية مقبولة وخاصة عندما نقوم باجراء مقارنة بين المواكب الدينية التى كان يقـوم بعملها النوبيون الموجـودون فى مدينة الاسكندرية وذلك بمناسبة اليوم الأول لعيد التضحية الكبير ، وبين تلك المواكب اليهودية التى كانت تنظم فى عهد « الملك داود » ، وكذلك بين الشعائر البيزنطية التى نجدها عند اليونانيين الأرثوذكس ·

ان مواطننا الدكتور باباليكسيس papalexis ، قد كتب فى المجلة الهللينية pan egyptia (٦٨) مقالا يتعلق بوصف الموكب عند نوبيى مدينة الاسكندرية ، وأنه لم تكن توجد أعياد كثيرة عند مسلمى هذا البلد ·

---

(٦٧) صدر هذا الكتاب عام ١٩٤١ · وعلى ذلك ، فان مقالة الدكتور باباليكسيس يعود تاريخها الى عام ١٩٣٨ أو ١٩٣٧ · وقد قدم المؤلف نص الجزء المتعلق بالزفة فى مقالة باباليكسيس باللغة الفرنسية · وقد تفضل بترجمته الى العربية مشكورا ــ السيد الدكتور محمود مكاوى من قسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب · جامعة الزقازيق ــ فله جزيل الشكر ــ كذلك فقد ارفقت النص الفرنسى للمقالة (الملحق ٢٦) ·

(٦٨) مجلة يونانية صدرت فى مصر عام ١٩٣١ ·
ــ ابراهيم عبده ــ « تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ ــ ١٩٨١ » ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ٣٦٢ ·

وقد ذكر الدكتور بابا ليكسيس ان الموكب الدينى للنوبيين فى مدينة الاسكندرية كان ينطلق من مســـجد النبى دانيال حتى يصل الى حى « الميرغنى » ـ وأن هذا الموكب كان متأثرا بالاحتياجات الدينية للنوبيين ٠

ان مسجد « النبى دانيال » معروف عالميا لأن فى جنباته ضريح الاسكندر الأكبر (٦٩) ٠

ان الموكب الدينى عند أهل الاسكندرية لم يكن له نفس بســاطة الأعياد الاسلامية الأخرى ، ولكنه يشبه الى حد ما الاحتفالات البيزنطية الرائعة ٠ واذا لم يكن يوجد عدد كبير من الطرابيش والجلاليب التى تمشى فى المواكب ، لاعتقدنا بأن هــذا الاحتفال الرابــع ما هو الا احتفــال يونانى ٠

ان الخدم الذين يشكلون الجزء الأســاسى للموكب كانوا يرتدون الملابس التى تشـــبه فى شكلهـــا ملابس « الشماس » الانجيلى عند اليونانيين ٠

ولم يكن ينقصهم لا الملابس الكهنوتيــة متعددة الألوان ولا قطعة القماش ذات الألوان المقصبة التى يلبسها الكاهن على صـــدره أثناء « القداس » ، ولا حتى الرباط الطويل والواسع الذى يلتف حول الجسم ثم يرتفع الى أن يصل الى الكتفين ويتدلى على الصدر ويتساقط حتى يصل الى الركبتين ٠

ومن ناحية أخرى نجد أن عملية « التبخير » كانت تتم بمباخر من أنواع مختلفة ٠ وهذه المباخر كانت مزخرفة بطريقة ماهرة وعليهـــا مشغولات نادرة ٠

وفى هذه المباخر كان يحرق البخور مثله فى ذلك مثل الذى كان يحرق فى الكنائس اليونانية ، وقد كان هذا معروفا برائحته ولونه اللذين كانا ينتشران فى داخل الكـ سة ٠

---

(٦٩) لم يعثر حتى الآن على مقبرة الاسكندر الأكبر ٠

والذى يجذب الانتباه بشدة ، هو العدد الكبير من السلال المصنوعة من الحرير والموضوعة بنظام فى أرفف طويلة بين صفوف الرايات ، وهذه الرايات تكون موضوعة فى أعلى النقوش والمغطاة بكتابات محلاة بالذهب ، وأرضية النقش لها ثلاثة ألوان مختلفة هى الأحمر ، الأزرق ، والأخضر ، وربما توجد ألوان أخرى ٠

وكانت توجد أيضا شموع ، وكان مساعدو رئيس القداس يضعون على رؤوسهم قبعات مميزة تشبه فى ذلك القبعات الفارسية ، وذلك يحملنا على الاعتقاد بأن هذا الاحتفال ما هو الا طقوس مسيحية ـ لكن الاحتفال كان أثناء النهار ، وكانت الشموع تنتقل من مكان الى آخر ٠

ان احتفال مدينة الاسكندرية يذكرنا باحتفال اليهود القدامى ، وعلى الأقل يذكرنا بذلك الاحتفال الذى كان ينظمه « الملك داود » أثناء انتقال العرش فى عاصمته الجديدة « القدس » ٠ وعلى رأس الموكب كانت تمشى فرقة كورال تصاحبها الطبول ، وكان كل من يمشون فى الموكب من الشباب والفتيان البالغة أعمارهم ١٨ ـ ٢٠ عاما ، وتذكرنا طريقة مشى هؤلاء الشـــباب بالطريقة التى كان يمشى بها الكهنة عندما كانوا يحملون آلهتهم ، وتذكرنا كذلك بالشباب الذين كانوا يكرسون لخدمة المعابد عند اليهـود والذين كانوا يمشـــون فى الموكب أثنـاء انتقال العرش ٠

ولم يكن الراقصون كثيرين ، بل كانوا ثلاثة أو أربعة على الأكثر ، وكانوا يرقصـــون على ايقاع (السنطور) ، وهى آلة طرب وترية تشبه (القانون) ، وكان يعزف عليها الفتيان الحسان ٠ وكان يأتى بعد ذلك مجموعة من المؤمنين يتقدمهم شباب يرتدون ملابس فاخرة ويحملون الرايات والسلال ، وآخرون كانوا يغنون الأغانى الحماسية ، وخلف هذه المجموعة كانت توجد مسافة متسعة تسمح لحاملى المباخر بأن يتجولوا بحرية ، ولكى يبخروا كل الناس الموجودين ـ وكان هذا النظام يتكرر باستمرار فى المواكب ٠ وكان هناك مغنون جدد وراقصون وحاملو سلال ؛ لكى يكرروا ما سبق ذكره ٠

أما مسألة النظام فكانت تدار بواسطة رجال مدربين ومخصصين للاشراف على كل هؤلاء النــاس المشــاركين فى الموكب ، ويتم اختيار المشرفين على النظام من بين كبار السن • وتجب الاشارة الى أن المغنين والموسيقى المستخدمة فى الغناء كانت شبيهة بتلك التى كان يستخدمها البيزنطيون فى الاحتفالات • وهذا يعنى أنها موسيقى ذات أصــول شرقية » (٧٠) •

سيدى « دوغام » انظر الخريطة القطاعية XI » D 3 :

يقام هذا المولد الصغير اللطيف للغاية قرب نهاية شعبان • وقد حضرته فى عام ١٣٥٥ ، ومرة أخرى يوم الجمعة ٢٧ شعبان ١٣٥٧ ، عندما بدا أنه قد تطور لدرجة كبيرة •

يقع هذا المولد فى حارة تحمل نفس اســم المسجد • وعلى مبعدة من شارع محمد على ، على الجهة اليمنى فى الاتجاه نحو القلعة ، وليس بعيدا من نهاية « العتبة » • وهو خلف مولد وحارة « الأنصارى » مباشرة • وليس لهذا المولد جانب دنيوى secular side • والى جانب حلقات الذكر ، فقد كان هناك درويش هوام whirling dervish فى الليل المتأخر ــ وذلك فى عام ١٣٥٧ •

سيدى عبد القادر الدشطوطى « انظر الخريطة القطاعية VIII » D 4 :

(يعد) مولد الطشطوشى (كما يسمى عادة) أحــد الموالد القليلة المقيدة بموعد محدد ، لكونه يقام فى السادس والعشرين من رجب ، متوافقــا مع « ليلة الاسراء والمعراج » ، ليــلة الرحلة المعجزة للنبى (ﷺ) على الجواد المجنح (البراق) الى السماء الســابعة • فى عام

---

(٧٠) قد يكون من المفيد أن نضيف ان النوبة Nubia كانت منطقة فى شمال شرقى أفريقيا القديمة بين الشلال الأول ، والتقاء النيل الأبيض والنيل والأزرق (قرب الخرطوم (الحالية) ، البحر الأحمر ، والصحراء الليبية • احتل المصريون القدماء منطقتها الشمالية على فترات متقطعة من القرن العشرين الى القرن الثامن قبل الميلاد وأثروا فى ثقافتها بشدة • فى القرن الثامن المتأخر وبواكير القرن السابع حكمت النوبة التى كان المصريون يعرفونها باسم قوش Cush وعاصمتها نباتا Napata ، حكمت مصر • فى عام ٦٧١ غزا الأشوريون Assyrians مصر ودفعوا القوش الى النوبة • دمر المصريون نباتا فى عام ٥٩٠ ؛ لكن القوش اسسوا عاصمة جديدة لهم فى مروى Meröe وحافظوا على مملكة مستقلة حتى عام ٣٥٠ بعد الميلاد • فى القرن الســادس بعد الميلاد تحولت النوبة الى المسيحية ، وظلت كذلك حتى اكتسحها المماليك المسلمون المصريون فى القرن الرابع عشر •
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 14, pp. 277-78.

١٣٥٦ « ١٩٣٧ » وعندما جعلت احتفالات ليلة الاسراء والمعراج ـ نظرا لما يفترض أنه التباس بشأن رؤية الهلال ـ مساء السبت ٢٧ رجب فى كل من الاسكندرية و (مسجد) الرفاعى بالقاهرة ، بدلا من يوم السبت والذى كان هو التاريخ الصحيح وفقــا للتقويم الرســمى · فان مولد « الطشطوشى » أجل نظرا لذلك من الجمعة الى السبت · « يحتمل أن يكون هذا التوافق راجعا الى واحدة من معجزات سيدى (الطشطوشى) المشهورة لكونه أساسا مرتبطا بمعجزة المعراج ـ كما سيرد فى السطور التالية » ·

يسهل الوصول الى مسجد « الدشطوطى » من « العتبة » بواسطة اى ترام متجه الى « شارع فاروق » حتى يعبر « الخليج » خط السكة الحديدى ·ومسيرة دقائق قليلة الى الشمال على الخليج أو عبر شارع « العدوى » . موازيا له يوصل المرء الى موقع المولد · أو بالطبع فان (أى) ترام يمر بالخليج يؤدى نفس الغرض . وفى هذه الحالة فان على المرء أن ينزل فى أول محطة شمال التقاطع · أيضا فان أتوبيس رقم ١٢ من « المحطة » الى « بيت القاضى » يمر عبر « سكة البغالة » المجــاورة « للطشطوشى » ·

كان « الطشطوشى » من أكثر الأولياء شهرة وشعبية ، وكان « مولده » واحدا من أكبر وأجل المناسبات فى السنة الاسلامية فى القاهرة · كان « الدشطوطى » قاهريا أســاسا ، وارتبط « بالمعادى » ، « الجيزة » ، « عمرة » ، وعلى وجه الخصوص بالمنطقة التى يقع بها مسجده ، حيث يوجد شارع يحمل اسمه ·

يقدم « عبد الوهاب الشعرانى » الذى التقى « بالدشطوطى » فى أول رمضان عام ٩١٢ « ١٥٠٦ » رواية طويلة فى « طبقاته » (٧١) عن علاقات « الطشطوشى » الحنونة والمحبة بالكبير والصغير (٧٢) ، وعن المعجزات التى قام بها · ويجمعه الشعرانى مع « المجاذيب » ، وهو مصطلح يستخدم الآن مثلما يوصف « البلهاء » fools بالمجانين (٧٣) ، لكنه يعنى حقيقة أولئــك المجذوبين دينيــا divinely entranced · وفى الحقيقة فان مفرد هذه الكلمة « مجذوب » · كان اســم الكثيرين من المشــايخ البــارزين ، « كالشيخ الدميرى » المجذوب ، « خليــــل المجذوب » ، « عمر المجذوب » وغيرهم ·

---

(٧١) الطبقات الكبرى ـ لعبد الوهاب الشعرانى ـ حاشية للمؤلف ·

(٧٢) « له القبول التام عند الخص والعام » ـ حاشية للمؤلف · وقد كتبت كلمة الخاص هكذا (الخص) ·

(٧٣) « كان صاحيا وهيئته هيئة المجانيب » ـ حاشية للمؤلف ·

لم يلبس (الطشطوشى) عمامة أو حذاء على الاطلاق ، حتى وهو فى رحلته للحج الى « مكة » ، وكان قد اكتسب سمعة من القداسة فى المدينة ، وهناك لدى وصوله ، كان أكثر تواضعا فى دخول قدس الأقداس Sanctum Sanctorum ، ووضع رأسه على عتبة « باب السلام » ، ونام (٧٤) .

قدر « السلطان قايتباى » (٧٥) الشيخ « الطشطوشى » بحب كبير وتقدير عظيم ، وفى احدى المناسبات أطاع استدعاء الى القبر الذى كان يقيم به ، ورضخ لأمره بأن يوزع عشرة آلاف دينار على الفقراء . وقد حصل الفقراء على هذه (الثروة) ، لأن الولى لم يتحمل أية دعاوى غير صحيحة ، ولا أى اختلاسات من جانب موزعى صدقاته ، وكان يعتبر « الوقف » (٧٦) وديعة شديدة القداسة . ويقال ان من زل Lapsed (وخان الأمانة التى ائتمنه الشيخ عليها) دفع حياته ثمن جشعه .

عندما انجذب « الطشطوشى » ، تغيرت حياته بعمق ، مثلما تغيرت أرواح القديس فرانسيس S. Francis والقديسين الآخرين الذين تلقوا « العلامات » Stigmata . وقد اشتهر بأنه صام عن الطعام والشراب لمدة أربعين يوما ، وعندما اقترح أتباعه أن يتوقف عن الصلاة فانه لم يستطع التأكد مما اذا كان قد صلى حقيقة ، أو الى أى درجة (كانت صلاته) على الضرب المقبول ، وهكذا كان انجذابه على هذه الدرجة من الرفعة والمجد .

---

(٧٤) لما وصل الى المدينة المشرفة وضع خده على عتبة باب السلام ونام .. ولم يدخل .. حاشية للمؤلف .

ومن الواضح أن ما جاء بالحواشى ١٣ ، ١٤ ، ١٥ هو اقتباسات اقتبسها المؤلف من كتاب الشعرانى « الطبقات الكبرى » .

(٧٥) الملك الأشرف قايتباى . سلطان مملوكى جركسى من دولة المماليك الثانية (١٣٨١ – ١٥١٧) . حكم خلال الفترة (١٤٦٧ – ٨٧٢/١٤٩٥ – ٩٠١ هـ) .

– جورجى زيدان « كتاب تاريخ مصر الحديث » ج ٦ – الطبعة الثانية – مطبعة الهلال بالفجالة – القاهرة – ١٩١١ – ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

(٧٦) الوقف هو المال الذى يرصد على جهة « بر » لا تنقطع ، ويصح أن تكون منفعتها لأشخاص بشروط معلومة .

– أحمد فتحى زغلول « شرح القانون المدنى » – المطبعة الأميرية – القاهرة – ١٩١٣ – ص ٤٩ .

أعقب ذلك انتشار شائعات عن معجزات مذهلة فى الخارج • فقد أذيع أنه نام مع شخصين مختلفين خلال نفس الليلة فى مكانين مختلفين ، وقد أكد « شيخ الاسلام » والشيخ جلال الدين السيوطى ذلك بعد أن تحرياه (٧٧) • وعندما تردد « قايتباى » فى شأن رحلة من « النيل » الى « الفرات » وتباحث مع « الطشطوشى » الذى أبلغـــه أن يذهب فى سلام وأمان ، فانه ورفيقه « الأمير يوسف » أصابتهما الدهشة لرؤيتهما « الطشطوشى » مرارا على رأس جماعتهما ، لكنه كان يختفى عندما كانا يترجلان للدنو منه ، لكن دهشتهما كانت أكثر لدى الوصول الى « حلب » عندما وجداه هناك ، وفى الفراش مريضا ، حيث كان كذلك لأسابيع كثيرة وفقا (لشهادة) الجيران •

ويحكى « لين » Lane فى (كتابه) « المصريون المحدثون » عن معجزة أخرى ، تذكرنا بطريقة ممتعة بالعلاقة الوثيقة بين « الشيخ الدشطوطى » و « ليلة المعراج » • سخر سلطان بينما كان يلعب الشطرنج مع وزيره فى مكان عام ، غير مؤمن بمعجزة « صعود النبى » ، على أساس أن « البراق » الجواد المجنح لم يكن ليستطيع أن يحمل « محمـدا » (ﷺ) الى « بيت المقدس » ، ثم بعد ذلك الى السماء ، وبعد ذلك مرة أخرى الى « مكة » بسرعة لم يبرد فيها فراش النبى (ﷺ) • عرض

---

(٧٧) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (القاهرة ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥) ـ من أسرة صوفية جاءت من بغداد الى أسيوط وأقامت بها ـ عمل والده (محمد) بالجامع الشيخونى طالبا للفقه وخطب بجامع ابن طولون ـ ختم جلال الدين القرآن الكريم وهو دون الثامنة ثم درس التفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والبديع والجدل والانشاء والقراءات ـ باشر التدريس فى الجامع الشيخونى عام ١٤٦٥ ثم تصدى للافتاء واملاء الحديث بجامع ابن طولون عام ١٤٦٧ ، ودرس الحديث ووظيفة الاسماع بالخانقاه الشيخونية عام ١٤٧٢ ، وتولى مشيخة التصوف حتى سن الأربعين ، ثم انتقل الى مشيخة الخانقاه البيبرسية عام ١٤٨٦ ـ ألف أكثر من ٥٠٠ مؤلف ـ اعتقد السيوطى فى نفسه أنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق وأنه المبعوث على رأس المائة التاسعة للهجرة ـ وله كتب تافهة مثل « كتاب الاسفار عن قلم الأظفار » ، « بلوغ المارب فى قص الشارب » ، و « الوديك فى فضل الديك » ، وهى رسائل صغيرة لا تزيد أحيانا عن ورقة واحدة ، لكن أهم مؤلفاته هو « حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة » • « عزل السيوطى من وظيفته فى الخانقاه البيبرسية عام ١٥٠٠ خوفا من بطش السلطان طومانباى ، وعندما تولى السلطنة قانصوه الغورى عاد الى بيته بالروضة وظل منزويا عن الناس حتى مات ، دفن السيوطى فى حوش الأمير قوصون خارج باب القرافة بالقاهرة •

ـ الهيئة العامة للاستعلامات « تاريخ وآثار مصر الاسلامية » ـ مرجع سبق ذكره ، ص ٩٦٧ ـ ٩٦٨ •

« الطشطوشى » الذى كان قريبا ، بعد فترة قصيرة أن ينازل السلطان take on فى الشــطرنج ، مشــترطا أن يطاع فى حالة فوزه ، فى أمر بسيط ٠

لم يجد السلطان غضاضــة ــ وهو خبير ، ويعلم أنه لا امكانيــة لهزيمته أمام الشيخ ــ فى قبول شرطه ، وعندما وجد أن « الملك مات » Check-mated (٧٨) ، أطاع أمر الطشطوشى بأن يغطس فى خزان ٠ ولدى دخوله الماء ، وجد (السلطان) نفسه فى قصر ملكى ، وقد تحول جنسه وأصبح حورية جميلة ذات شعر طويل ، تزوجت من أمير وأنجبت ثلاثة أطفال ٠ وعندما خرج من القصر بعد فترة طويلة ، كان قد خرج من الماء أيضا ، وأصابه الذهول عندما وجد وزيره ، الطشطوشى ، وبقية (الناس) حول رقعة الشطرنج ، وعندما تحقق ــ كما أكدوا له ــ أنه لم يكن ليستطيع أن يبقى تحت الماء دقيقة واحدة دون أن يغرق ــ اعترف بخطئه فى عدم الايمان بمعجزة « المعراج » ، وأصبح مسلما صالحا ٠

بنى الطشطوشى مساجد كثيرة ، وحول كثيرين الى الاسلام ٠ وعندما لامه أتباعه المصدومون بفعلته الشنعاء بذهابه الى الحى المسيحى ونومه مع شاب « نصرانى » ، استعاد « الطشطوشى » سمعته الطيبة good odour بالتأكيد بأن الشاب لم يكن نصرانيا ، لأنه حوله وجعل منــه مسلما ممتــازا ٠

وعندما أحس داخليا بدنو الموت منه ، أمر بنائى قبره أن يسرعوا باكماله ، وأن يشيدوه بشكل لا يسمح بأن يشاركه أحد فيه ٠ ثم بكى ومات فى عام ٩٣٠ للهجرة (١٥٢٣) ، وزار ضريحه كل كبراء مصر وكثيرون من أماكن بعيــدة ، وكان « ملك الأمراء » خاير بــك (٧٩) Kheir Bey من بين هؤلاء ٠

---

(٧٨) الشطرنج هو مباراة شرقية قديمة بالطبع ، يبدو أصلهـا فى مثل مصطلح Check-mate ٠ الشيخ مات ــ حاشية للمؤلف ٠

(٧٩) خاير بك ٠ نائب حلب عندما شرع السلطان سليم الاول فى غزو دولة سلاطين المماليك فى الشام بمصر ، انضم الى العثمانيين فى بداية الحرب ، كافاه السلطان سليم لدى فتحه مصر فى عام ١٥١٧ بتعيينه واليا عليها فى ٢٣ شعبان عام ٩٢٣ هـ/١٠ سبتمبر ١٥١٧ ــ بقى يحكم مصر حتى وفاته فى ١٤ ذى القعدة عام ٩٢٨ هـ / ٥ اكتوبر ١٥٢٢ م ٠ ومن هذا يتضح خطأ ما ذكره المؤلف بشأن زيارة خاير بك لضريح الطشطوشى ٠

ــ عبد الكريم رافق « بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت » (١٥١٦ ــ ١٧٩٨) ــ الطبعة الثانية ــ دمشق ١٩٦٨ ــ ص ٩٨ ، ١٢٦ ــ ١٢٧ ٠

لا عجب اذن فى أن يضـمن « لـين » Lane ، الذى كان يكتب منذ مائة عام ، ويصف بالكاد نصـف دسـتة من أعظم الموالد ، سيرة « الطشطوشى » فى هذه النخبة القليلة التى أوردها فى عمله • والى جانب الافتتاح الجليل للمولد ، فان « الشيخ البكرى » (٨٠) كان يتخذ من مكان المولد مقرا له لبضعة أيام قبل ليلة المعراج ، ويكرم وفادة الفقير والغنى بسخاء • وكان أحد أسلافه قد عين « وكيلا » لوقف للفقراء ، بمعرفة سيدى الدشطوطى • فى السادس والعشرين من رجب جاء شيخ (الطريقة) السعدية ، بعد الوعظ والصلاة فى الظهيرة بمسجد سيدنا الحسين ، جاء راكبا ومعه مائة درويش ، ثم انبطحوا مع كثيرين آخرين أمام المسجد ، وركب « الشيخ » فوق أجسامهم المتراصة ـ (ولهذا الشيخ) وحده شهرة القوة فى أداء « الدوسة » لخير الأرواح دون ايذاء الأبدان • وظل المولد غاصا برواده « battait son plein » حتى السابع والعشرين فى (الليل) المتأخر ، عندما عاد الشيخ البكرى فى موكبه بعد « الختمه » •

واحسرتاه ، أى أمر كئيب وهراء آل اليـه المولد ، نتيجة النظرة الحديثة المثبطة للهمة Wet blanket ، والمحاذير القاتلة للبهجة ، التى تقتل بالتســاوى Pari passu الحماس الدينى أيضـا !! • حتى سنوات قليلة كان المسجد غاصا ، والرغبة ظاهرة فى المشاركة فى حلقات الذكر ، وفى الشوارع المليئة بالحياة أقيمت الأكشاك للشيوخ المغنين ، وكانت المقاهى مليئة بالطرب ، وكانت فرقة موسيقى « الاصلاحية » بقعة براقة ومتآلفة النغمات فى مواجهة زاوية المسجد ، وكان بقدرة الأطفال

(٨٠) محمد توفيق البكرى (١٨٧٠ ـ ١٣ اغسطس ١٩٣٢) ابن السيد على البكرى الصديقى ، نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية فى عهدى سعيد واسماعيل ، ورئيس بيت السادة البكرية ـ دخل المدرسة العلية التى انشاها الخديو توفيق لانجاله ـ حصل على شهادة البكالوريا ـ درس العلوم النقلية وأجازه الشيخ الانبابى شيخ الجامع الأزهر لوظيفة العالم عام ١٨٩٢ ـ مع تولى عباس حلمى الثانى الخديوية عينه بدلا من أخيه المتوفى فى المشيخة البكرية ، مشيخة المشايخ الصوفية ، ونقابة الأشراف ، والعضوية الدائمة لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ـ منحه السلطان عبد الحميد الثانى رتبة الوزارة العلمية التى تؤهل حاملها أن يلقب (بسماحتلو افندم حضرتلرى) ـ تزوج من « حفيظـة » ابنة السيد عبد الخالق السادات رئيس بيت السادات الوفائية ـ اهتم بالأدب والشعر والسياسة ـ وقعت الجفوة بينه وبين الخديو عباس عام ١٨٩٦ ، ثم تصالحا فى عام ١٩٠٣ ثم تغاضبا عام ١٩٠٨ • وفى عام ١٩١٢ أصاب عقله الوهن فارسل الى لبنان للعلاج حيث قضى ستة عشر عاما نالت منه ـ عاد الى مصر فى ١٩٢٨ وتوفى فى ١٣ اغسطس ١٩٣٢ •
ـ ماهر حسن فهمى « محمد توفيق البكرى » ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ ـ مواضع متفرقة •

أن يستمتعوا بالمراجيح على التل الصغير الواقع على الخليج ، بل وأن يشاهدوا تهريج القره جوز ٠

شهدت سنة هجرة الرســـول الثلاثمائة والست والخمسون بعد الألف « ١٩٣٧ م » تقطيع أوصـــال apocolocyntosis (مولد) « الطشطوشي » البائس : لم يعد هنـــاك شـــيوخ يغنون ، لا أطفـــال يتمرجحون ، لا فرقة موسيقى تعزف ، نفر قليل كان يصـــلى فى المسجد الذى وقف عند حائطه الخارجى صف من عساكر البوليس ، يمثلون النقطة البراقة الوحيدة فى (المولد) ٠ كان الشيء الوحيد الذى سلى الجماهير هو عربة سجن Prison van ، مثل قفص ضخم من حديقة الحيوان، فى شارع الدشطوطى ، كان يزج فيهـــا بالمخالفين الذين كانوا محـــل السخرية أو الشفقة عليهم من خلال القضبان ٠ شيء طيب فى الحقيقة أن تشل حركة المشاغبين لسلام المولد ، ولكن لماذا احباط وتخييب آمال جمهور من الناس الفقراء والمستحقين ، لماذا تسحق العـــادات القديمة الحلوة ، وتعامل ذكرى صانع المعجزات العظيم والقاهرى الشهير بهذه الصورة الزائفة البائسة من المجد القديم ٠

(فى عام ١٣٥٧ هـ) « م ١٩٣٨ م » على ما أتذكر ، صحبنى زائر انجليزى لمصر الى هذا المولد ، لكنه عندما تذكر ارتباطه بعشاء ، فان وقته لم يسمح له بأكثر من اكتشاف المسجد ، وأن يلاحظ الزينات ، وبعض أكشاك « الختان » القليلة وما شابه ذلك ٠ ولما كان قد قرأ رواية « لين » Lane ، فقد بدت هذه الأشياء واعدة ، وسألنى أن التقى به هنـــاك فى التاسعة والنصف ٠ وقد وفيت بالوعد ، لكنه (جاء) ومعه كل حفل العشاء ، بروفيسور انجليزى ، وثلاثة دبلوماسيين أجانب ، والكل فى ملابس السهرة بالقبعات العالية ، أو كابات الأوبرا opera caps ٠ كنا جذابين للغاية ، وانضمت الينا أعداد كبيرة (من الناس) الذين اعتبرونا أفضل عروض الليلة ، ونواة لموكب عصرى ، (وظل الأمر كذلك) حتى توسل الينا ضابط بوليس قلق للغاية أن نترك المكان (خشية أن يفلت زمام الأمن من يده) ٠

سيدى ابراهيم الدسوقى « انظر خريطة الدلتا » D 5 :

قد يبدو من غير الملائم ضم هذا المولد الى مولد القاهرة ، حيث ان احتفالاته الكبيرة تجرى فى « دســـوق » بالدلتا بالطبـــع ، حيث يرقد الدسوقى منذ وفاته فى ١١٢٨ ، لكنه من الممتع أن تعرف أن لدينا بناحية

ساقية (مكى) المجاورة للجيزة « وبالتالى للقاهرة » ممثلون للخط (النسبى) الشهير (لسيدى ابراهيم الدسوقى) يحملون كما يقال « السند » الخاص « بالطريقة الدسوقية » · ويقيم هؤلاء « الأذكار » ، والقراءات ، واحتفالات هادئة تكريما لمؤسس (طريقتهم) ، رغم أنه لا يوجد قبر أو نصب له هنـــاك ·

لم أذهب الى هذا المولد اطلاقا ، لكننى أرسلت اثنين من المراسلات (مفردها مراسلة) فى يوم الاثنين الســـابع عشر من جمـادى الأولى ، ١٣٥٣ هـ « ١٩٣٤/٨/٢٧ » ، وفى عام ١٣٥٧ هـ · وقد علمت أن المولد يقام في يوم الأحد الثامن عشر من جمادى الآخرة « ١٩٣٨/٨/١٤ » ، فى نفس يوم مولد « سيدى العقبى » ، والذى قال لى (مراسلتى) انه يحدث على هذه الصورة كل عام · (لكننى) لا أعرف سببا لهذا التزامن ·

ورغم أن مصر تدعى (بحقها) فى « ســيدى ابراهيم الدسوقى » « بحق » ، فانه أبعــد عن أن يكون مجرد « ولى » محلى · فطائفته فى فلسطين ، وسوريا ، وبعض الأماكن الأخرى ربما تتجاوز فى أعدادهـا نظيرتها فى هذه البلاد · ويقال انه هو والأولياء « عبد القادر الجيلانى » ، « أحمد الرفاعى » ، وأحمد البدوى يرفعون الأرض hold up the earth .

وعلى ذلك ، فان هؤلاء المؤسسين العظام للطرق الصــوفية الكبيرة يعرفون باسم « الأقطاب » (٨١) · ويعتبرون روادا فى عقيدة محمد (ﷺ) ، وكأشجار تتفرع منها « الطرق » الأخرى · وسيلاحظ أنه من بين هذه « الأقطاب الأربعـــة » فان « مصر » تســـتطيع أن تبـــاهى « بأحمد البدوى » المدفون فى « طنطا » ، والذى يكرم ربما بأكبر « مولد » معروف ، وأنه رغم أن « أحمد الرفاعى » يرقد في « بغداد » ، فان طائفته ضخمة فى مصر ·

---

(٨١) تدخل هذه الاعتقادات فى اطار مظاهر توقير العامة للأولياء واسباغ بعض القدرات الخارقة عليهم والتى يتميزون بها عن باقى البشر · أورد « أحمد شلبى عبد الغنى » شيئا من ذلك فى حوادث ١١ مايو عام ١٧٣٥ عندما قص قصة شائعة قيام القيامة يوم ١٦ مايو ١٧٣٥ ، وتبرير العامة عدم حدوث ذلك فى اليوم الذى أشيع بان القيامة ستقوم فيه ، بان « سيدى أحمد البدوى » و « سيدى ابراهيم الدسوقى » و « الامام الشافعى » قد تشفعوا عند الله فقبل الله شفاعتهم · فقط فان الرواية لم تذكر « سيدى عبد القـادر الجيلانى » ·

ـ أحمد شلبى عبد الغنى : أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات » ـ تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ ـ ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ·

سيدى عمرى (١) « انظر الخريطة القطاعية XI « E 1 :

زرته فى يوم الجمعة ٢٠ شعبان ١٣٥٢ ·

زرته فى يوم الجمعة ١٥ شعبان ١٣٥٣ ·

زرته فى يوم الجمعة ١٨ شعبان ١٣٥٤ ·

وفى كل حالة كان اليوم هو الجمعة الثالثة من شهر شعبان ·

هذا المسجد الصغير قريب للغاية من « الخليج » ، ويقع بينه وبين « شارع محمد على » · وأى ترام من « العتبة الخضراء » ذاهب الى اتجاه « القلعة » سيؤدى الغرض · اتـــرك الترام فى المحطـــة الأولى بعد « باب الخلق » ، وتقدم لدقائق قليلة فى الشارع الصـــغير الى اليمين (لتصل) ·

« وسيدى عمرى » مولد صغير وحقير ، يؤمه أحيانا الأهالى القذرون والفضـــوليون والعدوانيون ، وخاصـــة طبقة قطاع الطرق hooligan وأعضاء العصابات الاجرامية ، والمجاورات القريبة غير جذابة · لا توجد أى وسائل تسلية فى هذا المولد باستثناء بعض المقاهى القليلة وجماعات الغناء قرب المسجد ، وهو أحد الموالد القليلة جدا التى لايوصى بزيارتها ·

ستنا فاطمة النبوية « انظر الخريطة القطاعية XVI « E 2 :

زرته فى يوم الجمعة ٢١ شعبان ١٣٥٥ « ١٩٧٦/١١/٦ » ·

يقع مسجد « سيدى عمرى » الصغير والحديث الى حد ما ، فى الحارة التى تحمل هذا الاسم بعيدا عن « شـــــارع ابن طولون » ، قرب مسجد « طولون » الكبير ، وبينه وبين « الجبل » ·

يأخـــذ أتـــوبيس ٤ الذى يمـــكن ركوبه من الجزيرة ، الكوبرى الانجليزى ، باب اللوق الخ ، يأخذ المرء الى طولون · أيضا فان أتوبيس ١٣ من الجيزة الى مسجد السيدة زينب ، وأى ترام الى « السيدة زينب » سيترك للمرء تمشية قصيرة ومسلية ، لكن أفضـــل وســـيلة هى أتوبيس رقم ١٨ الذى يسير بين « الدراســـة » و « ستنا نفيسة » عبر العتبـــة الخضراء ، وفى هذه الحالة يجب أن يترك عند « شارع ابن طولون » ، وهذا الشارع يمر خلف المسجد الكبير ·

« سيدى عمرى » مولد صغير للغاية ، وربما كانت المتعة الأساسية فيه ترجع الى قرب موقعه من « طولون » · فى عام ١٣٥٥ جذب شيخ عظيم من « السلطان الرفاعى » الكثيرين فى المساء ·

سيدى فرج « انظر الخريطة القطاعية I » F 1 :

فى واحدة من المناسبتين اللتين شاهدت فيهما هذا المولد ، لاحظت أن اليوم هو الخميس السابع من ربيع الثانى ١٣٥٣ « ١٩٣٤/٧/١٩ » ، لكننى لم أجده فى ذلك التاريخ أو حوله منذ ذلك الوقت · ووفقا لمعلومات حصلت عليها عند موقع المولد ، فانه لا يمكن أن يقام ما لم تكن قطعة الأرض القاحلة تقريبا أمام المسجد والتى يقام عليها خالية من المحصولات· « للعديد من الموالد الأخرى ، وخاصة الاقليمية ، مواعيدها التى تعتمد تقريبا على الزراعة » · ويمكن الوصول الى هذه البقعة بواسطة السيارة عبر « جزيرة بدران» أو بالمشى لمدة عشر دقائق من التقاطع Level Crossing فى شارع « السبتية » الذى يصل المرء اليه بترام رقم ٤ ، أو بواسطة مسيرة أطول من طريق « روض الفرج » ، بالترام رقم ١٣ ، على أن تتركه عند الجزء المرتفع قريبا وقبل موقع مولد « سيدى الحلى » ·

وهذا المولد جميل ومرح ، أو هكذا كان عندما شاهدته ، بحلقات ذكر حول المسجد ، مسارح ، قره جوز ، عروض كلاب ، وباقى هذه الأشياء فى رقعة الأرض ·

سيدى فرغل « انظر خريطة الصعيد » F 2 :

هذا المولد أحد الموالد الهامة فى الصعيد ، ويقام فى أو قرب « أبو تيج » فى ربيع الثانى (٨٢) ·

ستنا فاطمة النبوية « انظر الخريطة القطاعية XIV » F3 :

يقام هذا المولد الهام عادة يوم الاثنين الأخير من شهر ربيع الأول ، وعلى أى حال ، فقد كان الأمر كذلك فى أعوام ١٣٥١ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٩ وهى مناسبات كنت حاضراً فيها ، لكننى أظن أنه فى عام ١٣٤٨ كان المولد فى تاريخ لاحق ، وكانت « الليلة الكبيرة » فى عام ١٣٥٧ فى

---

(٨٢) يبدو أن المؤلف لم يزر هذا المولد ، فمعلوماته عنه تكاد تكون معدومة الا فيما يتعلق بالموقع والموعد ·

يوم الاثنين السابع من ربيع الثانى ، وفى عام ١٣٥٨ (كانت هذه الليلة) فى يوم الاثنين ، الثالث من ربيع الثانى « ١٩٣٩/٥/٢٢ »

يقع المسجد الصغير فى منطقة « الدرب الأحمر » ، وهى واحدة من أقل البقع المطروقة فى القاهرة ، رغم أنها لا تبعد عن « التبانة » (٨٣) والمسجد الشهير « آق سنقر » « المسجد الأزرق » (٨٤) ، لكنها بعيدة نحو الشرق تجاه الجبل ٠

ورغم أن « المولد » كمناسبة اجتماعية قد تقلص ، فان « جولة » (فى المنطقة) تستحق العناء المبذول من أجلها ، بين الشوارع الضيقة تحت المبانى الضخمة ، التى تبلغ ضخامتها فى بعض الأماكن حد صعوبة تحويل الانتباه عنها الى ما ورائها ـ ٠ « عندما تخبرنا الأحجار عن أى شىء فاننا ننسى العمائر « Quand Les Pierres disent de telles Choses on oublie Les edifices ».

يسهل الوصول (الى هذا المولد) بالأتوبيس رقم ١٧ الذى يمر وهو فى طريقه الى « باب الوزير » ، بالمدخل الى الشوارع الصغيرة المتعددة

---

(٨٣) الدرب الأحمر ـ أحد أقسام مدينة القاهرة الثلاثة عشر حتى أوائل القرن العشرين ٠ انقسم ذلك الحى الى ثمانى عشرة شياخة هى (درب سعادة) (الداودية وحوش الشرقاوى) (السروجية) (المغربلين) (سوق السلاح) (القربية والحمزية) (تحت الربع) (الباطنية) (الغورية والكحكيين) (حارة الروم وحوش آدم) (الغريب) (الصنادقية) (جامع البنات والحمزاوى) (الحبانية والعمرى) (باب الوزير والتبانة) (درب شغلان) (الدرب الأحمر) (الجبل الأحمر) ٠ تضم شياخة (باب الوزير والتبانة) شارعا يسمى شارع التبانة وباب الوزير ـ أما شياخة الجبل الأحمر فقد كانت شياخة نائية تجاه الشرق ليس بها سوى ذلك الجبل المسمى بالأحمر ، وكان عدد السكان بها لا يتجاوز الثلاثمائة والستة عشر فردا فى أوائل القرن ٠

ـ تعداد سكان القطر المصرى أول يونية ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٥ ، ٣١ ـ ٣٣ ٠

(٨٤) يقع جامع آق سنقر بشارع « باب الوزير » بحى الدرب الأحمر بالقاهرة ٠ أنشأة الأمير آق سنقر الناصرى أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون فى عام ٧٤٧ هـ/ ١٣٤٧ م ، وأنشأ بجواره مكتبا وسبيلا ومدفنا له ٠ فى عام ١٦٥٣ أجرى الأمير ابراهيم أغا مستحفظان بعض العمارة بالمسجد كسى فيها الجدار الشرقى بالقيشانى الأزرق ، لذلك أطلق عليه اسم « الجامع الأزرق » ٠

ـ مصلحة الاستعلامات « تاريخ وآثار مصر الاسلامية » ٠ ومرجع سبق ذكره ، ص ٨٤٠ ٠

المزينة بمرح بالأعلام على اليسار والتى تقود كل منها فى دقائق قليلة جدا الى قلب المولد •

وسواء أكنت غير منتبه بصورة غير عادية فى السنوات السابقة . أو ما اذا كانت سنة ١٣٥١ « ١٩٣٢ » « عهدا » epoch فى الموالد المصرية ، لا أعلم ، فاننى نادرا ان لم يكن فى أى وقت مضى قد شاهدت « أكشاك الختان العامة » أو « الرقص والموسيقى السودانية » قبل ذلك التاريخ • كانت « أكشاك الختان العامة » فى عام ١٣٥١ أكثر جلاء فى (مولد) فاطمة النبوية ، (أما) « الرقص السودانى » فرغم أنه كان بعيدا جدا عن المسجد ليجذب الانتباه ، فقد كان كبيرا ومتصـــددا فى شارع جانبى • .

كان كشك « الدكتور / محمود عنايت » عميد doyen هذه الطائفة عند باب المسجد ، أما أكشاك الدكتور / « نادى » والآخرين فقد كانت فى « حارة النبوية » والشارع الذى يحمل نفس الاسم • كانت لكل كشك صورته الكبيرة ذات الاطار ، التى توضح العملية (عملية الختان) • أصاب العجب طبيبا أوروبيا ذكرت له هذا الأمر (أكشاك الختان) ، والذى كان يتقاضى خمسة جنيهات من الآبـــاء الراغبين فى « ختـان » ذرياتهم ، من أن أمرا دقيقا (كهذا) يمكن انجازه بهذه السرعة فى مقابل قروش قليلة ، وبنتائج مرضية وآمنة تبعث على الحسد (٨٥) • ولرغبته فى مشاهدة التقنية (المتبعة فى هذه العملية) اصطحبنى فى اليوم قبل الأخير Penultimate للمولد • ورغم أن هؤلاء الأطباء medical gentlemen لم يظهروا أى رغبة فى اخفاء أسرار مهنتهم ، وكانوا ميالين للمســاعدة بشكل كبير ، فاننا كنا قد أتينا فى وقت التشطيب off time، عندما لم يكن هناك ســوى قليل من الذين سيختتنون Patients ، ولم يكن هناك سوى عملية واحدة لبنت صغيرة ، تحت الاجراء • ولما كان رفيقى باقيا لمدة يوم أو يومين فقط فى مصر ، فقد أبدى استعداده لأن يدفع عن أى شخص الرسم المعتاد الصغير ، وخمسة قروش للمختتن • كانت الاستجابة

---

(٨٥) (قال) طبيب انجليزى مقيم فى مصر « هذا صحيح تماما ـ تحتاج عملية الختان الأوروبية الى نصف ساعة من التخدير (للمريض) ، عملية دقيقة ، دستة من الغرز ، ضمادات وافرة ، وأجر قدره ٥ جنيهات • أما العملية العربية فهى لحظية ، لا تحتاج الى تخدير ، ضمادات قليلة ، وأجر قدره خمسة قروش ، وتعطى نتائج نهائية افضل •• (حاشية للمؤلف)

مذهلة ، وكان أحد المتطوعين سيدا عجوزا بدا فى حوالى السبعين ، شرح له بصعوبة أن أشياء معينة تحدث مرة واحدة فى العمر .

يبدو أن الموالد كانت قد بلغت أوجها بالنسبة للعصور الحديثة فى عام ١٣٥٣ « ١٩٣٤ » كما تشهد بذلك ملاحظة فى الصحف العربية فى ذلك التاريخ ، تقرأ كالآتى :

« مولد السيدة فاطمة النبوية »

صرحت وزارة الداخلية بادارة مولد السيدة فاطمة النبوية بحى الدرب الأحمر فى القاهرة لمدة خمسة عشر يوما تبتدىء من اليوم وتنتهى مساء يوم الاثنين ٩ يوليو سنة ١٩٣٤ . وقد أقام حضرة السيد / عبد المقصود خضر نقيب السادة الأشراف بمديرية الجيزة الزينات لاحياء الليلة بذكرى هذا المولد الجليل » (٨٦) .

ويجب أن يذكر فى هذا المقام أن لقب « نقيب الأشراف » له جلاله وتوقيره الشديد فى الاسلام ، وهو لايقل فى سموه عن « البطريرك » فى المسيحية . « ونقيب السادة » أو « شيخ السادة » ، هو السليل الوراثى « للخليفة على » ، ويشغل رئاسة « السجادة » الخاصة بهذا المؤسس العظيم ، « العرش الروحى » (٨٧) . وهناك من يشغل « رئاسة السجادة » الخاصة بالخليفة عمر ، وثالث أيضا ، (لكن) أعظم هؤلاء ، وزعيم كل دراويش القاهرة ، هو ذلك الذى تخص سجادته الخليفة الأول « أبو بكر » . وهو بالطبع « الشيخ البكرى » ، نقيب

---

(٨٦) قدم المؤلف نص ما ورد بالصحيفة العربية بالحروف العربية التى تطبع بها الصحف فى ذلك الزمان .

(٨٧) يسمى المنحدرون من نسل النبى (ﷺ) من خلال ابنته فاطمة وزوجها على ابن ابى طالب (اشراف) أو (سادات) . وقد تميزوا بوضع خاص فى المجتمع الاسلامى . نظم الأشراف فى مجتمعات ضخمة أو اتحادات لتحسين أوضاعهم والمحافظة على امتيازاتهم . فى الامبراطورية العثمانية كان « نقيب الأشراف » يعين النقباء الاقليميين عادة لمدة عام ليديروا شؤون الأشراف فى اقليمهم . احتفظ النقيب بقوائم للمنحدرين من نسل النبى كانت تتجدد وفق الأحوال . عين العثمانيون نقيبا عثمانيا للأشراف فى مصر حتى نجح « محمد أبو هادى » ممثل أسرة السادات المصرية القوية فى الحصول على « النقابة » حوالى منتصف القرن الثامن عشر . سيطر آل « السادات » على هذه الوظيفة حتى ١٧٦٢ ــ ٦٣ عندما نجح « محمد بن أحمد البكرى » فى ادخالها فى « بيت البكرى » الذى حازها ــ باستثناء بعض التداخلات القليلة ــ حتى القرن العشرين .

— Daniel Creceluis and 'Abd al-Wahhab Bakr, « Al-Damurdashi's Chronicle of Egypt 1688-1755 », op. cit., p. 43.

الأشراف ، الذى يظهر بعظمة فى مولد النبى وبعض الموالد الكبيرة الأخرى ، والاحتفالات الاسلامية ٠

« تنسب الى هؤلاء النقباء بصفة عامة قدرات خارقة للطبيعة ٠ فعلى سبيل المثال ، في بواكير القرن ، أكد لى فى محفة « النقيب » الذى سمى أخيرا (البكرى) ، أن « الخديو عباس حلمي » كان قد أصيب بمرض بغيض لتكلمه بطريقة غير محترمة عنه ، لكنه بتحقير نفسه على التراب أمام ممثل « أبو بكر » (الصديق) شفى بطريقة اعجازية »

بعد سنوات ثلاث ، فى ١٣٥٧ ، عندما ذهبت مع (اريك جيل) Eric Gill النحات وبعض الزوار الآخرين ، كان لا زال للمولد الكثير من سحره القديم وشخصيته ، وقد تثقف الزوار واستمتعوا بعمق ٠ لكن جوا غير سار من النفاق كان قد زحف على المولد فى (زيارتى له) فى ربيع الآخر ١٣٥٧ ، مظهرا بوضوح النتائج السيئة لكبح التعبير الطبيعى عن تقوى الناس وعواطفهم ٠ وبالذهاب بعد الظهر لمشاهدة « الزفة » أبلغنى الأهالى المحيطون بأنه لن يكون هناك شىء من ذلك ، وقدمنى « الناس » الى شيخ بائس المنظر forlon-looking كانوا ينتظرون أن يركب « كخليفة » ويتبعونه الى ضريح ما ٠ وبينما كنت أتحادث معه أصابتنى حيرة شديدة لسماعى موسيقى صاخبة من بعض الآلات النحاسية ، ومشاهدتى حشدا صغيرا يحيط براكب معمم ٠ ظننت أنها زفة ، برغم كل شىء ، ولكن « بخليفة » منافس ، وتبعتها توا ٠ كانت صدمتى الأولى عندما كنا على وشك أن نظهر من جانب مسجد جميل منفصل من كل الجوانب ، الى الطريق الرئيسى قرب « القره قول » ، عندما لم يبذل سائق عربة تسد الطريق أى جهد لمرور « الخليفة » ، وخاطب هذا «الخليفة» رفيع المقام بلغة أسوأ من وقحة ، والتى رد عليها الشيخ بألفاظ لا أستطيع أن أسجلها ، وبدأت مبارزة من المزاح الفظ Coarse badinage ، ولكى تزداد دهشتى ، فان الناس ضحكوا وتمازحوا (هم أيضا) ٠ فى النهاية توقفنا فى فناء منزل كبير خاص ، حيث ترجل « الخليفة » استجابة لطلبات من النوافذ العليا ، ثم قام برقصة كوميدية وأمسك بملابسه ليجمع العملات التى كانوا يلقونها عليه ٠ سألت : « ما هذا السلوك من رجل تقى » ، وكانت الاجابة « انه مجذوب » ، « أليس مضحكا » ؟ (٨٨) ٠

---

(٨٨) تستخدم كلمة « مجذوب » التى فى معناها الأصلى تعنى مسلوب اللب entranced ـ مجروف عاطفيا بواسطة الله ـ تستخدم عامة للاشارة الى الأبله fool أو المهرج buffoon ـ حاشية للمؤلف

ولذلك فاننى لم أعد أشهد بعد ذلك ، الاخلاص الجميل القديم للزفة ، بل أصبحت أشاهد السخرية · وذهبت ·

لم تكن ستنا فاطمة النبوية أقل في شخصيتها البارزة عن كونها ابنة « سيدنا الحسين » ، وحفيدة النبى (ﷺ) · وعلى ذلك ، فقد كانت العمة الكبرى لفاطمة النبوية الأخرى ابنة جعفر الصادق الامام السادس (٨٩) · « يقام مولد هذه السمية namesake فى ثلاثاء مبكر من شعبان فى شارع بنفس الاسم (نبوية) قرب باب الخنق ، خلف سجن الاستئناف » ·

لعل الله يرى أن حفيدة نبيه تستحق « زفة » هذا العام ، جديرة بمقامها السامى ، وأن لا يغتصب مهرج مبتذل مقاما رفيعا كهذا ·

من المؤلم أن يحتاج الأمر اضافة ملاحظة عن مولد يوم الاثنين ٢٨ ربيع الأول « ١٩٤٠/٥/٦ » فى اطار فترة الحرب ، ولكن قبل أن تتخذ هذه الحرب درجات منذرة بالخطر · وفى الحقيقة ، فاننى لم أستطع التأكد من وجود أى علاقة بين الحرب وبين الأحداث حول مقام حفيدة النبى (ﷺ) ·

ولقد أشير الى هذا الأمر فى المقدمة ، عندما ذكر التناقض الصارخ فى شأن الليلة السعيدة الآمنة التى استمتع بها الناس فى الميدان الملكى ، حيث كانت مناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الملكى (٩٠) ·

لقد شاهدت المولد يعمل بجبن فى ليلتين من الليالى التمهيدية ، ورغم أن الوقت كان متأخرا بعد الاحتفالات الملكية (٩١) ، (ربما بعد الساعة العاشرة) ، فاننى ذهبت الى الليلة الكبيرة denouement

---

(٨٩) جعفر الصادق المتوفى (٧٦٥ م) هو ابن الامام محمد الباقر المتوفى (٧٣١ م) ابن الامام على زين العابدين المتوفى (٧١٢ م) بن الحسين المتوفى (١٠ اكتوبر ٦٨٠) ابن على بن أبى طالب المتوفى (٦٦١ م) ·

— Jere L. Bacharach « A near East studies handbook 570-1974 » University of Washington Press, 1974, p. 34.

(٩٠) أشار المؤلف فى ص ٢٤ من العمل الى ما كان مولد السيدة فاطمة النبوية يتعرض له من مهانة فى نفس الوقت الذى كان يقام فيه احتفال بهيج وآمن فى ميدان عابدين احتفالا بالذكرى الرابعة لعيد الجلوس الملكى ·

(٩١) راجع الحاشية السابقة ·

كانت منطقه « التبانة » البراقة عادة ، كئيبة مظلمة ، وعند الاستدارة الى أحد الشوارع فى اتجاه المسجد أوقفنى « عسكرى » وأبلغنى أن الذهاب الى هناك ممنوع . ورغم أن هذا تكرر فى أماكن أخرى ، فاننى وصلت فى النهاية بواسطة طريق دائرى ، لأجد اقفارا مطلقا . سألت المشايخ والمقيمين عن السبب ، وكذلك البوليس (بما فى ذلك أحد الضباط) ، والزوار ، ولم أستطع الوصول الى سبب . قدم لى أحدهم فى الحقيقة بدلا من السبب الصحيح ، (سببا آخر) مفاده أنه كان توجد بعض النسوة الساقطات Loose Women فى المجاورة ، وأخذنى الى المكان الذى كن يمارس فيه مخالفاتهن . وللحق فاننى كنت فى حاجة الى مرشد ، لقد كان المكان بعيدا للغاية عن « الضريح » المبتلى . بدا كل من حادثتهم ، ومن لم أحادثهم مغمومين ، ربما باستثناء زائر يتكلم الايطالية الذى علق : « لقد تأخرت كثيرا عن الغارة » : وباستثناء ما تحدثه الأزياء من اغترار فاخر كاذب بالمظهر ، فقد كان (الرجل) يشبه رجل جستابو يمارس عمله فى جيتو ghetto بمدينة وارسو Warsaw (٩٢) .

فاطمة النبوية بنت جعفر الصادق « انظر الخريطة القطاعية XI » F 4 :

يقام هذا المولد دائما فى بواكير شبعان ، وكان موعده فى سنوات ١٣٥٣ ، ١٣٥٥ و ١٣٥٦ فى الثلاثاء الأول . أما فى سنوات ١٣٥٤ ، ١٣٥٧ و ١٣٥٩ (١٠/٩/١٩٤٠) فقد كان فى الثلاثاء الثانى .

ولا يجب أن يخلط بين هذا المولد ومولد « فاطمة النبوية » الذى يقام فى شهر « ربيع » بالدرب الأحمر . فكل من « المولدين » يقع فى شارع يحمل نفس الاسم (النبوية) ، لكن ضريح بنت « جعفر الصادق » يقع خلف المحافظة Governorate و « السجن » ، وعلى ذلك فان الوصول اليه يمكن بأى ترام أو أتوبيس متجه نحو القلعة أو الخليج .

---

(٩٢) جستابو Gestapo كلمة ألمانية مختصرة لعبارة Geheime Staats, polizei أى البوليس السرى للدولة (جهاز الامن السياسى) والذى نظم فى ١٩٣٣ فى ظل النظام النازى للعمل ضد المعارضة السياسية ، وتم حله مع هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الثانية ـ أما الجيتو ghetto فهو ذلك القسم فى بعض مدن أوروبية معينة الذى كان يخصص لليهود . تنطبق الكلمة فى احيان كثيرة وبمفهوم غير ودى على أى قسم يعيش فيه اليهود فى مدينة ما . والمعنى الكلى للفقرة هو تشبيه المؤلف لذلك الايطالى بانه كرجل جستابو يمارس تجسسه فى احد الاحياء اليهودية ، وان الملابس الفاخرة هى التى كانت تغطى مظهره البوليسى .

— Webster Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 769.

(وهذه السيدة) هي ابنة الامام السادس ، «عبد الله جعفر الصادق» ، والنقش الذى يعلو باب الضريح يقول : « هذا مقام السيدة فاطمة النبوية بنت جعفر الصادق » ٠

وعلى ذلك ، فانها حفيدة « زين العابدين » (٩٣) ومنحدرة مباشرة من النبى (ﷺ) من خلال « الحسين » ، وأخت لستنا « عائشة » وستنا « سكينة » ، اللتين لهما موالد فى القاهرة « كزين العابدين » ٠

والمولد صغير ، أو كان — لكنه حي وجذاب ، ويستحق الضريح زيارة ، لكن سماته تغيرت بشكل يدعو للاستغراب ٠ فعندما شاهدته أول مرة فى عام ١٣٥٣ كانت حلقات الذكر العديدة تسود كل شيء ٠ كانت حلقات غير اعتيادية وجادة فى غرف « السكة » الواقعة تحت مستوى الأرض sous-sol والتى تشبه الكهوف ، والتى تنتشر فى كل مكان فى محيط المولد ٠ فى عام ١٣٥٤ كان أكثر من واحد فى هذه الكهوف قد أصبح مقاهى من النوع الرديء of sorts ، وكان اثنان منها يقدمان مشاهد غريبة ٠ كان فى أحدها دراويش شبان أو مدعو دروشة Would-be يدورون Whirling ، وكانت فى الأخرى حلقة ذكر للصبية تدار برصانة وبجدية واضحة ، الى حد أننى لم أشاهد أيا من الغلمان يوبخ من جانب أحد من الأكبر سنا ٠

لكن التغير الغريب حقيقة جاء فى ١٣٥٥ عندما أصبح من الصعب أن تجد « ذكرا » باستثناء الذى فى الضريح (نفسه) ، ومن الناحية الأخرى كان الشارع الواقع تحت نوافذ السجن مليئا بأكشاك القمار الصغيرة وكل أنواع التسلية ، وكان هذا يدخل بهجة كبيرة على نفوس سكان الزنازين cells الذين شاركوا (فى هذه المتع) بصخب من خلال نوافذهم ٠ كان هذا التعديل متناقضا تماما مع ما تضمنته كلمة السر mot d'ordre (التوجيهات)من تعزيز الجانب الدينى والروحى للموالد على حساب ما كان يعتبر دنيويا profane ٠ وفى الواقع فان العكس تماما هو الذى جرى ٠ لكن كل شيء كان منتظما وسعيدا ، ولم يحدث ما يقلق السادة (الجالسين) عند نوافذهم (٩٤) ٠

---

(٩٣) راجع الحاشية (٨٩) ٠٠

(٩٤) استخدم المؤلف عبارة and nothing to shock the gentlemen up at their Winrows

وقد ترجمتها « على ان شيئا لم يفسد راحة الحكام القاعدين باسترخاء فى مكاتبهم » ٠

أمر آخر (جرى) فى ١٣٥٥ (١٩٣٦) وكان جديدا بالنسبة لى وغريبا ، ذلك هو اقامة « سـبوع » octave « الليلة الكبيرة » فى الحادى عشر من شعبان ، (مع أن) الليلة الختامية Consummation للمولد كانت فى « الرابـع » · ومع هذا ، فان هذا الحفل اتخذ شكلا دينيا خالصا فى الغالب ·

لم أشهد على الاطلاق « زفة » لهذا المولد ، لكن هذا يحتمل أن يكون نتيجة لخطأ منى بسبب الحضور متأخرا ، حيث أكد لى لدى وصولى بعد غروب الشمس فى (مولد) ١٣٥٦ (١٩٣٧) أنه كان هناك « موكب » جميل للغاية وبه « خليفة » راكب ، وذلك بعد الظهر ·

كانت ابنة « الامام السـادس » العظيم واحـدة من أوائـل « كباش الفداء » للحرب (العالميه الثانية) · فقد سحق بكل بساطة مولدها المحدد بالثلاثاء الخامس من شعبان « ١٩٣٩/٩/١٩ » ، واصبح ضريحها مهجورا · وبالاستعلام عن السبب عند محل سجائر قرب نهاية شارع « النبوية » ، فقد أخذت الى مسئول رسمى ، والذى أبلغنى بنغمة المذعور ، أن شخصا حقيرا بلغت به الجراة ان يلعب على « أرغول » فى الشارع تحت (نوافذ) السجن · لا أعرف مصير (هذا الشخص) ، ولا لماذا حظرت هذه الآلة الثمينة ذات القصبة بالغة الطول ، ونغماتها العميقة القرار ، والمتميزة فى مصر ، وموضع اعجاب الزوار ومحل فخر محبى الموسيقى المصريين · ولقد نظرت الى نوافذ السجن ، المليئة عامة بالوجوه السعيدة المتمتعة بالاحتفال السنوى · (لم) أجد وجها واحدا ! يا للبؤساء ، لا شك فى أنهم وجدوا أن زنازينهم أكثر بهجة من الاطلال من النافذة ·

عثرت على مقهى مفتوحا ، فطلبت (واحد) « قرفة » Cinamon tea وصحيفة عربية · فيها قرأت عظة من الجامعة العريقـة (الأزهر تحث (على القبـول المبتهج بالموقف الذى قد ينجم عن الحرب ، وعلى التصرف المعتاد) · تبع ذلك ملاحظات أخرى بنفس التفاهة ، لكن النغمة العامة كانت موهنة للعزيمة الى درجة أننى شعرت بانها يجب أن تقرأ بصوت مرتفع وفق الاخراج المسرحى التام لركن التفوط dejection

هذا ، مثل خطاب مارك أنتونى Mark Antony فى الســـاحة الرومانية Roman forum (٩٥) .

سيدى فولى « انظر خريطة مصر العليا » F 5 :

لا توجد لدى معلومات عن هذا المولد باستثناء أنه ذو طابع محلى فى منطقة « المنيا » بالصعيد .

ينسب الى « الشيخ الفولى » عامة بأنه « الولى » الذى يحمينا من التماسيح ، وذلك بمنعها من العبور شمال المنيا ، لكن هذه (الكرامة) محل نزاع من جانب مريدى « أولياء » آخرين معينين على جانب النيل الى الجنوب بعيدا .

سيدى جلادين « انظر الخريطة القطاعية I ، G 1 :

شاهدت هذا المولد فى الســـابع والعشرين من شـعبان ١٣٥٥ (١٩٣٦/١١/١٢) ، لكننى لدى ذهابى فى الوقت الحالى وفى نفس الموعد أبلغت بأننى قد أتيت متأخرا .

يقع هذا المولد فى شارع يحمل نفس الاسم فى « منطقة بولاق » ، بعيدا عن « سوق العصر » ، ومجاور لحارة « الكردى » ، حيث يحتفل بمولد يحمل هذا الاسم .

---

(٩٥) مارك انطونى Marcus Antonius ، كان عضـــوا فى الحـــكومة الثلاثية Triumvirate فى روما مع أوكتافيوس Octavian وليبيدوس Lepidus . اشـــتهر فى الأدب لاتحاده مع كليوباتره Cleopatra عندما سجل ويليام شكسبير Shakespear هذا فى عمله Antony and Cleopatra . كما انه يتجلى فى Julius Caeser لشكسبير ايضا . ولد فى ٨٣ ق.م ، ميز نفسه كفارس رومانى فى فلسطين ومصر (٥٤ ـ ٥٧) ، ثم انضم الى قيصر Caeser لفترة قصـــيرة فى الغال Gaul (٥٣ ـ ٥٤) . انتخب كويستر quaestor فى روما . انتخب tribune فى (٤٩) ثم اصبح شريك قيصر Co-Consul فى ٤٤ ق.م. فى (٤٣ ق.م) الف الحكومة الثلاثية للمرة الثانية . هجر زوجته اوكتافيا Octavia ليلحق بكليوباترا ـ ثم طلق الأولى فى (٣٢ ق.م) وفى المقابل فان شريكه أوكتافيان استصدر قرارا بحرمانه من سلطـانه كحاكم ثلاثى Tarpeia ، فى معركة اكتيوم Actium هزم انطونى وشريكته كليوباترا وهرب الى الاسكندرية حيث انتحر فى (٣٠ ق.م) .

— Lexicon Universal Encyclopedia Vol. 2, p. 71.

(وجلادين) مولد صغير مشرق ، لا يتضمن أى عروض ، ويتركز حول « مسجد جلادين » ، وفى المسجد توجد عبارة بارزة « رأس الحكمة مخافة الله » ٠

سيدى جلال « انظر الخريطة القطاعية III » G2 :

يقام هذا المولد يوم الأحد ، لكن اليوم من الشهر ، والشهر نفسه يتراوحان ٠ فقد كان فى الرابع من محرم ١٣٥٤ عندما اكتشفته لأول مرة من خلال « مراسلتى » ، وفى العشرين من محـــرم ١٣٥٥ ، وفـى الحادى والعشرين من صفر ١٣٥٦ « ١٩٣٧/٥/٢ » ٠

يقع هذا المولد فى منطقة « الشرابية » خلف السكة الحديدية ، فى منتصف المسافة بين « محطة كوبرى الليمون » وموقع « مولد مظلوم » ٠ وحسب علمى فلا توجد ثمة وســيلة للوصــول اليــه ســوى المشى (حوالى نصف ساعة) ، الركوب أو القيادة ٠ ويفتقد المرء الحمير القديمة الطيبة عند الذهاب ، وأكثر من ذلك عند العودة ، فالعربة الأجرة Cab يمكن الحصول عليها للذهاب من عند « كوبرى الليمون » ، لكن المرء لا يستطيع العودة (بها) عامة نظرا للتأخر فى المساء ٠

وليس هناك سوى مسرح واحد وقليل من العروض الصغيرة فى شارع قذر طويل ، ولا يستحق اى زيارة٠

أعتقد أنه يوجد (هناك) مسجد أو ضريح ، لكنى لم أجد شيئا من ذلك ٠ ويفخر المولد ، مع هذا ، « بزفة » جميلة بعد الظهـــر ٠

سيدى جلال الدين الأسيوطى « انظر خريطة مصر العليا » G3 :

نظرا لوجودى فى هذه المدينــة القديمة للغـاية « ليكوبوليس » Lycopolis فى منتصف يونيو ١٩٣٦ ، فقد كنت محظوظا لأن أشهد (هذا) المولد الاقليمى الكبير فى أوج نشاطه ٠ كانت الليلة الكبيرة فى الثامن والعشرين من ربيع الأول ، ١٣٥٥ « ١٨ ـ ٦ ـ ١٩٣٦ » ٠

كانت ملامح المولد الدينية والدنيوية تماثل ملامح المولد النموذجى فى الجملة ، ولكن لكونه نادر الحدوث فى هذه الأجزاء (من البلاد) فقد كانت هناك اثارة وكثافة أكثر من ذلك المعتــاد فى المولد القاهرى ٠ وقد نشط الحماس المتصاعد الى حد التعصب جماعة من الدراويش عنـــدما

تطفلت جماعة من أصدقائي الانجليز (عليهم) • وقد حذر هؤلاء برزانة للخروج من الخيمة بمعرفة شيخ وقور معمم ، حيث كانت رؤوسهم العارية ، أو المغطاة بالقبعات السوداء المستديرة billycocked صدمة (له) كما أعتقد ، أو يفهم هكذا • لكن ما جعله وشركاءه يُنفرون كان مثار سحر لا يقاوم لجمهرة من الشباب الذين شكلوا حاشية متنقلة (حولهم) الى أى مكان ذهبوا • ولقـــد دهشت للمرة التى ليس لهـــا رقم محـــدد Umteenth (٩٦) بينما أنا جالس بطربوشي غير الجلي ، فى ســـلام ودون تحد ، من العقـــدة المتعصبة التى لا تزال ســـائدة والتى تمنع الكثيرين من الظهور فى غطاء الرأس المصرى الا اذا كانوا مضطرين الى ذلك بسبب وظائفهم الرسمية •

كان عـــدد « العرائس الحـــلاوة » ، العظيـــم فى كل الموالد ، هائلا هنا ، وكان الكثير من هذه العرائس من نوع لم يعد يرى فى القاهرة الا نادرا • كان يذكر بتماثيل تاناجرا Tanagra (٩٧) أو تلك التى تشابه التفاح Pomeian ، وكانت هناك مجموعات من التماثيل تمثل الحب عند الحيوانات ، والبشر وأنواع أخرى ، ولهذه الأشياء أهمية كبيرة من الناحية الأنثروبولوجية كما قيل لى •

لقد كانت « ليكوبوليس » (٩٨) Lycopolis مركزا كبيرا بالطبع لعبادة الحيوانات ، (كذلك) فان المومياوات وافرة ولا تزال ، يوحى بذلك تزايد هذه التماثيل الصغيرة •

---

(٩٦) Umteen لفظة عامية انجليزية slang تتكون من مقطعين Umps وهو صوت غير محدد لعدد غير معين _teen! كما فى thirteen ـ وتعنى اللفظة فى الجملة « عدد ضخم من أى شىء » ، كثير جدا Very many ـ وتنطق اللفظة عاميا umpteen . والكلمة تماثل ما نطلقه فى العامية على رقم غير معين وغير علمى من باب المبالغة ، كان نقول « لقد اتصلت بك عشرميت ألف مرة ـ أو ديشبليون مرة » •
— Webster Unabridged Dictionary, op. cit., p., 1984.

(٩٧) راجع الحاشية ١٣ من الفصل الرابع •

(٩٨) ليكوبوليس ـ أسيوط فى العصر البطلمى والرومانى ـ فى زمن الفراعنة سميت (يوتف خنت) وعاصمتها (سياووت) ، وفى عهد البطالسة والرومان سمى الاقليم (ليكوبوليت) وعاصمته ليكوبوليس اى مدينة الذئب ، وفى عهد العرب سميت (الاعمال الاسيوطية) •

ـ محمد رمزى « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ » ـ القسم الثانى ـ البلاد الحالية ـ الجزء الرابع ـ القاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ ـ ص ٧ ـ ١٣ •

سيدى جمال الدين G 4 :

مولد صغير يقال انه أقيم يوم الخميس السابع عشر من جمادى الآخرة ١٣٥٨ « ١٩٣٩/٨/٣ » فى « كفر طهرمس » قرب « صفط » ٠

ستنا جميلة G 5 :

يقال انه أحد موالد مجموعة الامام الشافعى ، ويقام فى المقابر حوالى منتصف شعبان ٠

سيدى محمد الجمل « انظر الخريطة القطاعية VIII » G 6 :

أحد عناصر مجموعة من الموالد الصغيرة التى تقام فى نهاية شعبان قرب باب النصر ٠ ويقع قبر « الولى » الجميل فى حارة « الجوانية » ٠

سيدى جانب « انظر الخريطة القطاعية XIV » G 7 :

قادنى الى هذا المولد فى ليلته قبل الأخيرة Penultimate فى يوم السبت الثامن والعشرين من شعبان ١٣٥٧ (١٩٣٨/١٠/١٢) درويش أصبح صديقا لى فى مولد « الجيزى » الصغير فى مقابر الخلفاء الفاطميين ، لكننا لكربنا وجدنا أن البوليس قد عطله بنشاط لسبب ما ، وذلك بأمره الناس الذين كانوا يجلسون فى « السروجية » حيث يقع الضريح بالانتقال من أماكنهم ، ولم يستثن حتى أولئك الذين رجعوا من الطريق ٠ ولم أستطع أن أحضر الليلة التالية (أيضا) ، لذلك فاننى لا أستطيع أن أذكر الى أى مدى كانت فعالية المولد ٠ والمنطقة التى يقع بها المولد ليست معروفة جيدا تقريبا للدرجة التى تستحقها ، رغم أنه من السهل الوصول اليها ، (من) (باب المتولى) ومسجد السلطان الرفاعى فى شارع محمد على ٠

الشيخ الغريب G 8 :

أحد الموالد الثلاثة التى تقام فى قرية « ميت عقبة » ، أما الآخران فهما « سيدى العقبى » و « الشيخ اللاشينى » ٠ ولست أعرف اذا كان الأمر هكذا دائما ، لكن الموالد الثلاثة اقيمت فى ليلة واحدة عام ١٣٥٨ ، فى يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة « ١٩٣٩/٨/١٠ » ٠

سيدى على الجيزى « انظر الخريطة القطاعية VII » G 10 :

في الساعة التاسعة من مساء الثامن والعشرين من شعبان ١٣٥٧ « ٢٢ - ١٠ - ١٩٣٨ » التقيت مصادفة « بزفة » صغيرة بالمصابيح المعتادة، الدفوف والرايات السوداء الخاصة « بالرفاعية » . (كانت الزفة) تقترب من مقابر الخلفاء الفاطميين ، وبالانضمام اليها ، وصلنا سراعا الى « تابوت » سيدى « على الجيزى » حيث بدأت طقوس دينية انتهت الى « ذكر » .

أعطى المناخ العام ، وحماس الجمع الصغير الهائج الجاد الرائع ، حوا رومانسيا لهذا المولد الصغير المغمور .

ويقع هذا المولد على مبعدة من خط الترام رقم ١٣ الى الغرب و قرب بداية المقابر .

الشيخ جودة « انظر خريطة الدلتا » C 13 :

أبلغت من مصدر ثقة أن هذا مولد كبير وهام ، وأنه قد أقيم فى عام ١٣٥٨ فى يوم الخميس ، الخامس والعشرين من جمادى الأولى ١٩٣٩/٧/١٣ » .

تقع « منيا القمح » على الخط الرئيسى بين « بنها » و « الزقازيق » وعلى منتصف الطريق بين البلدتين . اننى أود أن أعرف ما اذا كان اسم المحطة التالية الموضح على خريطة السكة الحديد « الجديدة » El-Gudaıyda له صلة (باسم) الشيخ جودة ؟ .

الشيخ حمزة « انظر الخريطة القطاعية X » H 1 :

يفضل الشيخ حمزة أن يقام مولده فى يوم الجمعة ، لكنه يبدو ممتنا هذه الأيام لو فاز بأى تاريخ ، حيث انه يتعرض لظروف محزنة . كانت الليلة الكبيرة فى عام ١٣٥١ فى يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة ، وفى عام ١٣٥٣ كانت فى يوم الجمعة ٢٨ جمادى الأولى ، وفى عام ١٣٥٤ حدد اليوم بالجمعة ١٥ جمادى الآخرة ، ثم تعدل الى الأحد ١٣ شعبان « ٣٤/١١/١٠ » . ومنذ ذلك الوقت لم يعد (المولد) منتظما . وفى ١٣٥٩ أقيم فى يوم الجمعة ٢٩ جمادى الأولى « ١٩٤٠/٧/٥ » .

يقع الضريح عند تقاطع شارع « البلاقسة » وشارع « قوله » · وهذا الشارع (قوله) هو الشارع الذى على الزاوية اليمنى للواجهة القديمة لمحطة « باب اللوق » ، ويقع المسجد فى الداخل قليلا بشارع « البلاقسة » الذى يفتح عند النهاية الأخرى ليطـل على « قصر عابدين » ، ويـوازى شارع « عماد الدين » ويقترب منه ·

كانت المباهج الدنيوية فى هذا المولد من النـوع البسيط ، الذى لايتجاوز بائعى البسكويت الذى قد يحتوى وقد لايحترى على جـائزة تتراوح من « مليم » الى « بريزة » « عشرة قروش » ، والبائعين الغريبين queint البائعين ايضـا لسـلع غريبـة ، وكورس Chorus الصبية الذين يطالبون « بالمعلوم » · ولقد كانت « الزفة » هى المظهـر العظيم فى هذا المولد ، والتى تسير من « مسجد العشـماوى » ، والتى كانت تجتذب حشبودا متحمسة · لكن عام ١٣٥١ كان بداية الأحزان ، فلقد تمثل الضغط والاثارة عند الناس فى سقوط « الخليفـة » الواهن من فوق ظهر جواده الفتى لدى دخوله (شارع) « البلاقسة » الضيق · ولم يكن الأسى بسبب اصابة جسمه فقد التقطه أتباعه قبل أن يصطدم جسـده بالأرض وحمـلوه الى الضريح ، لكن الكثيرين اعتبروا هذا الحـادث « نذير شـؤم » evilomen · وتحوز مثل هـذه الخرافات القبول من حقيقة أن الأحوال لم تسر على ما يرام منذ تلك (الواقعة) ، فقد أجلت « الزفة » أو منعت · وفى عام حالى اعتبر أن شخصا ما قد أثم فى حق « الأخلاق والدين » ، وبالتالى فقد ابتلى المولد · كنت قد رجعت مع بعض الأصدقاء من « المعادى » ، وكنا نسير فى شارع « قوله » جاهلين أن اليوم كان (مولد) الشيخ حمزة ، عندما قذف بنا من قبل سيل من المريدين المندفعين الوجلين الذين كان العسـاكر يطاردونهم بالعصى · وامتدت عملية « التطهير » حتى حوائط « المقبرة » حيث كانت النساء يجلسن فيما يفترض أنه « ملاذ » · ولقد أكد لى الناس الأبرياء الساخطون أن « قسلم عابدين » كان أشبه بمعسكر اعتقال من أجل المناسبة الحاضرة · لقد شفى أصدقائى البائسون الذين كانوا يتشوقون طويلا لمشـاهدة مولد من هذا الحنين ، وآمنوا بأن هذا هو احتفالية دينية يبحث فيها عن « البركة » بواسطة الجلد ·

قد يحدث أحيانا أن تكون الليلة المبكرة الصغرى (فى المولد) أكثر تثقيفا وتهذيبا ومتعة من « الليلة الختامية » ، ولقد كان هذا هو الحال فى يوم ١٠ شعبان ١٣٥٤ « ١٩٣٥/١١/٧ » ، قبـل ليـلة الختـام apodosis بثـلاثة أيام ، عندما ذهبت مع أسـتاذ الأنثروبولوجى

بالجامعة المصرية وزوجته ، عبر « شارع البلاقسة » • وعندما وجدنا أن كل شيء فاتر فقد شرعنا في التحرك الى مولد « سيدى موفق » خلف « أبو العلا » • لكن « درويشا » دوارا Whirling ظهر فجأة ومعه الملحقات الموسيقية الخ ، وكان أداؤه وثباته رائعين ، كذلك فان المشهد كله كان مؤثرا •

السلطان الحنفي (انظر الخريطة القطاعية XIII) H 2 :

في كل من المناسبات السبع التى حضرت فيها (هذا المولد) كان اليوم الأساسي هو الأربعاء الأول بعد منتصف شعبان ، ولذلك فان هذا المولد هو أحد الموالد التى يمكن حساب موعده والاعتماد عليه • وهو أيضا مثال لفائدة ملاحظة اليوم على مدى سلسلة من السنوات واقامة الصيغة الخاصة بالمرء ، اذا جاز التعبير باعتبارها أفضل من المعلومات التجريبية عن الموعد المتوقع • يستمر (مولد) السلطان الحنفي رسميا لمدة سبعة أيام ، لكن الزينات تبقى لمدة شهر تقريبا ، وقد أعطيت مرارا وتكرارا موعدا مبكرا وعلى نحو غير ملائم ، ولقد كان على أن أقوم برحلة بلا جدوى (لأكتشف الأمر بنفسي) ، بدلا من التعميم المشار اليه بعاليه •

يقع المسجدان العظيمان المجاوران « الحنفي » و « صالح » في منطقة غير معروفة بين « عابدين » و « السيدة زينب » ، (وهى منطقة) جديرة بمعرفة أفضل كثيرا • ولهؤلاء الجاهلين بتعقيدات المنطقة ، فانهم يمكنهم أن يصلوا الى (المسجدين) بواسطة الترام رقم ١٧ أو الأتوبيس رقم ١٨ ، مع النزول عندما يترك المرء « شارع عماد الدين » عند « شارع الشيخ ريحان » • ومع السير قدما فيما بقى من (شارع) « عماد الدين » والانعطاف الى اليسار ، فان المرء يكون في الموقع في دقائق قليلة •

كان هناك الكثير من السحر حول هذا المولد ، لكنه (ويا) للكآبة قد ضاع ! • لم يكن هناك أي مسارح « في زمنى » على الاطلاق ، ولا رقصات « رنجا » وما الى ذلك ، لكن الناس في الشوارع الجانبية الصغيرة أحضروا مقاعد وآلات موسيقية ، ومائدة مزينة بشموع مضيئة وأزهارا ، وكان للغناء واللعب تأثير لطيف للغاية ، وكثيرا ما كان جيدا واضافة حلوة للاحتفالات الأكثر كلاحة عند المسجد • ثم وقليلا الى الجنوب من المسجد ، وعلى الجانب الآخر من الطريق ، وبعيدا عن الرؤية والصوت ، كشفت بوابة حجرية ضخمة وممر ذو (بواكى) يؤدى الى فناء فسيح بين القصور القديمة عن حشد سعيد من الصبية يتأرجحون على المراجيح

وأعشاش الأوز ، أو يستمتعون بعروض « بانش وجودى » اللطيفـــة وخيال الظل • ولقد ظل هذا حتى ١٣٥٧-(١٩٣٨) •

كانت أكشاك الختان بصورها ذات الأطر الضخمة لاتزال كثيرة ، واننى سعيد اذ أقول ان ابتكارا بتعليق شعارات ضخمة عبر الشـارع تحمل عبارات تقدم ختانا مجانيا ، ظل قائما لمدة عام ، ١٣٥١ •

وقع حادث درامى فى العام التالى ليس من السهل نسيانه • فقد أفسدت فجأة ليلة من أكثر الليالى أمنا عندما ظهرت امرأة مجنونة تسب وتهاجم أى شخص يحاول أن يمنعها ، بالأسنان والأظافر • تأسف رجال الدين الذين حاولوا أن يهدئوها على تهورهم ، واحتار البوليس والأهالى فى كيفية التعامل مع مثل هذا العنف والضراوة ، التى كانت قوة صاحبتها فوق الطبيعية • وعندما تراجع العساكر والشجعان أمام أنيابها ومخالبها ، تدخل فجأة شاب مرح وسيم ، وبش فى وجهها ، ومازحها ، وأخـيرا قادها بهدوء بعيدا ضاحكا معها فى طريقهما • وسرعان ما عاد فسألتـه اذا كان يعرف المرأة ، فقال : « كلا » ، « ولكنها فى حال طيبة » • ولقد سمعت ورأيت هذا الشـاب مرات عديدة منذ ذلك الوقت ، واسـمه « محمود على » ، وقد أبلغت حاليا أنه يعمل بالسلاح الجوى الملكى ، وأنه ملاكم ممتاز ، وأنه يسعى من أجل الاشتراك فى المسابقة الأوليمبية •

أوقفت « الزفة » فى (مولد) عام ١٣٥٤ ، بعد الظهر • وفى المساء كانت هناك « زفة » بسيطة عند « ضريح » فى شارع مجاور • فى هذه السنة أورانى « الشيخ الخولى » « أحد المشايخ » ذوى الحيثية المحلية ، مبانى قديمة رائعة فى جوار سياج (لعرض) قره ـ جور punch & Judy ، أشرت اليه فى عاليه ، ذكر أحد هذه القصور الضخمة « ببيت القاضى » المشهور • كما عرض على (الشيخ) أن يرينى كنزا يساوى عشرة آلاف جنيه • (وكذلك) فقد أورانى « الشيخ أبو العلا » من « العجوزة » الكثير من الأشياء الممتعة حول المسجد ، وشرح الدعامات الحائطية Buttresses والسندات التى شوهته ، كنتيجة لوصايا السلطان الحنفى لأتباعه بعدم العبث بمسجده بأى نوع من الاصلاحات • كانت هذه الطاعة التامة أيضا لمثل هذه التحذيرات خطيرة ، وقد بدا خطرهـا فى تراجيديا (مسجد) « أبو العلا » من بين حالات أخرى ، لذلك فان السلطات أخذت ـ بحكمة ـ الأمر بين يديها وباشرت اصـلاحات ضخمة لحجارة المسجد ، وأزالت الأخشاب • وأنا أكتب الآن فى فبراير ١٩٣٩ ، ذى الحجة ١٣٥٧ ، فان من المتوقع أن يفتتح « الملك فاروق » قريبـا المسجد المجدد • حفظ الله الملك ، وأحيا « المولد » المندثر •

منذ كتابة ما بعاليه ، شاهدت مولدين فى ظل ظروف الحرب ، وبالرغم من الحاجة للقتال ضد هذه الخصوم المدمرة فى الوطن ، فان (الموالد) أظهرت مظاهر طيبة • وفى مولد الأربعاء ٢٢ شعبان من هذا العام ١٣٥٩ « ١٩٤٠/٩/٢٥ » عاد القره جوز punch & Judy الى الحياة من جديد ، وكان مشاكسا للغاية وبفعالية فى الهجوم على قوى الشر الجديدة بالنسبة له المتمثلة فى أشخاص « هتلر » و « موسولينى » • لكن « المولد » المريض يحتاج الى الكثير من أجل الشفاء • دعنا نأمل أن يجد « سيدى الحنفى » أصدقاء عطوفين وأتقياء ليعيدوا « احتفاله » من جديد الى النشاط والجمال •

وفى كل من هاتين المناسبتين ، فقد عاد المولد الى موعده المحدد ، الأربعاء الأول بعد منتصف شعبان بدقة •

سيدى هارون الحسينى (انظر الخريطة القطاعية XIII « H 3

فى هذه الأيام التى تناضل فيها حتى الموالد العريقة من أجل البقاء ، وفى بعض الحالات ، كما فى حالة « الدشطوطى » قد تدهورت من عظمة وفخامة الاحتفال الوطنى الاسلامى الى (مجـرد) موكب أمام ضريح مهجور تقريبا وتحت مراقبة البوليس ، فانه من دواعى السعادة أن يكون المرء قادرا على تسجيل احياء « مولد » عتيق ، لم يحتفل به على مدى ذاكرة هذا الجيل حتى أعادته الى الحياة منذ سنوات قليلة ــ والكاتب فخور بأن يضيف ــ وساطة أحد مواطنيه • واحد ، نفخ فى كل ما هو جميل فى جو مطر ، ويعلو ذوقه وتمييزه فى المسائل الشرقية فوق كل هجوم ، وينابيع أعماله هى الحب الخالص لمصر والمصريين ، وكل ما هو جليل وجميل فى وادى النيل والأماكن الأخرى (٩٩) •

لسيدى « هارون » الذى يشار اليه « كحسينى » (١٠٠) نظرا لصلته القوية بسيدنا الحسين وبالتالى بالنبى (ﷺ) ، « مقامه » (الكائن) فى ركن السور العظيم « لابن طولون » • وهو يشكل جزءا مما يمكن أن يكون أجمل بيت قديم فى القاهرة (١٠١) ، ويوصف هذا

---

(٩٩) ويقصد المؤلف هنا الماجور جاير ــ اندرسون Gayer-Anderson المشار اليه فى الحاشية ٦ من الفصل الأول ، الذى كان يقيم فى بيت الكريدلية بجوار مسجد ابن طولون •

(١٠٠) كتب على مدخل مقامه « هذا مقام سيدى هارون الحسينى » ، حاشية للمؤلف •

(١٠١) المقصود هو بيت الكريدلية المجاور لمقام سيدى هرون ومسجد ابن طولون والذى أقام به الماجور جاير ــ اندرسون •

البيت بما يفوق ذلك بسبب التحف المحببة التى أدخلها (اليه) ساكنه ٠ لقد نظم الضريح وأضاءه وزينه ، وأقام فيه شيخا عتيقا ، (ذلك) هو الشيخ « سليمان الكريدلى » أحد أفراد العائلة المرتبطة لأجيال بالضريح والبيت ، والذى يباهى بأن « سنده » يصله « بالولى » الذى يحرس قبره ٠

بدأت عودة النشاط (للمولد) فى ١٣٥٤ « ١٩٣٥ » ، ولذلك فان الاحتفال العظيم فى الثالث والعشرين من شعبان ١٣٥٧ « ١٧/١٠/١٩٣٨» كان (المولد) الرابع ٠ (كان الاحتفال) كل عام فى شعبان ، ولو أن يوم الشهر تراوح من الحادى عشر الى السادس والعشرين ٠

يسهل الوصول (الى هذا المولد) من « العتبة » بواسطة الأتوبيس رقم ١٨ ، والنزول فى « شارع ابن طولون » ، حيث يبعد عن هذه النقطة بدقيقتين بالكاد ٠ كذلك فان الأتوبيس رقم ٤ يمر قريبا (من المكان) وهى مسيرة قصيرة للغاية من « القلعة » ومن « السيدة زينب » ، وهى أماكن جزئية المركزية ، يسير اليها الكثير من خطوط الترام والأتوبيس ٠

(ان) مولد « سيدى هارون » مولد صغير زاه ومتراخم النغمات ٠ وله « زفته » وزيارات الى « الضريح » ، يتبعها (حلقات) ذكر ، والشعائر المعتادة ٠ ولقد كان أعظم مشهد (فيه) هو أحد دراويش الرفاعية ، الذى كانت براعته (فى العاب) النار صعبة الشرح فى سطور (كهذه) ٠ يبهر (هذا الدرويش) أيضا كل الحاضرين باستخدامه « للدبوس » ، وهو خنجر مستقيم يعلوه كرة يتصل بها عدد من السلاسل القصيرة تنتهى بقطع من المعدن ، لتحدث أثرا موسيقيا ٠ ويزيد من هذا الأثر أحيانا بعض الأشياء التى تحتويها الكرة ، والتى (تصبح) فى هذه الحالة نوعا من « الشخشاخة » sistrum ٠ ينغرز الدبوس بحرية عبر وجه « الدرويش) أو فى جسمه دون أى مظهر للألم او تدفق للدم ٠ ويضيف درويش دوار Whirling dervish و « حاوى » نصيبهما من العرض (فى هذا المولد) ٠

للضريح الذى يرفرف فوق قبته علم ضخم بالوان (الطريقة « الرفاعية » ، الى جانب رايات عديدة أصغر وبيارق الموكب ، نافذة صغيرة تطل على حديقة جميلة فى ركن تعرف بـ « الدوروثيام »

Dorotheum (١٠٢) ، تمتلىء فى هذه المناسبات بالزوار ، ومعزولة قليلا عن سياج « الذكر » . ويحتل (باقى الزوار) الفائضين موقعا حاكما على سطح « بيت الكريدلية » ، أو عند المشربيات ، أو على باب الضريح مع الشيخ العجوز ورفقائه الأتقياء ، السالكين فى (الطرق) القادرية ، الرفاعية ، الشاذلية « وطرق » أخرى ، المريدين والطالبين ، النواب ، الخلفاء والبقية ـ صحبة جيدة .

ولا يتأثر هؤلاء اطلاقا بوجود غير المسلمين أو الغربيين (بينهم) ، حيث ان فضائل التسامح لحسن الحظ ، التقدير المتبادل ، والحنان هى الشكل المبارك لأيامنا هذه فى مصر . وللحقيقة فان الناس سرعان ما يذوبون فى أسلوبهم المتخلص من كل القيود الدنيوية ، ويصبحون غافلين عن كل ما يحيط بهم من مدركات .

انه مشهد مشجع ، هذا التجمع والتوليفة الشرقية الغربية فى بيت « السكرتير الشرقى » السابق (١٠٣) ، وستبين أسماء ووظائف العدد القليل من الناس الذين قابلتهم فى « مولد سيدى هارون » هذا ، أى نماذج متنوعة فى المجتمع المصرى ـ الانجليزى قد مثلت ، دون استبعاد هؤلاء الذين ينتمون لجنسيات أخرى أيضا . لقد شاهدت أعضاء قياديين من السفارة البريطانية ، والبارون دى بلدت Baron de Bildt ، وممثلين دبلوماسيين آخرين ، كذلك قائد البوليس ، وليدى رسل Russell

---

(١٠٢) Dorothea هى بطلة رواية الشهيدة العذراء « Virgin Martyer » لماسينجر Massinger ، وبطلة شعر « جوته » Goethe هرمان ودوروثيا « Hermann and Dorothea » . وفيليب ماسنجر Massinger, Philip (نوفمبر ١٥٨٣ ـ مارس ١٦٤٠) روائى مسرحى انجليزى قدير ، تعاون مع جون فلتشر John Fletcher قبل العمل مستقلا فى الشركة المسرحية الرائدة فى ذلك الوقت King's men . لماسينجر خمس عشرة مسرحية اشهرها كوميديا A new way to pay old debts (١٦٢٥) .
— Webster Unabridged Dictionary, op. cit., p. 60.
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol., 13, p. 213-214.

(١٠٣) المقصود هو تجمع العديد من المصريين والأوروبيين فى بيت الماجور جاير ـ اندرسون « السكرتير الشرقى » السابق بجهاز التمثيل الدبلوماسى البريطانى فى مصر . وهى احدى الوظائف التى شغلها هذا الانجليزى المفتون بسحر مصر والشرق .

والعديد من الضباط المصريين المتميزين . وربما لايكون معروفا بصفة عامة أن سير توماس (١٠٤) Sir Thomas حجة فى الدراسات عن « الدراويش » . وهو شخصية مقبولة Persona grata عند « بابا » (الدراويش) البكتاشية (١٠٥) فى « التكية الكائنة » « بالمغاورى » فى

---

(١٠٤) سير توماس وينتورث رسل باشا Thomas Wentworth Russell (٢٢ نوفمبر ١٨٧٩ – ١٠ ابريل ١٩٥٤) الحكمدار الانجليزى لبوليس القاهرة (١٩١٨ – ١٩٤٦) فى ظل الاحتلال البريطانى لمصر – تخرج فى كلية ترينيتى Trinity College بكامبردج Cambridge حيث درس الكلاسيكيات فى ١٩٠١ – عمل بوظيفة مساعد مفتش Sub-Inspector بنظارة الداخلية (١٩٠٢) ، فى ١٩٠٥ أصبح مفتشا للداخلية – فى ١٩١١ عين ضابطا برتبة قائمقام (عقيد) بوظيفة وكيل حكمدار بوليس الاسكندرية – فى ١٩١٣ نقل الى القاهرة وكيلا لحكمدار بوليس المدينة ، وفى منتصف فبراير ١٩١٨ عين حكمدارا لبوليس القاهرة ورقى الى رتبة اميرالاى (عميد) – عاصر كل الوزارات المصرية فى الفترة الليبرالية حتى تقاعده عام ١٩٤٦ – له مذكرات عن خدمته بمصر بعنوان Egyptian Service – اقام فى مصر حتى عام ١٩٥٤ عندما رحل عنها الى بلاده ، وفى ابريل من نفس العام توفى عن خمسة وسبعين عاما .

– عبد الوهاب بكر « البوليس المصرى ١٩٢٢ – ١٩٥٢ » ، الطبعة الثانية ، دار الزهراء للنشر – القاهرة – ١٩٩٣ – مواضع متفرقة .

(١٠٥) البكتاشية – طريقة صوفية فى تركيا تنتسب الى حاجى بكتاش ولى ، وظهرت فى بدايات القرن الخامس عشر ، وفى القرن السادس عشر أعطاها رئيسها الثانى « باليم سلطان » شكلها النهائى . تلقت المؤسسات الصوفية التركية مظاهرها الشخصية فى غربى التركستان من أحمد ياسافى Ahmad Yasawi المتوفى (١١٦٦) وانتشرت فى الأناضول . يتحدد سلوك البكتاشية تجاه الاسلام بمظهرين ، الملامح العامة للصوفية الشعبية والاهمال واسع النطاق لواجبات العقيدة الاسلامية ، بما فى ذلك الصلاة – بل ان فى طريقتهم بعض المظاهر المستمدة من المسيحية . وهم شيعيون فى تعاليمهم السرية ، ويعترفون بالائمة الاثنى عشر ، ويضعون « جعفر الصادق » فى مرتبة عليا ، وتتركز عبادتهم فى « على » كرم الله وجهه ، ويجمعون « على » مع الله سبحانه وتعالى ، ومحمد عليه الصلاة والسلام فى ثالوث trinity . والبكتاشية يمتنعون عن الزواج فى بعض الحالات ، ولهم سيد أكبر يسمى دده dede ، ورئيس كل وحدة يتجمعون فيها كالدير يسمى بابا baba ، ويقسمون عضويتهم الى درجات ، فالعضو المبتدىء الذى لقن مبادىء الطريقة يسمى « درويشا » ، والعضو الذى أخذ العهد فقط يسمى « محب » ، والذى لم يلتصق بالطريقة بعد يسمى « عاشق » . يرتدى البكتاشية غطاء رأس ابيض يحتوى اربع أو خمس طيات .

وعن البكتاشية فى مصر فان المصادر تذكر ان « قايغوسز أبدال » ادخل هذه الطريقة فى القرن الخامس عشر عندما وفد اليها عام (٧٩١ هـ – ١٣٨٨ م) . « وقايغوسز أبدال » هذا هو من يعرف فى مصر « بعبد الله المغاورى » صاحب تكية المغاورى للبكتاشية فى جبل المقطم بالقاهرة . وتقول المصادر ان « قايغوسز » كان ابن حاكم سنجق « علائية » فى تركيا ، وكان اسمه فى اول الامر « غيبى بك » . دخل فى سلك الدراويش على يد ابدال =

سفح جبل المقطم ، وأنه ـ قد أبلغنى بابا (التكية) بغـاية الثقة ـ يكتب كتابا عن « طريقتهم » • وقد أورانى أحد الضباط المشـــار اليهم (بعاليه) ـ اليوزباشى (النقيب) عبد الرحمن زكى ـ المجلد الثانى من عمله عن القاهرة بعنوان « القاهرة » ، وهو عمـــل منتج بشكل جميـــل ومصور • كان من بين الكتاب الحاضرين المشهورين والحجج فى الآثار الاســـلامية مسز ديفونشــاير Devonshire ؟ والبروفيســـور كريزويل Creswell • وفى زاوية الشـــعراء كان البروفيســـور سكيف Scaife من الجامعة المصرية ، والذى قرأ قصيدته الجميلة عن « السيد البدوى » فى هذه المجاورات الملائمة منذ زمن ليس ببعيد • (كان من بين الحضور)

= موسى أحد الاولياء فى المنطقة التى يحكمها والده ، وسماه الولى بهذه المناسبة قايغوسز (قايغو بالتركية تعنى الغم وسز اداة نفى) ، ثم عرف فيما بعد « بقايغوسز ابدال » • اما الاسم الذى عرف به على السنة المصريين وهو (عبد الله المغاورى) فربما كانت كلمة عبد الله تحريفا للكلمة (أبدال) التركية التى تعنى الانسان التارك للدنيويات أو الصوفى ـ وقد حرف المصريون الكلمة لتصبح عبدال أو عبد الله (كعطشجى) التى أصلها فى التركية اتشجى = الوقاد ، « وعشى باشى » واصلها اشجى باشى ـ رئيس الطباخين •

بعد اربعين عاما قضاها « قايغوسز » فى تكية « ابدال موسى » ســـافر مع بعض الدراويش لأداء فريضة الحج ، وفى العودة زار مصر حيث أصبح شيخ تكية « قصر العينى » فى (١٤٠٣) • وقد ذكر الرحالة التركى « أولياجلبى » الذى زار مصر أن بكتاشية مصر كان لهم فى القرن السابع عشر أربع تكايا هى ١ ـ تكية حسن بابا • ٢ ـ تكية قايغوسز بابا بالقرب من باب القاضى وبين القصرين • ٣ ـ تكية عبد الله الانصارى وكانت بداخل القلعة • ٤ ـ تكية قصر العينى • والى عهد قريب لم يكن للبكتاشية الا تكية واحدة هى تكية « عبد الله المغاورى » وهى مغارة فى جبل المقطم كانت تســمى قديمـا (كهف السودان) وكانت فى بداية القرن السادس عشر الميلادى مقرا للطريقة العباسية المغاورية وهى الفرع المصرى للطريقة المدنية التى أسسها « أبو العباس البلنسى » المتوفى عام ١٢٣٦ م • ولا يعلم متى اتخذ بكتاشية مصر (وهم جميعـا ارناؤوط) هذه التكية مقرا لهم ، لكن المصادر تقرر انهم لم يكونوا قد سكنوها حتى أواخر القرن الســابع عشر حين كان الرحالة أولياجلبى مقيما فى القاهرة ، فقد كانت تكية « قايغوسز » فى ذلك الوقت قريبة من « بين القصرين » كما تقدم •

اما « بابا » التكية الذى أشار اليه المؤلف فهو المرحوم « سرى بابا » شيخ التكية الكائنة بالمقطم حتى خمسينيات القرن العشرين ، وله رسالة بعنوان « الرسالة الأحمدية فى تاريخ الطريقة العلية البكتاشية بمصر » (١٩٣٤) •

— « Shorter Encyclopedia of Islam » E. J. Brill - Leiden, 1974, pp., 61-62.

ـ احمد السعيد سليمان « عبد الله المغاورى (قايغوسز ابدال) ورسالته دفتر العشاق » ـ من كتابه « فى الدراسات التركية والاسلامية » دون تاريخ أو جهة النشر ، ص ١ ـ ٩ •

أيضا الشاعر والكاتب مستر س . ف . أ . كولز S. F. A. Coles ، الذى قدم بالمناسبة صـورة لضريح « سـيدى هارون » فى روايته عن « بيت الكريدلية » فى (جريدة) سفنكس Sphinx ، فى التاسع من نوفمبر ، ١٩٣٥ (١٠٦) .

من بين القـادة العسكريين (الذين شاهدتهم فى بيت الكريدلية أيضا) سبنكس باشا Spinks pasha (١٠٧) ، مع ليدى سبنكس ، والجنرال مكريدى Macready (١٠٨) ، ولواء مصرى على الأقل .

كان الشيخ « ضيف الخضيرى » أحد الضيوف المسلين والملائمين فى كل مناسبة ، وهو ينحدر من نسل مؤسس المسجد المجاور الذى يحمل نفس الاسم ، ويركب « كخليفـة » فى « زفة » مولده . ومن بين من ينحدرون من نسل النبى (ﷺ) ، كان هناك « أشراف » تشير سنداتهم (مفردها سند) الى سلسلة لاتؤكد فقط تسلسلهم فى خط واضح من نسل مؤسس الاسلام ، بل ان سلسلة نسبهم تعود الى زمن أبعد ، حتى تقرأ المخطوطة الرقيـقة Parchment القديمـة (التى تحـوى شـجرة نسبهم) كفصل من كتاب الأرقام .

---

(١٠٦) ظهرت أيضا صور الضريح والمنزل فى مجلة « الراديو المصرى » بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٣٧ ـ وواحدة « لبئر المعجزات » فى الحوش فى عدد ٢٢ يناير ١٩٣٨ .

انظر أيضا « Country Life » عدد ١٩٣١/١٢/١٣ وما بعده ، وكذلك سلسلة من ١٢ حكاية تليت بمعرفة الشيخ سليمان الكريدلى ، والتى ظهرت فى « سفنكس » من ديسمبر ١٩٣٩ الى مايو ١٩٤٠ ، وما بعده . حاشية للمؤلف .

(١٠٧) واتسون سبنكس باشا Watson Spinks ـ عسكرى بريطانى ممن خدموا بالجيش المصرى فى النصف الأول من القرن العشرين أيام الاحتلال البريطانى ، من أهم المناصب التى شغلها قيادة الطوبجية (المدفعية) عام ١٩١٦ عندما كان برتبة الميرالاى (عميد) ـ ووظيفة مدير مصلحة الأسلحة والمهمات بالقلعة حتى عام ١٩٢٣ ، ثم وظيفة مفتش عام الجنود فى يناير ١٩٢٤ ـ وبوفاة السردار لى ستاك leestack فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ أصبح « سبنكس » أكبر ضابط بريطانى فى الجيش المصرى ، فحل محل السردار واحتفظ لنفسه باختصاصاته ـ مع توقيع معاهدة ١٩٣٦ انتهت خدمة (الفريق) سبنكس فى الجيش المصرى ، وحلت محل الاشراف البريطانى بعثة عسكرية بريطانيـة للارشـاد والتوجيه .

عبد الوهاب بكر « الجيش المصرى ١٩٣٦ ـ ١٩٥٢ » ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ جامعة عين شمس ١٩٨٠ .

(١٠٨) ماجور جنرال ج.ن.مكريدى Major-General G.N. Macready ، ثانى رئيس للبعثة العسكرية البريطانية بالجيش المصرى (١٩٣٨ ـ ١٩٤٠) .

ـ المرجع السابق .

من بين الضيوف ذوى الفأل الحسن كان هناك أعضاء عديدون من جمعية المحافظة على الاثار القديمة ضد هجمات التخريب ، ورئيس الجمعية نفسه ، هذه الهجمات التى أفسدت بصورة يتعذر معها اصلاح الجمال العظيم للقاهرة ، (ذلك التخريب الذى) وصل فى بعض الأماكن الى قبح كلى ٠ اننى أعتقد أنه كان لهذه الجمعية الكثير لتفعله فى سبيل انقاذ « بيت الكريدلية » هذا ، ونحن لا نستطيع ، حتى القاهرة نفسها ، أن تفى هذه الجمعية حقها من الشكر ٠ وفوق هذا ، فهناك جمعية المحافظة على الفن القبطى التى مثلت فى مولد « سيدى هارون » ، وجماعات أخرى بلا شك منغمسة فى هذا العمل الرائع ، لكننى لا أعرف شيئا عن أى جهد منظم لانقاذ العادات المصرية القديمة التى لا تقدر بثمن من التخريب الروحى المميت ٠ ومن المأمول كثيرا أن جمعيات مماثلة لهذه الجمعيات سوف تتشكل للدفاع عن عادات مصر الغالية ، قبل فوات الأوان ، ولعل نواة هذا تسكن فى اجتماعات المولد (هذه) فى « بيت الكريدلية » ٠ فليكن « سيدى هارون » ، الذى تنسب اليه المعجزات من قبل مريديه ، يكون حاضرا هنا ، ويتوسط لانقاذنا مما سماه بييرلوتى piereloti موت القاهرة La Mort du Caire ٠

ليس من امتيازات كل شخص أن يكون له ضريح شيخ ملحق بمنزله ، وأن يكون له ، كما حدث ، « مولده » الخاص على بوابات بيته كل عام (١٠٩) ٠ فهذا (امتياز) اختص به الماجور « جاير أندرسون » ، مالك البيت العربى القديم الجميل المطل على مسجد « ابن طولون » ، والذى ملأه بكل كنوز الفن العربى ، والذى يتعين أن يكون فريدا من نوعه ٠ ويلتحق ببيته ضريح « الشيخ هارون » الصغير ذو القبة البيضاء ، والمشهور بقرابته للنبى (ﷺ) ، والذى لا يعدو مولده أن يكون محليا تماما ، يحييه أهل الحى فقط ٠

كان الضيوف الذين دعاهم الماجور جاير أندرسون لمشاهدة الاحتفالات من منزله مساء الاثنين محظوظين (١١٠) ، فالى جانب « الذكر » المعتاد ، كان هناك درويش راقص ، وعارض مهلهل الثياب يلعق السكاكين

---

(١٠٩) بدأ المؤلف فقرته هذه بعنوان نصه « ما بين السطور » ثم أعقبه بعنوان صغير تحته « مولد خاص » ، ولما كان هذا كله فى اطار الفصل الذى يصف فيه الموالد ، فقد استبعدت هذين العنوانين لعدم جدواهما ، اذ أن الشرح بعد ذلك يوضح ما استهدفه الكاتب من العنوانين ٠

(١١٠) بدأ المؤلف فقرته هذه بعنوان نصه « بالع النار » ــ وقد استبعدته لنفس الأسباب الواردة فى الحاشية السابقة ٠

الجمراء توهجا ، ويبتلع النـار ، ويمشى على الرماد المحترق ، ويغرز الأسياخ فى خديه ولسانه ، كل هذا باقصى ما يمكن من رباطة الجأش ٠ لم يكن هناك أى نزاع فى أن الرجل ــ وقد كان يقف على أقل من ياردة ــ كان يغرز فعلا الأسياخ فى خده ، رغم أنه لم يكن هناك ثقب أو دم عندما سحب هذه الأسياخ ، لكن لا أحد من الحضور استطاع أن يفسر كيف عمل ذلك ! ٠

« تزداد هذه العروض ندرة كل عام ٠ هناك دائما حلقات « الذكر » فى كل مولد ، لكن الدراويش الراقصين قليلا ما يشاهدون ، وعلى المرء أن يتجول بعيدا حتى يجد « مبتلعا للنار » fire swallower ٠ ولسوء الحظ فقد عبست السلطات فى وجه الجانب الدنيوى للمولد (كما ذكرت مرارا على هذه الصفحات) ، وتمادت أكثر فجرفت ساحة العرض التى كانت مظهرا « لمولد النبى » فى العباسية ٠ ويبدو محتملا ــ ما لم يقنع أحدهم هذه السلطات بوجهة نظر أكثر ليبرالية ــ أن كل متعة الاحتفال ستندثر خلال سنوات قليلة ٠

فى « الفصل الثانى » وتحت عنوان « تأثيرات يصعب تقدير مداها ٠٠٠ تحدد فى بعض الأحيان الموعد أو تؤكد الاحتفال بالمولد » (١١١) ، ثم الاستشهاد بحالة ظهور « سيدى هارون » للشيخ « سليمان الكريدلى » العجوز حارس مقـامه ، وتحذيره له من اهمال اقامة المولد واحيـاء شـعائره ٠

فى هذه السنة التاسعة والخمسين بعد المائة الثالثة عشرة لهجرة النبى (ﷺ) ، والثانية من الحرب (العالمية الثانية) ذكر لى الشخص المشـار اليه فى السـياق السابق بـ « العرابة الرقيقة » Fairy God-Mother » (١١٢) ، والذى تحققت « الرؤية » على يديه ، أنه رغم أن شعبان وهو آخر شهر للموالد قد اقترب كثيرا ، فان « الشيخ سليمان » لم يبلغه بأى « رؤية » مماثلة كما حدث فى السنة السابقة ، ولا حتى طرق الموضوع ٠ وقد وجدت فى زيارة هادئة الى الضريح أن هذا لم يكن راجعا الى لا مبالاة ، بل الى ثقة تامة بأن « العرابة الرقيقة Fairy God-Mother »

---

(١١١) There are also imponderable influences, hardly dreamt of in our philosophy or mythology, which sometimes determine the date or ensure the observance of the mouild.

ــ راجع الفقرة الأخيرة من ص ٤١ من النص الانجليزى ٠

(١١٢) المقصود هو الماجور جاير اندرسون ــ راجع الفقرة الأولى من ص ٤٢ من النص الانجليزى ٠

ســوف تحيى المولد طوعا motu proprio ، وأنه اذا حــدث العكس ، فان أصـــواتا من أعماق قدس الضريح كانت ستنبعث من جـديد للتحذير . ولقد جوزيت هذه الثقة باحتفال صغير لكنه رائع في الخميس الأول بعد منتصف شعبان ، امتزجت فيه التقوى والمرح بشكل لطيف للغـــاية . كانت حـــركة أهـل البيت Vaetvient عنـد الضريـح متواصلة ، وكان المنظر الأخاذ هو الحماس الذى انضم به عدد كبير من الصبية الصغار الى الدراويش الناضجين فى حلقات الذكر . وكانت هناك « الزفة » عند الافتتاح ، والتى لعبت فيها الطبول والدفوف فى توقيت محكم . وفيما بعد قدم درويش مولوى maulavi يتشـح برداء أحمـر رقصــة السماع Samaa الدوارة (١١٣) . تلا ذلك عرض رائع للدراويش

---

(١١٣) المولوية Mawlawiya طريقة للدراويش يسمون عند الأوروبيين بالدراويش الدوارين Whirling Derwishes _ تستمد الطريقـة اسمهـا من كلمـة « مولانا » وهو لقب تشريفى لجلال الدين الرومى أعطاه له والده ، ثم تبنى أتباعه اسم « مولوى » ، ولو ان بعض المصادر التى زارت قونية تؤكد انهم كانوا يعرفون « بالجلالية » Djalaliya . أما الاسم عند الأوروبيين فقد أخذ من شعيرة « الذكر » التى يدور فيها الدراويش حول أنفسهم مستخدمين القدم اليمنى محورا pivot . ويقال ان جلال الدين هو الذى أنشى وهذب هذا الطقس . انتشرت الطريقة المولوية خارج « قونية » مقر جلال الدين بفضل نشاط ابنه « سلطان بهاء الدين ولد » . انتعشت المولوية لدرجة كبيرة فى عهد السلاطين المصلحين فى القرن التاسع عشر لمقابلة النفوذ الكبير للطريقة « البكتاشية » التى كانت تساعد الانكشارية ، ثم ضد العلماء الذين كانوا يساندون معاملة المجتمع الاسلامى كمجتمع متميز عن أهل الذمة . وقد كان السلطان عبد العزيز والسلطان محمد رشاد عضوين فى المولوية .

تكونت ملابس الطريقة المولوية من غطاء رأس يسمى سكة Sikke ، وتنورة Skirt دون أكمام تسمى تنورة tennure ، وجاكته ذات أكمام تسمى دستجول deste-gul ونطاق يسمى الف لامند elif-lam-end ، ومعطف فضفاض ذى أكمام يسمى خرقة Khirke يلقى على الأكتاف . والآلات المستخدمة فى العزف للرقصة المولوية هى الفلوت للزمارى reedflute ، القانون Zither ، ربابة rebeck ، طبلة ، دف ، وصنج Cymbal تسمى حليلة halile . وتذكر بعض المصادر ان هذا الرقص كان يقام فى قونية مرتين فى الشهر بعد صلاة الجمعة ، اما فى القسطنطينية فقد كان يقام مرات أكثر نظرا لوجود تكايا عديدة ، لتمكين أعضاء التكايا المختلفة من المشاركة .

أما مصطلح « درويش » ، فرغم تعدد معانيه فى اللغة الفارسية فانه يستخدم فى الاسلام بصفة عريضة للاشارة الى « عضو » أخوة دينية ، رغم انه فى الفارسية والتركية يستخدم للاشارة الى متسول دينى (فقير) أو عضو فى أخوية دينية تعيش على الصدقات mendicant . وفقا لهذه الطرق فان أصحابها يعيشون معيشة دينية تتمثل فى بحث الروح عن خلاصهـا بممارسـة الزهـد والتنسـك ascetic practices أو التأمل المحلق Soaring meditation . ويلتف مثل هؤلاء الأخوة حول معلم . ويرتبط الدرويش —

« الرفاعية » لسيطرة الروح على المادة ، على الألم ، والقيود الجسدية المعتادة ، بطريقة لا يمكن شرحها ، أو تقديم أسباب تبرر أو تجعل ما يفعلونه مفهوما ، ثم تأوج العرض بتحدى سن الخنجر والدبوس الغامض ، وحافة السيف ، والاستسلام « للدوسة » على معدل صغير ، وهو طقس نادرا ما يرى فى هذه الأيام •

قام « الشيخ سليمان » العجوز ، مستندا على عصاه وذراع ابنة ورغم تضاعف انحنائه ، بزيارة « لبيت الكريدلية » المجاور ، ورد (صاحب البيت) له زيارته • بدا سعيدا بوجد ecstatically ، وتحركت شفتاه كما لو كان يغمغم « الوداع الأخير » Nunc Dimittis

سيدى حسن الأنور (انظر الخريطة القطاعية XV) H 4 :

يبدو أن موعد هذا المولد كان أصلا فى السابع من ربيع الآخر ، ولقد كان هذا هو الحال فى أعوام ١٣٤٨ و ١٣٥١ على الأقل ، لكنه تعرض منذ ذلك الوقت لتأجيلات حادة ، لكننى أعتقد أنه دائما يوم الثلاثاء • لقد كنت حاضرا ولاحظت الموعد يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الآخرة ، ١٣٥٣ ، الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة ، ١٣٥٥ ، والثلاثاء الثالث من شعبان ، ١٣٥٧ (١٩٣٨/٩/٢٧) • والمولد على حافة الجبل خلف « السلخانة » وتوصل اليه خطوط ترام الخليج أرقام ٥ أو ٢٢ • يذهب المرء الى نهاية الخط ويسير عبر الكتلة المكسورة من « سور مجرى العيون » aqueduct الذى بناه « محمد على » ، ثم بين جماعات تلعب العصا ، وانحرافات عديدة الى اليمين ، والمسارح ، و (رقصات) « الرنجا » ، وعروض أخرى على منحدر الجبل الى اليسار ، ويصل مسجد « حسن الأنور » الواقع فى مربع من عدة قرى ضواح ، بعد دقائق قليلة من مغادرة الترام • ولقد شاهدت فى بعض

= بسلسلة تربطه خلال تسلسل رؤساء طريقته حتى تصل الى الله ، وعليه ان يؤمن ان العقيدة التى تعلم له فى الطريقة التى ينتمى اليها هو الروح الخفية للاسلام • ويتم ربط عضو الطريقة بها من خلال معلمه (الشيخ ، المرشد ، الاستاذ ، البير pir) الذى يقدمه الى الطريقة من خلال « عهد » يلقن للعضو (المريد) بوسائل تصل الى حد التنويم المغناطيسى hypnotic من قبل معلمه • ويعتبر « الذكر » أحد وسائل اتصال « المريد » بالعالم غير المرئى — لكن لكل طريقة أسلوبها فى توصيل أعضائها الى حالة الاتصال بالعالم غير المرئى — وتتراوح بين الرقص عند المولوية ، الدوسة عند السعدية ، اكل النار والثعابين او ثقب اجسامهم بالدبابيس عند الرفاعية •

— Shorter Encyclopedia of Islam- E. J. Brill, 1974 p. 363-365.

الأحيـان « بيـلى ويليـامز » Billy Wiilliams الفظيـع مع عرضـه العجيب « حلبة الموت » Piste à la morte .

يعج المسجد والميدان بحلقات « الذكر » وجماعات الشيوخ ، بينما أبعد مكان التسلية بما فيه الكفاية ، منظر عجيب جذاب وسط خلفية من مجارى العيون المحطمة والصحراء الكالحة ·

كان (مولد) « حسن الأنور » سيىء الحظ عام ١٣٥٧ (١٩٣٤) ، اذ بعد تأجيلات متكررة فجرت أمطار غزيرة الكثير من مصـارف المدينة drains ، وفى الليـلة الأخـيرة أعيق طابور عربات المجارى بسبب الحشـود التى لم يستطع البوليس أن يحجزها على الجانبين ، وعطلت السلطات المحلية المولد ·

ولقد أبلغت عام ١٣٥٧ (١٩٣٨) أن الزفة اللطيفة فى السـاعة الخامسة قد فاتتنى ·

سيدى هلال « انظر الخريطة القطاعية VI » H 5 :

لقد ضمنت هذا المولد المتناهى فى الصغر الذى وجدته مصادفة يوم السادس من جمادى الأولى ، ١٣٥٣ (١٩٣٤/٨/١٦) ، (الموافق) لليوم الأخير للمولد الكبير ل « أبو السباع » فى بولاق ــ رغم أننى غير متأكد أنه لم يكن يعدو أكثر من زفة من المسجد الأكبر ــ بسبب جمال الضريح الصغير فى ساحة مبهجة يسهل زيارتها ، وبسبب استحقاقه للمشاهدة · والمولد على مبعدة من شارع « عبد الجواد » الجديد الكبير بزاوية يمنى من مواجهة مسجد « أبى العلاء » ، (وعلى مسافة) دقيقة من المسجد الى اليسار بين نهاية (شارع) فؤاد الأول وشارع « أحمدين » ، مشهد مولد وموقع الكثير من الأضرحة ·

ولقد جاءت « الزفة » فى حوالى الخامسة والنصف من بعد الظهر · لكننى لا أعرف اذا كانت عادة منتظمة أم لا ·

سيدى الحلى « انظر الخريطة القطاعية I » H 6 :

يتفاوت كل من يوم الأسبوع والتاريخ تفاوتا كبيرا (بالنسبة لهذا المولد) · وقد رأيت هذا المولد لأول مرة فى يوم السبت السابع عشر من صفر عام ١٣٥٢ « ١٩٣٣/٦/١٠ » ، لكننى عندما ذهبت مبـكرا فى « صفر » فى العام التالى أبلغت بأنه قد انتهى · ولقد فاتنى أيضا السنوات

الثلاث التالية ، لكن أكد لى أنه قد عقد فى عام ١٣٥٦ فى يوم الخميس السابع من جمادى الأولى « ١٩٣٧/٧/١٥ » · وبذهابى مبكرا فى جمادى الأولى عام ١٣٥٧ وجدت المولد فى أوجه ، وشاهدت « الليلة الكبيرة » فى الثلاثاء السابع من جمادى الأولى ١٣٥٧ « ١٩٣٨/٧/٥ » ·

يقع المولد بين « عنابر بولاق » « وروض الفرج » ، وتمر خطوط ترام ٧ و ١٣ عبره تماما ، حيث ان المسجد الصغير ، وحلقات الذكر وما الى ذلك على الجانب الغربى من طريق « روض الفرج » ، لكن ساحة التسلية تقع فى الشرق ، فى الطريق الذى يصبح « شارع مسرة » ويظهر فى طريق « شبرا » ، الى الجنوب قليلا من « مدرسة التوفيقية » · تنتشر الخيام ، الأرجوحات والعروض فى الأرض المهجورة terrain vague على جانبى الطريق · ويمكن لمن يفوته الترام الأخير الى القاهرة « حوالى الحادية عشرة والنصف » ، أن يأخذ الترام أو الأتوبيس بالطبع بالسير على طول الطريق المذكور الى شبرا ·

« سيدى الحلى » مولد غريب ، فالجانب الدنيوى منه أكثر وضوحا نسبيا من أى مولد شاهدته ، ربما باستثناء (مولد) أبى هريرة ، مولد « شم النسيم » الذى يقام فى الجيزة · لقد وجدت صعوبة فى اعادة العثور على المسجد ، وكان العديد من الناس الطيبين الذين سألتهم جاهلين مثلى ، ولم أستطع الحصول على أقل (مصدر) يتعلق بتاريخ « الولى » · ويخيل لى (أن هذا المولد) هو تطعيم graft دينى لسوق أو معرض قديم أو ربما احتفال وثنى ، مثل الكثير من الاحتفالات المسيحية المحلية · واننى أثق أن المجال هنا واسع لدارس الفولكلور ، الأنثروبولوجى ، والعادات القديمة كما فى الجيزة ·

عندما اكتشفت هذا المولد لأول مرة فى ١٣٥٢ « ١٩٣٣ » ، قبل ختامه apodosis بعدة أمسيات ، كنت ضحية خدعة intrigue نتيجة عمل لثلاث فتيات ربما كانت أعمارهن بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة ، فى أكوام القمامة والحفر البعيدة كثيرا عن الزحام · (كن قد) بدون فى الضوء الباهت كما لو كن يطوقن اثنتين من شلتهن بحزام العفة Ceintures de Chastisté ، لكن سلوكهن اللاحق بين العكس بوضوح · ذلك أنهن انغمسن فى « لعبة » أثرت فيها اثنتان من البنات فى مشاعر الصبية · ولقد كنت قادرا على الاقتراب بدرجة تكفى أن أرى أن الجزء الأمامى لكل حزام من الأحزمة التى كن يتمنطقن بها كان مزودا بقضيب Phallus من الصفيح فى الظاهر ، وربما من الكرتون بطول حوالى ٦ أو ٨

بوصات . جذبت صرخة الم من الثالثة تم كتمها جزئيا ، رجلا حقيقيا الى (مسرح اللعبة البذيئة) ، والذى تحدث بكلمات جارحة Winged Words للبنات مصحوبة بضربات من خرزانة aluba « خرزانة قيمتها خمسة مليمات تباع في كل المولد » ، يدفع الأولاد تجاه البيوت .

على ما يبدو فلم يكن لهذه أى علاقة بهذا المولد ، ومع ذلــك فان مشهدا غير معتاد فى هذا المكان وفى مثل هذا الوقت قد يذكر باحتمال أن يكون (هذا) تقليدا لبعض ممارســات (عبادة) القضيب القديمة ancient Phallic observance.

« الحلى » مولد محظوظ لكونه واحدا من الموالد القليلة التى تتعاظم in Crescendo . كان فى عام ١٣٥٢ كبيرا وشعبيا فى الواقع ، لكنه فى عام ١٣٥٧ ــ وهو عام تعرضت به الكثير من الاحتفالات الكبرى للمنع أو الانقاص الى أدنى حد ــ انتعش وازدهر الى أقصى حد . فلقد لاحظت مسرحى خيام كبيرين (هنــاك) « قرهجوز » ، خيمة لعرض القزم « زبيدة » ، « رنجا » سودانية ، مباريات لعب العصى ، العمة ســالى aunt sallies (١١٤) ، وأكشاكا لا عدد لها وعروضا جانبية ، وعلى جانب المسجد مجموعات كثيرة أخرى ، البعض منها هادىء ورزين عن تلك التى فى الجانب الترويحى ، والبعض أقل (هدوءا) .

سيدى حنيدق « انظر خريطة الدلتا على الغلاف » H 7 :

قرب نهاية الحرب العظمى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) كنت أعسكر مع سلاح الطيران الملكى (البريطانى) لفترة قصيرة قرب بحيرة التمساح (الاسماعيلية) ، وسمعت عن مولد بدوى غريب تجرى به سباقات خيل رائعة ، فى الصحراء القريبة . لم نشاهد شيئا من هذا المولد ويحتمل فى الواقع أن يكون قد أجل بسبب الحرب ، كما كان هناك الكثير ليشغلنا كالطيران الممتع ، والتحلق ، ورياضة جديدة بالنسبة لى ، (هى) اصابة البط بالنيران من الطائرات فوق وحول بحيرة التمساح ، والتى كان يدهشنى فيها أن قليلا منه (أى البط) كان يفقد ، نظرا لأن الصبية العرب كانوا يستنقذونها من الرمل أو الماء نظير قرش عن البطة . وقد استعلمت عن (المولد) كثيرا منذ ذلك الوقت ، لكننى لم أتمكن من الحصول

---

(١١٤) aunt sally ــ العمة سالى ــ لعبة عبارة عن قذف عصى او كرات على انبوبة من الطين أو الصلصـال مثبتة فى فم تمثال خشبى لرأس امرأة ، أو شكل الرأس نفسه — Webster's Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 124.

على معلومات مؤكدة فيما يخص المكان أو الموعد ، كما لم أجد انجليزيا أو أوروبيا يعرف أى شيء عنه ، ولا حتى مصريا • ثم فى عام ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » حصل « مراسلتى » على معلومات محددة من أقارب زوجته البدوية الصغيرة ، الذين كانوا قد استقروا عند « بركة الجاموس » ، القريبة من موقع المولد • وعلى ذلك فقد أخذته وزوجته وشابا معى الى الإسماعيلية ، حيث استقبلنا جميع رجال قبيلتها ، وانصرف موسى (مراسلتى) معهم لترتيب ما يلزم من جواد ، خيمة ، وما الى ذلك ، بينما اتخذت لى غرفة « بلوكاندة الشرق » كمسكن مؤقت pied-a-terre ، (وكانت) ملاصقة للبحيرة •

كان هذا فى التاسع من جمادى الأولى ، ١٣٥٧ « ١٩٣٨/٧/٧ » ، وكان من المقرر أن يكون هناك يومان كبيران ، السبت والأحد ، الحادى عشر والثانى عشر من جمادى الأولى ، على أن يكون التاريخ الثانى « للختمة » وألعاب الخيل وسباقها • وبالاستعلام عند حاجز الأمواج Jetty عما اذا كان ممكنا الابحار الى المولد ، أبلغت أن لنشات بخارية أعدت خصيصا لهذا الغرض ، وان السفن البخارية الكبيرة ستعمل فى الليالى الختامية •

أخذت « اللنش » الأول الذى تحرك ، واستمتعت بساعة إبحار جميلة ، فى ضوء النجوم وقمر فى منتصف اكتماله عبر البحيرة ثم على طول القنال ، حتى ظهرت أضواء ما ربما كان بلدة فى أحضان تل صحراوى يتوجه ضريح « سيدى حنيدق » • ومن هذا الارتفاع رأيت أننا على شريط دقيق من البر ، تغسل شواطئه بحيرة أخرى ، بينما يتكسر تألق القمر فى أماكن بغابات النخيل • وباستثناء الأرجوحات ومنصات رماية قليلة ، وما الى ذلك ، والمسجد بالطبع ، فان « المولد » كان أبعد عن أن يكون نموذجيا : شوارع وشوارع من الأكواخ المصنوعة من القضبان المضفرة بالأغصان Wattled huts وأكشاك ، جعلت المولد أقرب ما يكون الى سوق ، واللعب ، والأشياء القليلة القيمة trinkets ، والملابس وكل ضرب من الأشياء كانت تنتقل ملكيته الى الآخرين Changing hands • كانت أغلب التجارة فى الشمام ، الذى كانت الجمال تأتى به محملة دوما :

شمام « حنيدق » المشهور ، الكبير كرأس جوليات Goliath (١١٥) ، وثمنه نصف قرش ٠

عندما نزلت الى البر لاحظت بصعوبة أننى قد عبرت على سقالة طويلة وعرضـــها أقل من قدم ، لكننى لدى عودتى الى « اللنش » كنت متنبها تماما لها وكرهت تكرار المحاولة : فقد كانت غير مستوية تماما وكانت تتأرجح ، وعندما حملقت فى مياه قنال السويس العميقة الداكنة ، بدت لى كالماضى الدوام Swirling past ، وكان ناتئا ما بدا كمخالب مرساة anchor قديمة فوق سطح الماء ٠ بدا أن حادث قتل يجرى فى اللنش ، ذلك أن رجلا ضئيلا كان يهاجم زميلا ضخما بمفتاح كالذى يديرون السيارات به ، وكان قد مزق ملابسه وألقاه أرضا ٠ لكن العملاق نهض مرة أخرى متجهما وملطخا بالدم ، بينمـــا قفز الرجل الضئيل جانبا ٠ لم يوفر هذا ثباتا « للنش » أو « السقالة » ، ولا احتمالات رحلة سعيدة ، حيث المفترض أن هؤلاء السادة المشاكسين هم ملاحونا المقتدرون ٠

وبينما كنت أتردد فى السير مكرها walk the plank والنزول الى هـــذا القـــارب dans cette galère اذ بى ألاحظ أن « اللنش » كان يتحرك طوعا motu proprio اذا جاز التعبير ٠ ومع الخشــــية من أن هذه قد تكون الليلة الأخيرة (للمولد) ، فقد وثبت وقفزت ، راسيا على الطابق الأعلى من ذلك العملاق الضخم Coolossus ، ثم انزلقت على جسمه العارى الملطخ بالدم الى مقعد (١١٦) ٠ أخذ بعضهم القيادة الفعلية للنش ، وسار كل شىء على ما يرام ٠ وقبل وصولنا الى البحيرة المفتوحة ، التقينا بباخرتى خطوط ، حولت أنوارهما الكاشفة رمال وصخور ضفتى القنال الى ثلج وجبال جليد ، مضيئة ، براقة ، وشفافة ٠ منظر عجيب وجميــــل ٠

عندما ذهبت الى المولد مرة أخرى بعد يومين ، سعدت تماما عندما وجدت أن ممرا وترتيبات « رسو » رائعة قد أعدت ٠ (كان) العديد من الناس قد انزلقوا ، وكانت هناك بعض (حالات) الغرق ، لكننى لا أعرف

---

(١١٥) جوليات Goliath ـ فى الكتاب المقدس ، العملاق الفلسطينى الذى قتله داود David (الملك داود فيما بعد) بضربة حجر واحدة من مقلاعه ٠

— Webster's Unabdidged Dictionary, p., 784.

(١١٦) ترجمت هذا النص على اعتبار ان Colossus هنا هو ذلك الشخص الضخم الذى اشار اليه المؤلف فى سياق حديثه عن المعركة التى دارت فى اللنش ، وانه (المؤلف) سقط فوقه ثم انزلق على جسمه الى مقعد فى اللنش ـ والسياق يفيد ذلك المعنى ٠

ما اذا كانت « السقالة » هي المسئولة عن ذلك · كان هناك حشد كبير يوم السبت ، لكن الكثيرين كانوا يشــكون أن المولد كان مفسد البهجة Wet-blenketed في السنتين الماضيتين وأنه قد فقد الكثير من بهائه éclat ، وذلك بالرغم من حقيقة أن مصاعب الاقتراب ركوبا أو سيرا فقط قد أزيلت الآن ، ليس فقط بواسطة « اللنشات » ولكن بواسطة طريق سيارات من الاسماعيلية · كان هناك طابور من الخيام عند المولد لوقوف السيارات الخاصة ، لكن ما بدا أنه تعليمات قاسية جاء في الليلة الكبيرة (عندما تقرر) أن يقتصر استعمال الطريق بعد السادسة على السيارات الخاصة دون التاكسي · وأعتقد أنه لابد أنه كان (هناك) سبب لذلك ، لكنه كان صــعبا أن يختار أهل الصــحراء ، المريدون القدامى للضريح ، وأهل الاسماعيلية الكثيرون والقرى الذى استطاعوا أن يجمعوا المال (لاستئجار) تاكسى لهذه المناسبة ، والذين لم يستطيعوا شراء سيارة ، (كان صعبا على هؤلاء) أن يختاروا بين القدوم والذهاب في لهيب الشمس ، والانصراف قبل (مشاهدة) الجزء الأفضل (من المولد) ، (وبين) قضاء الليلة على الرمال والتمتع بمشاهدة أى متسكع flaneur هاو للفن dilettante أو باحث عن المتعة في مساء السبت ، بسيارة يستمتع بحرية الطريق وخيام الوقوف Parking tents . (بينما يحرمون وهم أصحاب الحق) ·

كان مراسلتى قد جاء متأخرا بعد الظهر ومعه زوجته وشــلة من صديقاتها في « تاكسى » من بركة الجاموس ، ووجدوا أنفسهم معزولين marooned اذا جاز التعبير · كان عليهم أن يناموا تحت النجوم الزاهرة Sous labelle etoile وأن يشــكروا الله على الرمل اللين والهــواء الحار ، لكن « موسى » هذا ، الذى كان قد سمع عن « اللنشات » منى ، كان معه نقود كافية « ونوس » naus (١١٧) ليضع تسعة من « الحريم » بما في ذلك زوجته ، وثلاثة أطفال أيضا في « لنش » ، وأن يحشر الكل في « تاكسى » واحد في الاسماعيلية ليذهبوا الى « بركة أبو جاموس » · مئات من (الزوار) الآخرين من الجنســين قضــوا ليلتهم على الرمال أو مشوا على أقدامهم طريقهم المرهق ، اذ لم تكن هناك لائحة تمنع السير على الأقدام · ولقد لام الذين عانوا من هذا المسلك الاستبدادى ، شركة قناة السويس بدلا من لوم سلطات البوليس ·

(١١٧) لم أستطع تبين معنى كلمة naus التى ذكرها المؤلف رغم أنها جاءت على شكل حروف مائلة Italics تمييزا لها عن حروف الكتاب المعتادة ·

كان الشكل الرئيسى Clou للمولد هو سباق الخيل والعاب الفروسية بعد ظهر يوم الأحد ، وهو شكل كان وحده يستحق القدوم من القاهرة لمشاهدته ، ولم يكن هناك أبدع من منظر تعارك دستة من الراكبين بسبب خطأ أحد المتفرجين ، وقتالهم من فوق ظهور جيادهم بالسياط ، العصى أو شيء فى متناول أيديهم ـ حتى لوعدنا الى زمن العصور الوسطى • يا لهذا المحيط من الصحراء ، البحيرة ، ومدينة الأكشاك من الأغصان المجدولة ، وشمس لا يحجبها سحاب ! •

لقد تعمقت الى حد بعيد فى هذه التجربة الصغيرة ، ذلك أننى أعتقد ـ أنه حتى بصرف النظر عن المولد ـ فان الاسماعيلية وبحيرتها ومجاوراتها لم تقدر التقدير الذى تستحقه • هناك صيد السمك الجميل ، والابحار ، الاقامة الطيبة ، الحدائق الجميلة ، المشى المحبب ، الذى يتم بعضه بين الخضرة الغنية •-لقد بين بناة المدينة الصغيرة الجذابة ـ شأنهم فى ذلك شأن بناة حى مصر الجديدة (هليوبوليس) ـ أن المبانى الجديدة لا تستلزم بالضرورة أن تكون بشعة • فجوها طيب والوصول اليها يسير •

« وصلت الى بورسعيد فى الوقت المناسب لحضور عيد ١٤ يوليو الفرنسى (١١٨) ، بالعابه النارية عند حاجز الأمواج ، ثم طرت الى هنا ، حيفا Haifa (١١٩) ، (حيث) اليوم التالى هو عيد سيدة جبل الكرمل Our lady of Mr Carmel فى السادس عشر من يوليو • وقد وصلت فى الموعد المناسب ، وكذلك فان عيد مار الياس Mar Elias يوافق العشرين ، وأذهب غدا الى اسكندرون Iskanderun ، والى

---

(١١٨) عيد ١٤ يوليو (Journee du 14, Juillet)هو عيد تحطيم الباستيل Bastile وثورة اهل باريس أثناء الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ، ويحتفل به الفرنسيون كعيدهم القومى National French Holiday بعمل الألعاب النارية Fireworks وما الى ذلك •
— Larousse Universal Vol. I, p. 70.

(١١٩) هذه نسخة خطاب كتبته الى الأهل فى الوطن ، وعندما كتبته لم تكن لدى أى فكرة عن نشره ـ حاشية للمؤلف •

وهذه الفقرة الموضوعة بين قوسين منبتة الصلة عن الدراسة التى قام بها المؤلف (موالد مصر) ، ولم افهم لماذا ضمنها عمله هذا •

لأتساءل ما اذا كان « مولد » (ما) سيقام فى « السنجق » (١٢٠) ، رغم أننى آسف لترك هذا المكان المبهج المضياف ، ستيللا ماريا Stella Maria على الجبل المقدس » ٠

أما فيما يتعلق « بالشيخ حنيدق » ، فان معلوماتى المحلية الخالصة غامضة ولا يعتمد عليها ، لكنه يبدو معتبرا بصورة مؤكدة « راعى » طرق القنال المائية ، يدعم هذا لوحة على بابه ٠ وقد أبلغنى الأهالى عند ضريحه أن « شركة قنال السويس » تعين هذا الضريح ماليـا ٠ ويفترض فى « الشيخ حنيدق » أنه عربى عامة ، رغم أن هناك رأيا لدى القليلين أنه « رجل فرنسى » ٠ ولم لا ؟

---

(١٢٠) اسكندرون Iskanderoun ، منطقة كانت محل بحث بين تركيا فى أعقاب انتفاضة « مصطفى كمال » ضد نتائج الحرب العظمى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) «وسوريا» الواقعة تحت « الانتداب الفرنسى » ٠ كان من آثار نجاحات مصطفى كمال الحربية ضد اليونان فى ١٩٢١ موافقة فرنسا على الانسحاب من قيليقية Cilicia وتحريك الحدود بين تركيا وسوريا الى مواقعها الحالية ماعدا « سنجق الاسكندرون » الذى تقرر تحديد مستقبله فيما بعد ٠ كانت اتفاقية فرنسية ــ تركية (فرانكلين ــ بويلون Franklin-Bouillon ١٩٢١) قد أسست نظاما مستقلا فى السنجق تحت الحكم الفرنسى ٠ فى ١٩٣٦ وعدت فرنسا باستقلال سوريا الكامل بما فى ذلك سنجق الاسكندرون ٠ كان رد فعل « مصطفى كمال » هو المطالبة باعطاء الاقليم استقلاله الكامل (٩ أكتوبر ١٩٣٦) ثم شكل « جمعية هاتاى المستقل » Hatay Erginlik Cemiyeti ٠ وكان « هاتاى » هو الاسم التركى للاقليم الذى يتكون نصــفه من العرب السوريين والنصف الآخر من الأتراك ٠ حرك « مصطفى كمال » قضية الاقليم فى عصبة الأمم ، وانتهى هذا الى اتفاقية من أجل ترتيبات خاصة تعطى « اسكندرون » الاستقلال وتنزع سلاحها وتضمن حقوق سكانها الأتراك ٠ لكن تطبيق الوضع الجديد فى نوفمبر ١٩٣٧ واجراء الانتخابات ، استتبع استجابة فرنسا للضغط السورى ومنح الأتراك تمثيلا للاقليات فى الحكومة المحلية والبرلمان ٠ أغضب هذا تركيا وانهت معاهدة الصداقة مع سوريا (١٩٢٦) واحتجت لدى عصبة الأمم (ديسمبر ١٩٣٧) ٠ فى النهاية تم التوصل الى اتفاقية فرنسية ــ تركية (٣ يوليو ١٩٣٨) أصبحت بمقتضاها « هاتاى » محمية فرنسية ــ تركية ٠ وفى انتخابات ٢١ يوليو ١٩٣٧ جاءت النتيجة باغلبية تركية ٢٢ الى ١٨ فى المجلس الوطنى ٠ بدأت الدولة الجديدة « هاتاى » تستخدم الأعلام التركية وطلبت الوحدة مع أنقرة ٠ وافقت فرنسا على الضم فى مقابل حلف عدم أعتداء (٢٣ يوليو ١٩٣٩) ، ثم اذعنت انجلترا وفرنسا لاقامة حكم تركى فى الاقليم فى مقابل دعم تركيا لهما فى النزاع الذى كان قد بدأ يظهر بينهما (انجلترا وفرنسا) وبين المانيا النازية ٠ وهكذا ضمت تركيا اقليما كان يمكن ان يكون عربيـا لولا التواطؤ الأوربى معها ضد سوريا ٠

— Stanford J. Shaw « History of the Ottoman Empire and Modern Turkey », Vol., II, Cambridge University Press, 1977, pp. 361, 366, 368, 377, 396-97, 430,

الحسين بن علي بن أبي طالب (انظر الخريطة القطاعية H 8 (XII :

يقام هذا المولد دائما يوم الثلاثاء في النصف الآخر من ربيع الآخر ، بعد فعالية run لمدة خمسة عشر يوما . كان هذا هو الحال على مدى مائة عام مضت على أى حال ، حيث سجل « لين » Lane زيارة له يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الآخر ، ١٢٥٠ ، (١٨٣٤) . كذلك كان الأمر خلال القرن الحالى فى المناسبات الكثيرة التى حضرته فيها . وفى عام ١٣٥٧ كان المولد فى العشرين من الشهر العربى ، لكنه كان فى الثلاثاء الأخير فى كل السنوات السابقة التى لاحظتها . وكذلك كان الحال فى ١٣٥٩ (١٩٤٠) .

وموقع المسجد الكبير خلف « خان الخليلى » معروف جيدا لدرجة لا تحتاج شرحا . ويسهل الوصول اليه من « العتبة » بواسطة الأتوبيس رقم ١٨ الذى يمر عبر المولد ، أو بالترام رقم ١٩ الى الأزهر ، الذى يقع على حافته . « الأتوبيس رقم ٣ من السيدة زينب وأتوبيسات ١١ و ١٢ من المحطة والعباسية هى التى توصل فقط » .

من بين الصور التى أكدها « لين » والتى عززت بهاء المولد ، والتى لا تزال تلاحظ حتى بداية هذا القرن صورتان : الاضاءة الرائعة « للبازارات » المجاورة بالثريات ، وغناء المشايخ فى الحوانيت والبيوت وفى هذه « البازارات » ، فى « النحاسين » (١٢١) وأماكن أخرى . (وفيما يتعلق) بالراقصات اللاتى يسميهن « لين » « الغوازى » ، واللاتى جئن كما يقول من قبيلة متميزة ، فقد بدون أكثر حضورا ، وكان لخلفائهن الحديثات (سواء أكن غوازى قبليات أم لا فلست أعرف) عودة شهابية meteoric فى السنوات الحالية ، ووصلت قمة تألقهن فى ١٣٥٣ (١٩٣٤) ، عندما لم يعدن يؤدين رقصاتهن ولا يدنون من القادمين والزوار فى أرباض المسجد ، لكنهن (مارسن أعمالهن) فى (أماكن رقصة) « الرنجا » وأكشاك الرقص الأخرى ، فى صف من الخيام يبلغ طوله ميلا يبدأ عند نهاية شارع « الجديدة » (١٢٢) ويطوق « الجبل »

---

(١٢١) النحاسين = أحد شوارع شياخة « درب قرمز » التابعة لقسم الجمالية القاهرة .

ـ تعداد سكان القطر المصرى سنة ١٨٩٧ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(١٢٢) المقصود « بشارع الجديدة » ، شارع السكة الجديدة الذى يمتد فى شياخات الشنوانى وبين الصورين والربايين من شياخات قسم الجمالية بالقاهرة .

المرجع السابق ص ٣٥ ـ ٣٧ .

تجاه « العباسية » . وقد ضمت خيام أخرى من هذا الصف فرقا مسرحية وكل أشكال العروض . وكان الصف يقطع بمساحات مكشوفة للعب العصى ، والعاب الفروسية ، وحلقات الذكر ، مع أن هذه الأخيرة كانت أكثر وضوحا قرب وفي المسجد بالطبع . كان هناك فيما قبل (عام) ١٣٥٣ قليل من العروض الصغيرة عند أكوام القمامة عند نهاية « شارع الجديدة » (السكة الجديدة) ، تتمة « الموسكى » ، الى جانب سلك طويل « تلغراف » امتد عبر المساحة ، مزود ببكر Pulley Wheels وأنشوطات nooses كان الصبية يتأرجحون بواسطته وينتقلون الى النهاية الأخرى من السلك .

اختفى هذا النوع من المعرض في الجبل في عام ١٣٥٥ ، وهوى نجم الفوازى سريعا كما ارتفع ، وكل ما شاهدته من الجانب التحولى حينئذ في عام ١٣٥٧ هـ « ١٩٣٨ م » قليل من العروض وعربات القمار في قطعة أرض خربة في « الدراسة » (خلف المسجد الى اليمين) . وفي ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » لم يبق حتي الليلة الختامية سوى « سيرك » كبير وجيد .

(لكن) المشتغلين بالختان peritomists (كانوا) مزدهرين كما في أيام « لين » ، وقد أبلغني « دكتور عنايت » كبير المشتغلين بالختان bash-prépucier أنه قام بختان أكثر من ألف طفل في بعض الأيام قبل نهاية المولد . « وللدكتور عنايت » مقر بديع بأبراج وقوارب قرب المسجد تماما على الطريق الرئيسى .

وبالاحـــالة الى « لين » مرة أخرى ، فانه يجب قراءة روايته في « المصريون المحدثون » Modern Egyptians فهى مليئة بالتفاصيل الحية ، من الجمهور المحتشد حول الضريح وتعبيرات « الذاكرين » الى سلوك « الجنكيات » ؛ كان هؤلاء صـــبية يونانيين مغنين مخنثين في أساليبهم ، شعور طويلة منسدلة وسلوك وقح ؛ وعلى عكس هؤلاء كان الدراويش المغاربة من (طائفة) « العيسوية » أتباع « سيدى محمد بن عيسى » الذين لا يمكن تصديق أعمالهم العجيبة في « أكل النار » عندما يبلغون قمة نشاطهم الروحى ، وهم على نفس المستوى الى يومنا هذا ، رغم أنهم لا يمارسون نشاطهم أمام العامة .

ويقول « موراى » Murray الذى كتب منـــذ نصـــف قـــرن ان « الخديو » كان يذهب (الى المولد) علنـــا instate ، ويصف مروره على القدمين عبر « خان الخليلى » فوق الســجاجيد الفارسيـــة الثمينة المبسوطة لهذه المناسبة .

تشجعنى رواية « لين » الطويلة عن تجاربه الشخصية عند « رأس الحسين » على ذكر (قصة) حبسى القصيرة فى المسجد عندما تجرأت على الدخول أول مرة تحت حماية « صـدقى » « فليرقد فى سـلام » R.I.P. (١٢٣) شقيق حامد بك محمود وزير الصحة ، والطبيب المعروف الآن ـ والذى كان طالبا وقتئذ ـ ابراهيم زكى كاشف ٠

بحماقة الشباب اختار (هؤلاء) وقت « صلاة الجمعة » ، ورغم أن المصلين لم يبدوا علامة للاستنكار أثناء صلاتهم عندما حاولنا الخروج (من المسجد) ، فان كل مخرج كان مغلقا ، بينما تركت أنا وسط حلقة من المشايخ الصامتين ، قرب الضريح الذى يضم « الرأس » المقدسة ، والتى أصبح لدى وقت كثير لملاحظتها ، نظرا لأن الشابين (صـدقى وابراهيم) كانا موضـع كشف على سواعدهما للبحث عن الصليب القبطى (الذى يوضع كوشم على رسغ الأقباط أحيانا) كما أبلغت فيما بعد ، وبعد احتجاز « صدقى » كرهينة ، اقتيد « زكى » تحت الحراسة الى منزله فى « قصر العينى » ٠ كان والده الورع فى البيت لحسن الحظ ، والذى أكد للمشايخ حسن نياتنا ، وأن « الرجل الانجليزى » (المؤلف) كان يأتى بانتظام الى منزله ليسـمع « الفقهاء » يقرءون القرآن « وهو ما كان صحيحا » ، وأنه يضمننا بكل تأكيد ٠

« هناك ينتهى درسى الأول فى التطفل على بوابة المسجد ، ويظهر الدرس الثانى فى رواية مولد السيدة زينب » ٠

يعتقد بطبيعة الحال أن كل ما يحيط برأس « الحسين » محفوظ كمقدسات فى هذا المسجد ، أكثر الآثار الاسلامية قداسة فى القاهرة ٠ وقد تعرضت صحة (موضوع الرأس للجدل) عبر القرون ، لكنها لقيت سندا فى « الرؤية » التى رآها الرجل الورع « محمد البهى » الذى أكد له النبى (ﷺ) بنفسه أن رأس حفيده موجودة هناك (فى المسجد) بالفعل ٠ ويؤكد « عبد الجواد الشعرانى » (١٢٤) (هذا الأمر) ايجابا لا لبس فيه عندما يقول من بين أشياء أخرى inter alia :

---

(١٢٣) R.I.P. مختصر لمصطلح لاتينى نصه requiescat in pace معناه « فليرقد فى سلام » . May he (she) rest in peace .
— Dictionary of Foreign Words and phrases. op. cit., p. 186.

(١٢٤) المقصود عبد الوهاب الشعرانى وليس عبد الجواد ٠ مادام الحديث عن كتـاب « الطبقات الكبرى » ٠

« الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما » ··· ولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة ··· وحج رضى الله عنه خمسا وعشرين حجة ماشيا ··· وقتل رضى الله عنه شهيدا يوم الجمعة يوم عاشوراء فى المحرم سنة احدى وستين وهو ابن ست وخمسين سنة ···

وأنشدت أخته زينب المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة برفع صوت ورأسها خارج من الخباء :

« ماذا تقولون ان قال النبى لكم   ماذا فعلتم وأنتم آخـر الأمم »

وحملت رأسه الى مصر ودفنت بالمشهد المشهور بها ومشى الناس أمامها حفاة من مدينة غزة الى مصر تعظيما لها رضى الله عنه (١٢٥)· والمؤرخ الحولى مضلل فى الفقرة الأخيرة المستشهد بها ، والتى تبدو أنها تتضمن فى الغـالب أن الرأس الشريفة قد أخذت الى « القـاهرة » بعد موت « الحسين » بفترة قصيرة · وهذا فى الواقع بعيد عن أن يكون حقيقة الأمر · لقد عاش ومات فى القرن الأول للهجرة ، ولم يعثر على الرأس حتى كان « أمير الجيوش » الفاطمى يحارب فى سوريا فى نهاية القرن القرن الخامس « الحادى عشر بالحساب المسيحى » ، عندما وجدها فى عسقلان Ascalon ، وتم حفظها بما يليق بها كأثر مقدس · وبسبب الصليبيين ، فان المخاوف ظهرت خشية أن تنتهك قدسية الرأس من جانب المسيحيين ، وهذا ما يفسر حفظها لفترة ما فى « دمشق » كما يدعى الدمشقيون ، ثم نقلها فى النهاية الى مصر فى عام ٥٤٩ هـ « ١١٥٤ م » ، وفى عهد الخليفة الفاطمى « الفائز » (١٢٦) · وهناك ، وبعد رقودها لفترة ما فى مسجد « صالح بن رزيق » ، وضعت بتعظيم لائق فى ضريح فى القصر الملكى ، « قصر الزمرد » ، الموقع الذى أصبح فيما بعد المسجد الحالى للحسين ، حيث لا تزال محفوظة كذخيرة مقدسة خلف احدى القبلات quiblas ، « ذلك أنه توجد قبلة للحسن شقيق الحسين » ·

---

(١٢٥) قدم المؤلف هذا النص الذى بين الاقواس باللغة العربية بعد أن قدم ترجمة لبعضه بالانجليزية — على أن النص العربى لم يكن دقيقا عندما أسقط منه تاريخ وفاة الحسين وهو العاشر من محرم كما هو وارد فى الترجمة الانجليزية ·

(١٢٦) الخليفة الفاطمى الثالث عشر (٥٤٩ — ٥٥ هـ) — (١١٥٤ — ٦٠ م)

— Jere L. Bacharach « A Near East Studies Handbook, 570-1974 » Op. Cit., p. 37.

والاشارة فيما سبق الى « عاشوراء » تدعو الى صواب الاضافة ، بأن هناك احتفالا كبيرا ثانيا يتمركز حول (مكان) « رأس الحسين » ، (كان يقام) حتى حوالى وقت الحرب العظمى ١٩١٤ ـ ١٨ فى العاشر من المحرم • فبعد الحداد عند الضريح ، كان يسير موكب مكون أساسا من الدراويش الشـــيعة الى « التكية الفارسية » ، يضرب (المنتظمون فيه) أنفســهم بالسيوف ويصرخون ، « يا حسن » ! « يا حسين » • وعندما شاهدت هذه الترنيمة threnody كان يقود هذا الموكب صبى يرتدى البياض ويركب فرسا صغيرا أبيض اللون • كان متحمسا بصــورة مشفقة مع صــوته وسيفه • كان كل من الجواد وراكبه قرمزيين كما كانت كذلك الشوارع قبل الوصول الى « التكية » • فاذا وضع فى الاعتبار كيف كانت العداوة بين « السنة » و « الشيعة » ، فى أجزاء كثيرة من (عالم) الاسلام ، وأن الأغلبية العظمى من القاهريين « سنيون » ، فان تقديرا كبير ـ واحد من كثير ـ يستحق للتسامح المصرى ، فى اتحاد السنة والشيعة فى رابطة واحدة فى المسجد ، وأن لا شىء يرى فى الموكب سوى التعاطف والمشاركة الوجــدانية •

لا تزال « عاشوراء » محل احتفال فى الكثير من الأقطار المحمدية ، وربما كانت أعظم احتفال فى « فارس » • لنأمل أن يحيى الاتحاد الحالى • للبيتين الملكيين المصرى والايرانى هذا الطقس المهيب والقديم (١٢٧) •

ياحسن ! ياحسين •

الشيخ ابراهيم « انظر خريطة الدلتا » I 1 :

يقام هذا المولد ، مثل مولد الطشطوشى ، فى ليلة المعراج ، ٢٦ رجب ، أو كان الأمر هكذا على الأقل فى ثلاث مناسبات من أربعة حضرت فيها هذا المولد • أما فى المرة الرابعة فقد كان فى يوم السبت السابع والعشرين من رجب ، ١٣٥٦ « ١٩٣٧/١٠/١ » ، عشية الثامن والعشرين، بدلا من السابع والعشرين • كذلك فان (مولد) الطشطوشى أقيم متأخرا يوما وفقا للتقويم الرسمى ، وأيضا احتفالات « الاسراء والمعراج » عند « السلطان الرفاعى » ، واحتفال صغير (بمسجد) « أبى العلاء » تكريما

---

(١٢٧) يقصد المؤلف هنا ذلك الزواج الذى كان قد تم بين الأميرة السابقة « فوزية » شقيقة الملك السابق « فاروق » والامير (الامبراطور فيما بعد) « محمد رضا بهلوى » ولى عهد ايران فى ١٥ مارس ١٩٣٩ •

ـ المصور ٢٤ اكتوبر ، ١٩٤٤ •

لهذه المعجزة • ويفترض أن « القمر » كان هو المسؤول بطريقة ما عن هذا التغيير •

يقام (مولد ابراهيم هذا) فى « المطرية » ، لكنه لا يجب أن يتداخل مع موله (سيدى) « المطراوى » العظيم ، الذى يقام دائما فى منتصف شعبان • ويقع المسجد الصغير وضريح « الشيخ ابراهيم » خلف المسجد الكبير تماما ، وفى قلب القرية القديمة • وقريب منه توجد « شجرة مقدسة » يعلق عليها الناس ، وخاصة النساء كل أنواع التقدمات النذرية Votive offerings ذات الطبيعة الخاصة • وفى بواكير القرن تماما عندما كان لى « شـــاليه » Chalet وحـديقة فى « المطرية » ، كنت كثيرا ما أرى نساء كثيرات يزرن الشجرة ثم ضريح « الشيخ ابراهيم » ، لكننى لم أكن متأكدا من الصـــلة بين الاثنين ، اذا كان هنـــاك ثم ، ولا كنت قادرا فى الواقع على الحصول على أى شىء يعتمد عليه أو ثابت عن الشيخ •

ورغم أن (المولد) يقع فى مكان منعزل ، الى حد امكانية المرور ذهابا وجيئة بالطريق الرئيسى المتاخم دون كشف وجوده ، فانه (مع هذا) كثير الزوار ، وخاصة « البدو » ، وشوارع القرية شأنها شأن المسجد • وتزدحم المقاهى ، (ورقصات) الرنجا بكثافة ، مقدمة مشـــهدا زاهيا وجميـــلا •

واذا زار المرء هذا المولد بواسطة القطار ، فانه سيحتاج الى المسير طويلا من محطة المطرية حتى موقع المولد ، الى ما وراء الحديقة التى توجد بهـا شـجرة مقدسـة أخرى ــ تلك هى شـجرة العذراء المباركة مريم B.V.M (١٢٨) ــ وعين المياه وبئر مريم العذراء • لذلك فانه من الأسهل الوصول (الى المولد) عن طريق أتوبيس المطرية من القاهرة ، مع تركه فورا بعد المسجد الكبير والانحراف يمينا الى شارع مظلم ضيق « يبدأ أتوبيس المطرية الآن « ١٩٤٠ » ، رقم ١٦ من ميـــدان المحطـــة ، بالقـــاهرة » •

---

(١٢٨) B.V.M اختصار للجملة اللاتينية Beata Virgo Maria ، والتى تعنى بالانجليزية Blessed Virgin Mary .

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., p. 100.

لقد كانت لى تجربة غريبة هناك فى عام ١٣٥٤ « فى العشرين من أكتوبر ١٩٣٥ » ، عندما كان الشعور بالعداء تجاه ايطاليا قويا • وساد شعور قوى بالاستياء بسبب العدوان على أثيوبيا (١٢٩) • كنت قد زرت فى طريقى الى المولد بعض الأصدقاء الايطاليين فى المطرية ، واصطحبنى أحدهم حتى الحارة عند المسجد المشار اليه فيما سبق ، لكنه تركنى هناك مع التحيات ، التى رددتها له بالايطالية ، التى طرقت أسماع الكثيرين من الناس الطيبين المتشككين • وفي الحال لاحظت أنني مطارد باصرار من قبل مجموعة صغيرة ، بما فى ذلك خادم الأسرة الايطالية الأسود التى كنت أزورها • حيانى هذا النفر من المطاردين وتبادلوا الرأى حولى باهتمام واضـــح ، وحيـــانى توا واحد منهم كنت قد رأيته فى نادى سبورتنج Sporting club ، والذى بدا أنه قد تعرف على ، قائلا « مســاء الخير ياسيدى ! عفوا ، كم الساعة ؟ « Buona sera, signore ! Scusi tante, che ora è ?

ولقد وقعت فى الشرك عندما أجبت : « انها التاسعة الا عشر دقائق » « Nove meno dieci » ـ التفت (الرجل) الى رفاقه منتصرا ، وقال « ماذا تريدون من أدلة بعد هذا ؟ » ، أو ما معناه ذلك ، وفى الحال بدأ « كورس » chorus من الملاحظات غير الودية عن ايطاليا ، والايطاليين ،

(١٢٩) فى ١٨ سبتمبر ١٩٣١ زحفت القوات اليابانية على مقاطعة « منشوريا » الصينية • واقامت اليابان حكومة خاضعة لها فى تلك المقاطعــة بعد فتحها ثم اعلنت منشوريا دولة مستقلة باسم مملكة منشوكو • وقد شجع تخاذل عصبة الأمم أمام الغزو اليابانى وانتهاجها فى غير جدوى سياسة التهدئة ، شجع هذا وغيره ، بنيتو موسولينى Mussolini, Benito (١٨٨٣ ـ ١٩٤٥) دكتاتور ايطاليا على غزو الحبشة التى كانت ايطاليا قد اعتزمت الاستيلاء عليها فى عام ١٩٣٣ • فى عام ١٩٣٥ وعد موسولينى أبناء جلدته بأنه عندما يجىء ١٩٣٥ « ستصبح ايطاليا فى مركز يجعل صوتهـــا مسموعا وحقوقها معترفا بها » • وبدت الحبشة لموسولينى تعترض الطريق بين المستعمرتين الايطاليتين « ليبيا » و « الصومال » • فى عام ١٩٢٥ استطاع موسولينى أن يقنع بيير لافال Lavol, piere (١٨٨٣ ـ ١٩٤٥) رئيس الوزراء الفرنسى ورئيس حكومة فيشى فيما بعـد (١٩٤٢ ـ ١٩٤٤) والذى اعدم بتهمة الخيانة العظمى ، بالموافقة على الفتح • فى اكتوبر ١٩٣٥ غزت ايطاليا الحبشة وتمكنت من الاستيلاء عليها فى مارس ١٩٣٦ واضطر « هيلاسيلاسى » Haile Selassie (١٨٩٢ ـ ١٩٧٥) امبراطور اثيوبيــا (١٩٣٠ ـ ١٩٧٤) الى الفرار فى أوائل مايو • فى ٩ مايو أعلن موســولينى ضـم اثيوبيـا الى ايطاليـا ونادى بالملك فكتور عمانوئيل الثالث Victor Emmanuel ١٩٠٠ ـ ١٩٤٦ امبراطورا على اثيوبيا • فى ١٩٤١ عاد هيلاسلاسى الى اثيوبيا مع القوات البريطانيــة وتم طرد الايطاليين •

ـ هربرت فيشر « تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠ » ـ ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ـ الطبعة السادسة ـ دار المعــارف ـ القاهرة ١٩٧٢ ـ ص ٦٤٣ ـ ٦٤٧ •

وموسولينى . « الطليانيين أولاد الكلب ، يسقط موسولينى ابن الكلب ، حرامى » .

ولو أنهم لم يستطيعوا أن يجرحوا مشاعرى بالأشياء الأسوأ التى قد يقولونها عن زعيم العصـــابة master gangster (١٣٠) ، الا أننى شعرت بأننى فى خطر من أن أصبح كبش الفداء ، وحاولت التراجع بكرامة beat a diginified retreat لكن أجلافا Louts أكبر انضموا الى المقلقين الصـــغار المطاردين وأصـــبح لزاما على أن أدافع عن نفسى فى الحال بعصاتى . انكسرت العصا لكن بائعا مغامرا للهلوبات « alubas » (١٣١) ناولنى خيزرانة قوية اشتريتها واستعملتها . بصفة عامة اتخذ اهتمام الشيوخ والناس بالمعركة شكلا نظريا academic أكثر من الاهتمام العملى (١٣٢) ، لكنهم عندما تصرفوا فانهم ساعدونى أكثر من حديثى السن . وبقدوم مجموعة من عســـاكر البوليس ، فانهم ضربوا خصومى بقوة لدرجة أنهم ارتدوا بما فيه الكفاية لأن أمر سالما فى الظلام والحارة الخطرة ، الى الطريق الرئيسى . وهنـــاك انتظرت الأتوبيس فى أمان مفترض . وفجأة ظهرت العصابة مرة أخرى من حيث لا أعرف ، وكانوا فى هذه المرة (يهاجمون) بوحشية حقيقية . لكن شابا شجاعا عملاقا يرتدى « الكاكى » كان مارا انضم الى صفى ، واستطعت بصعوبة أن أشق طريقى الى المقهى ، حيث قام القهوجى Cafetier والطاقم والزبائن فى الحال برد المعتدين put the pack to route . (وأثناء) احتسائى القهوة وتدخين الســـجائر مع هؤلاء الناس الطيبين استطعت أن ألمح أشـــكالا مبهمة فى المسافة على الطريقين ، كذئاب تحوم حول المعسكر . وهكذا فانه عندمـــا كان يمر أتوبيس وقفزت اليه دون ايقافه ، كنت مستعدا لغـــارتهم هـــذه ، وقد فعلوا ، لكن الكمســـارى أثبت أنه أهل للتحدى rose to the occasion . وعندما تمنيت لزعيم العصـــابة ring leader ليلة سعيدة buona notte ، كان ملقى على ظهره فى الطريق .

---

(١٣٠) لم أستطع تبين من يعنيه المؤلف بزعيم العصابة master gangster اذ يحتمل أن يكون مقصده هو ملك بريطانيا التى كان موقفها من موسولينى متخاذلا وقت غزو أثيوبيا . وربما كان يقصد الزعيم النازى هتلر الذى كانت اتجاهاته نحو المطالبة برفع الاجحاف الذى تعرضت بلاده بعد معاهدة فرساى قد بدأت فى الظهور .

(١٣١) يقصد الخيزرانات التى تباع ، والتى يحرص على تسميتها ألوبه aluba بينما هى الواقع كانت تسمى « لهلوبة » .

(١٣٢) المعنى هنا أن الشيوخ والناس لم يشـــاركوا المطاردين فى الاعتداء على المؤلف ، بل وقفوا موقفا محايدا .

ذهبت (الى المولد) فى العام التالى شغوفا لمعرفة ما قد يحدث ، لكننى أخذت احتياطى (هذه المرة) باصطحاب صبى حديقتى ، المراسلة ، وواحد أو اثنين من أصدقائهما على مسافة آمنة ، لكن لا شىء ذا طبيعة معاكسة من أى نوع حدث · وعلى ذلك فقد ذهبت وحدى فى (عام) ١٣٥٦ ، « ١٩٣٧ » · وكم كانت دهشتى عندما وجدت أنه قد تم التعرف على ، لكننى أعتقد أنهم قد تحققوا هذه المرة أننى « انجليزى » وليس « طليانى » · ورغم بعض المصاعب القليلة فانه لم تكن هناك أى محاولة لاستخدام العنف · أرجو أن يكون هذا الايضـاح الشخصى ايضـاحا صحيحا ، وألا يكونوا قد أنقصوا الى أى درجة حزمهم الصحيح تجاه زعيم العصـابة arch brigand (١٣٣) ·

سيدى ابراهيم « انظر الخريطة القطاعية XIV» 12 :

هذا المولد لا يعدو أن يكون مجرد شبح لمولد ، لم أشـهده على الاطلاق ، والآن فاننى لن أراه أبداً · ربما كانت قصته المحزنة والتراجيدية تستحق التسجيل ·

كنت قد سـمعت أكثر من مرة عن ضريـح رجل ورع ، اسـمه « ابراهيم » فى منطقة « سوق السلاح » (١٣٤) ، ونظرا لما أكده لى صديق من الدراويش من أن مولده فى السابع والعشرين من شعبان ، فقد قبلت بسرور عرضه لارشادى فى عام ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » لكن بحثا طويلا مضنيا انتهى دون جدوى · ذكرت بحثى العقيم « لأميرالاى » سابق بالجيش المصرى من المقيمين ، وممن لديهم معلومات فريدة عن تعقيدات القاهرة الشعبية ، وخاصة فيما يتعلق « بسوق السلاح » · لقد عثرت مصادفة Lit on على الشخص المناسب تماما الذى يستطيع أن يمدنى بقصـة مباشرة ـ ليس عن المولد ـ ولكن عن الضريح الصغير ـ قال :

« ان بحثك عديم الجدوى ! ان هذا يبدو أنه القبة الصغيرة المقامة فى ملك لأسرة « يكن » ، عندما كان « سيدى ابراهيم » يكرم باستحقاق ، لكن الأرض بيعت ليهودى Hebrew على أمل أنه قد يتحقق من الطبيعة

---

(١٣٣) لعل المؤلف يقصد هنا ان عداء المصريين تجاه موسولينى » وبلاده كان فى محله ، وانه يرجو الا ينقصوا باية حال من الاحوال موقفهم الحازم والمبرر هـذا تجاه العدوان الايطالى على بلاد اخرى ـ واعتقد ان المقصود هنا بعبارة arch bridgand هو موسولينى ·

(١٣٤) سوق السلاح ـ أحد شوارع شياخة للحجر ـ بقسم الخليفة بالقاهرة · ـ تعداد سكان القطر المصرى سنة ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ ·

المقدسة للضريح على الأقل ويحترمه • لكن المشترى عندما وجد أن الضريح يقف عقبة فى طريق بعض التحديث الذى يعتزمه ، أقـدم على نسـفه بالديناميت • رأيت القبة الصغيرة الجميلة ملقاة كبيضة مكسورة ، قرب التابوت المحطم ، وعمامة الشيخ على الأرض » •

نقل كما هو sic transit .

فى الوقت الحالى « ١٩٤٠ » أورانى راويتى الأميرالاى بعطف ذلك الموقع • يقف عدد ضخم من البيوت « أكثر من ستين على ما أعتقد » الآن فى موقع قصر يكن الفسيح • وبصعوبة وبمساعدة بعض المقيمين وخفير محلى رصدنا مسرح هذا التخريب البشع ، والقى علينا الخفير « أو أيا ما كانت وظيفته » ارتجالا ما بدا لنا رواية جيدة التلقين ومتكررة كثيرا off-repeated فيما يشبه شرحا لتدمير القبة • قال : « لم يكن هناك شيخ حقيقى ، وانما نبى مزيف ، اعتقد فيه البسطاء خرافة ، وآمنوا أن النقود التى تدفن تحت القبة تزيد بواسطة السحر ، وهكذا فانهم أخفوا مدخراتهم فى المكان • والوسيلة الوحيدة لصالح الدين الحقيقى هو أن تضرب هدف مثل هذه الخرافة الجسيمة » •

لم يكن لهذه القصة أى نصيب من الصحة ، وقد تضايق الخفير عندما سألته : « كم من النقود كشف عنها عندما نسف القبر ؟ » •

لو كان هناك أى صدق فى هذه الرواية ، فانه يوحى بسبب سيىء وأكثر دناءة من مجرد التخريب المتعمد Vandalism • انه تنظيف الأرض من أجل اقامة المبانى •

سيدى اسماعيل امبابى « انظر خريطة الدلتا » I 3 :

كان الشيخ امبابى أحد حواريى apostles « السيد البدوى » ، أو تابعه العظيم « عبد العال » ، ولهذا فان مولده الذى يحتمل أن يكون قد أقيم فى أعقاب وفاته مباشرة ، واحد من أقدم الموالد فى مصر ، قبل أن يصبح اتخاذ موعد من التقويم الاسلامى متوافقا مع تاريخ ميلاد الولى الذى يحتفل به هو العادة المتبعة • ويتحدد مولد « اسماعيل الامبابى » ، مثل (موالد) طنطا ، دسوق ، ودمنهور ، والبيومى فى القاهرة « والأخير كمؤسس لفرع من الطريقة الأحمدية يدخل فى مدار السيد أحمد البدوى » وفق « الموسم » من السنة ، وليس وفق التقويم القمرى • ويقام (هذا المولد) أو يجب أن يقام دائما فى يوم خميس قبل منتصف الصيف بقليل

وقرب العاشر من بؤونة ، « السادس عشر من يونية » ، حالا محل احتفال « ايزيس » القديم الذى لا زالت بعض آثار له قائمة الى يومنا هذا · هذا الاحتفال هو « ليلة النقطة » ، عندما تحتشد الحشود مرة ، وتراقب أعداد ضخمة سقوط دمعة غالية لايزيس فى « النيل » قرب الموقع الذى يقام فيه المولد الآن · دمعة من الحزن من أجل زوجها المقطع الأوصال ، والتى يرفض النهر (من أجلها) أن يفيض حتى تمامه ·

تغلبت الأحوال الزراعية أحيانا ، وتفشى طاعون الماشية مرة والحرب الآن ، على مطالب « ليلة النقطة » التقليدية ، الى حد أن « الموعد » أصبح الآن شاذا أكثر فأكثر · ومن الأفضل اجراء التحريات المبكرة القريبة قدر الامكان فى الموقع ·

تقع قرية « امبابة » على خط (سكة حديد) الصعيد ، والمحطة قريبة من المسجد ولمركز الاحتفالات · لكن القطارات التى تقف بالمحطة قليلة ، ولا يوجد أى منها بعد الساعة التاسعة فى أى من الاتجاهين · وأكثر خطوط الترام توفرا هو الخط رقم ٢٣ الذى يصل الى القرية ، لكنه يترك مسافة للمشى تبلغ حوالى الميل الى المسجد · وخط الترام رقم ١٥ وأتوبيسات ٦ و ٧ التى تعبر كوبرى الزمالك قد تؤدى الغرض تقريبا · والموقع ، المقابل « للجزيرة » معروف جيدا للقاهريين ، وخاصة لمريدى « الهة القطط » Cat-goddess « بست » Bast التى أقيم لها ــ مكونا رأيى من اسمها « كيت كات » Kit-Cat ــ معبد حديث (١٣٥) · وعلى هؤلاء أن يدفعوا سياراتهم الى الأمام قليلا على طول طريق خشن مزدحم بكل أصناف الحيوانات والعربات للوصـــول الى (المولد) · وللزائر ، فان أجمل جزء من المولد هو الاحتفال الذى يقام على ضفتى النيل ، وفى النهر نفسه · وقد يحسنون (الزوار) صنعا اذا هم أخذوا « فلوكة » أو قاربا آخر وانضموا الى الحشد الضاحك المغنى فوق المياه · ويســـتطيع المرء أن يدرك أن أغلب هذه المظاهر ما هى الا اســتمرار

---

(١٣٥) ربما كان المؤلف يكتب ساخرا ، « فالكيت كات » الموجود بامبابة هو ملهى ليل اشتهر فى النصف الاول من القرن العشرين فى مصر ، وربما هذا هو ما يقصده من المعبد temple ، كذلك فان « عبادة القطط » قد يقصد بها اولئك الذين يهوون فتيات هذا الملهى اللائى ربما كن يؤدين رقصات معينة فى ملبس القطط ــ اذ لا اعرف معبدا لالهة القطط فى مصر الحديثة ــ كما ان مصطلح kit-cat استخدم فى لندن لتسمية ناد انتمى اليه اديسون Addison وستيل Steele كاتبا المقالات essaysitsوالشاعران فى القرن الثامن عشر ·

— Webster Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 1003.

لأكثر من عادة عمرها ألف سنة Millenial ، احتفالا « بايزيس » مستدعة الشراع وراعية القوارب والنوتية • ومن الجيد أن يتذكر المرء أن العربات ، التاكسيات ، وحتى الحمير ، يصعب الحصول عليها فى الليل المتأخر ، وعلى الزائر المرهق أن يسير الى الترام على الأقل ، أو أن يشارك فى عربة مكشوفة مع عشرين Score وأكثر من الرجال ، النساء والأطفال الصغار •

سيدى عتمان « انظر خريطة مصر العليا » I 4 :

رغم أنه مولد صغير ، الا أنه معروف بصورة أفضـل عند الزوار والمقيمين الأجانب أكثر من أى مولد آخر باستثناء الموالد الثلاثة الكبرى ، (مولد) النبى ، سيدنا الحسين ، والسيدة زينب • أما السبب فهـو لكونه يقـام فى سـفح الهرم قرب (فندق) « ميناهاوس » فى القرية المعروفة جيدا للذين يذهبون الى الأهرام « نزلة السمان » •

دائما كنت أفتقد هذا المولد لسبب ما ، لكن الشىء الأغرب هو أننى احتفظت لعدة سنوات بخيمتين ومنجا جواد horse-shelter فى الصحراء القريبة (من المولد) تماما • دعيت بتعطف من جانب أحـد الأعيـان المحليين « الشيخ عبد السلام » (لزيارة) المولد ولوليمة فى منزله يوم الثلاثاء العاشر من رجب ١٣٥٤ « ١٩٣٥/١٠/٨ » ، لكننى لم أستطع الذهـاب مع الأسف • وفى هذه المناسـبة فان البروفيسور سنكورت Sencourt من الجامعة وبعض الضيوف الآخرين وصفوا (المولد) بأنه جميل للغاية وممتع ، وخاصة عروض الفروسية بعد الظهر • وقد ذكر نفس الشىء عن الموالد السابقة واللاحقة •

شيخ خليل k 1 :

لم أسمع أبدا عن هذا المولد حتى يوم الثلاثاء التاسع من المحرم ١٣٥٨ « ١٩٣٩/٢/٢٨ » ، عشية « عاشوراء » المحرم ، ولما كنت مشغولا فقد أرسلت « مراسلة » • ذهب « المراسلة » بواسطة ترام « شبرا » رقم ٨ ، الى آخر الخط ، وسار فوق الكوبرى الصغير الى « قرية شبرا » ، ووجد أنها الليلة الختامية • أبلغنى أنه مولد صغير : فلم ير « ذكرا » أو احتفالات خارج المسجد : مجرد مسرح صغير وأكشاك قليلة فى شارع القرية المجاور •

الشيخ خصوصي « انظر الخريطة القطاعية VI « K 2 :

مولد غير هام وذو موعد غير محدد في الغالب ، أقيم يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان في عام ١٢٥٣ ، والأربعاء السادس والعشرين من ربيع الآخر في عام ١٣٥٥ « ١٩٣٦/٧/١٥ » ، ويتمركز حول مسجد غير جذاب على الاطلاق في منطقة قديمة جميلة الى حد ما ، « درب النصر » ببولاق (١٣٦) ٠

الشيخ خضيري « انظر الخريطة القطاعية VIII « K3 :

مولد صغير خاص يعقد عندما يعقد في شهر شعبان ، لكن هذا أصبح نادرا في السنوات الحالية ٠ ومع هذا فانه ليس مولدا مهجورا ، حيث دعيت له ، عندما أقيم في المرة التالية ، بمعرفة حضرة صاحب العزة محمد ضيف الخضيري ، « الملاك الحارس » genius Loci للمسجد الذى يحمل اسمه ، والذى يركب في الزفة « كخليفة » ٠ والمولد في شارع الخضيري ، امتداد شارع « مراسينا » ، وجزء من الشارع الذى يجاور « السيدة زينب » الى « القلعة » ، ويواجه المسجد ، جامع « ابن طولون » تقريبا ٠ يمر أتوبيس ٤ بالمسجد ، كما يعبر أتوبيس ١٨ الشارع القريب منه تماما ٠

سيدى الكردى « انظر الخريطة القطاعية I « k 4 :

في كل مناسبة من المناسبات الثلاث التى حضرت فيها هذا المولد ، كان موعده هو الأحد ، لكن يوم الشهر وحتى الشهر نفسه مبهمان للغاية ٠ في عام ١٣٥٢ كان الموعد هو الثامن شعبان ٠ في ١٣٥٣ كان الثالث من ذلك الشهر ، في ١٣٥٤ كان الثاني والعشرين من رجب «١٩٣٤/١٠/٢٠»٠ كنت عندئذ أبحث عن « مولد الواسطى » الصغير في نفس المنطقة ، عندما التقيت بهذا المولد « الكردى » مصادفة ٠ ومنذ ذلك الوقت ذهبت اليه في مواعيد احتمالية لكننى كنت كثيرا ما أصل متأخرا للغاية أو مبكرا للغاية ٠

كذلك فانه ليس من السهل أن تجده ، ما لم يكن المرء عارفا بمنطقة « سوق العصر » بغرب بولاق (١٣٧) ٠ ويقع المولد في حارة تسمى

(١٣٦) شارع درب نصر — أحد شوارع شياخة « درب نصر » بقسم بولاق ٠

— تعداد سكان القطر المصرى — لسنة ١٨٩٧ — مرجع سبق ذكره — ص ٢٤ ٠

(١٣٧) سوق العصر — احدى شياخات قسم بولاق بالقاهرة ، تضم شوارع سوق العصر ، درب سقيلمه ، حارة أسوات ، شارع الورشة ، شارع ربع الذهب ، شارع حمام الاربع ، شارع جامع المعلق ، عطفة جامع المعلق ، حارة درب كحلة ، عطفة درب كحلة ، درب اللاحين ، عطفة درب اللاحين ، عطفة المسمر ، عطفة شق الترسة ٠

— المرجع السابق ص ٢٤ — ٢٥ ٠

« حارة الكردى » من « درب الجلادين » (١٣٨) • والمدخل ضيق للغاية ، لكن الطريق يتسع بعض الشيء قرب ضريح الشيخ ، الذى يتكون من مبنى صغير مليح •

ربما كانت أفضل وسيلة للوصول اليه هى ترام ١٣ أو ٧ مع النزول قبل « عنابر بولاق » مباشرة ، والانحراف الى اليمين ، ثم مرة أخرى الى اليمين عند شارع سوق العصر • أو يأخذ المرء الطريق الرئيسى الجديد أمام « مسجد أبى العلاء » ، فيتبع ثلثى الطريق الى « السبتية » ، والانحراف يسارا الى « شارع الأنصارى » • وقد يستخدم ترام ٤ الى « السبتية » •

ورغم أنه (مولد) صغير ، الا أن هناك جمهورا كبيرا ، وحلقات ذكر بارزة قرب الضريح • فى سنة ١٣٥٣ هـ صحبت سيدة انجليزية (الى المولد) ، وقد أذهلتنا وسحرتنا رقصة تدويم رائعة Whirling dance تتقدم ذكرا • لم يقم بأداء الرقصة درويش ، لكنه كان شابا يكتسى بجلباب ومحصنا من الدوار giddiness ، فقد كان يدور بسرعة كبيرة ، وبرشاقة سهلة ، دون توقف أو تحول فى الاتجاه ، ولمدة لم تكن لتقل كثيرا عن ربع الساعة •

هناك دائما المسرح البدائى فى نوع من الكهوف ، قره ــ جوز ، بعض الموسيقى ، والرقص ، الخ ، وعدد من الأكشاك ذات الفتن المتنوعة ، وأكثر زبائن المولد من النساء والأطفال •

الحى قديم جدا وبخيره unspoilt ، وقرب « الكردى » يوجد مسجد « الجلادين » الجميل فى الشارع الذى يحمل نفس الاسم • ونظرا للمساحة المحدودة للغاية عند ضريح الكردى ، فان « مسجد الجلادين » عظيم الفائدة كفائض من أجل حلقات الذكر ، قراءة القرآن وهلم جرا • « لجلادين » مولده الخاص فى شعبان ، ويؤم المسجد كثيرون ، لكن هذا المولد فى الجملة ليس له قدر الشعبية التى « للكردى » •

امام الليثى (الامام الليث) « انظر الخريطة القطاعية XIX) L1 »

هذا هو أحد الموالد القليلة نسبيا التى يمكن أن يعتمد على موعدها ، ذلك لأنه فى المناسبات الكثيرة التى استمتعت فيها به ، كان اليوم الأخير دائما هو « الجمعة » القريب من منتصف شعبان ، وبعد تسعة أيام من

---

(١٣٨) لا يوجد بقسم بولاق درب يسمى « الجلادين » ، لكن هناك شياخة تسمى « درب محجوب بالجلادين » تضم شارعا يسمى « شارع الجلادين » ، المرجع السابق ص ٢٤ •

المولد الكبير الفسيح « للامام الشافعى » ، الذى له أيضا موعد محدد ، الأربعاء الأول من شعبان ٠

يقع المسجد القديم فى المقابر خلف (مسجد) « الامام الشافعى » وعلى مسيرة كيلو متر من نهاية خط الترام رقم ١٣ ٠ منذ عدة سنوات مضت ، وفى يوم الجمعة ١٥ شعبان ١٣٥٣ « ١٩٣٤/١١/٢٣ » عرجت على أصـــدقاء ســـواح فى فندقهم ، ووجدتهم قـد تحرروا من وهم (الاعتقاد بوجود ما يستحق الزيارة) نوعا ما rather disillusioned . حتى « الأهرام » قد فسدت بأكشاك التصوير الشائنة والثرثرة التافهة للمرشدين وغيرهم ، ولم ينجحوا اطلاقا فى التخلص من الاشمئزاز الذى تبعثه الموسيقى المتأثرة بالجاز الأمريكى Jazzy American horrors . ومظاهر التحديث العدوانية ٠ سألنى هؤلاء الأصدقاء بكآبة : « ألا تستطيع أن تأخذنا الى مكان ما به الجو المصرى الخالص الذى لم يفسد بعد ؟ » ـ « لا يلزم أن يكون المكان ذا صلة بالأهرام ، أو الآثار ، مكان بسيط كما تحب ، فقط أن يعطينا ما نحلم به من الغموض الذى لمصرنا قبل أن نأتى » ٠ أجبت « أعدكم بأن أعيد لكم حلمكم هذا » ٠ لكن بلا سيارات يندفع بها أغلبكم من الزوار حول الطرق المأهولة ، حيث لا ترون أكثر مما لو كان الانسان فى كفن وأقل مما لو كان فى عربة نقل الموتى ، يجب علينا أن نبدأ هذا المساء بتمشية فى المقابر وضوء القمر يغمرها ، هذا اذا قبلتم المخاطرة بالاحتمال البعيد من التعرض للقتل بروح رياضية » ٠

مررنا بالترام على المساجد الكثيرة فى طريقنا ، السلطانين «الرفاعى» و « حسن » والبقية ، مع القلعة مغمورة بضوء القمر ، بوابة المدينة القديمة قرب « السيدة عائشة » ، والكثير غير ذلك ، ثم انطلقنا على الأقدام خلف « الامام الشافعى » الى طريق ضيق حيث أرشدتنا أضواء وأصوات (مولد) « الامام الليث » الى ما لابد أنه كان مبنى ضخما ٠ تقف المنارة الآن بعيدة للغاية عما تبقى من مسجد ، عند ركن لما هو الآن نوع من الساحة ، التى وصلنـــا اليها من باب المسجد عن طريق حارة ضـــيقة ٠ ابتهجت كثيرا لأن أرى الماثل أمامى ثانيـــة نوعا غريبـــا من طقس « القفزية » Leap frog التى تبدو أن لها صلة بالمولد ٠ على الأقل لم أشاهد هذه « القفزية » فى أى وقت آخر ٠ أمتع الشبان والصبية الكبار النظارة بأقصى التناقض ٠ تنوعات لبقة وشيقة للعبة القديمة ، حتى القفز مع آخر فوق أكتاف ثلاثة دفعة واحدة ٠ (بينما) انغمس آخرون فى « رقصة تدويم » جديرة بدرويش « مريد » ٠ وعندما أخذت رفاقى الى قناء أو اثنين من القمامة عند المنارة ، سحرنا مشهد عجيب وحبيب حقيقى ٠ كانت

الصحراء الفسيحة الصخرية تتألق بالبياض ، وعلى الجانب الآخر بدت أضواء (حصن) بابليون Babylon مصر القديمة ، وعلى مسافة أقرب بدت منارتا مسجد أو اثنين فى البرية كظل السلويت Silhoutted قبالة السماء (١٣٩) ٠

كان ابن الدكتور « عنايت الله » الذى كان كشك الختان الخاص به عند باب المسجد ، قد رآنا ومعه بعض أعيان البدو ٠ قادنا هؤلاء للعودة بواسطة طريق أخذنا الى داخل المسجد نفسه وأورونا قبر الامام والكثير من الجمال والمتعة ، كما قدموا السيدات من جماعتى الى عدد من جنسهن يجلسن باحتشام قرب الضريح ٠ كان هؤلاء نسوة ورعات يحيون حياة الراهبات ٠ كن فى الغالب من عائلات عريقة ، وتحادث البعض منهن بطلاقة ودماثة بالفرنسية الى زائراتى المسرورات ٠ وعندما استأذنا فى الانصراف ، مررنا من طرق ضيقة ذات أسقف كالبواكى vaulted ، تحت الأرض غالبا ، الى العيون الدافئة وحمامات « عين الصيرة » ، والمحاجر وضريح الشيخ الصحراوى : ثم عرجنا اتجاها آخر الى « مدينة الموتى » ، وعبرناها ــ لمسافة ميل ــ الى « ستنا نفيسة » ، مارين بمولد « سيدى السمان » الصغير ، واحتفلنا « بختمته » ، والشعائر النهائية ٠٠٠٠٠ واحة من النور والحياة ، فى ظلمة وصمت القبور ٠

اعترف أصدقائى السواح ، أننى كنت عند كلمتى ووفيت بوعدى ، وتركوا مصر بحلمهم وقد تحقق بعضه على الأقل ٠

اذهب أنت وافعل مثل ذلك !

هناك ملاحظة يجب اضافتها فيما يتصل باحتفال الحادى عشر من شعبان ١٣٥٩ « ١٩٤٠/٩/١٣ » حيث انه اعتبر يوما مشهودا a red letter day حيث اختار الملك أن يقيم صلاة الجمعة Salamlek « حيث كانت تسمى صلاة الجمعة الملكية دائما فى تركيا ، أيام السلاطين » (١٤٠) فى مسجد « الامام الليث » ، (لقد) برهن بطريقة عملية وكريمة على اتجاهه الحنون والعطوف نحو موالد بلده ، باصراره على دفع كل نفقات (مولد) الامام من جيبه الخاص ٠

---

(١٣٩) راجع الحاشية (٧) من الفصل السابع « الموالد المسيحية » ٠

(١٤٠) السلاملك يعنى فى التركية من بين معان أخرى الموكب العام للسلطان الى المسجد ظهر يوم الجمعة ، وليس صلاة الجمعة نفسها ـ جيمس ريدهاوس (تورکیه ــ انكليزجه لغت كتابى) ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ١٠٧١ ٠

كان الكاتب فى الموقع ، ويستطيع أن يتكلم عن الأثر البهيج والمشجع على الناس ، وتقديرهم (لذلك) •

المستخرج المرفق هو من صحيفة « بورس اجبسيان » Bourse Egyptienne الصادرة فى نفس المساء •

« تصرف نبيل لصاحب الجلالة الملك »

وكما نقوله فان جلالة الملك قد قام بأداء الصلاة اليوم فى مسجد « الامام الليثى » • وعندما وصل جلالته الى المسجد علم أن الناس يحتفلون بمولد « الامام الليثى » ، وفى الحال أمر العاهل بأن تكون جميع نفقات المولد على حسابه الخاص •

وقد تأثر سكان الحى بهذا الكرم الملكى » (١٤١) •

سجلت أحداث معينة لهذه المناسبة (السلاملك) بأمانة فى خطاب موقع باسم «الحاج ابو مسعود» ظهر فى عدد اليوم من « الاجبشيان جازيت » Egyptian Gazette • وحيث ان هذا (الخطاب) يتصل بمولد « الامام » وعن موضوعنا بصفة عامة ، فانه قد أرفق مطولا inextenso

« السلاملك

المحرر

اجبشيان جازيت

سيدى العزيز :

الآن ، وبعد أن فقدت «استانبول» احتفالها التقليدى «السلاملك» ـ صلاة الجمعة التى يؤمها السلطان ـ فانه شىء عظيم أن يحافظ على هذا التقليد من جانب « الملكية » هنا فى مصر • وفوق ذلك ، فان هذا احتفال متزايد الشعبية ، حيث يثبت ذلك الجمهور المتحمس فى أى خط من الشوارع بين القصر والمسجد يختاره الملك كل أسبوع • انه أحد المناسبات اللطيفة القليلة التى تركت لهم ، حيث ان « موالدهم » قد أوقفت ، والاحتفالات العامة القديمة تنقرض أو على الأقل تعلق على الجملة ، على الرغم من أننا يجب أن نتذكر بامتنان هذا الفكر الرائع لأحد الأشخاص

---

(١٤١) راجع النص باللغة الفرنسية فى الملحق (٢٧) •

فى هذه الأيام الكئيبة من أجل التخفيف عنهم (وذلك) بعرض التذكارات الايطالية trophies فى ميدان الاسماعيلية ، وهو نشاط قدره العامة أكبر تقدير ، الى جانب أنه أفضل جزء من الدعاية حتى الآن (١٤٢) ٠

فى يوم الجمعة قبل منتصف شعبان ، عندما أقيم مولد « الامام الليث » ، اختار الملك مسجد « الامام » « لصلاة الجمعة » Salamlek كانت الساحة الواسعة أمام المسجد قد أحيطت كلية بالسرادقات tent Work بطريقة غير فنية على ما أعتقد ، فقد حجبت المبنى الجميل القديم ، وما كان أكثر فى هذا الموضوع ، أو هذا ما كان يراه أهل المنطقة ، (هو أن هذه السرادقات) قد حجبت كل منظر المسرح البراق أمام المسجد وقدوم الجماعة الملكية ٠ وعندما وصلت بعد راحة Sabbath day من رحلة لأميال كثيرة على الجانب الآخر للنيل ، وعبر الصحراء التى تقع بين مصر القديمة وعين الصيرة ، وخلال ركن ساحر للمقبرة العظيمة جنوب القاهرة ، وجدت فتحة واحدة تؤدى الى برية من القبور أعطت حيزا للوقوف standing room لجماعة صغيرة ولكنها تواقة ، لكن لتصفية المكان بحزم بواسطة البوليس ، فانه لم يعد ثمة مكان مطلقا للوقوف أو الجلوس حتى فى الشمس ، لكن « الدكتور » خبير الختان الشهير الذى يقيم كشكه الصغير فى الزاوية ، كالمعتاد فى وقت المولد ، قدم لى دون ابطاء مقعدا تحت مظلة ترحيب ، كانت فوقها لافتة ضخمة مكتوب عليها « يعيش الملك فاروق » ٠ وكانت هناك تحت لافتة الترحيب الملكى علامة صغيرة تحمل اسم ومهنة (المرحب) « محمود عنايت الله ، ختان مجانى » ٠ وصل زوار آخرون كثيرون وقدم لهم « الدكتور » مقاعد وقهوة وسجائر ، حتى جاء توا ضابط يضع تاجا (على كتفه) (١٤٣) وأمره بأن ينزل علامته ٠ ناشده « الدكتور » دون جدوى ٠ ومع عجرفة « الصاغ » فان (الدكتور) فقد كياسته المعتادة وأعلن « لن أنزل علامتى أبدا » ، « محمود عنايت الله » اسم شريف ! علامتى هى رمزى ! اذا مزقتها بالقوة فانني لا أستطيع

---

(١٤٢) يبدو أن محرر الخطاب الذى قدمه المؤلف كان يهزأ من ذلك الذى أقام معرضا لتذكارات ايطاليا ٠ فقد كانت ايطاليا منذ غزوها الحبشة عام ١٩٣٥ قد تعرضت لكره شديد من جانب المصريين ، وكانت قد انضمت الى المانيا النازية عام ١٩٣٦ وكونتا معا « محور روما ـ برلين » Rome-Berlin axis ٠ وفى ١٩٣٩ استولت على « البانيا » ، وعقدت مع المانيا « تحالف الصلب » Pact of Steel ، وفى يونيو ١٩٤٠ دخلت الحرب الى جانب المانيا ٠

— Lexicon Universal Encyclopédia, Vol. 11, p., 331.

(١٤٣) كان التاج على الكتف هو علامة رتبة الصاغ (الرائد) فى ذلك الوقت ٠

منعك ، لكننى لن أقوم بعمل تخريبى أبدا » فرد الصاغ قائلا : « ستدفع ثمن هذا غاليا » . هتف « عميد كلية الختان » غير هياب : « أنا لا أهتم قدر جلدة ختان pérpuce لما أدفع أو لما سأعانى ، لكن أن أمزق علامتى ، أبدا أبدا ! » .

وصلت فرقة موسيقى نحاسية مستأجرة بواسطة « الدكتور » ، كما أبلغت — وبدأت مجموعة جميلة من النساء فى النافذة الوحيدة يزغردن ترحيبا Trill a Warble of Welcome اعتقادا منهن أن الموكب الملكى قد اقترب . كبت هذا فى التو واللحظة بصرخات مرتاعة « ممنوع » « كلمة لست بحاجة الى تحويلها الى الانجليزية كما تسمع الآن كثيرا تقريبا لكلمة « ممنوع » Verboten فى ألمانيا » ، فتحرر النساء غير متساوق مع هذا النوع من التساهل كالعويل Wailing والزغرودة Warbling برغم أنه مسموح به وفق عادات عمرها حوالى أربعين قرنا .

والآن ، لقد حلت اللحظة الرائعة ، الحرس ينتفضون فى وضع الانتباه ، فرقة « الدكتور » النحاسية تلعب « السلام الملكى » ، الملك يستقبل بالتشريف اللازم ويدخل المسجد .

سكون نسبى يسود بالخارج ، حتى تكسره أصوات بعيدة شاكية . همسات مهتاجة بأن حملين قد أحضرا ليذبحا فى ركننا — من أجل الفقراء . تصل الى مسامعى ، ويضيف أحدهم « وثورين سمينين » . ويذكر آخر أن هذا أحد مظاهر سخاء « الدكتور » ، لكنه لن يفيد من ذلك « من التواضع ، على قول البعض » ، ويوقف المزيد من الاستعلامات عضو حكيم (من المتفرجين) برفعه اصبع تحذير وقوله « ممنوع الكلام » . أغلق كل فمه رغم استمرارهم فى مصمصة شفاههم .

وعندئذ سقطت قنبلة ! ليس مجرد قنبلة من طائرة ، لكنه حظر من جانب نفس « الصاغ » حسب ما فهمت ، (كان الحظر هذه المرة) ضد جلب حيوانات للذبح ، بحجة أن « منظر الدم قد يؤذى مشاعر الملك » . لم تكن هناك أى فرصة معقولة لأن يرى الملك هذا الركن (الذى سيجرى فيه الذبح) ، حيث انه لم يكن فى طريقه ، وحتى لو كان ، فاننى أستطيع أن أتخيل أن سخطه لو عرف أنه قد أحضر كذريعة (للدعاية) (لن) يؤدى الى حرمان الفقراء من عيدهم .

وانصرفنا عند ذلك ، على أمل أن يتم التحكم فى هذا الحظر كما جرى (لحادث) الهجوم على « الملاءمة » ! لكن نظرا لتوقف خطوط الترام ، وعدم القدرة على الحصول على تاكسى حتى ما بعد الثانية ، فقد جلسنا نتكلم مع الناس فى المقهى قرب مسجد « الامام الشافعى » . بدت الشائعة وكأنها قد وصلت بالفعل بأن المتبرعين بالحيوانات قد يحبسونها بسبب الظروف ، وبدأت تظهر وجوه كالحة وكئيبة ، لكن الكل عاد الى اشراقة وجه توا عندما سرت شائعة جديدة مفادها أن الملك قد عبر عن اهتمامه الشديد بالمولد ، وعزم على تحمل كل نفقاته « من جيبه الخاص » . ابلغنى درويش من الرفاعية أن « زفة » ستقام فى المساء وستشارك فيها الطرق « القادرية » ، الشاذلية وغيرها ، ورجانى أن أحضر ، « ولم يمنعنى من ذلك سوى الارهاق » .

عند انصرافى كانت الصيحة الأخيرة التى سمعتها هى صيحة تماثل صيحة « شكسبير » Shakespear :

« والآن فان هـــذا هو شـــتاء سخطنـــا

الذى تحول الى صيف مجيد بفعل ابن فؤاد »

المخلص

الحاج أبو مسعود »

سيدى معروف « انظر الخريطة القطاعية X » M 1 :

رغم أنه يقام يوم الجمعة دائما ، الا أن الموعد تراوح فى الأمسيات الست التى زرته فيها ، من ٢١ رجب فى ١٣٥٢ الى ٧ شعبان فى ١٣٥٥ . ولقد تواكب مولد « سيدى معروف » مع « مولد » « عبد الله » فى الرابع من شعبان ١٣٥١ وفى الرابع والعشرين من رجب فى عام ١٣٥٣ .

هذا المولد هو مولد « البرابرة » Berberines أساسا فى حى « معروف » الخاص بهم (١٤٤) ، ويقع بين « المحكمة المختلطة » (١٤٥) والمتحف ، وملاصق لشارع شامبليون . تمر خطوط ترام ١٧ و ١٢ على مسافة قريبة منه .

---

(١٤٤) المقصود هم النوبيون الذين تتركز جموعهم فى منطقتى « عابدين » و « معروف » بالقاهرة .

(١٤٥) « دار القضاء العالى » الآن بشارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة .

والمولد حقير نوعا ما ، وغير مسل · وأجمل ما شاهدته فيه « زفة » في الساعة الحادية عشرة مساء يوم السابع من شعبان عام ١٣٥٥ « ٢٣/١٠/١٩٣٦ » ·

سيدى مدروس M2 :

شاهدت هذا المولد الصغير في حي « باب الشعرية » مرة واحدة فقط – يوم الجمعة ٢٧ شعبان ١٣٥٢ « ١٥/١٢/١٩٣٣ » · يمر بهذا المولد أتوبيس رقم ١١ الذى يعمل بين « بيت القاضى » و « المحطة »

الشيخ المغربى « انظر الخريطة القطاعية X » M3 :

لم أشهد هذا المولد أبدا ، ولكن الماجور جاير – أندرسون الذى يمتلك منزلا في « شارع المغربى » يقابل الضريح الصغير تماما ، أبلغنى أنه شاهده منذ ست سنوات · وهو مولد خاص صغير للغاية ينظمه وينفق عليه بعض أهالى الحى ·

ويبدو أن موعد المولد كان « رجب » · والمولد في مكان متوسط ومعروف جيدا ، والى جوار التيرف كلوب Turf club (١٤٦) ، ويقال ان جزءا كبيرا من هذا الحى كان ملكا أو تحت سيطرة « الشيخ المغربى » ·

لقد أدرجت هذا المولد في هذه الدراسة ، رغم أنه مهجور تقريبا ، نظرا لأنه ليس من النادر أن يتوقف مولد لسنوات ، ثم يحيا · «كانت هذه حالة مسجد أبى العلاء ، والمثل الكبير هو لمولد « سيدى هارون » الذى توقف لزمن سحيق ، حتى تم احياؤه منذ سنوات قليلة » ·

تغير اسم الشارع في الوقت الحالى ، تبعاً لبدعة مثيرة للاستياء ، تسبب ارتباكا وتشويشا لا نهاية له ، وتوقع الاضطراب في التاريخ المحلى ، « أمر يؤسف له في القاهرة ، حيث كانت أسماء الشوارع والأماكن مليئة بالدلالة » ، وتخلق مشاكل حساسة ، فعلى سبيل المثال ، – هل سيتغير اسم الضريح أيضا في هذه الحالة ، هل سيصبح المولد ، اذا أحيى ، مولد « سيد المغربى » ، أم (مولد) سيدى « عدلى » ؟ (١٤٧) ،

---

(١٤٦) ناد يخص المجتمع الانجليزى في مصر في النصف الأول من القرن العشرين – كان يقع في المبنى ٣٢ شارع عدلى بالقاهرة ، تعرض للتدمير عندما وقع حريق القاهرة الشهير في ٢٦ يناير ١٩٥٢ ·

– ارتيميس كوبر « القاهرة في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥ » – ترجمة محمد الخولى ، دار المؤقف العربى – القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٤٤ ·

(١٤٧) ينتقد المؤلف سياسة الحكومة في ذلك الوقت من تغيير اسم « شارع المغربى » الذى به المولد الذى يقصده ، الى « شارع عدلى » الواقع بمنطقة وسط البلد الآن ·

وأى من هذين الوليين Saints سيعتبره الأعضاء الأتقياء فى « التيرف كلوب » الملاك الحارس Genius Loci الذى ينبغى ترضيته بتقديم التضحيات ، وتقديسه كراع ؟ ٠

سيدى المنسى « انظر الخريطة القطاعية VIII » 4 M :

منذ أن عرفت هذا المولد منذ ست سنوات ، فان موعده كان يتراوح قليلا ، فمن ٢٣ شعبان فى ١٣٥٤ الى ٢١ شعبان فى ١٣٥٥ ، كما كان متغيرا فيما يتصل باليوم من الأسبوع ٠

يقع الضريح فى حى « الظاهر » (١٤٨) ، قرب تقاطع « الخليج » وشارع فاروق ، وعلى ذلك فان الوصول اليه يسهل بواسطة خطوط ترام ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٢٢ ، ٣٣ أو باتباع « شارع منسى » من نقطة تقاطع « الخليج » وطريق العباسية ٠ كان (هذا المولد) ضحية تقلبات متعددة ٠ فقد كان حيا وشعبيا مع جانب دنيوى واضح حتى ١٣٥٤ ، وأخذت الكثيرين من الزوار الأوروبيين (اليه) حيث وجدوا المسارح والعروض وألعاب القمار البسيطة مسلية ، والاحتشاد عند الضريح جميل ومؤثر ٠ وفى عام ١٣٥٥ أصبح (المولد) موحشا الى درجة كبيرة للغاية ، لكنه عاد للظهور مرة أخرى فى ١٣٥٦ « ١٩٣٧ » ٠ وكان له « زفة » لطيفة فى الساعة الخامسة بعد الظهر ، من « السبيل » قرب « الحسينية » ، أعطت تنويرا وتثقيفا وبهجة لحشد كبير فى المساء ٠ ولست أعرف ما الذى جرى فى عام ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » ، لكننى عندما ذهبت فى المساء ، كان الشيوخ وغيرهم يجلسون فى الأرض القفراء بين الضريح المهجور تقريبا الآن ، « وشارع فاروق » ، يسودهم الحزن والكآبة كما لو كانوا بين المقابر ، وكان قد تم اسكات كل الموسيقى ٠

ماذا فعل سيدى المنسى ؟

لدى سماعى هذا العام ، أن عيد « الشيخ منسى » سيقام يوم الأحد الأخير من شعبان ، بادرت بالذهاب يوم الأربعاء السابق لهذا اليوم ، للتأكد من التاريخ المدعى به وللاستعلام عن الشكل العام « للزفة » ٠

---

(١٤٨) الظاهر ، احدى شياخات قسم « الوايلى والمطرية » خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وقد أصبح « الظاهر » حيا مستقلا وله قسمه من بين أقسام القاهرة ، كما أن المطرية أصبح حيا مستقلا وله قسم أيضا ٠

ـ تعداد سكان القطر المصرى ـ مرجع سبق ذكره ، ص ٤٦ ٠

كان هناك « ذكر » فى المقام ، مؤثر وزاه ، بين الأضــواء والزينــات ، والكسوة الثمينة للتابوت · تعرف على الشيخ حارس المقام ، وأبلغنى أن « الزفة » لن تقام ، لكن « ذكرا » كبيرا للنوبيين سيجرى مساء الجمعة ، وفى يوم السبت سيؤدى الذكر « دراويش الرفاعية » ، وآخرون ممن سيفعلون الكثير من الأعمال المدهشة ، وأن من المحتمل تكرار ذلك الى حد ما فى الليلة الختامية التالية ، الأحد ·

ذهبت يوم الأحد ، ولكن لفترة قصيرة ، فقد كان اليوم يوافق الليلة الرئيسية لمولدى « سيدى الأنصارى » ، والناسك « مرصفا » · ووجدت الضريح شبه مهجور ، ولا شيء سوى القليل من موائد القمار ومقهى فى الرقعة القفراء من الأرض التى كانت مرتعا للمرح فى السابق · ومع هذا فقد آكد لى البعض أن برنامج الليالى المبكرة قد تم تنفيذه ·

أذكر هذا نظرا لأنه أصــبح شيئا مألوفا أن تكون بعض الليالى الابتدائية (للموالد) أفضل وأهدأ من الأخريات ، اذا كان المولد يمتد الى النهاية حقا ·

انه من المثير للشفقة أن يؤدى الخوف من التدخل والقمع الى سلوك سبيل المناورات من أجل تأكيد اقامة الشعائر التى كانت معتادة ومقبولة· ان هذا يذكر المرء ـ بصورة قليلة لحسن الحظ ـ بالمسيحيين فى « روما » القديمة عندما كانوا يلجأون الى ما تحت الأرض من أجل مباشرة ديانتهم فى سلام · لكن الدراويش هنا معوقون نظرا لعدم توافر مقابر تحت الأرض للاستخدام كملجأ أخير ·

سيدى على المرصفى « انظر الخريطة القطاعية XI » M 6 :

أقيم هذا المولد فى السبت الأخير من شعبان فى كل من المناسبات الست التى سجلت فيها موعده ، رغم أنه فى عام ١٣٥٥ عندما لم أذهب قيل انه عقد يوم الاثنين ٢٤ شعبان « ١٩٣٦/١١/٩ » · وفى هذا العام ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » فقد كان فى يوم الأحد الأخير ·

يقع الشارع الصغير الذى أقام به الولى ومات ودفن ، « قنطرة الأمير حسين » على مقربة من « الخليج » وأمام « محكمة الاستئناف » · ويمكن الوصول اليه من « شارع محمد على » بالسير فى شارع «السويقة»· ومع هذا فمن السهل تجاوز المسجد الصغير الواقع تحت الأرض بسهولة

حيث ان بابه فقط هو الذى يمستوى الشارع ، وغير واضح بسلاله وأحواضه والناس الذين يرون بالداخل ، أما النقش على الضريح فهو « مسجد سيدى على المرصفى » ·

« المولد » خاص صغير لم يلوثه تداخل البوليس ، رغم وقوعه قرب قيادته (١٤٩) · كان هذا هو الحال حتى عام ١٣٥٥ « ١٩٣٦ » ، لكننى أخشى أن يكون قد أصابه التدهور منذ ذلك الوقت · وبصرف النظر عن الاحتفالات الدينية فى المسجد والمبانى المقابلة ، فان سكان القنطرة (شارع قنطرة الأمير حسين) وشارع مجاور صغير يقيمون جماعات فى غاية الجمال من الغناء مع بعض الشخصيات الهزلية مسلين بذلك الناس فى براءة · ومنذ سنوات قليلة مضت شاهدت مشهدا جميلا نادرا ، يسرنى أن أذكره : اندفعت سيارة ضخمة تضم رجال بوليس فى أحد هذه الشوارع الضيقة التى كانت تجرى بها هذه العروض ، والتى كان الطريق فيها معترضا ان لم يكن مسدودا بواسطة العارضين واللاعبين ، والمتفرجين والمقاعد · بذلت جهود ثائرة لاخلاء الطريق فى فترة مرعبة ، عندما انبعث صوت ضابط بتحيات مرحة ، وبأمر (للأهالى) بألا يقلقوا أنفسهم ، وتراجعت السيارة للخلف وانصرفت · لم ينطق المغنون للحظة ثم ما لبثت أصواتهم ان ارتفعت منشدة بالثناء على الله والحكمدار !!!

يسجل كاتب الحوليات « الشعرانى » ، الذى يسمى « ولينا » باسم « نور الدين المرصفى » ، انه توفى حوالى ٩٣٠ هجرية ودفن فى زاويته فى قنطرة الأمير حسين ، حيث ترى مقبرته ·

« الشيخ نور الدين المرصفى رحمه تعالى ورضى عنه آمين ···· مات رضى الله عنه ورحمه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن بزوايته

---

(١٤٩) كان مبنى محافظة القاهرة الذى يضم حكمدارية البوليس فى النصف الأول من القرن العشرين يقع فى « سراى منصور باشا » زوج الأميرة « توحيدة » ابنة الخديو اسماعيل ـ بناها اسماعيل بشارع جامع البنات (بورسعيد الآن) ، وامتدت من شارع جامع البنات الى درب سعادة أمام جامع الحبشلى · لم تصلح السراى لاقامة الأميرة لاتساعها وكثرة تكاليفها ، وتحولت فى نهايات القرن التاسع عشر الى ديوان للضبطية ثم الى محكمة ومقرا لمديرية أمن القاهرة وسجنا للاستئناف ـ وهى الواقعة بشارع بورسعيد أمام مبنى للتحف الاسلامى ودار الكتب القديمة ·

ـ محمد حسام الدين اسماعيل « وجه مدينة القاهرة من ولاية محمد على حتى نهاية حكم اسماعيل ١٨٠٥ ـ ١٨٧٩ » رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ـ سوهاج ـ جامعة أسيوط ـ ١٩٩٤ ـ ص ٣١١ ·

بقنطرة الأمير حسين بمصر وقبره بها ظاهرا يزار رضى الله عنه » الطبقات الكبرى عبد الوهاب الشعرانى جزء ثان ص ١١٦ ــ ١١٧ (١٥٠) ٠

سيدى مرزوق « انظر الخريطة القطاعية XII » M 7 :

رغم أنه يقام فى يوم خميس دائما ، فانه تراوح فى السنوات التى عرفته فيها بين التاسع والعشرين من ذى القعدة فى ١٣٥٢ الى الرابع من صــفر فى ١٣٥٦ « ١٥/٤/١٩٣٧ » ٠ وهو يرتبط بشــكل ما بمولد « البيومى » الكبير ، حيث يتبعه دائما بعد سبعة أو أربعة عشر يوما ٠ ويبدو هذا النوع الغريب من التكافل Symbiosis من المواعيد التالية :

١٣٥٢	مولد البيومى الخميس ٢٢ ذى القعدة				مرزوق ٢٩ ذى القعدة
	= ٨/٣/١٩٣٤				= ١٥/٣/١٩٣٤
١٣٥٣	«	«	«	٢٣ ذي الحجة	مرزوق ٨ محرم « ١٣٥٤ »
	= ٢٨/٣/١٩٣٥				= ١١/٤/١٩٣٥ « ١٤ يوما »
١٣٥٥	«	«	«	٣ محرم	مرزوق ١٧ محرم
	= ٢٦/٣/١٩٣٦				= ٩/٤/١٩٣٦ « ١٤ يوما »
١٣٥٦	«	«	«	٢٦ محرم	مرزوق ٤ صفر
	= ٨/٤/١٩٣٧				= ١٥/٤/١٩٣٧ « سبعة أيام »
١٣٥٧	«	«	استبعد		استبعد
١٣٥٨	بين يدى الله تعالى ، وقت الكتابة ، المحرم ١٣٥٨				بالمثل بين يدى الله تعالى

يقع مسجد « سيدى مرزوق » فى بقعة جميلة لم تتلف بعد ، فى القاهرة ، بمنطقة « قصر الشوق » قرب الصاغة بحى الجمالية ٠ (والمسجد) قريب من « سيدنا الحسين » و « بيت القــاضى » (١٥١) ٠ ولعل

(١٥٠) أورد المؤلف النص الخاص بالشيخ نور الدين المرصفى حرفيــا من كتــاب الشعرانى « الطبقات الكبرى » ـ باللغة العربية ـ وقد نقلناه عنه كما أورده ٠

(١٥١) قصر الشوق ، واحدة من الشياخات الثمانى عشرة التى ينقسم اليها حى الجمالية وفق تعداد ١٨٩٧ ٠ تضم شياخة قصر الشوق شوارع « بيت المال القديم ، حبس الرحبة ، قصر الشوق ، وعطفات احمد باشا طاهر ، المورلى ، التحتانية ، الشيخ سليمان ، والقفاصين ، وحارات الشيخ موسى ، القدم ، الفراخة ، وقصر الشوق ، ودروب رصاص ، الكاشف ، والبنات ٠ أما « بيت القاضى » فكان يطلق على ميدان وشارع وما يسمى « بعسكرة » ٠ ففى شياخة « درب قرمز بحى الجمالية كان يوجد ميدان بيت القاضى ، عسكرة بيت القاضى ، وشارع بيت القاضى ٠

ـ تعداد سكان القطر المصرى ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٥ ـ ٣٦ ٠

أسهل طريق للوصول اليه هو ركوب الأتوبيس رقم ١٨ من العتبة ، والنزول عند « سيدنا الحسين » ، والسير مرورا بباب هذا المسجد الكبير والمضى قدما لعدة دقائق ٠

توجد خلف المسجد حارة مسدودة Cul de sac طويلة مليئة بالمتع من مختلف الطبائع : والى قرب المسجد ويحتمل أن تكون جزءا منه ، توجد قاعة من أجل نوع من « التشريفة » ، تلعب بها فرقة موسيقية ، كذلك فان « بانش وجودى » ، وأكشاك الختان ، وأماكن دق الوشم ، وفى بعض المناسبات آكلى النار الدوارين وما شابه ذلك et sic ٠ كل هؤلاء يوجدون فى الجوار ، لكن المظهر العظيم هو « الزفة » الجميلة ، التى أعتقد أنها الأفضل مما يرى بعد (زفة) البيومى فى القاهرة ٠ تابعت هذه الزفة عام ١٣٥٦ « ١٩٣٧ » من (بداية) تجمع عناصرها خارج (باب النصر » حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، مشهد فخم فى موقع مهيب ، وحتى وصولها بعد الساعة الخامسة الى المسجد ٠ أحاطت الجماعات المتنوعة من الدراويش بالخليفة الراكب ، الموسيقى ، الرايات ، والبقية ٠ بعد مسيرة استهلالية فى الصحراء تقدمت الى المسجد ، أحاطت بمسجد « سيدنا الحسين » ومرت « بالصاغة » ٠ كل بوصة من الطريق (كانت) جذابة ، وخاصة هذه المجموعة الرائعة من (مساجد) «قلاوون» ، « برقوق » ومساجد أخرى وبنايات فى نهاية « النحاسين » ٠

تبدأ هذه الرواية القصيرة عن « سيدى مرزوق » ، والتى كتبت فى ١٣٥٨ « مارس ١٩٣٩ » بمقارنة المواعيد مع مواعيد (مولد) السلطان « البيومى » ، وسيكون قد اتضح أنه رغم تقدم هذه المواعيد خلال أشهر « ذو القعدة ، ذو الحجة ، والمحرم » فى التقويم القمرى ، فانها (المواعيد) قد تجاوزت من مارس الى أبريل فى التقويم الشمسى ٠ وعندما أعيد احياء « مولد البيومى » فى عام ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » بعدما ظل خاملا لمدة ثلاث سنوات بسبب عمليات اصلاح المسجد ، فان موعده قدم أيضا شهرا قمريا الى « صفر » ، لكنه عاد الى « مارس » ٠ ولقد بدا واضحا بصورة باتة أن (مولد) « سيدى البيومى » يتبع « المواسم » ، وأن تكافله Symbiot فيما يتعلق بالموعد يجب أن يكون بالمثل ٠ وقد أصبح هذا الاستنتاج فيما يتعلق « بسيدى البيومى » محددا بلا ريب (بفضل) رواية وجدتها فى طبعة لموراى Murray فى عام ١٨٨٨ (تقول) ان مولده يتحدد وفق « الموسم » ، وليس وفق الحساب القمرى ٠

لدى بعض الشك أن يكون الأمر مماثلا بالنسبة « لمولد سيدى مرزوق » ، ولسوء الحظ فاننى عندما بحثت عن الدليل النهائى لمولد « مرزوق » الذى تجدد فى مارس ١٩٤٠ ، بعد أسبوع من مولد « البيومى »

كما كان متوقعا من جانب أهل الحى ، قيل انه قد تأجل ٠ والآن وقد مضى ستة أشهر فاننا لا نزال ننتظر ، وعلى ثقة أن الأمر لا يزال بين يدى الله ، وأنه سينتصر ٠

من العجيب أن كل الموالد الاسلامية التى تتبع « المواسم » كمولد « السيد البدوى » ، تابعة له حسب علمى ـ مباشرة أو بطريق غير مباشر ٠ ولنأخذ تلك التى فى القاهرة ، فالامبابى كان أحد حواريى السيد البدوى ، والطائفة البيومية فرع من طريقة « السيد البدوى » الكبيرة « الأحمدية » ، كذلك فان « المرزوقى » يبدو متصلا بنوياً filial بالبيومى ٠

مع كتابتى فى عشية رمضان ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » ، نوعا من الحاشية كخبر أخير Stop-Press ، وبالاشارة الى الفقرة قبل الأخيرة ، فاننى يمكننى أن أضيف أنه قد انتصر ، وها هى التفاصيل :

ان تقلب مولد الولى الكبير « سيدى مرزوق » فى السنوات الحالية ، وهجره فى أكثر من مناسبة ، وخاصة عدم اتباعه مولد « سيدى البيومى » ، تبعا لعادة ممعنة فى القدم ، هذه الأمور وقد عادت محل تكريم ، فانها قد أثارت توقعات كئيبة ٠ لكن هذه (التوقعات الكئيبة) قد تبددت باعلان مفاده أن « المولد » و « الزفة » القديمة ستقامان فى الخميس الأخير من « شعبان » لهذه السنة ١٣٥٩ « ٢٦ سبتمبر ١٩٤٠ » ٠ قوبلت هذه الأنباء بترحيب كما أنها كانت غير متوقعة ، نظرا لأن (المولد) كما أشير من قبل يجب أن يقع حوالى بداية أبريل (برمهات) ٠ وهكذا فانه يكون متأخرا نصف عام (عن موعده المفترض) ، وكان المتبقى على حلول « رمضان » أياما قليلة وهو ما يوقف موسم « المولد » لعدة شهور ٠ وصلتنى الأنباء فى نفس اليوم وحوالى الوقت الذى كان مفروضا أن تبدأ فيه « الزفة » من « باب النصر » فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ٠

لما كانت (الزفة) قد استغرقت عدة ساعات لتصـل الى « قصر الشـوق » ، حيث المسجد والضريح ، وانحرفت كالعادة عبر النحاسين والموسكى لزيارة « ضريح » « سيدنا الحسين » ، فقد كان المغرب قد حل عندما لفت البيارق furled ، وقادنى درويش صـديق الى داخل المسجد الضيق ، وأورانى الحجر الأخضر الذى يحمل أثر قدمى النبى (ﷺ) ، وبالطبع « التابوت » فوق جسد « الولى » ٠

كان المسجد مليئا تماما بالعابدين ، الى جانب الكثير من الشخصيات المتميزة ، ولقد قدرت كثيرا امتياز دخولى فى مثل هذا الوقت ، والسلوك الودى من جانب كل شخص هناك • كانت معلومات صديقى الدرويش ساحرة ، لكنها مشكوك فى صحتها الى حد بعيد ، وخاصة فيما يتعلق بزيارة النبى (ﷺ) للمسجد ، وصلاته « بسيدى مرزوق » فى مناسبة « أثر » القدم المقدسة (على الحجر) • أكد لى (الدرويش) ما كنت أشعر انه صحيح منذ زمن ، وهو أن العلاقة بين « مرزوق » و « أحمد البدوى » علاقة حميمة ، رغم أننى أعتقد أن تأكيد أنه ابن « لسيدى أحمد » أمر مشكوك فى صحته •

قادنا باب فى جانب المسجد الى قاعة للتشريفة ، حيث كانت فرقة من الموسيقيين الصغار الذين أحيوا « الزفة » تبعث السعادة فى قلوب جماعة كبيرة •

لست فى حاجة لوصف « الزفة » ، فقد كانت على نفس خطوطها التقليدية ، وتلك الخاصة «بسيدى البيومى » ، وبالطبـع فان اللون السـائد كان الأحمر (علامة) « الأحمدية » و « البيومية » • وكانت طريقة « أولاد نوح » الشقيقة ممثلة جيداً وكانت جميلة وشعبية كشأنها دائمـا •

كان مطمئنا أن ترى هذا المولد العتيق والجليل وقد شارك فيه وحماه شخصيات رسمية ذات شأن ، كما أن « الخليفة » فى الزفة كان ينحدر من سـلالة الخليفة العظيم « أبو بكر » ، حمى father-in-law النبى (ﷺ) ، ذلك هو الشيخ محمد شمس الدين البكرى الذى حياه الناس باعتباره « صـاحب سجادة » ونقيب الأشراف • وهـذا ليس صحيحا تماما ، رغم أننى أفهم أنه ينتمى بصفة لصيقة الى « السيد البكرى» الذى خلف والده فى منصبه العالى « كشيخ البكرى » (شيخ السادة البكرية) ، الذين يحملون هذه الألقاب •

كان بعضا من سوء الحظ أن يتواكب موعد هذا « المولد » المتأخر مع (مولدى) « مار برسوم العريان » « بالمعصرة » ، و « سيدى المحمدى » (بالدمرداش) • فهو بهذا مرجوح لدرجة كبيرة بسبب الدعم المعنوى الذى يضفيه التقدير الرسمى الى عادات مصر التقليدية فى زمن وهنها •

سيدى المطراوى « انظر خريطة الدلتا » M 8 :

هذا المولد الذى لا ينافسه مولد آخر فى جمال وسحر موقعه وتداعياته ، واحد من أكثر الموالد سهولة فى الوصول اليه ٠ ذلك أنه — وعلى خلاف الكثير من الموالد الأخرى — ذو « موعد » يعتمد عليه ، دائما فى الرابع عشر من شعبان ، والأتوبيس رقم ١٦ يمر عبره وأمام أبواب مسجد « سيدى المطراوى » ٠ ويمكن استعمال القطار الى المطرية ، والسير لحوالى ميل مستمتعا بحدائق الجيزويت Jesuit ، « والشجرة المقدسة » و « بئر العذراء » ، كل هذا فى ضوء القمر فى تمامه ٠ وهؤلاء الذين يرغبون فى الجمع بين « المولد » وزيارة الشجرة المقدسة والبئر ، فان عليهم ، مع هذا ، أن يذهبوا قبل غروب الشمس ، خشية أن تكون البوابة قد أغلقت ، ثم وعليهم أن ينقلبوا على أعقابهم قليلا قبل أن ينغمسوا فى « مولد المطراوى » ، ليشاهدوا « المسلة » فى موقع « معبد رع » ومدينة أون on العتيقة ، عندما يذهب « اله الشمس » للراحة ويظهر قمر شعبان فى كماله ٠ هذا هو موطن العنقاء Phoenix (١٥٢) ، وأعتقد أن هناك شيئا منها حول (مولد) « سيدى المطراوى » ، فقد كان لى فى المطرية محل اقامة pied a terre لسنوات كثيرة قبل الحرب ، « هليوبوليس الأصلية » ، وكنت أمر دواما بالمسجد وعبر المكان الحالى للمولد ، ولم أشاهده أو أسمع بوجوده أبدا ٠ وحدث مرة على وجه القطع ، حوالى عام ١٣٢١ « ١٩٠٣ » ، أن ازدحم المسجد والمقاهى ، وكان هناك حشد غير عادى من البدو وغيرهم ، لكننى لا أجد سببا مباشرا لربط هذا « بالولى » ٠

شاهدت هذا المولد أول مرة فى عام ١٣٥١ « ١٩٣٢ » ، مولد من الدرجة الأولى ، مسجد مزدحم على جانب من الطريق ، وعلى الجانب الآخر جمع سعيد مرح أنعش القلب ، وجميل أيضا الى درجة ما ٠ أوصلنى البروفيسور اى — بى E - P (١٥٣) الأستاذ بالجامعة بسيارته الى هناك ، وبينما كنا نطير من فتنة الى أخرى ، توقفنا عند جمع يشاهد (لعبة) « منافسة القوة » Strength Contest — دفع المدفع المحمل بثقل متزايد عبر مستوى مائل حتى يرن الجرس ٠ كان أحد الأبطال قد حقق انجازات كثيرة (فى هذه اللعبة) عندما تدخل رفيقى ٠ سمعت تعليقات مضحكة ، — « لا يمكن أن يكون قويا للغاية ، لا أعتقد أنه حمل بين

---

(١٥٢) عن العنقاء Phoenix انظر الحاشية (١١) من التقديم للمؤلف ٠

(١٥٣) ايفانز بريتشارد ٠

يديه فأسا فى حياته » . وعندما حطم اى بى E-p الرقم كان هناك تصفيق سخى ، وأعترف بأنى اندهشت (لما حدث من زميلى) ، فالمصريون هم أكثر من عرفتهم قوة عضلية . وبعد ثلاث سنوات (من هذه الواقعة) سألنى أحد البدو فى « المولد » : « أين صديقك الذى قرع الجرس بأكبر قدر من الأثقال » ؟ .

أعتقد أن « المولد » بلغ منتهاه فى عام ١٣٥٣ « ١٩٣٤ » ، ففى العام التالى أخلى البوليس الطريق من أجل حركة المرور ، وبحماس متزايد أبعد الحشد بعيدا والى ما وراء الطريق حتى اختلط بحبال تثبيت خيام العرض ، لكن (ضابطا) برتبة « الملازم أول » جاء وطلب من الناس أن يستمروا فيما هم فيه مع المحافظة على طريق من أجل حركة المرور فقط . فاطاع الناس بالتزام ، وكل شىء سار هنيئا . لكننى تسليت كثيرا لمشاهدة أرجوحة بندولية تصل الى أقصى ارتفاعها . وجاء سائق عربة مرتعش ، فوضع عربته وحماره بعرض الطريق ، وفتح لنفسه ثغرة (ليشاهد) العرض ، حتى جاء اليه عسكرى وقال له بنغمة عطوفة « اعمل المعروف يا عمى وقدم شوية ولا مؤاخذة » (١٥٤) .

فى بداية هذه الرواية القصيرة عن « مولد المطراوى » ذكرت بعضا من المشاهد التى تجعل من المطرية واحدة من أكثر المواقع جاذبية فى مصر ، والتى يسهل زيارتها فى نفس الوقت . هناك ما هو أكثر ليشاهد ويدرس ويحتاج وقتا أكثر . فعلى سبيل المثال ، بالاضافة الى « الشجرة المقدسة » للعذراء المباركة « مريم » ، فان هناك على الأقل شجرتين مقدستين أخريين لأولياء مسلمين محليين ، تعلق عليهما تقدمات نذرية Votive offerings ذات طبيعة بسيطة ، ما لم تكن (هذه الأشجار) قد تعرضت فى السنوات الحالية لما تعرض له « السبيل » الجميل وبستان أشجار التين قرب « المسلة » ، وطريق أشجار التوت الذى كان يربطها معا . واحدى هذه الأشجار تقع خلف القرية القديمة التى خلف المسجد ، أما الأخرى فهى على بعد ميل فى اتجاه « المرج » ، قرب السكة الحديدية ، حيث تعبر الترعة بقنطرة . ولقد بلغ بى الطيش حد التقاط صورة فوتوغرافية لاحدى هاتين الشجرتين فى صباح يوم جمعة فيما بدا واضحا أنه كان « ساعة السيدات » ، الأمر الذى أدى الى جلب قدر كبير من الاستياء . قدمت اعتذارى على أساس معاناتى من برد فظيع فى الرأس ، ورغبتى

---

(١٥٤) اورد المؤلف عبارة العسكرى بالحروف العربية .
— راجع ص ٢٥٠ من النص .

فى تعليق منديلى (على الشجرة) والحصول على شفاعة الشيخ من أجل شفائى • وفى النهاية صفحت السيدات عنى وسمحن لى بممارسة « طقس اختبار المشكوك فى ايمانه » act of faith • وليس فى هذا أى تعارض مع ما قــد يبــدو ، فكثير من المســـلمين يأتون الى الذخائر القبطيــة المقدسة relies « لمار تادرس » Mar Tadros بأمل الشفاء أو (نوال) البركة ، ومئات من غير الكاثوليك ، أغلبهم من المسلمين يأتون الى الضريح الكاثوليكى « لسانت تريزا » St. Terese فى « شبرا » حاملين هدايا نذرية • ويمكن الاستشهاد بحالات عديدة مماثلة ، وحالات تبادلية حيث ينشد المسيحيون الشفاء أو البركة عند الأضرحة الاسلامية •

عندما ذهبت هذا العام ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » ، فى الرابع عشر من شعبان طبقا للتقاويم الرسمية ، وبعد العشاء ، اغتممت عندما وجدت أن الجانب الترويحى (للمولد) قد تقلص كثيرا ، وبصورة متميزة كذلك عند مسجد مغلق وغير مضاء • وبسؤالى عن السبب ، أكد لى الناس أن كل التقاويم كانت غير صحيحة ، وأنه قد تقرر لأسباب (تتعلق بالتقويم) القمرى أن يكون (المولد) فى الثالث عشر ، وغدا مساء فى عشية الخامس عشر — منتصف شعبان •

كانت هذه المعلومة صحيحة ، كما أورت المآذن المضاءة والاحتفال عند « مسجد محمد على » ، ودلالات أخرى ، لكننى لم أستطع تكرار الزيارة « لسيدى المطراوى » ، لذلك فاننى لا أســتطيع أن أســجل عن ذلك شيئا •

ان أهمية تحديد الموعد تماما فى هذا الوقت ، تنبع بطبيعة الحال من المهابة الفريدة لعشية النصف من شعبان ، ففى هذه الليــلة تهز « شجرة السدر » Lote tree of Paradise ، « شــجرة المنتهى » كما تسمى فى « ســورة النجم » (١٥٥) رقم ٥٣ فى القرآن « عند ســدرة المنتهى » ، وكل ورقة تسقط تحمل اسم من يموت فى العام التالى •

---

(١٥٥) « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ، فاوحى الى عبده ما اوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، افتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من ايات ربه الكبرى » • — سورة النجم مكية — الا الآية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الاخلاص •

ينظم جيراني الصغار ، والأطفال في أماكن أخرى مواكب صغيرة ويغنون : « يارب ثبت ورقتنا على شجرتنا واحنا لسه صغار » ٠

سيدى مظلوم (راجع الخريطة القطاعية IV) M 9 :

آمل أن تقنع هذه الرواية القصيرة عن « سيدى مظلوم » هؤلاء الذين يهوون الأشكال غير الجوالة والثابتة Sedentary من العبادة والمتعة ، بأنه اذا لم يتوقع غير المسلم وغير المطلع أقصى ما يمكن من التثقيف والتنوير ، فانه يستطيع أن يتشوف الى الحركة والاثارة ، الحياة والحيوية على الأقل ؛ بصرف النظر عن اهتمـــامات الأنثروبولوجى ، الفولكلور وما أشبه ، والنشاط العظيم الذى يبعثه جو خال من السأم والمتعة المختلقة ، حيث التقوى والاستمتاع صادقان بدرجة متساوية ٠

تبدو الليلة الكبيرة دائما يوم الأحد ، لكنها تفاوتت خلال السنوات الخمس ١٣٥٣ ــ ١٣٥٧ من الثـانى والعشرين من محرم الى السـابع والعشرين من ربيع الآخر ٠ كما أن موعد هذا المولد يتوقف الى حد ما على حالة الزراعة فى موقعه ، كما فى حالة « امبابة » (١٥٦) ، « فرج » ، وموالد أخرى بلا شك ٠

يحتل « المقام » مكانه فى المزارع خلف الشرابية ، بعد ضريـح سيدى « جلال » ، الذى يقام له مولد هو الآخر ٠ وما لم يكن تحت تصرفك سيارة مجهزة للسير فوق الطرق الوعرة ، فان افضل وسيلة هو ان تأخذ تاكسى من خارج « محطة كوبرى الليمون » ٠ لكن لا تعول على وعد سائق سيارة الأجرة Cabby بأن يأتى بك فى المساء ٠ يجب أن تكون مستعدا لمسيرة ميلين أو ثلاثة ، أو لركوبة ، أو لمكان فى عربة من نوع ردىء ٠

تعرفت على (مولد) مظلوم فى عام ١٣٥٣ « ١٩٣٤ » ، فى بعض الأمسيات السابقة على « الليلة الكبيرة » ، ووجدت (هناك) حلقة من الخيام ، المسارح ، (رقصات) « الرتجا » ، قره ــ جوز ، خيال الظل ، السـحرة ، عروض الكـلاب ، دفع المدفـع Push-Cannon « العمـة سالى (١٥٧) ، منصات النيشان Shooting galleries ، وكل انواع العروض والألعاب ، (كل هذا) كان يحيط بمجموعة من الأشجار التى تحفظ قداسة مقام « الولى » ٠ كانت هناك حلقة خارجية للاعبى العصا ،

---

(١٥٦) المقصود « سيدى اسماعيل الامبابى » ٠

(١٥٧) راجع الحاشية (١١٤) من هذا الفصل ٠

رقص الخيول ، والحواة ، الخ • ونظرا لاصابة ساقى فاننى اكتفيت بالجلوس قرب الضريح فى مقهى « أمين » ، الشخصية المعروفة ، والتمتع بمشاهدة الذاهبين والقادمين Va et vient من الحجاج الى المقام • مشهد مؤثر وزاه •

خذلنى سائق سيارتى الأجرة ، وأسفت كثيرا لجيش الحمير والصبية الحمارين الذين كانوا متوفرين منذ عقود قليلة فى كل مكان ، شىء مفيد وجميل لمصر ، (هذا الجيش) الذى سحق بوحشية يا للحسرة ، بالحماس للميكنة • ومع هذا ، فقد كنت سعيد الحظ عندما ألح على بدوى ذو منزلة (لركوب) جواده الذى كان يلعب فى المساء المبكر • كان حيوانا لطيفا ، لكن فكه كان قويا ، ونزاع الى الرقص عند مقابلة أى زفة بالطبول ، وتواق فى بعض الأوقات لأن يثبت لى كيف يمكنه أن يستلقى على الأرض والتظاهر بالموت ببراعة !

جئت فى اليوم التالى مبكرا ، وأحضرت معى « مراسلة » ومؤونة فى السيارة الأجرة ، واستمتعت بغداء خلوى فى حقل مجاور • كنت قد احتطت بحبس الأجرة ، واعدا السائق بأجر كبير عند العودة ، لكن السائق لم يظهر ، وقتئذ على الأقل ، حيث انه دنا منى فى المدينة بعد أيام مقسما بانه قد أتى لكنه أكره بواسطة مجموعة على العودة بهم • بحث « المراسلة » عن حمار دون جدوى • كانت الحمير لا تزال موجودة فى الواقع ، لكن المغامرة من جانب أصحابها كانت ميتة ، وأضاعوا فرصة لكسب سريع للنقود • فى النهاية جاءنى (المراسلة) ببغل ضخم ، متوج بهرم من الجلد والنحاس • يا لها من « ركوبة » ويا له من وقت أعطاه لى ولساقى المريضة ! كان على المالك أن لا يظهر ، حسب المتفق، عند كوبرى الليمون Ponte limoun ، لكن يأسى لبقاء دابته متروكة معى سرعان ما تبدد بوصوله •

فى الليلة الأخيرة (للمولد) حصلت على فائدة توصيلى ذهابا وايابا بسيارة ايفانز — بريتشارد ، لكن رغبته كأستاذ فى الأنثروبولوجيا فى أن يشاهد مولدا نموذجيا كانت صعبة التحقيق • فقد ظهرت الفضيحة Skeleton فى الاحتفال بعد غروب الشمس مباشرة ، فى شكل عربى ضخم متحجب ،سبب الكثير من المضايقة للنساء برفعه الكلفة معهن ، وجرأته فى التعامل مع أصحاب الأكشاك • سرعان ما تعقبه شرطيان سريان فى ملابس مدنية ، لكنه عندما وجد أن حركاته قد أعيقت ، وأن أسئلتهما مربكة ، أخرج فجأة مبردا صرع به واحدا منهما • قام الجمهور المحافظ على القانون بشل حركته وكشف وجهه فى الحال • كانت لحظة درامية !

صرخت بعض النسوة « لماذا ، هذا هو « الحرامى » الذى خطف طفلى مصطفى ! » وصاح رجل « وسرق أغنامى » · تم التعرف على الرجل كرئيس عصابة ، ارهابى مكروه · وكانت هذه نهاية أفعاله الشريرة ، فقد أطبق الفلاحون الغاضبون عليه ، وغاب عن أنظارى ، وكلى آ مال فى أن يكونوا قد مزقوه اربا ·

وصلت الأنباء الى السلطات بسرعة البرق ، وفى دقائق قليلة وصل العساكر الخيالة المسلحون بالعصى وقاموا بتفريق المتجمعين بحماس زائد : قلبت الخيام ، هرب الفنانون والراقصون بملابسهم وبدونها الى المزارع ، وتم تدمير المولد كلية · أسفت لهذا الجمع الشريف الذى فعل خيرا باعدام Lynching ذلك الوغد ، ولو أنه غير قانونى بعض الشىء ، الا أن هذا لم يعرف به لدى البوليس الا بعد بعض الوقت ، ولقد كانت مهمتهم هى ايقاف حمام الدم والفوضى أيا كانت أسبابها ·

ومرفق هنا قصة الاعدام حسب ما قدمتها (جريدة) « لابورس اجبسيان » La bourse Egyptienne :

« اللص الذى مات ضربا من الجماهير ١٩٣٤/٥/٦ – ١٣٥٣/١/٢٢

بمناسبة مولد الشيخ مظلوم فى حى الشرابية قام البوليس بتكليف شخصين للسهر على الأمن فى مكان اقامة المولد · وقد لاحظ رجال البوليس بأن شخصا ما يدعى « محمد قاسم » ، وهو مجرم خطير خارج من السجن منذ شهرين ، يجوب على الباعة ويطلب اتاوة من التجار مهددا بالمطواة · ولقد تدخل رجال البوليس لمنع هذا المجرم من الاستمرار فى أعماله الاجرامية وقد أخذوا منه المطواة · فى هذا الوقت ثار المجرم « محمد قاسم » وأخرج من تحت ملابسه قضيبا من الحديد وضرب أحد رجال البوليس ويدعى « محمد السيد » وشج رأسه · وعندما رأى الجمهور هذا التصرف الاجرامى هرع الى اللص منهالا عليه ضربا بالعصى والزجاج والكراسى حتى أردوه قتيلا · وقد نقلت جثة اللص الى مركز الشرطة « بمهمشة » وحفظت النيابة القضية ، وقام البوليس بسؤال عدد كبير من الأفراد الذين آكدوا على صحة كل الطرق التى استخدمها رجال الأمن · وكان قد نقل رجل الشرطة الجريح الى المستشفى فى حالة خطيرة ، وقام الطبيب الشرعى بتشريح جثة المجرم » (١٥٨) ·

---

(١٥٨) قدم المؤلف هذا النص باللغة الفرنسية نقلا عن « لابورس اجبسيان » ، وقد ترجم الى العربية بمعرفة السيد الدكتور/ محمود مكاوى المدرس بقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب – جامعة الزقازيق – راجع النص الفرنسى بالملحق (٢٨) ·

اصطحبتني في العام التالي ، الأحد ، ٢٥ محرم ١٣٥٤ «٢٨/٤/١٩٣٥» سيدة انجليزية كانت قد تجولت بين الجزيرة العربية واليمن ، وجذبتها رواياتي عن هذا المولد • اصطحبتني السيدة في سيارة أجرة ، وعند اقترابنا من هذه المدينة المؤقتة من الخيام المائة ، هبطت احدى عجلات (سيارتنا) في الأرض الرخوة على حرف الجسر ، وانقلبت السيارة • ولما كانت السيارة قد ارتطمت عبر قناة مليئة بزراعات كثيفة ، فقد نجونا بعظامنا وزجاجاتنا ، فقد كنا قد زودنا أنفسنا بتعيينات الغداء الخلوى • وبعد تجمعنا في شلة مرهقة لنجلس القرفصاء Humpty Dumpty وبعد الحصول على بركات العربجي وقسمه المغلظ بأنه سيرسل لنا سيارة أجرة ، حيث قد بدا أنه ممتن لدرجة كبيرة بسبب ما اعتبره معاملة سخية ، وبعد جولة ابتدائية حول الخيام ، الخ ، جلسنا عند ماء جار في حقل مجاور • كان هناك الجو الريفي برائحة الروث الطازج وبصل الربيع ، حيث كنا في حقل يحوى زراعات للسلطة a salad field ، تم به تغطية النقص الوحيد Lacuna في قائمة طعامنا • كان أحد عناصر (هذه السلطة) نبات ذو عصارة لم أشاهده في أى مكان آخر كان الفلاحون المحليون يسمونه كيرات Kirat . (١٥٩) •

سار المولد بهدوء هذه المرة ، وكانت رفيقتي متأثرة خاصة بألعاب « الحاج محمود » السحرية ، عروض الظل ، ورقص الخيول • انغمست (السيدة) في ألعاب قمار بسيطة من مختلف الأنواع ووزعت الكثير الذى كسبته على بعض الصبية الذين أعجبوا بعملها • لكن التاريخ أعاد نفسه في النهاية الأخيرة ــ الاخلال بالوعد من جانب العربجي ــ ولا شيء استطاع « مراسلتي » أن يجده للركوب سوى ذلك « البغل » ذى الهرم النحاسي على ظهره • لم يرق الركوب أماما وخلفا لكلينا ، لكن حمولة من النساء والأطفال على عربة كارو يجرها حمار قبلت أن ننحشر بينهم ، وهكذا (وصلنا) الى القاهرة •

وبينما كنت أجلس بين العـــامة Profanum ، أجريت محادثة كبيرة مع زائرى المقام عن « مظلوم » (هذا) ، لكن معلوماتهم لم تكن ثابتة أو يعتمد عليها • قال البعض ان اسمه لم يكن « مظلوم » ، لكن الاسم أطلق عليه ، باعتباره « شهيدا » ، بسبب اتهامه كذبا واعدامه • وقد أجمع من أبلغوني أن « مظلوم » هو صديق الفلاح وراعى الزراعة • وقد يكون راعيا للماكرين Wanglers ، ذلك أنه يحصـــل بصورة غير

---

(١٥٩) يقصد المؤلف نبات الكرات •

سويه على مدد بقاء طويلة وامتيازات سخية من أجل مولده : من ذلك عشرون يوما مقابل مولد النبى (ﷺ) الذى تبلغ أيام عماره سبعا ٠ وحتى موت « الملك فؤاد » ، عام ١٣٥٥ ، والذى أوقف كل هذا النوع من الاحتفالات ، لم يوقف هذا المولد الا لفترة قصيرة ، وفى الحقيقة فانه أطال أمده ، ولابد أنه استمر فى عام ١٣٥٧ لأكثر من شهر ٠ فعندما اقترب موعد ختامه apodosis أوقف « لأسباب لا أعلمها » ، لكننى علمت أن شـــيخ الضريح قدم احتجاجات قوية للمأمور ، لا تخلو من التهديد ، الذى وضـعه ذلك الموظف الكبير فى حسبانه ، عندما ظهـر « مظلوم » نفسه فى الليـل « كرؤيا » (للمأمور) وأبلغه بصراحة أن الأرواح يمكن أن تقبض كما توقف الموالد ٠ أكد الرجل الطيب « هكذا يقول أهل الحى » لزائره الشبح انه « أى الشبح » قد أبلغ خطأ عن تقليص المولد ، وأنه يجب أن يستكمل بكل التكريم الى جانب خمسة أيام أخرى اضافية ٠ وهكذا كان ٠ ولقد كان الكاتب حاضرا فى الليلة الختامية ، الأحد ٢٧ ربيع الآخر ، ١٣٥٧ « ١٩٣٨/٦/٢٦ » ، واستمتع بليلة هادئة ونهاية بالغة حد الكمال « quietam noctem et perfectum finem » مع الوجبة الخلوية المعتادة فى حقل السلطة ، وركوبة العودة الخشنة ٠

فليتزين « مظلوم » بالزهور Floreat ، ولتمتد حياة المأمور القيمة سنوات خمسا أخرى وأكثر ٠

سيدى موفق « انظر الخريطة القطاعية M 10 « VI :

يبدو أن (هذا) المولد ذو وجود غير مستقر ، ويسعد مريدوه أن يحيوا ذكراه ويلتمسوا شفاعته فى أى يوم من أيام الأسبوع أو الشهر ، فى عام ١٣٥٣ كان موعده الأحد ٢٦ رجب ، فى عام ١٣٥٤ (كان الموعد) هو الثلاثاء ١٠ شعبان ، فى عام ١٣٥٥ كان الخميس ٢٧ شعبان هو الموعد ، وفى ١٣٥٦ كان الثلاثاء ٢٨ شعبان ، أما فى ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » فاننى أخشى أن يكون قد أحيل الى ميقـات لن يحين أبدا relegated to the Greek Kalends . (١٦٠) ٠

يقع (المسجد) خلف مسجد « سيدى أبو العلا » الكبير مباشرة ، وعلى ذلك فان خطوط الترام ١٤ ، ١٥ ، ١٣ ، وأتوبيسات ٦ و ١٥ تمر به ٠

---

(١٦٠) Greek Calends أو Kalends حيث لا موعد مطلقا ، فلم يكن للاغريق أى تقويم Calends والمصطلح يقارب فى المعنى العربى قولك لآخر « فى المشمش » ــ وهو مصطلح اذا استخدم فانه يعنى أن الأمر المتحدث عنه لن يحدث أبدا ٠

— Webster's Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 799.

ليس لدى الشارع القذر الصغير الذى يضم ضريح « سيدى موفق » ما يعوض به الضريح سوى (أنه) يقابل ضريحا آخر للشيخ مصطفى . واسماهما مكتوب (كالآتى) :

هذا ضريح سيدى حامده موفق   هذا ضريح الشيخ مصطفى

عندما وجدت هذا المولد فى عام « ١٩٣٤ » كان سوقا تجارية كبيرة ، بجمهور كبير عند الأضرحة ، والعروض المعتادة ، مع مسرح خيام كبير عند مسجد « أبى العلاء » . فى عام ١٣٥٤ اختفى هذا المسرح ولم يعش القره ـ جوز حتى الليلة الأخيرة ، لكن بعض (رقصات) « الرنجا » على مستوى موسيقى سودانى بدائى لأكبر درجة كانت هناك . مادة قد تعنى المرحوم أستاذ الأنثروبولوجيا بالجامعة وعلماء آخرين صاحبونى . فى عام ١٣٥٥ « ١٩٣٦ » هوجم مكان رقص آخر بعنف ؛ لكنه استأنف نشاطه فى دقائق قليلة . فى عام ١٣٥٦ (١٣٥٧) كان هناك القليل من موائد الألعاب (القمار) وحجيج عرضى عند الأضرحة ، ومحاولة لتسيير زفة ضئيلة فى الساعة الرابعة والنصف . لم يقم المولد فى عام ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » ! وأخشى أن هذا كان مصيره منذ ذلك الوقت .

سيدى الشيخ دمرداش المحمدى « انظر الخريطة القطاعية «V» M 11 :

هذا أحد الموالد ذات الاعتبار الرسمى « مثل مولد الامام الشافعى » ، (باقامة) الاحتفالات ذات الاعتبار الكبير envergure ، والتى يؤمها الكثير من العلماء ، الوزراء ، كبار الموظفين ، والأعيان ، الى جانب نسل هذا الولى القاهرى ، والذين يحملون اسمه .

فى موقع هذه الزاوية الصغيرة حيث كان « سيدى الدمرداش » (يقضى وقته) متأملا ، يوجد الآن تابوته ، وعلى رقعة الأرض التى كان يزرعها للفقراء وللحكومة منذ أربعمائة عام مضت ، يوجد الآن مسجد فاخر ومبان ملحقة عند مولده بمقصورة من أجل « التشريفة » الكبيرة . كان لى شرف حضور هذا المولد فى مناسبات عديدة فى الليلة الختامية التى يوافق موعدها دائما يوم « خميس » من النصف الثانى من شعبان متراوحا بين السابع عشر فى عام ١٣٥٢ والسادس والعشرين فى عام ١٣٥٧ « ١٩٣٨/١٠/٢٠ » . المولد فخم ويزيد من بهائه منظر أتباعه حاملى الشموع فى أثوابهم البيضاء .

لم تتيسر مشاهدة « الزفة » ، لكن هذا ربما كان بسبب عدم حضورى فى الموعد المحدد · ويقدم الغداء للكثيرين من الفقراء قبل التشريفة ·

يسهل الوصول الى هذا المولد بواسطة الأتوبيس رقم (١٠) ، لكن اذا فضل القطار فانه (المولد) على مسيرة قصيرة من « محطة الدمرداش » · وعلى أى الأحوال ، فان مئذنته السامقة هى « منارة » تهدى المرء الى الزاوية ، التى ستوجد محاطة بحشد كثيف من الحجاج ·

حتى عام ١٣٥٣ لم يكن المولد فقط هو هدف الزائرين ، لكنه كان حدثا شعبيا كبيرا · وكان الطريق من شارع العباسية الى المسجد مشهدا بهيجا من الأكشاك ، حلقات الذكر ، الخ ، لكن هذا الطريق أصبح مهجورا تماما فيما عدا للسيارات الذاهبة والعائدة من التشريفة · لا شك فى أن دمج النشاطين (الدنيوى والدينى) كان يعتبر أمرا متناقضا وغير منصوح به ، لكن النتيجة كان مثبطة ومحبطة للكثيرين · ولذلك فاننى مع آخرين ابتهجنا فى عام ١٣٥٦ عندما وجدنا أن النشاط الدنيوى كان لا يزال حيا ، ولكن فى القرية وعلى مسافة كبيرة من الطريق المشار اليه · كذلك كان الأمر فى عام ١٣٥٧ ، وسار كل شيء على ما يرام وكان كل فرد سعيدا ومستنيرا · « عاود الأصدقاء القدامى الظهور ــ الرجل القوى والقزم والمجموعة ، محمود الهندى الساحر ، بعض ألعاب الكلاب ، وقره ــ جوز أفضل العروض » ·

من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات مؤكدة عن حياة وأصل « الولى » الذى يحتفل به ، لكن القراءات فى التشريفة ، وحوليات الشعرانى (تبين) أن المحمدى يمثل شخصية حقيقية جذابة ، يحرث أرضه الصحراوية فى الغالب ، حتى استقر الكثيرون الذين انجذبوا بحياته المقدسة ، أو أفادوا من صلواته أو انتاج عمله ، حول زاويته وشكلوا نواة القرية التى تحمل اسمه · ويصل الينا أن زوجته ، وهى تابعة ملتزمة ، شاركته صومعته ، وأذهلها قيامه الليل المتكرر للوضوء والصلاة ، أو قراءة القرآن الشريف · لقد كان شعاره ، مثل شعار أغلب أهل الرهبانية الغربيين « صل واعمل » Ora et labora .

الشيخ صالح العابد شاهين المحمدى M 12 :

أتردد فى ضم هذا « الولى » الى كتاب عن الموالد ؛ نظرا لعدم توافر أى دليل يؤكد ان طريقته ، التى تنحصر فى الغالب حسب علمى فى جبل المقطم وما يجاوره يتسع نشاطها الى مولد · والسبب الرئيسى لدى لضم

هذا الولى الى الكتاب هو لتبديد التشوش بين هذا الولى ، والناسك المعاصر الذى يحمل نفس الاسم « الدمرداش المحمدى » ، وهو ارتباك نقله الى الذين أعلمونى به ، وقد تم اتضاح الصورة الآن بفضل « الطبقات الكبرى » للشعرانى ٠

كان « الشيخ صالح المحمدى » جنديا فى جيش السلطان المملوكى « قايتباى » (١٦١) ومن المقربين اليه ٠ وقد صـــاحبه فى حملته على « فارس » ، لكنه عاد الى القاهرة واستقر فى حياة التنسك ، وعاش ثلاثين عاما فى كهف أو قبر فى تلال المقطم ، (١٦٢) وتوفى طاهرا عفيفا حوالى أوائل القرن العاشر الهجرى « نهاية القرن الخامس عشر الميلادى »٠

ولقد مضى عاريا كالقديس أونيفريوس Onephrius دون الاستفادة بما أفاد به هذا القديس من لحية طويلة كانت تصل الى قدميه ٠ ويبدو أنه كان قد نذر صمتا ، فزواره وأتباعه لم يحثوه على الكلام ، لكنهم نالوا التنوير والتثقيف من التقشف التقى لهذا الزاهد ٠

ولم أستطع الوصول الى صومعة هذا الولى فى تلال المقطم ٠

لما كان أحد أسماء شيخنا هو «شاهين» (١٦٣) Çhahin أو Shahin فقد كنت ميالا الى تعيين هويته مع « أبو شاهين » ، الذى يبدو مسجده الجميل المدمر فى الصخور ، جنوب « الجيوشى » ، حيث يمكن الوصول اليه بواسطة درب ضيق يطوق فى أحد مواضعه جرفا ٠ من هذا المكان يمكنك أن تزحف كالأرنب عبر فتحة محدثة فى الصخر الحى ، تجنب السقوط فى كهف كبير مظلم على اليسار ، أو الخطأ فى الوقوع فى نوع من الزنزانات Dubliette الطبيعية على اليمين بالنسبة للدرب ، وبذلك تندفع فى فسحة أو مساحة كبيرة ٠ شق طريقك عبر دهليز صخرى طويل ، لتكون (بعد ذلك) فى واحدة من أجل البقع فى مصر ، وربما فى العالم ٠ تطل على النيل ، المعادى الخضراء ، الحوامدية القصية ، هرم سقارة ، والكثير غير ذلك « بقعة نموذجية للغداء الخلوى والقيلولة » ٠ من ثم

---

(١٦١) سلطان مصر (٨٧٢ ـ ٩٠١ هـ/ ١٤٦٧ ـ ١٤٩٥ م) :

(١٦٢) الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدى (رضى الله عنه) من جند السلطان الاعظم قايتباى ٠٠٠ راح العجم ورجع ٠٠٠ سكن فى المقطم فى قبر ٣٠ سنة من غير أن ينزل الى مصر ٠٠ توفاه الله تعـالى سنة نيف وتسعمائة ـ حاشية باللغة العربية للمؤلف ٠

(١٦٣) ادرج المؤلف حاشية عن كيفية التفرقة بين حرف (ش) فى شاهين وحرف ç التركى ، ولما كان هذا موجها للقـارىء الاجنبى فقد أهملته ٠

فانك تنحدر الى المسجد القديم بمئذنته الرائعة تحتك رأسيا ، لتجد فتحة كانت تضم رفات الشيخ فى وقت ما ، ولسوء الحظ فقد حفرت وانتهكت حوالى عام ١٩١٨ ، وفى ذلك الوقت أيضا سرقت البلاطات الخضراء الرائعة وكل ما يمكن حمله ٠

تحقق لى فى منزلى أن تفسير هذه النقاط (الغامضــة بشأن هذا الشيخ) يجب أن يترك لآخرين ، ما أكده لى شيخ مع نهاية شعبان ١٣٥٨ « ١٩٣٩ » ـ دون أى ضمان للدقة أن ضريح ومولد « المحمدى » كان خلف « منشية محمد على » ، والقره قول الجديد وأن المولد عامر ٠ وقد (ذهبت الى الموقع المشار اليه حيث) وجدت البقعة غارقة فى الظلام وأورتنى جموع من الأطفال ما ربما كان هو الضريح ، وأفادنى الكثير منهم أن هذه كانت السنة الأولى التى عطل فيها المولد ٠

السيدة نفيسة (انظر الخريطة القطاعية N 1 (XX :

بغاية الدقة وحسب علمى ، فانه لا يوجد مولد خاص بستنا « نفيسة » فى الوقت الراهن ، لكنها تشارك بطريقة ما فى مولد ستنا « سكينة » « التى كانت على ما أعتقد عمتها الكبرى » قرب منتصف جمادى الأولى ٠ وفى هذه المناسبة ، فان ضريحهـا يبدو متمتعا بشعبية كبيرة كشعبية « سكينة » ٠ وتقام منطقة الترويح فى بقعة من الأرض القاحلة تواجه الجبل الملاصق لمسجد « ستنا نفيسة » العظيم ، وعلى مسافة من (مسجد) « سكينة » ٠

يصل أتوبيس رقم ١٨ من الدراسة عبر « العتبة » ، الى الجبل المشار اليه مارا « بستنا سكينة » ٠ وهذه المنطقة تعد واحدة من أجمل البقع فى القاهرة التى لا يجب أن تفتقد ٠ وأوصى بالزيارة يوم الأحد ، حيث يكون هناك دائما القليل من الزواز لضريح « الولية » العظيمة « الحفيدة الصغرى لسيدنا الحسن ، وبالتالى فهى تنحدر مباشرة من النبى (ﷺ) ، واحتفالات مكملة تذكر بمولد صغير ٠

يجد المرء دائما على باب المسجد يوم الأحد تقريبا نساء جالسات يبعن شخشاخة كروية الشـــكل Orb-shaped مصنوعة من الأماليد المجدولة Wicker Work (١٦٤) (ومركبة) على ساق Stalk مقابل ثلاثة مليمات ٠ وقد أفهمنى أحدهم أن هذه « الشخشاخة » تباع كتذكار « لنفيسة » عندما كانت صبية حيث كانت تفضلها كلعبة من بين لعبها ٠

---

(١٦٤) الأملود من ملد وتعنى (غصن) ، (املود) أى ناعم ٠
ـ مختار الصحاح ـ مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦٤ ٠

وتذكرني هذه التذكارات المحركة للمشاعر كثيرا بلعب تعرض في بيت « سانت كاترين » Santa Catarina ، كانت تلهو بها عندما كانت طفلة صغيرة ، والتي يمكن شراء نسخ منها في محل البيع Contrada وقت اقامة سباق باليو Palio race في سيينا Siena .

يكن أهل القاهرة لستنا نفيسة قدرا كبيرا من الاحترام والعاطفة ، وخاصـــة النســـاء منهم ، وتنافس في هـذا المقـام عمتها الكبرى « السيدة زينب » • ويرجع الكثير من هذا الى قضائها سبع السـنوات الأخيرة من عمرها في القاهرة ، وانجابها لولد وبنت فيها • لقد تزوجت في فترة متأخرة من عمرها ، وقضت أيامها المبكرة في العبادة والأعمال الصالحات • ولدت (نفيسة) في مكة في عام ١٤٥ بعد الهجرة « ٧٦٢ م »، وتوفيت في القاهرة في عام ٢٠٨ بعد الهجـرة « ٨٢٣ م » في ســن الثالثة والستين « وفق الحساب الشرقي » •

كان الامام الشافعي مريدا متحمسا (للسيدة نفيســـة) ، وكان يصلي باستمرار في مسجدها ، الذي لا يفصله عن ضريحه والمسجد الجميل المبني فوقه سوى « القرافة » التي تحـوي أضرحة الخلفاء الفاطميين • وكان دائما يصلي صلوات « رمضان » معها • سأنهي (حديثي) باستشهاد من حوليات « عبد الوهاب الشعراني » عن (السيدة نفيسة) ـ دون ترجمة ـ حيث ان (هذه الحوليات) تنقل تفصيلا ما كتب في السطور السابقة :

« السيدة نفيســـة ابنــة الحسن بن زيـد بن الحســن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم •

ولدت رضي الله عنها بمكة وكان مولدها سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت في العبادة وتزوجت باسحق المؤتمن ورزقت منه بولدين القاسم وأم كلثوم وأقامت رضي الله عنها بمصر سبع سنين وتوفيت الى رحمة الله تعالى سنة ثمان ومائتين •

ولما دخل الامام الشافعي رضي الله عنه مصر كان يتردد اليها ويصلي بها التراويح في رمضان في مسجدها رضي الله عنهما » « الجزء الأول من الطبقات الكبرى صفحة ٥٨ » (١٦٥) •

(١٦٥) قدم المؤلف هذه الترجمة للسيدة نفيسة بالحروف العربية نقلا عن الطبقات الكبرى للشعراني •

سيدى نصر « انظر الخريطة القطاعية VI » N 2 :

كان هذا « المولد كبيرا تماما وحيا في المناسبة الوحيدة التي حضرته فيها ، الخميس ١٤ ربيع الآخر ١٣٥٣ « ١٩٣٤/٧/٢٦ » . يقام (هذا المولد) في « درب نصر » ببولاق ، ويمكن الوصول اليه في دقائق قليلة من شارع « فؤاد الأول » ، بترك الترام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٣ أو أتوبيس ٦ ، ٧ عند « أبو العلا » والذهاب شمالا على طول « شارع عبد الجواد » الكبير الجديد ، حتى يقطعه « شارب درب نصر » . كانت هناك في الساحة الفسيحة قرب التقاطع حلقة ذكر كبيرة ، وكان في الدرب مسرح صغير مسل وبانش ـ جودى (١٦٦) .

وشارع « درب نصر » شارع طويل جميل ، ملىء بالناس في كل الأوقات ، ويزدحم عندما يكون المولد عامرا ، أو في مولدى « الخصوصى » و « أولاد بدر » اللذين يقامان هنا في شهر شعبان .

سيدى عمر بن الفارض « انظر الخريطة القطاعية XX » O 1 :

كانت الآنسة ج G. المهتمة للغاية بالموالد ، قد أكدت لى أن « مولدا » يقام احتفالا بسيدى عمر في مكان ما خلف القلعة في اتجاه الامام الشافعي » . (لكنني) لم أستطع التأكد من الموقع ، كما أن الموعد (الذى يقام فيه المولد) لم يبين . لكن هذا (الموقع) لابد أن يتركز عند المسجد الصغير « وتكية » سيدى عمر الفارض ، خلف القرية الصغيرة الشنيعة « الأبجية » (١٦٧) ، عند قدم جروف المقطم وتحت هذا المسجد الجميل المحطم « أبو شاهين » مباشرة (١٦٨) .

يعج حائط تلال المقطم الشبيه بالحصن fortress-like والمواجه « للقلعة » ، يعج بالجمال والمتعة ، والمشاهد الجميلة . وهى مناظر واضحة بما فيه الكفاية ، لكنها منحوته أيضا في الصخور الحية ، بمعرفة الرهبان ، المسيحيين ، والمسلمين (١٦٩) طلبا للعزلة والأمان

---

(١٦٦) عن شارع درب نصر ـ انظر الحاشية رقم ١٣٦ من هذا الفصل .

(١٦٧) الأبجية ـ موقع في شياخة « عرب يسار » التابعة لقسم الخليفة ـ بالقاهرة ـ تعداد سنة ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ .

(١٦٨) راجع « الشيخ صالح العابد شاهين المحمدى » ـ M 12 ص (٢٩٨) .

(١٦٩) لا توجد رهبانية في الاسلام بالطبع ، لكن المؤلف هنا يقصد « الدراويش » الذين كانوا يعيشون في الخلاوى (مفردها خلوة) او « التكايا » في تلال المقطم ، والذين كانوا يماثلون الرهبان في معيشتهم .

والعبادة . ولازالت (هذه المشاهد) تحتفظ بقدر كبير من أسرارها حتى اليوم وتحتاج الى الكثير من التعلم . وبعض تفاصيل جزء واحد من هذه (المشاهد) وارد فى قصة مولد « شاهين المحمدى » ، M 12 ، وتبين الصورة هدف الكثيرين من مغامرة فريدة لتناول الطعام خلويا (١٧٠) .

وأنتهز هذه الفرصة « ولو أنها متأخرة » ، لشـــكر الدراويش الطيبين (فى مسجد) « سيدى عمر بن الفارض » ، لانقاذهم لى من موقف ميئوس منه . كنت قد دعوت حفلا كبيرا ـ « اتحاد القاهرة الكاثوليكى » the Cairo Catholic Association الى بعض من العجائب فى هذه الأماكن . (صعد الضيوف) مقدمة الجرف ، وشقوا طريقهم بصعوبة عبر الممرات الرأسية ، وخلال الفجوات والدهاليز . ولدى وصولهم الى النقطة الموضحة بالصورة (١٧١) كان هناك ما هو أكثر من التهيؤ لشاى فى الخلاء Picnic lea . فقد تم الاعـداد للأمـر بمعـرفة الصـــبية الذين معى فيما عدا الشاى نفسه ، الذى كانت غلاية تغلى من أجله فى كهف عميق لا رياح فيه . آنئذ همس « مراسلتى » batman لى بأنه لم يجد علبة الشاى ، وأنه لابد قد خلفها وراءه . شعرت بحق ضيوفى فى القذف بى وبمراسلتى من فوق هذه الصخرة الطاربية Tarpeian rock (١٧٢) ، لكن صبى الحديقة « سيد » جعل من نفسه كبش الفداء . فقد انزلق من هذا الجرف ، وانحدر الى « سيدى عمر » ، وعاد ثانية حاملا معه علبة من الشاى الممتاز وتحيات صديقة وورعة من الدراويش . فليباركهم الله .

سيدى عقبى « انظر خريطة مصر العليا O 2 :

لم أسمع بهذا المولد على الاطلاق ، لكننى التقيته مصادفة فى عام ١٩٣٨ « ١٣٥٧ » عنـــدما كنت راكبـــا عبر الحقول من منزلى فـى « بين السرايات » الى مباراة كرة قدم « بالزمالك » ومارا بالقرية الكبيرة الجميلة « ميت عقبة » . كانت تخوم ضريح « سيدى عقبى » مزينة ، لكن

---

(١٧٠) راجع الحاشية (١٦٢) ، ويشير المؤلف هنا الى صورة فوتوغرافية لموقع مسجد شاهين المحمدى ، لكننى لم أرفق الصور التى التقطها فى هذا العمل .

(١٧١) راجع الحاشية السابقة .

(١٧٢) تاربيا Tarpeia فى الأساطير الرومانية ، هى الفتاة التى فتحت أبواب القلعة الكابيتولية خيانة للسابينيين الغزاة Sabines الذين وعدوها بما كانوا يرتدونه على أذرعهم : بدلا من الأساور الذهبية التى قصدتها ، فانهم رفعوا دروعهم عليها وسحقوها حتى الموت ـ أما Tarpeian فتدل على جرف على تل كابيتول Copitolian hill بروما حيث كان يقذف من فوقه الأشخاص المدانون بخيانة الدولة ، وقد سمى كذلك نسبة الى تاربيا Tarpeia

— Webster's Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 1866.

الأمر كان يتطلب ثلاثة أيام حتى الاحتفال الكبير ، ولما كنت مرتبطا فى ذلك الوقت ، فقد أرسلت « مراسلتى » فى يوم الأحد الثامن عشر من جمادى الآخرة ١٣٥٧ « ١٩٣٨/٨/١٤ » ، والذى أبلغنى أنه حدث كبير يضم حشـــدا كبيرا عند الضريح ، وأن هناك مسرحا من نــوع ردىء of sorts فى دائرة التسلية . كان المولد من النوع الريفى البسيط ، مماثلا لمولد « أبو قريش » الذى يسبقه بليلتين فى «زنين» « انظر A 22 » . لكن مراسلتى كان قد أكد له أنه أكبر كثيرا عادة ، لكنه انكمش هذا العام بسبب التنافس على احياء الموالد Plethora of moulids — اذا جاز التعبير — (فمولد) سيدى « ابراهيم الدسوقى » يقام فى نفس الليلة عند نصب Cenotaph هذا المؤسس العظيم « للطريقة الدسوقية » على النيل عند « جزيرة الذهب » ، و « عبد الرحيم الطرطـورى » فى قرية « الحطية » المجاورة ، « وأبو قريش » فى « زنين » ، وآخر لست متأكدا من اسمه ومكانه ، غير بعيد ، والمولد الكبير « للزفيتى » الذى مررت به فى طريقى من « بين السرايات » الى « ميت عقبة » ذاهبـــا الى النهائى الكبير grand finale (لمبـــاراة الكـرة) فى الثـانى والعشرين من جمادى الآخرة .

يمكن الوصول الى (هذا المولد) بترام الجيزة رقم ١٥ ، وتركه فى المحطة الأولى بعد « كوبرى الزمالك » ، والسير فى الطريق على الزاوية اليمنى الى « البحر الأعمى » . وحيث ان المولد على مسيرة ميلين سيرا ، فان السيارة تفضل ، كما أن الطريق ليس سيئا .

لم أنجح فى الحصول على معلومات موثوق بها عن « سيدى عقبى » .

فى عام ١٣٥٨ أبلغنى نفس « المراسلة » أن مولد « سيدى عقبى » استمر يوم ٢٤ جمادى الآخرة « ١٩٣٩/٨/١٠ » متزامنا مع مولدين مصغرين فى نفس القرية ، هما مولدى « الشيخ لاشين » و «سيدى غريب» .

يوجد مسجد ومقبرة صغيرة « لســـيدى عقبــة » Sidi Oqba الى الجنوب قليلا من « الامام الليثى » ، لكننى جاهل بأى صلة بين هذا وبين الضريح فى « ميت عقبة » .

الشيخ قازازى « انظر الخريطة القطاعية XII » Q 1 :

صادفت هذا المولد الصغير عرضـا فى ٢٨ شـعبان عام ١٣٥٤ « ١٩٣٥/١١/٢٥ » بعد العاشرة مساء بقليل • فبينما كنت أستمتع بضريح سيدى « مصطفى الجمل » فى حى « الدراسة » ، ظهرت « زفة » صـغيرة من اتجاه « سيدنا الحسين » ، وبتعقبها توقفنـا عند مسجد « قزازى » الصغير الحديث فى شارع « الطماعين الجوانى » (١٧٣) • كان هذا مولدا خاصا لكن الحضور كان جيدا ، رغم أننى أبلغت أن هذه كانت الليلة قبل الأخـيرة Penuitimate • ولم أستطع الذهاب الى المولد فى التاسع والعشرين من شعبان •

سيدى عويس القرنى « انظر خريطة مصر العليا » O 2 :

لقد تبين لى أن هذا هو أكثر الموالد تسببا فى الحيرة ، ولقد ضللت بشأنه ، الى حد الذهاب الى « مزغونه » ومشاهدة مولد « سيد الشهداء » بعد التأكيد لى أن هذا هو مولد « القرنى » •

تستميلنى الاشارة اليه تكرارا على أنه حدث هام ، على تضمينه هذا العمل ، واعتقد أنه فى اتجاه « الواسطى » ، لكننى لا أعرف شيئا عن موعـده •

كذلك فان اهمية « عويس القرنى » فى الاسـلام غير مؤكدة • « فعبد الوهاب الشعرانى » يقدم رواية طويلة « لكنها مبهمة بالنسبة لى » عن أقواله وأفعاله ، ويصنفه بين الدراويش الأوائل فى بدايات انتشار الاسـلام (١٧٤) •

ويبدو أن « القرنى » كان له خبرة كبيرة (بعالم) الجن ، الى حد أنه لم يكن يشاهد داخلا لمنزله أو خارجا منه لعام أو عامين سوى مرة واحدة ، وعند موته اختفى جسده فيما يشبه المعجزة •

---

(١٧٣) توجد فى حى الجمالية شياخة باسم « كفر الطماعين » تضم عدة حوار وطرق ، وشارع يسمى الدراسة ، لكننى لم أجد اسم شارع « الطماعين الجوانى » هذا فى شوارع هذا الحى ، لكننى اعتقد انه فى شياخة « كفر الطماعين » •
ـ « تعداد سكان القطر المصرى سنة ١٧٩٧ » ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٥ •
(١٧٤) الطبقات الكبرى ـ الجزء الأول ـ ص ٣٤ •

الشيخ روبى « انظر خريطة مصر العليا » R 1

قيل لى انه مولد كبير وهام ، وسط محيط جميل ، أتوق لرؤيته ٠ لا أعرف فى الوقت الحالى عنه شيئا من واقع الخبرة الشخصية ، لكننى لاعتقادى أنه يقام فى منتصف شعبان ، فقد أرسلت فى هذا العام الهجرى ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » صبى حديقتى ، فعاد لى مملوءا بالحماس ، حيث وجده يقابل موالد القاهرة فى هذه الأيام ٠ كانت مدينة الفيوم مزدحمة بالحجاج والزوار ، وكان المكان مليئا بالحياة ليلا ونهارا ٠ كان هنـاك احتشـاد عظيم عند الضريح وعند ضريح شيخ محلى ذى قداسة كبيرة وسمعة ، كان يرافقه « سيدى الروبى » على الدوام بعد ما جاء الى مصر ـ حيث انه طبقا (لرواية) سيد « صبى الحديقة » فان « الروبى » كان « روميا » منشأ وميلادا ، وجاء فى أواخر أيامه الى « الفيوم » ٠

لسوء الحظ لم تكن هناك سباقات للخيل ولا ألعاب لها ، كما اختفت الجماليـات الأخرى فى السـنوات الحالية ، لم يبق سوى قره ـ جوز وخيال ظل ، ومسرح صغير أيضا ٠

وفقا لكل التقاويم ، فان عشية منتصف شعبان ، ١٤ شعبان تزامنت مع يوم الاثنين السادس عشر من سبتمبر ، لكن يبدو أن أحدا قد تلاعب بالتقويم القمرى ، حيث ان الغرب « ومع الأسف فان الشرق أيضا يحذو حذوه » شرع فى محاكاة التقويم الشمسى ، وأرجىء هز « شجرة السدر » Lote Tree of Paradise (١٧٥) الى يوم الثلاثاء ٠ أعطى هذا ليلتين أخيرتين « للشيخ روبى » حيث ان الأنباء تسربت الى الفيوم ببطء ٠

« فى القاهرة وأماكن أخرى بلا شـك ، أضيئت المآذن فى يوم الثلاثاء ، وليس يوم الاثنين ، وأقيم احتفال القلعة » ٠

ستنا سكينة « انظر الخريطة القطاعية XVII » S 1 :

رغم أننى شاهدت هذا « المولد » مرات عديدة ، الا أننى لاحظت موعده مرة واحدة ٠ كان هذا هو الأربعـاء ١٢ جمـادى الأولى ١٣٥٣ « ١٩٣٤/٨/٢٢ » ٠

---

(١٧٥) راجع ص (٢٥١) من النص ـ ص (٢٩١) من هذا العمل) ٠

يمر أتوبيس رقم (١٨) الذى يسير عبر « العتبة » من « الدراسه » على حافة الصحراء شرق (مسجد) « ستنا نفيسة » عند بداية الصحراء الى الجنوب ، ويمر بمسجد « ستنا سكينة » قرب نهاية موقفه terminus • تشارك « ستنا سكينة » فى مولدها صغرى حفيدات عمتها « نفيسة » great-great niece (١٧٦) بشكل ما ، خاصة فى الجانب الدنيوى (منه) ، فالمسرح وكل العروض (تقع) على حافة الجبل الملاصق لمسجد « نفيسة » ، والذى يفوق المكان الشهير الذى يضم رفات « سكينة » ، ابنة « سيدنا الحسين » جمالا • تبقى هذه المنطقة ، التى تقع جنوب « ابن طولون » ، وشمال « المقبرة الكبرى » great necropolis التى تنتهى عند « الامام الشافعى » ، تبقى سليمة لم تتعرض للفساد ، كما تزخر بالآثار الرائعة ، بالاضافة الى هذين المسجدين العظيمين ، بعض المقابر الفخمة ، وبرج رائع يحتمل أنه كان يستخدم كمنارة : لا يجب أن يغفل زائر أو مقيم ارتياد (هذا الأثر) • وبصرف النظر عن موعد المولد ، فان أفضل يوم هو الأحد ، حيث يكون (مولد) ستنا « نفيسة » فى مهرجان enfete .

مولد « ستنا سكينة » كبير ، براق وشعبى ، لكننى فى مناسبتين وجدته مدمرا (بفعل) الصعاليك الذين تعج بهم « أكوام القمامة » • هؤلاء (الصعاليك) خبراء فى قذف الحجارة ، وكثيرا ما ينقسمون الى معسكرات وينغمسون فى معارك ضارية بين بعضهم البعض •

تمثل الأضواء العديدة والخيمة الكبيرة البيضاء التى تضم الجوق المسرحى ، تمثل جاذبية لا تقاوم لقاذفى الحجارة (هؤلاء) • ومن المثير للشفقة أن ترى أشخاصا ساخطين ، مدعومين بواسطة البوليس أحيانا ، يهاجمون المرتفعات فى مطاردة للمهاجمين ، وربما يلقون عليهم حجارة من أوضاع غير مواتية • وقد يأخذ قليل من الرجال فى ملابس عادية ، من البوليس ، أو بعض من الأشخاص العاديين المتأثرين (بهذا الأمر) ، قد يأخذون مواقع غير لافتة للنظر على المنحدرات الأعلى ، ويخفون سياطا متينة جيدا ، فيقلبون الموائد على المعتدين ويقللون من فرص معاودة الاعتداء • وفى المناسبتين اللتين أشرت اليهما ، فان مهاجمى المرتفعات غير الناجحين

---

(١٧٦) « سكينة » هى ابنة الحسين بن على رضى الله عنهما ، واخوتها هم : فاطمة النبوية ، على الأصغر (زين العابدين) ، وعلى الأكبر ، أما نفيسة فهى حفيدة صغرى « للحسن » عم سكينة ، وعلى ذلك فان سكينة تعتبر عمة لنفيسة باعتبارها ابنة أخى جدها الحسن •

كانوا (يلجأون) بدلا من ذلك ــ للتخفيف من مشاعرهم ، وأعتقد أنه فى ظل فكرة أنه اذا لم تكن الخيمة هناك فان الحادث ما كان يقع ــ الى الانقضــاض على هذه الخيمة ، ويوقفون العرض ، ويطردون النظارة ، ثم يمدون انتباههم الى بانش ــ جودى وبعض وسائل التسلية الأخرى ، ثم ينهون المولد نهاية مؤسفة .

كنت قد سمعت شكوكا تطرح حول الوجود الحقيقى لرفات ابنــة الامام الحسين فى المسجد الذى يحمل اسمها ، لكن « عبد الوهاب الشعرانى » يقرر بجلاء أن « ستنا سكينه » مدفونة قريبا من « ستنا نفيسة » .

بينما كان هذا العمـــل فى المطبعـــة ، تذكرت من حديث اذاعى لمســز ديفونشـــاير Mrs. Devonshire عن « اضرحـــة القـــاهرة » Mausoleums of Cairo ، (انظـر Cairo Calling ، ١٤ ديسـمبر ، ١٩٤٠) ، أنه عند اشارتى السابقة الى « المقابر الفخمة » فقد أهملت كل اشـــارة الى ضريح « ســـتنا رجية Ruggeya » « كما تصفهـــا مسز ديفونشاير على ما أظن » . وحديث مسز ديفونشاير الاذاعى مزود فى « Cairo Calling » بصورة للضريح .

(وضريح « ستنا رجية ») له زواره الكثيرون ، وخاصة أيام الآحاد ، يمر به أتوبيس رقم ١٨ ، وهو يواجه مسجد ستنا « سكينة » تقريبا ، مع الاتجاه الى الجنوب قليلا a shade .

علمت أن مولدا صغيرا يقام احتفالا بهذه « الولية » ، لكننى لم أستطع التثبت من ذلك .

وفى الحديث الاذاعى المشار اليه فى السطور السابقة ، اشير الى أن « رجية » تمت « لسيدنا الحسين » بصلة القرابة .

قد كنت أشرت الى (هذه السيدة) فى هذا الصدد فى الفصل الأول ، تحت اسم رجية Rugaiya وهو مأخوذ لفظيا من كلمات شيخ محلى ، لكنه ربما كان صعيديا فى الأصل ، حيث ينطقون هناك « القاف » « جيما » ، لكننى اذا قرأت نقشها صوابا ، فان اسمها بالعربية (يكون) « رقية » ، والذى قــد ينقحر transliterated كروقيــة Ruqiya رغــم عـــدم وجود علامات الأصوات diacritical signs التى تشير الى الحروف

اللينة Weak vowels ، وتشديد doubling الحرف « بالشدة » الخ •
وهناك مجال لأشكال عديدة للنطق أعلمنى اياها مبلغى الكثيرون •
واحسرتاه ، هذا مثل واحد لمشكلة النقحرة المحيرة ! •

الشيخ سلامة « انظر الخريطة القطاعية XI » S 2 :

شاهدت هذا المولد فى أوج تألقه يوم الخميس ١٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٣ « ١٩٣٤/٨/٢٣ » وفى موعد أو اثنين سابقين لم يسجلا ، لكننى لم أستطع ان أجده فى ذلك الموعد منذئذ •

من السهل الوصول اليه ، فهو خلف « العتبة » ، ويطل جزءاه المتقابلان على « شارع الأزهر » • فضريح « الولى » على الجانب الشمالى ، وعلى الناحية الجنوبية عدد من مقاهى الرقص ، الرنجا ، الخ •

ومثل « معروف » ، فان هذا المولد خاص « بالسودانيين » « والبرابرة » • وهو حى ولكنه حقير نوعا ما ، ورغم أنه فى بقعة قديمة الا أن القليل منه جذاب •

السلطان الصالح الأيوبى « انظر الخريطة القطاعية XII » S 3 :

كان هناك عند مولد « سيدنا الحسين » منذ سنوات طويلة زحام دائم حول شيوخ يغنون فى شارع النحاسين عند النهاية النائية لحى « خان الخليلى » ، لكننى لم أفهم دلالة ذلك ، حتى كنت أقرأ حاليا « لين » « المصريون المحدثون » ، ذلك الكتاب الذى كتب منذ أكثر من مائة عام ، فالتقيت بقصة عن « ولى » عظيم ، « سلطان » ، « ملك الشيوخ » مدفون فى هذه البقعة ، يقام له مولد فى نفس ليلة مولد « سيدنا الحسين » • يصف « لين » المسجد والقبر بأنهما قذران ، مهملان وفى المراحل الأخيرة من الاضمحلال ، لذلك فان دهشتى وسرورى كانا كبيرين عندما أخذنى الميرالاى (عميد) جاير ـ أندرسون ، الخبير بهذه المسائل الى هناك ، لأجد القاعة الفسيحة التى تحوى « تابوتا » لايزال فوق الجثمان ، نظيفة ومعتنى بها • كان المسجد قد تخرب تقريبا ، لكن جزءا كان لايزال يستخدم للصلوات المعتادة ، وما بقى منه كان محل اعتناء طيب ، ومؤثر جدا • يحتاط التابوت كما فى أيام « لين » واجهة خشبية ، يسميها المقصورة ، وتحمل نقوشا يشير أحدها الى « عائلة البكرى » نقيب الأشراف •

اوراني وشرح لى شيخ فاضل الكثير الممتع وقرر أن مولد « صالح » يقام دائما الآن فى الليـلة الســابقة على الليـلة الختامية (لمولد) « سيدنا الحسين » ، وأنه سيقام هذا العام بالتأكيد ·

البقعة معروفة تماما : قرب هذه المجموعة الرائعة من المساجد ، « قلاوون » ، « برقوق » ، الخ ، لكنها على الجانب المقـابل لمحـلات الذهب ·

سألنا عن « الشموع الرومانية » التى تعلو نهـايتى التابوت فى زمن « لين » ، لكنها لم تعد هناك ، وقد علمنا أن هذه الشموع (مودعة) فى المتحف العربى (الاسلامى) الآن ، ويقال انها قدمت الى الضريح من جانب شخص عظيم ولكنه شرير ، لكن « الولى » « صـــالح » ظهـر فى « رؤية » لحارس مقامه ، وحذره من أن هذه الشـموع مملوءة بالبارود ولابد من أن تكسى بالجص Plaster ، وقد نفذ ذلك ·

كان « الصالح أيوب » هذا شوكة في جنب « الصليبيين » ، فقد أخذ منهم حصن « عسقلان » ، آخر موقع كان فى أيديهم · كما انتصر فى « دمشق » أيضا والمدينة المقدســة ، وفى معــركة « المنصورة » أسر « الملك لويس » · « ربما كان لهدية الشموع صلة بهذا الأمر » (انظر أيضا الفصل الأول) ·

كانت « شجرة الدر » الشهيرة زوجة « صالح » · وقد أرانى بعضهم قبر أمه « فاطمة خاتون » فى هذه المجمــوعة الرائعـة من الحطام بين « ستنا سكينة » و « ستنا نفيسة » ·

شغل « المحدثون » كما يدعوهم « لين » ، والذين كان عـددهم فى « القاهرة » وحدها ثلاثين « محدثا » فى زمنه ، شغلوا أنفسهم على وجه القصر برواية « سيرة الظاهر بيبرس » التى تهـاجم Turns on الملك الصالح ، وابنه وخليفته « الملك عيسى » ومنافسى ومعاصرى « بيبرس » الذى تولى الملك فى مصر فى ٦٥٨ هـ « ١٢٦٠ م » ، ويصف هؤلاء المحدثون

بحيوية الزيارة النفاقية Pious « لعيسى » و « بيبرس » لقبرى « صالح » و « الامام الشافعى » . وقد أصبحت هذه القصة نادرة فى القاهرة . ان رواية « لين » ساحرة وجديرة بالقراءة (١٧٧) .

الشيخ صالح الحداد « انظر الخريطة القطاعية XIII » S 4 :

فى كل المناسبات العديدة التى حضرت فيها هذا المولد ، لم تتغير الليلة الرئيسية فيه عن الثلاثاء الأول بعد منتصف شعبان : وهى الليلة السابقة على مولد « السلطان الحنفى » .

وحيث ان المسجدين متجاوران ، فاننى أحيل القراء الى قصة الأخير (السلطان الحنفى) ، التى تنطبق على « مولد صالح » كل الانطباق .

---

(١٧٧) يقول « لين » انه شاهد لدى زيارته لضريح الصالح ايوب أربعة شموع كبيرة على رأس سياج الضريح عند نهايته مغلفة بالجص Plaster ، وتشابه اعمدة حجرية ذات قمم دائرية . ويقول لين ان هذه الشموع قد أرسلت اليه كهدية ـ حسب ما ابلغه الناس ـ من « البابا » او ملك الفرنجة ، وانه اكتشف باعتباره « ولى » انها كانت مليئة بالبارود ، وامر بان تغلف هكذا . كما قدم « لين » رواية اخرى مفادها أن الشموع قد أرسلت كهدية للضريح بعد وفاة « الصالح » بسنوات ، وأنه ظهر لحارس قبره وأبلغه بمؤامرة البارود .

وعن « المحدثين » قال « لين » انهم يقصرون انفسهم على « السيرة الظاهرية » ويسمون « بالظاهرية » ، التى هى تاريخ السلطان « بيبرس » وكثير من معاصريه . وتحكى هذه الرواية قصة شراء « الملك الصالح » « لبيبرس » من سوريا وكيف أنه رباه ، وجعله نديما لكبير وزرائه « شاهين الأفرم » ـ وتتناول القصة بعد ذلك قضية مبايعة « بيبرس » بالسلطنة بعد وفاة الملك الصالح ، واكتشاف وجود ابن له يسمى « عيسى » ويعيش فى « الكرك » ـ وتحوى الرواية تفاصيل كثيرة عن اتهام « بيبرس » بدس السم للملك الصالح ، ثم تعيين « عيسى » « لبيبرس » قائدا لجنده ، ثم جعله وليا لعهده من بعده فى مصر ـ وحوادث حروبه فى سورية ، الى جانب اعمال خيالية مختلفة .

عن الملك الصالح نجم الدين أيوب والظاهر بيبرس راجع الحاشيتين ١٠ ، ١٣ من الفصل الأول .

— Edward William Lane « An account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians » Dover Publications Inc. New York, 5th edition, pp. 466-65.

ـ المصريون المحدثون ، عاداتهم وشمائلهم ـ ترجمة عدلى طاهر نور ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٣ .

الشيخ السمان « انظر الخريطة القطاعية XVII » S 5 :

مولد صغير زاه ، مضيء وظليل ، بين مقابر الخلفــــاء الفاطميين ، ولا يبعد عن « ستنا نفيسة » ، لذلك فانه يسهل الوصــــول اليــــه بالأتوبيس رقم ٨ · ومن نهاية خط الأتوبيس عند « مسجد نفيسة » فان هناك مسيرة لحوالى خمس دقائق عبر المقبرة الكبرى · وقد يمكن استخدام خط الترام رقم ١٣ ، مع النزول عنــد الطريق المستقيم الذى يؤدى الى « الامام الشافعى » ، والسير مسافة طويلة نوعا ، مع التلوى فى تعاريج بين الأضرحة ، والحاجة الى مرشد (مطلوبة) فى الغالب ·

فى المناســبات الأربع التى حضرت فيهــا « الليلة الرئيسية » (لهذا المولد) ، كانت هذه الليلة هى الخميس الثانى فى شعبان ، بعد (مولد) الامام الشافعى بثمانية أيام ، وقبل (مولد) الامام « الليث » بيوم واحد ·

فى الرواية الخاصة « بالامام الليث » ، شرحت طريقة أطول ولكنها ممتعة لكيفيــة زيارة هذا المولد ، عبر حى « الامام الشافعى » ، « مولد الامام الليث » ، وخلال « مدينة الموتى » · كان من بين الناس الذين ذهبوا معى ووقعوا فى ســحر هذا المكان العجيب ، البروفيسـور هوكارت Hocart من الجامعة المصرية ، وزوجتــه الجســور · لقــد قبلت أن تضــع « نكلة » (١٧٨) « قطعة نقــد تســاوى مليمين » على الطاولة « أو لعلها كانت الضريح » من أجل ولد صغير كان قد خسر على نحو ثقيل فى لعبة « النرد واللون » dice and colour التى كانت تلعب هناك · لم أشهد فى حياتى مثل هذا الحظ run of luck · أصبحت (السيدة) مطلوبة حالا كجالب للحظ Mascot ، لكن شيئا لم يكسر الدورة ، حتى أنقذنا بعض الشيوخ العطوفين ، الذين صدموا كما أظن ، فقادونا خلال الأكشاك والمقابر الى « تشريفة » صغيرة « نوع من الاستقبال » ، حيث كان هناك رجال « وفقهاء » يغنون بصوت جهورى ، وحيث استقبلنــا بحفاوة كبيرة ·

---

(١٧٨) عن النكلة ـ راجع الحاشية ٣٤ من مقدمة المؤلف ·

سيدى السعودى الرفاعى « انظر الخريطة القطاعية XIV » S 6 :

استمتعت بهذا المولد الصغير اللطيف يوم الجمعة ٧ شعبان ١٣٥٥ « ١٩٣٦/١٠/٢٣ » ، وعلمت أنه كان ينبغى أن يقام فى رجب ٠

من الغريب أن يبدو شارع « سوق السلاح » (١٧٩) الجميل غير معروف للأوروبيين ، على الرغم من سهولة الوصول اليه ، فهو يظهر فى « شارع محمد على » قرب « السلطان الرفاعى » الى أبعد من طريق خطى الترام ١٣ و ٢٣ ٠ ويمر بنهايته الأخرى قرب « التبانة » (١٨٠) الأتوبيس رقم ١٧ من « العتبة » الى باب الوزير ٠ « بالسوق » مبان حجرية رائعة ومبان قديمة ، لم يصبها التلف بعد ، ويمكن الوصـول اليـه من أى الاتجاهين خلال بعض من أجل المواقع فى القاهرة ٠ ويقع المقام الصغير على الجانب الغربى (من سوق السلاح) ٠

كنت محظوظا اذ رأيت « زفة » مثيرة للاعجـاب فى حوالى الساعة التاسعة والنصف ، بالموسيقى المعتادة والرايات ، وأفنديا ممتطيا صهوة جواد كخليفة ، مع طفل صغير ، ودرويش دوار Whirling dervish .

أقيم (المولد) هذا العام ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » فى يوم الجمعة الأخير من شعبان ٠ وقد قدرت من الليلة السابقة ، الخميس ١٩٤٠/٩/٢٦ ، عندما شاهدت « ذكرا » فى غرفة كبيرة تجاور المقام ، أن (هذا المولد) يتبع نفس المسلك المتواضع ، ولكنه لطيف ٠

يعتقد بعض المشايخ المحليين أن الضريح يخص السلطان العظيم « أبو سعود » الذى يستشهد باسمه تكرارا كأحد أصحاب الرسول ، ومقترنا على وجه الخصوص باسم السيدة زينب والامام الشافعى ٠ ومع هذا فان هناك مسجدا فى الجبل لايبعد جنوبا عن مسجد « حسن الأنور » و « مجرى العيون » الذى أقامه محمد على ، وهو مسـجد أحق بشرف الاحتفاظ بذخائر هذا « الولى » الكبير ٠

---

(١٧٩) شارع سوق السلاح ــ أحد شوارع شياخة المحجر التابعة لقسم الخليفة بالقاهرة ــ كذلك فان هناك « شارع سوق السلاح » آخر فى « شياخة سوق السلاح » بالدرب الأحمر ٠

ــ تعداد سنة ١٨٩٧ ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ٣٨ ــ ٣١ ٠

(١٨٠) يوجد بشياخة المحجر شارع يسمى شارع درب اللبانة ــ وليس التبانة ــ وهو يتبع قسم الخليفة بالقاهرة ، لكن هناك شياخة باسم « باب الوزير والتبانة » تتبع قسم الدرب الأحمر وبها شارع يسمى » شارع التبانة وباب الوزير ٠ المرجع السابق ص ٣٨ ، ٣٢ ٠

ان هذا المكان جدير بالزيارة ، وخاصة « يوم الثلاثاء » عندما يكون هناك « سوق » ، مع زيارات للضريح تجعل المناسبة مشابهة للمولد ٠ انني لا أستطيع التحقق من وجود مولد معين سوى ذلك ٠ فالباحة المسورة للمسجد متسعة للغاية ، وهناك بالقرب منها مجمع كبير لطرق الجمال يسمى « ميدان أبو السعود » ٠ والاسم الكامل للمسجد هو « سيدى أبو السعود الجارحى » ٠

ومن اعادة قراءة « لين » فانني أجد تأكيدات وفيرة لوجهة النظر السالفة ٠ فهو يقرر دون تحفظ (أن) ضريح « أبو السعود » يقع بين أكوام النفاية جنوبى القاهرة ٠ ومن الممتع أن ينتبه أيضا الى أنه لدى عودة الحجاج ، فانه استحث فى مسجد « سيدنا الحسين » على أداء صلاة باسم « السيدة زينب » ، الامام الشافعى ، و « أبو السعود » ٠ أهمية ذلك تنبع من حقيقة ان هؤلاء الثلاثة (أولياء) جيران ، اذا جاز التعبير ، وكل أضرحتهم تقع على مسافة سير بسيطة ، أيضا لأن هذه الصلاة كانت عند ضريح آخ أولى الثلاثة ٠

تقع البقعة فى الزاوية الشمالية الشرقية من الخريطة القطاعية XVIII ، ويسهل الوصول اليها بالسير جنوبا من نهاية خط الترام رقم (٥) ، أو بواسطة الطريق الجديد من « كوبرى الملك الصالح » على الزاوية اليمنى للنهر ، أى الى الشرق مباشرة ٠

السيد حسيب النسيب أبو العباس سيد
احمد البدوى الشريف « انظر خريطة الدلتا » S7 :

رغم أن هذا المولد الاقليمى يفتقد بريق وفخامة مولد النبى ، الذى يحتفل به فى العباسية ، فانه ربما يكون أكثر الموالد شعبية ، بجذبه زائرين أكثر من أى مولد آخر ٠ وحتى فى الأيام المتقدمة فانه كان يجذب اناسا أكثر من زوار « مكة » نفسها ، وربما لا زال هذا هو الوضع حتى الآن ٠ لقد أكد لى البعض أن الجموع من كل مناطق الاسلام يبلغون أكثر من مليون ، عند المولد الرئيسى الذى يقام دائما فى الشهر القبطى « بابه » أكتوبر بالنسبة لتقويمنا ، مستقلا عن التقويم الاسلامى ٠ وفى كل مرة حضرت فيها هذا المولد ، فان الليلة النهائية كانت دائما « زفة الجمعة » التى تتراوح من العاشر الى السادس والعشرين من أكتوبر ٠

لا يضم المسجد الجميل ، الذى لا يبعد عن المحطة ، جثمان السيد فقط ، لكنه يضم أيضا جثمان (تابعه) عبد العال ، المجيد ، وآخرين من تلاميذه · تتزين المنطقة ، وهناك العديد من أكشاك « الختان » العمومية ، ومنصات لبيع الهدايا التذكارية والطعام ، لكن وسائل التسلية الدنيوية غائبة ، الا اذا احتسب الوشم tattooing أحدها · لكن المرء اذا تبع الجموع الى ما تحت قنطرة السكك الحديدية ، الى ضواحى المدينة ، فانه سيصل الى الخيام الرسمية وغيرها : مكان الألعاب النارية ومدينة كاملة من الأكشاك ، المسارح ، وأماكن الاقامة العشوائية ، والتى يستطيع المرء أن يتجول فيها لساعات ، دون أن يصل الى نهاياتها كما يبدو لى · ومع هذا فان ساكنيها يفيضون فى الليل وينامون فى أى مكان وكل مكان فى الشوارع والخلوات ·

يستمر المولد أسبوعا ، ويأتى الزوار كل وقت ، حتى يوم الخميس، الليلة الكبيرة ، (عندما) يتجمع الحشد الضـــخم معـا فى مكان واحد لمشاهدة الألعاب النارية ، ثم يتفرقون بعد ذلك الى حلقات الذكر العديدة ، ووسائل التسلية · لكن المظهر الأساسى Clou للاحتفال هو « الزفة » التى تبدأ صباح يوم الجمعة وتستمر حتى منتصف اليوم · « زفـة » مصر الكبرى ، رغم أن « الأقصر » و « قنا » تقيمان « زفة » مماثلة فى احتفاليهما الكبيرين « بأبو الحجاج » و « عبد الرحيم القناوى » على وجه الحصر · بالطبع ، فان كل الطرق تمثل (فى هذا الاحتفال) بدراويشها ، راياتها ، شاراتها ، وما الى ذلك · وبطبيعة الحال فان الطريقة «الأحمدية» ، طريقة « أحمد البدوى » تسود بعماماتها الحمراء وراياتها ، وفروعها ، « البيومية » ، « الشعراوية » ، « الشناوية » ، « وأولاد نوح » · والعمامة الحمراء التى يعتمر بها فى الموكب هى عمامة « أحمد البدوى » الى حد ما حيث انه كان لا ينبذ عمامة حتى تبلى ، ومن ثم فانها كانت تصلح بقطعة قماش حمراء من « لباس » عبد العال ·

منذ سنوات عديدة ، أعتقد فى عام ١٩٣٣ « ١٣٥٢ » شاهدت من نافذتى فى الميدان مشهدا غير مألوف فى فجر اليوم الأخير · كان ذلك نوعا من المشـــاهد الســاخرة burlesque ، لكنه لم يكن مؤذيا فى ذلك الوقت ، وكان يسمى محليا « زفة الشراميط » · كان هذا موكبـــا من العربات المزينة ببهرجة تحمل فوقها « مومسات » المدينـــة وعشاقهن ، مع الكثير من الموسيقى والأغانى · كان الجانب الدنيوى من الموالد قد أصبح فى ذلك التاريخ مشابها الى حد ما للأعياد اليونانية والرومانية ،

بالنساء المساحقات Lesbian (١٨١) والرقصات المختلطة ذات الطابع الصريح ، وأشياء أخرى غير لائقة • وقد منعت هذه الأشياء فورا ، لكنها قد تكون كارثة اذا أجبر البندول على الدوران أكثر الى الناحية العكسية ، وقضى المتزمتون والفريســيون Pharisees (١٨٢) على حيــاة وروح هذه الطقوس القديمة • Stulti qui vitia vitant in Contraria Currunt

هذا المولد فريد فى نوعه ، كما هو حال مؤسسه العظيم • فقبل ادخال الفاطميين للذخائر المقدسة والأولياء الى مصر بزمن طويل ، واعطاء دفعة كبيرة لاحياء المولد ، ومادة لدعمه ، كان الحجاج يتجمعون من كل بلاد الاسلام عند ضريح أحمد السيد البدوى ، ثلاث مرات كل عام ، قبل الشتاء مباشرة على وجه التحديد ، وكانوا يأتون معهم بمظاهر التقوى الى جانب المرح والمال عرضا الى طنطا • حتى قامت دســوق ومدن أخرى تجاورها بتوقير أوليائها وشرعت فى الاحتفال بهم ، وتبلور هذا فى شكل موالد محددة ودائمة •

يؤكد لى « خضيرى بك » ، الذى يمثل جده الولى « الخضيرى » فى المسجد الذى يحمل اسمه ، أنه قبل هذه المدة ، فان مثل هذه الموالد التى نعرفها الآن لم تكن موجودة فى مصر ، وأن هذه الاحتفالات المبكرة تكريما لرجل صالح كانت تقام دون اشارة الى تاريخ الميلاد أو الوفاة •

ليس من السهل القبول بأن قداســة وشهرة (السيد البدوى) والنسب الشريف ، والمعجزات التى أتاها تستطيع أن تؤسس شــعبية كهذه • خاصة عندما نتذكر أن الرجل كان أجنبيا فى بلد تفخر (بوجود) الكثيرين من « أولياء » الاسلام • لماذا لا يزال نجمه فى صعود فى الوقت الذى يتعرض فيه صانع المعجزات المصرى « الدشطوطى » على سبيل المثال لخطر الانطفاء ؟ الدشطوطى الذى كانت طريقته ضخمة فى مصر والذى كان مولده حدثا قوميا !

ان التفسير موجود فى الجاذبية غير العــادية التى تنطوى عليهــا شخصيته _ ذلك أننى مقتنع بأن أحمد السيد البدوى واحد من شخصيات العالم المتميزة • وشخصيته فى الاسلام تماثل فى الكثير شخصية القديس

---

(١٨١) Lesbianism نوع من الشذوذ الجنسى بين النساء يتمثل فى جماع المرأة للمــرأة • — Webster's Unabridged Dictionary, op. cit., p., 1938.

(١٨٢) عن الفريسيين راجع الحاشية ١٢ من مقدمة المؤلف •

« فرانسيس » (١٨٣) S. Francis فى المسيحية ، رغم أن سماتهما الفردية اختلفت بعمق • ان بعض الملاحظات عن قدومه إلى هذه البلاد قد تساعد على التذكير برجولته العظيمة وروحانيته ، جاذبيته الانسانية وتصوفه •

كانت عائلة أحمد من « مكة » وشريفة من الأصل • هربت من مذبحة للمسلمين فى « مراكش » • ولد فى « فاس » فى عام ٥٩٦ « ١١٩٩ » ، وعلى ذلك فقد كان عمره سبع سنوات فقط عام ٦٠٢ هـ عندما حذر والده « الشريف على » فى حلم بأن يهاجر الى المدينة المشرفة • ودون تردد شرع فى رحلته التى استغرقت أربع سنوات • أصبح « حسن » أكبر أبناء « على » والذى كان قد هام حبا بأخيه الأصغر ، كاتب حولياته الى حد كبير ، ويروى كيف استقبلوا بحفاوة من جانب أهل مكة وخاصة أحمد ، وكيف أن الصبى ترعرع فى منزلة رفيعة وسمو ، ومفضـلا عند الله والناس
« Et proficiebat sabpientia et aetate, et gratia apud Deum et homines ».

« والحكمة والعمر والمعروف كانت تتطور عند الرب والبشر » •

كيف تعرف زملاء « أحمد » من أهل « مكة » فروسيته وصـفاته البطولية ، معلنين « أن الفارس الأشجع لا يباعد بين ساقيه عند ركوب جواد braver knight never strode a horse ، ولقبوه « بالبدوى » • كيف بعد عشرين عاما سعيدة ، مات « على » الأب ودفن بطهارة وسمعة عظيمة فى ٦٢٧ « ١٢٢٩ » •

يسجل الأخ تغيرا صوفيا عميقا (عند أحمد) بعد هذا التاريخ مباشرة • أصبح أحمد « أحمد البدوى الآن » دائم التأمل ، يتم الاتصال به عن طريق الاشارة ، وبدأ كأبيه يرى رؤى Visions ، ويحلم أحلاما • أبلغته الأصوات أن يذهب أولا تجاه « الشروق » ، ثم بعد ذلك تجاه « الغروب » • ولقد فسر الأوامر الموحى بها Oracular بانها اشارة الى « العراق » ثم مصر • ولم يتردد فى التنفيذ •

فى ذلك الوقت كانت العراق على وجه الخصوص متطرفة ومتحمسة لزعيمها الروحى ، وسرعان ما اعترفوا « بأحمد » كنبى ، وأبلغه اثنان من زعمائهم بالنيابة عنهم جميعا « سيدى عبد القادر وسيدى أحمد الرفاعى » أنهم يملكون مفاتيح العراق ، اليمن ، وجزر الهنـد Indes • الروم ،

---

(١٨٣) عن القديس فرانسيس Francis ـ راجع الحاشية ١٢ من مقدمة المؤلف •

ومفاتيح الغرب والشرق، وأنه يستطيع أن يأخذ ما يختاره • لكنه رفض مجيبا « لا آخذ المفتاح الا من الفتاح » •

وبعد زيارة الأضرحة والأماكن المقدسة ، رحل مع أخيه « حسن » الى مصر ، وكانا على وشك دخول « طندتا » « طنطا » عندما تصدت لهما عصـــابة فظة • استخدم (أحمد) قوته اللكمية pugilistic وقـدرته وطرح الجميع أرضا ، مكتسبا احترامهم على الأقل ، ولقبـا آخر هو « أبو الفتيان » Champion Bruiser .

اعتزل (أحمد) لبعض الوقت فى « أم عـــابده » Um Aabida دون طرح فكرة الاستقرار فى « طنطا » ، لكن « حســـنا » كان قد مل الأمر وعاد الى « مكة » •

فى هذا الوقت من التجربة ، دخل أحمد فى علاقة رومانسية مع « فاطمة بنت برى » • كان جمالها الأخاذ قد استهوى قلب أحمد وأسر قدره ، ولم يداخلها الشك فى اعتراف أحمد بانتصارها ، لكنها عنـدما وقفت بين يديه أخذها الندم • ومثلما فعلت « مريم المجدلية » Magdalen فقد أصبحت (فاطمة) نموذجا للطهارة المقدسة • لم يكن « أحمد » غير مكترث على الاطلاق بسحرها ، لكنه أفلت من مصير عاشق « تاييس » (١٨٤) Thais ــ عندمـــا ســـاعده ظهـــور ســـماوى ــ heavenly apparition ، مثلمـــا حـدث « لاينياس » (١٨٥) Aeneas بواســـطة « رؤيا » وكلمات مركورى Mercury (١٨٦) • أتى (أحمد) « هاتف » فى المنام وأبلغه أن قدره هو أن يدخل « طنطا » ، وأن يعيش هناك • دخل « طنطا » مطيعا ومسرعا ، الى منزل الشيخ « ابن الشاحت » واعتلى السطح لاستكمال مناجاته ، واقفا على الدوام محملقا فى الســـماء • ولمدة بلغت أربعين يوما وليلة لم يذق طعاما ولا ماء ولا نوما ، حتى أصبحت عيناه تشبهان جمرات الفحم الأحمر النارى •

---

(١٨٤) تاييس Thais مومس اثينية استتابها راهب ، لكنـه استسلم مع هذا لغوايتها • بطلة اوبرا لجول ماسينيت Jules Massenet (١٨٩٤) من روايه لاناتول فرانس Anatole France (١٨٩٠) •

— Webster's Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 1889.

(١٨٥) من اينياس Aeneas راجع الحاشية (١) ــ الفصل الاول •

(١٨٦) مركورى Mercury ، فى الأساطير الرومانية رسول الآلهة ، اله التجارة ، العمل اليدوى ، البلاغة ، المهارة ، السعر ، واللصوصية

— Webster's Unabridged Dictionary. Op. cit., p., 1126.

نـزل بعـــد ذلك ، ومـرة أخـرى خـرج من « طنطا » ، يتبعه « عبد العال » ، عبد المجيد ، وآخرون كثيرون · سأل « عبد العال » عن « بيضة » ، ووعد الصبى باحضارها فى مقابل عصا « أحمد » المصنوعة من سعف النخيل الأخضر « سعف حاج حقيقى » (١٨٧) · لكن أمه التى عارضت ارتباط ابنها بالشيخ بعنف ، ردت بعدم وجود البيض · أرسل « عبد العال » مرة أخرى للبحث عن « البيض » فى « الصومعة » ، فوجدها مليئة ، ووفى بوعده باحضار النموذج (البيضة) · « من العجيب أن واحدة من المعجزات الأولى المنسوبة الى القديســة جوان St. Joan كانت جعلها الدجاج يضع بيضا كثيرا لمساندى دعوتها » · ومع هذا فان الأم لم تندم بين يدى الشيخ ، لكنها ـ كما قالت ـ « ندمت بين قرنى الثور » الذى كان على وشك ان يقتل ابنها بقرنيه ، ولم يمنعه سوى الشجاعة فوق البشرية وقوة « السيد البدوى » الذى أمسك الثور من قرنيه وألقاه على الأرض ·

يعزى خروج « الولى » من طنطا ، الى الغيرة والمقت عند بعض كبار الشيوخ والسلطات فى المدينة له · ويبدو أن هذا النقض للكرم التقليدى عند المصريين ، كان جزءا من « التجربة » التى طهرته من أجل بعثته ·

أعد مستر سى · اف · أو · سكيف C.F.O. Scaife من الجامعــة المصرية قصيدة مبهجة عن هذا الحدث وقرأها بنفسه فى ذلك الجو العربى الخالص لمنزل الماجور « جاير ـ أندرسون » (بحى) « ابن طولون » · وكان الكاتب وجماعة كبيرة من المصريين والانجليز مستمتعين ومتأثرين للغــــاية · يصــــور « الســـجع السكيفى » (١٨٨) Scaivian Saga الأشجار والبيوت الصغيرة التى تبعت « أحمد » الى المنفى حتى أصبحت طنطا خالية · وكان لابد من استرضاء الرجل المقدس بمناشدته العودة من جانب هؤلاء الذين حاولوا دون جدوى أن يخلصوا مدينتهم منه ، وهو الذى كان سيصبح فخر هذه المدينة ومجدها ·

سأغامر بتقديم اقتباسات قليلة من قصيدة « ســـيدى البدوى » « لسكيف » ، لكن القصيدة لابد أن تقرأ لتشعر بجمالها الكامل وتستمتع بجو « طنطا » القديمة ، التى انتعشت بصورة تدعو للاعجاب · تصور

---

(١٨٧) كان السعف رمزا للحاج العائد من الأراضى المقدسة يضعه على صدره فى شكل متعانق كدليل على اتمامه هذه الزيارة ، ويسمى الحاج هنا Palmer .
— Op. Cit., p. 1290.

(١٨٨) نسبة الى مستر « سكيف » Scaife صاحب القصيدة المشار اليها ·

هذه الاستشهادات ، اتفاقا ، الحق الخالد الذى كسبه « الولى » فى النهاية ، والارتباك الذى لم يجن منتقصو قدره سواه :

« من هذا الرجل ؟ » سأل الخليفة ـ فقصوا عليه كل الرواية ٠

فى النهاية قام الأمير المبارك ونظر عابسا شاحبا وقال : « أيها المتعجرفون كفيفى الأرواح ، ان خطيئتكم من أكبر الخطايا تعاسة ، لقد طردتم رجل السلام الذى أقام الله مدينتكم القلقة فيه » ٠

ثم أمرهم (الأمير) بأن يأتوا بطينهم وقشهم وأفلاق الخشب ، وبنوا مرة أخرى كوخ الرجل المعدم فى المكان الذى كان فيه ٠ وعندما انتهوا منه ذهب الخليفة على قدميه تجاه الشمال ٠ وعندما كان الشفق يموت جاءت النجوم فى السماء ٠ ركع الخليفة على الأرض وقبل طرف ثوبه المهلهل ، ثم قال المنزل جاهز ، كن رحيما بهم ٠ هؤلاء الأطفال لا يعرفون ماذا يفعلون ٠

تنهد الرجل المعدم ورفع رأسه وقال : ربى الله هو الرحيم ، فلنذهب » ٠

قضى « أحمد » الأربعين عاما الباقية من حياته فى هدوء فى « طندتا » رغم أن أغلبها كان فى تقشف ، وخاصة الاثنتا عشرة سنة الأولى التى قضاها فوق السطح ٠ كان المخلص « عبد العال » مصدر راحة ومساعدة (لأحمد) ، يطبخ له ويرعاه ، ويعنى بالمسائل الدنيوية نيابة عنه ٠ وكمريد فان هذا الفتى كان نموذجا ، وكمدبر فقد أثبت نبوغه خلال حياة أحمد وبعد وفاته ٠ كان تلاميذ أحمد الرئيسيون « أصحاب السطح » نواة لكثيرين ، وأرسلوا حواريين فى كل الاتجاهات ٠ ارسل « عبد العال » سيدى « اسماعيل » الى « امبابة » انظر مولد اسماعيل الامبابى ، I13 » ، « وأبو طرطور » الى الصحراء القريبة منها ، قرية « الحطية » El-Hatia الآن التى تجاور « ميت عقبة » ٠ « ولابو طرطور » أيضا مولده الصغير « تراه فى T 2 » . « ولسيدى يوسف » ، والد « الامبابى » ضريحه فى « قصر العينى » ، بالقاهرة ، ويقيم قربه منحدرون من تلاميذ الأحمديه هؤلاء ٠

انصرف منافسوه وخصومه القدامى ، أو جاءوا اليه « كسيدى سليم» الذى يقع ضريحه فى « طنطا » ، وقليل من اتبـــاعه ان لم يكن لا أحد اطلاقا ارتكبوا السوء : ما عدا حالة « عبد المجيد » اذا اعتبرت سوءا · فقد ناشد هذا « المريد » القديم سيده ان يكشف له عن وجهه ، الذى كان يخفيه بحجاب مزدوج ، وقد حذر من أن الثمن هو حيـاته ، فقال انه يفضل الموت على الامتناع عما عقد العزم عليه ، وبالفعل فقد مات قبل أن يرفع الحجاب الثـانى · « يذكر هـذا فى الواقـع بنبى خورازين المحجب » (١٨٩) the Veiled Prophet of Khurazin . لكنها هى القصة الكريهة الوحيدة التى سمعتها عن الولى · ومع هذا ، فان أولئك الذين ازدروا مولده على مدى القرون ، كانت حياتهم تعيسة « فى هذا العالم على الأقل » ، الا اذا كانوا قد ندموا · يذكـــر « عبد الوهـــاب الشعرانى » فى « طبقاته » من بين معارضين آخـــرين . لأحمد » ، ذلك الرجل الذى كان يأكل سمكا فى الوقت الذى كان يتحدث فيه بالسوء (عن أحمد) ، فرشقت « شوكة » فى حلقه مسببة له تعذيبا يفوق الوصف لتسعة أشهر ، حتى ذهب نادما « للبدوى » فى ضريحه بطنطا · وفى الحال انتزع له الشوكة · ويذكر « لين » وهو يكتب منذ قرن مضى ، صديقا له فى مصر كان يعانى وقتئذ من نفس السبب ، وخلال السنة الأخيرة أو السنتين سمعت قصصا عديدة مماثلة ·

هناك من الناس الآن من لديهـــم التصميم على تقويض هذا المولد العظيم فى طنطا وصدم واحباط مليون فقير بائس · وعلى هؤلاء الذين يضـــايقون المترددين على طنطا وأى أماكن أخرى أن يفكروا فى الرجـــل والشوكة التى أصابت حلقه ، وأن يضعوا فى الاعتبار أيضا مشاعر هؤلاء الذين يأتون من كل أنحاء مصر واغلب أنحاء العـــالم من أجل السلام والبركة ·

توجد سجلات كثيرة لمعجزات صنعها (البدوى) قبل وفاته ومنذئذ : كيف ظهر للبعض وتكلم حتى معهم ، وكيف أنقذ رجلا فى بلد غير صديق وهرب معه سالما الى الأمان فى مصر ، وهكذا دواليك · لم يكن زوار ضريح البدوى من الفقراء فقط · فمن بين عظماء زواره فى العـــالم ممن آثروا وكرموا مكان نومه بسخاء السلطان العظيم « بيبرس » ، محسوب السلطان « صالح » الراقد الآن فى شارع النحاسين · ولقد قرر حجاج هنود من

---

(١٨٩) لم أستطع التوصل الى معلومات عن نبى خورازين المحجب الذى أشار اليه المؤلف ·

الطبقة العليا أن كل طفل فى أقاليمهم يحلف « بالسيد البوى » ، ولم تحل الجبال والبحار بينه وبين مريديه من المناطق التى لاتزال نائية ٠

لم يكن « سكيف » هو الشاعر الوحيد الذى كرم (السيد البدوى) فى أغنية ، فقد سمع « لين » الناس يغنون « يا شيخ العرب يا سيد » ٠ كذلك فقد سمعت كثيرا ما يماثل هذا ٠ (والسيد البدوى) محل توسل فى كل أنواع المناسبات بكلمات مماثلة وبكلمات غيرها ، ومن التعبيرات المفضلة (فى هذا المقام) « يا أبو فراج » ! بل ان مصطلح « العابد » يناشد به من فوق المآذن فى الصلوات الطقسية ، مع « اولياء » آخرين ، (من) أحباب الله ، « يا أبو فراج يا شيخ العرب » ٠ لعله يستطيع ان يفرج ، عن مولده (وينقذه من كل) أشكال التخريب !

والخبر الوحيد الذى لدى فى هذا العام الثانى للحرب ، هو مذكرة فى (جريدة) « بورس اجبسيان » Bourse Egyptienne لهذا المساء ، ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ ، « ١٥ شوال ، ١٣٥٩ » ، سأرسلها الى المطبعة على أمل ألا تكون متأخرة كثيرا « فالمخطوط Mss فى أيدى المطبعة الآن » ٠

« كثير من الهبات كانت تأتى الى مدير مديرية الغربية كى يوزعها على الفقراء بمناسبة الاحتفال بمولد سيدى أحمد البدوى الموجود فى طنطا ٠ وقد قدم جلالة الملك هبة مقدارها خمسون جنيها مصريا ٠ وسيوزع هذا المبلغ على جميع الفقراء أثناء الإحتفال بالليلة الختامية » (١٩٠) ٠

الشيخ سيد الملك « انظر الخريطة القطاعية VI » S 8 :

فى أعوام ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، و ١٣٥٤ أقيم هذا المولد البولاقى الكبير للغاية فى ذلك الوقت ، أقيم فى الخميس الأخير من صفر ، لكنه أقيم فى عام ١٣٥٦ فى آخر ربيع الأول رغم أنه كان لا يزال يقام يوم خميس ٠

يمر على الموقع الذى هو فى نهاية « السبتية » لشارع عبد الجواد ـ تماما مثل مسجد أبو السباع (١٩١) ـ الأتوبيس رقم ١٥ ، وهو (الموقع) قريب من نهاية خطوط أتوبيسات ٢ و ٩ وخطى الترام ٤ و ٢٣ ٠

---

(١٩٠) النص بالفرنسية ، انظر ملحق (٣٤) ٠

(١٩١) انظر موقع مولد (أبو السباع) فى الخريطة القطاعية VI الملحق (٨) تحت رقم A 23 ويعلوه مباشرة مسجد الشيخ سيد الملك S 8 ٠

يستمر المولد ستة عشر يوما • وعلى الجانب الدنيوى فانه يضم مسارح كبيرة ، الكثير من « الرنجا » ، بانش – جودى ، وخيال الظل ، مع « حلبة الموت » « لبيلى ويليامز » • لكن الكثير من الشخصيات الخشنة والسيئة كانت هناك مرارا ، وقد تسبب وجودها فى افساد بهجة المولد للزوار • لذلك فاننى لا أشجع الأصدقاء على مصاحبتى (الى ذلك المكان) ، لكن مسز كولونيـــل ... Mrs. Col. R ، احـــدى المقيمات ، عبرت فى عام ١٣٥٤ « ١٩٣٥ » عن رغبتها فى أن ترى كيف يكون « المولد » • ذهبنا فى سيارتها قبل غروب الشمس ، عندما تكون كل الأشياء هادئة كقاعدة ، لكننا كنا فى هذه المرة مصدر جاذبية لا تقاوم لمتشردى بولاق ، الذين تجمعوا فوق وفى السيارة كالذباب على السكر • وقد وجد السائق المنزعج صعوبة فى المناورة للتراجع ، ويقدر أننا أسقطنا ستة عشر طفلا على الأقل من سقف ونوافذ (السيارة) قبل أن نصـــل الى شـــارع فؤاد الأول •

لقد سبب شغب أهل هذا الميناء القديم (بولاق) للقاهرة التدهور الذى حل بمولدهم ، فقد أفسدت بهجته فى عام ١٣٥٦ « ١٩٣٧ » لدرجه كبيرة ، بالرغم من العجائب التى أتاها « بيلى ويليامز » ، والمسرح الخاضع لقدر كبير من الرقابة ، (ومن ناحيتى) فاننى لا أعلم اذا كان قد أقيم منذ ذلك الوقت •

سيدى سليم « انظر الخريطة القطاعية I » 9 S :

استمتعت بهذا المولد اللطيف الصغير يوم الخميس ، ٢٧ رجب ١٣٥٢ « ١٩٣٣/١١/١٦ » ، لكننى افتقدته فى السنوات التالية حتى الخميس ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧ « ١٩٣٨/٨/٢٥ » • فى الأساس بسبب تقديم موعده ، ولتغير هذا الموعد أيضا • لا يبعد هذا المولد عن النيل فى « بولاق » الميناء القديم ، قرب القره قول فى شارع سليمان باشا القادم » (١٩٢) ، ويسهل الوصول اليه بواسطة الترام رقم ٧ أو رقم ١٣ ، مع النزول عند المحطة الثانية بعد ترك « كوبرى بولاق » والسير أولا يمينا حتى خط الترام ثم يسارا بعد ذلك ، لتجد الموقع بأكمله • وتستغرق هذه المسيرة حوالى ثلاث دقائق •

---

(١٩٢) صحة اسم الشارع هو « سليمان باشا الخادم » – وهو أحد شوارع شياخة سوق العصر – التابعة لقسم بولاق •
– تعداد سنة ١٨٩٧ – مرجع سبق ذكره – ص ٢٥ •

عندما ذهبت على آمل (العثور على) « زفة » فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، أبلغت أن « الطرق » (الصوفية) قد بدأت فعلا فى التحرك . ولما لم أنجح فى الوصول اليها فقد بقيت فى مكانى وانتظرت فى مقهى لطيف فى منتصف الطريق ، واستمتعت باحتساء « القــرفة » وقراءة رواية « المقطم » (١٩٣) عن الاحتفال القديم « بعروسة النيل » الذى جرى فى اليوم السابق ببهاء عظيم .

قبل الساعة السادسة بقليل ظهرت « الزفة » صــوتا وصورة ، لحماس الجمع الصغير اللطيف الذى كان قد تجمع : فروع الطريقــة القادرية أولا بألوانهم البيضاء ، والرفاعية براياتهم السوداء ، يلعبون بعنف على دفوفهم وطبولهم وصنوجهم ، ثم بعد فاصل متحفظ ــ نظرا لأن « الشاذلية » طريقة خاصة وأنيقة قليلا ــ جاءوا فى أكثر من عشرين فرعا لهذه الطريقة القديمة والجديرة كل الجدارة بالثناء ، بعمائمهم ، نطقهم وراياتهم البيضاء والخضراء ، الكل يغنى ، والكتاب فى أيديهم . كان كل بيرق يحمل بالاضافة الى اسم « الطريقة الحامدية الشاذلية » ، اسم الفرع المحلى ــ ومن بين (الأسماء) التى لاحظتها :

ــ بين السرايات (قريتى)	ــ وراق العــرب
ــ جريرة ميت عقبة	ــ الدقــى
ــ سيدى فرَاج ببولاق	ــ زاوية سيدى عطية
ــ اخوان حى باب الشعرية	ــ زاوية سيدى أبو الدلايل .

وكان آخر من جاء هو « الخليفة » واسمه كاسم جده المقدس منذ أكثر من أربعمائة عام مضت ، (جاء) راكبا جوادا أسود جميلا للغاية . كان لى شرف لقاء هذا المحترم الرقيق المتواضع فى ضريح « سيدى سليم »،

---

(١٩٣) المقطم صحيفة يومية سياسية ــ انشاها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس فى ١٨٨٨/٤/٢٩ . اشتهرت بالانحياز لسياسة الاحتلال فى مصر ، والوقوف فى وجه عباس حلمى خديو مصر وتسويغ تصرفات النظارات المصرية التابعة للاحتلال البريطانى . اختصها الانجليز بنشر اهم الأنباء وبترجمة تقارير المعتمد البريطانى السنوية . كانت تتلقى الدعم المالى والأدبى من دار المعتمدية البريطانية وظلت طوال عمرها تطبق هذه السياسة غير الوطنية ــ توقفت مع مجموعات الصحف التى انتهت بانتهاء العهد الملكى فى ١٩٥٢ .

ــ ابراهيم عبده « تطور الصحافة المصرية ــ ١٧٩٨ ــ ١٩٨١ » ــ مرجع سبق ذكره ــ ص ١٥٠ وما بعدها .

فيما بعد فى المساء ، حيث كان سرادق يملأ الشـــارع الصغير ، وجماعه طيبة تضم شيخ الطريقة الشاذلية « الشيخ عبد السلام » تستمع الى فقى (مقرئ) ٠

وبينما كنت أتجول أيضا فى الأماكن الصغيرة للتمثيل ، الرقص ، الغناء ، وما الى ذلك ، دهشت للسعادة غير العادية ودماثة الخلق وسلوك الناس ، ورقة البوليس الأقل من المعتادة ، الذى لم يضرب أو يضايق أو يكره الناس بأى شكل ، لكنه بدا يعمل مبتسما ـ ولكن مستعدا تماما للتدخل عند الضرورة ٠ كان هذا أيضا فى أخشن بقعة من القاهرة ، مع تقاليد أهل ميناء بولاق القديم (الخشنة) ٠ ولقد فهمت لماذا كنا نستمتع بهذه الحالة الفردوسية عندما قابلت صديقا قديما ذا سمعة حسنة لمدة أربعين سنة ، (ألا وهو) القائمقام (العقيد) أ ٠٠٠٠ هـ ، وهو مفتش كبير فى (وزارة) الداخلية ، يحترمه النـــاس ويحبونه الى حد أنهم « كما قال لى بعضهم بعد ذلك » يكرهون اتيان أى شىء قد يضايقه ، حتى ولو كان يمكن اتيــــانه مع الافلات من العقوبة ٠ نعم وهكذا كل واحـــد O si Sic Omnes.

اننى أوصى أى مقيم قديم يستطيع أن يجد القليل من الجمال فى بولاق ، أن يدور مع الزفة الى المولد التالى ويرى القباب الفاخرة والقطع المعمارية المتأوجة فى الميدان الآمن الصغير الى جانب «مسجد السليمانية» ، قبل أن يصل المرء الى شارع المولد مباشرة ٠

لقد جمعت القليل من (المعلومات) عن تاريخ « سيدى سليم » ، فوق ما أبلغنى به حفيده وحامل اسمه ـ كان تابعا مباركا وشهيرا لطريقة « أبو الحسن الشاذلى » فى القرن العاشر للهجرة ٠

سيدى شعراوى S 10 :

شاهدت منذ سنوات « مولدا » فى حى باب الشعرية أفترض أنه هو ذلك (الخاص بسيدى شعراوى) ، لكننى لم ألاحظ اسما أو موعدا (له) ٠ فى عام ١٣٥٣ « ١٩٣٤ » وصفه « الدكتور عنايت » بأنه مولد كبير نوعا ما وهام ، وربما كان كذلك بالنسبة له من أجل اقامة كشك للختان هناك ٠

لا اعرف اذا كان هذا المولد يقام احتفالا « بالشيخ الشعراوى » الذى أسس « الطريقة الشعراوية » كفرع « للطريقة الأحمديه » « طريقة أحمد البدوى الكبير » ، لكننى آمل أن أتحرى ذلك ٠

الامام الشافعى « انظر الخريطة القطاعية XIX » S 11 :

ينتهى هذا المولد الذى يقام احتفالا بالمؤسس العظيم لهذا المذهب الرئيسى فى الاسلام ـ بقدر ما يعنى القاهرة ـ فى الأربعاء الأول من شعبان دائما ، فيما عدا عندما يبدأ هذا الشهر بيوم أربعاء ، فان المولد يبدأ فى ذلك اليوم وينتهى فى الثامن ٠ يأخذ ترام (١٣) المرء الى الموقع حيث تبدأ الاحتفالات ـ رغم أنها تتقلص أكثر فأكثر كل عام ـ ، ومسيرة دقائق قليلة تنتهى بالمرء عند المسجد ، والى مكان « التشريفة » حيث يستقبل ممثل الأمام ، العلماء ، الوزراء والزوار الآخرين ٠ كان من المعتاد أن تكون هذه التشريفة فى الليلة السابقة ، الثلاثاء ، تاركة الأربعـــاء للجماهير ، ولكن يبدو أنها تقام فى يوم الأربعاء منذ عام ١٣٥١ « ١٩٣٢ » ٠ يبز وقار وجلال هذه (التشريفة) ، وسائل اللهو البسيطة التى يمتلىء بها كل من جانبى الشـــارع من نهاية خط الترام الى المسجد ٠ وحتى القره جوز والعروض المشابهة التى فضلت الشوارع الجانبية تجاه الجبل (فانها) قد تجمدت ٠ كان لايزال متروكا للعامة الاعجاب ببهاء القادمين والذاهبين من عليـــة القوم their betters فى سياراتهم ، والاستمتاع بالموســـيقى عند مدخل التشريفة ، لكنهم أقصوا عن ذلك فى عام ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » ٠

يتواجد عميد المختنين circumcision doctors ، « عنايت الله » أفندى فى المولد بمقره ومركزه الأول بسهولة facile principes ، ويعد كشكه بتوسعاته وزيناته الاضاءة البراقة ، والرجال المغنين ، الخ ، أكثر عنـــاصر المولد روعة ٠ كانت هنـــاك دائما حلقة ذكر بين مكانه (عنايت الله) وباب المسجد ، على جانب الشارع ٠

فوق قبة المسجد يوجد شىء رائع على شكل قارب ، قصد به أن يحوى أردبا من القمح من أجل الطيور ـ يزوده به وقف خيرى ٠ منذ سنوات مضت كان هذا القارب ممتلئا ، عند أى معدل فى وقت المولد ، لكن اذا كان الأمر لا يزال كذلك ، فان الطيور قد فقدت تقديرها للحبوب ٠ ذلك أنه طوال المولد وفى أوقات أخرى بحثت دون جدوى عن الطيور ، ولكننى لم أجد واحدا ، باستثناء « صقر » فى بعض الأحيان ٠

فى الأيام الحلوة السابقة ، كانت « الدوسه » « انظر الدشطوطى » تقام هنا كل عام كما فى « مولد النبى » « وسيدنا الحسين » « وسيدى الدشطوطى » ، وكان الناس يعودون الى بيوتهم راضين ومستنيرين ٠

كان الامام الشافعى ، أو فلنعطه اسـمه بالكامل ، « امامنا أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى » ، فلسطينيا بالمولد ٠ لكنه أخذ من « غزة » حيث ولد ، الى « مكة » عندما كان عمره عامين فقط ٠ « وكأحمد السيد البدوى » كان (الشافعى) جوالا عظيما ، وخاصة فى اليمن والعراق ، وفى النهاية مصر ، وقد أعترف بصفته هذه من جانب علماء الأقطار المذكورة ، وبصفة عامة ٠ قضى الشافعى السنوات الأربع الأخيرة من حياته أو ربما أكثر ، من ١٩٩ هـ ــ ٢٠٤ هـ (٨١٤ ــ ٨١٩ م) فى مصر ، وأساسا فى القاهرة حيث ذكراه وضريحه الشهير ٠

هناك نوع من الرواية العاطفية الروحية عن الصلة الرقيقة التى برزت بينه وبين السيدة « نفيسة » ، حيث اعتبر كل منهما الآخـر الشخصية العظيمة المقدسة ، وفوق ذلك الصفات الانسـانية الجذابة والساحرة ٠ وحيث انها عاشت فى القاهرة من ٢٠١ هـ وحتى موتها فى ٢٠٨ هـ ، فانهما كانا قادرين على التزامل والصلاة معا ، « حيث اعتبرا ذلك أسـاسيا كل رمضـان » لحوالى ثلاث سنوات ، ٢٠١ الى ٢٠٤ ٠ وأعتقد أن حالة هذين (السيدة نفيسـة والامام الشـافعى) متوازية تمـاما مع حـالة القديسين فرانسيس Francis وكلير Clare (١٩٤) ٠

ورغم أن عبد الوهـاب الشـعرانى يذكر تاريخ وفاة الامام فى عام ٢٠٤ ، فانه يشير اليه باعتباره « ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم » ٠ وهذا التعبير الغامض بالنسبة لى ، وأضح بما فيه الكفاية ــ وأتجرأ لأقول ــ لقرائى المسلمين ٠

الشيخ الشـامى S 12 :

يقول مراسلتى (انه) مولد صغير فى « جزيرة الذهب » بجوار « الجيزة » ، يقام احتفالا بهذا « الولى » ٠ ويقول لى انه كان هناك فى

---

(١٩٤) القديسة كلير الاسيزية Clare of Assisi ، تابعة للقديس فرانسيس الاسيزى Francis of Assisi ، ولدت فى ١١٩٤ وتوفيت فى ١١ اغسطس ١٢٥٣ ــ تركت أسرتها الايطالية النبيلة لتؤسس الطريقة النسائية الدينية « Poor Clares » انتظمت فى حياة من التقشف والصلاة وفقا للنظم الفرنسسكانية ــ اعتبرت قديسة فى ١٢٥٥ ــ عيدها هو ١١ أغسطس ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol., 5, p. 36.

الليلة الختامية ولاحظ أن موعد المولد هو الأحد الخامس من رجب ١٣٥٨ العشرين من أغسطس ١٩٣٩ » ٠

سيدى الشطبى « انظر الخريطة القطاعية XX » S 13 » :

زرت هذا المولد الصحراوى الصغير شديد الجمال فى يوم الجمعة ٩ محرم ١٣٥٤ « ١٢/٤/١٩٣٥ » ، بالسير مسترشدا بابن دكتور الختان « عنايت الله » ، من عيادته Clinique عند مسجد « الامام الشافعى » ، الى منتصف الطريق الى « المقطم » ٠ يقع الضريح الصغير قريبا من الخط والجسر اللذين يمتدان متوازيان الى التلال ، غير بعيد من « دير عمر » كما سمعته يسمى ، ومسجد « أبو شاهين » المحطم على جانب الجرف ، « خط الترام رقم ١٣ يوصل الى مسجد الامام الشافعى » (١٩٥) ٠

لم تكن الشمس قد غربت بعد . ولكن كان هناك الكثير من فقراء الزوار فى حلقات ذكر ، كان هناك أيضا مسرح صغير وأكشاك لوسائل الانعاش البسيطة ٠

ان جمال المنظر وطرافة التجمع الصغير يستأهلان السير ميلا أو كذلك ذهابا وعودة ٠

أمير الجيش سيدى محمد شبل الأسود « انظر خريطة الدلتا » S 14 :

رغم أننى لم أشهده مطلقا ، فقد سمعت الاشارة الى مولد « سيدى شبل » مرارا بحماس ، وأحسب أنه يشارك الى درجة كبيرة موالد الريف فى طبيعتها ٠ والمعلومة الوحيدة المحددة التى لدى (بشأنه) هى تلك الفصلة القصيرة المرفقة من جريدة عربية ، والتى يمكن تصويرها كالآتى :

« مولد سيدى شبل ــ سرسنا ــ لمراسلنا : صرحت وزارة الداخلية بادارة مولد أمير الجيش سيدى محمد شبل الأسود الكائن مسجده ببلدة الشهداء لمدة أسبوعين ابتداء من ٦ يوليو الجارى ، وقد ازدحمت ساحت المولد بالتجار والزوار وأرباب الطرق الصوفية (١٩٦) ٠

---

(١٩٥) لا أجد سببا لذكر المؤلف لهذه الملاحظة عن الامام الشافعى فى معرض حديثه عن مولد الشطبى ــ ولعل هذا يرجع الى قرب المسجدين من بعضهما البعض ــ انظر الخريطة القطاعية XX فى الملحق ٢٢ ٠

(١٩٦) قدم المؤلف ترجمة حرفية للقصاصة التى اقتطعها من الجريدة حتى هذه العبارة فقط ، لكنه لم يترجم باقى النص الذى أرفقه كاملا بعمله ٠ وقد نقلت الترجمة كما هى بأخطائها اللغوية ٠

ويفد يوميا على مقام صاحب المولد المئات من الزوار للزيارة والتبرك بصاحبه حسب المعتاد سنويا · فاذا كانت القصاصة ـ حسب اعتقادى ، من جريدة ١٣٥٣ « ١٩٣٤ » ، فان هذا يحدد موعد الليلة الختامية فى التاسع عشر من يوليو ، وهذا يوافق الخميس السابع من ربيع الآخر عام ١٣٥٣ · ولا يجب الخلط بين هـذا المـولد الذى فى « الشـهداء » (بالمنوفية) وبين مولد الشهداء « أو سيد الشاهد » الذى يقـام فى الصعيد قرب « مزغونة » « انظر الشهداء ، S 15 » · فالشهداء على الضفة الشرقية لفرع رشيد من النيل ، غير بعيدة عن « منوف » ، على الخط بين « بنها » و « كفر الزيات » ·

الشهداء « سيدى سيد الشهيد » « انظر خريطة مصر العليا » S 15 :

لقد استمتعت بهذا المولد الصحراوى الكبير فى يوم الخميس ، ٢٣ محرم ١٣٤٥ « ٢٥/٤/٣٥ » متصورا أنه (مولد) « عويس القرنى » · وبارسال « مراسلتى » « موسى » مع بعض جيرانى من هذه القرية ، فى يوم الخميس ١٧ ربيع الأول ١٣٥٩ « ٢٥/٤/١٩٤٠ » ، أكدوا لى أن (مولد) « القرنى » أقرب الى « الواسـطى » ، وأن هذا (المولد) هو للاحتفال بعدد كبير من المسلمين الذين سقطوا فى القتال فى « الجهاد » ، وأنهم لذلك « شهداء » ، وان قائدهم كان شيخا شهيرا ، الشيخ سيد ، ـ « شهيد هى مفرد كلمة شهداء » (١٩٧) · وتعنى الكلمة « الشخص الذى يشهد بالعقيدة » ، وهى بهذا تتوافق مع كلمة الكنيسة « المعترف » Confessor ، افضـــل من كلمـــة « Martyr » ، برغم أن قبولهـــا يقترب أكثر الى الكلمة الأخيرة ·

تقع « مزغونة » على خط « الصعيد » ، فى منتصف المســافة بين القاهرة « والواسطى » · وأقل من مسيرة ساعة (ســـيرا على الأقدام) أو نصف ساعة على ظهر حمار « الذى يحصل عليه دائما قرب المحطة فى وقت المولد » من « الشهداء » · كذلك فان الأتوبيسات تسير من والى الجيزة ·

من العجيب أن يلاحظ أن التاريخين اللذين أنا على ثقة منهما ، رغم أن شهرين يفصلان بينهما وفقا للتقويم القمرى ويتوقع المرء تبعا لذلك أن يتطابقـا ، يتماثلان فى اليوم وفقا للحسـاب « الجريجورى » ، ومع يوم ١٧ برمودة وفقا للتقويم القبطى ·

---

(١٩٧) رغم ان الملاحظة معروفة للمتكلمين بالعربية الا انتى لم اشأ اغفالها التزاما بحرفية النص ·

وهذا المولد من الحالات القليلة التى يتعاظم فيها شأن الموالد ، فمع أنه كان كبيرا وقت أن شاهدته منذ خمس سنوات ، فان « مراسلتى » الذى كان حاضرا وقتئذ يقرر أنه أكبر كثيرا الآن ٠

تتركز الطقوس الدينية (للمولد) حول ما يمكن أن يكون نوعا من النصب التذكارى المصنوع من الخيام ، والمقام لهذه المناسبة بمعرفة « الطريقة الشاذلية » ، لكن هناك هرما مدرجا Zikur أيضا بين الأحجار العديدة التى لاتزال تحدد المقبرة القديمة للشهداء ٠

(ومولد الشهداء) سوق أيضا شأنه فى ذلك شأن (مولد) سيدى « حنيدق » ، وأغلب الموالد الصحراوية ، ويعرض فيه العنصر الجميل من سباقات الخيول والجمال ٠ ويشاهد أيضا فيه مسرح واحد على الأقل وعرض للأراجوز (بانش وجودى) ٠

يذبح الجاموس للفقراء ويؤكل على الرمال مع نوع من العجينة الفطائرية puff paste ، « فطير » يعرف « بالعيش المصرى » أو « المرحرح » ٠

والمجال هنا واسع للبحوث ٠ والمعلومات التى تراكمت لدى ضخمة للغاية ، لكن المناقض فيها والمستحيل أنها تلغى العناصر القليلة التى ذكرتها بعاليه ٠

ومع أنه مجرد تخمين ، فاننى لا أستطيع أن أتصور أن هذا المولد الاسلامى كان فى الأصل لتكريم الشهداء المسيحيين الذين حاربوا تحت قيادة « مارجرجس » ضد « الكفار » infidels ٠ والا فلماذا يجرى تجاهل التقويم الاسلامى ، ويقع المولد فى عام ١٣٥٤ « ١٩٣٥ » و ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » فى نفس التاريخ المسيحى ، وهذا تاريخ عيد « القديس جورج » ؟ ٠

وبهذه المناسبة ، فأن المرء يتذكر أن دير القديس جورج القبطى فى « بيا » ، على بعد حوالى خمسين ميلا صعودا على النيل ، قد زعم فى وقت الاضطرابات والفوضى أنه تحت حماية الشيخ الصوفى « بباوى » ، الذى زعم الرهبان انه قد اقام « كولى » داخل أسوار « ديرهم » ، وأن هذا كان سببا فى أن يقرأ المسلمين الاتقياء « الفاتحة » ويتركوا تقدمات امام صورة « مارجرجس والتنين » ٠

السيدة عائشة السطوحية « انظر الخريطة القطاعية VIII » S 16 :

فى ثلاث مناسبات شاهدت فيها هذا المولد الصغير ، فان التاريخ كان التاسع والعشرين من شعبان ، وكانت المناسبة الأخيرة فى عام ١٣٥٥ « ١٩٣٦ » ٠

يستكن الضريح الصغير لهذه الشقيقة « للسيدة ربيعة » تحت كتلة « باب الفتوح » الضخمة ، وعلى ذلك فان أتوبيس رقم ١٢ الذى يسير بين « بيت القاضى » و « العباسية » يمر به ٠

هناك الكثير من الأحداث فى عشية رمضـــان هذه ، بما فى ذلك « مولد سيدى بهلول » قرب « باب الوزير » ٠ وهذا (المولد معرض) لأن يفتقد هذا الاحتفال الصغير ، لكن زيارة قصيرة على الأقل يجب أن تؤدى لهذا الجزء المهيب القديم الذى لم يتلف بعد من المدينة (أقصد) منطقة بوابات « النصر » و « الفتوح » ٠ ان اضاءة الضريح الصغير فى ظل البوابة الضخمة ، وكذلك (بوابة) المســـجد الصغير التى خلف البوابة الى الشمال ، مشهد مؤثر ٠ ونفس الأمر يمكن أن يقال عن مجموعات الحجاج وحلقات الذكر ، وطريق صغير الى الجنوب على الشارع الرئيسى ، وحشود الأرواح البسيطة حول المقهى حيث تتخلل العروض الجادة والغناء فصول كوميدية ٠

وهناك فى نفس الليلة عدد من الموالد الدقيقة للغاية microscopic بين الأبواب وما يجاورهـا ، والتى يجب أن تشـاهد : ومن بين هذه (الموالد) هناك (مولد) « عبد الباسط » فى شارع (الضببية) (١٩٨) ،

عبد القاصـــد

محمد الجمل (حارة الجوانية ، باب النصر) (١٩٩)

عبد الكريم

---

(١٩٨) الضببية ـ أحد شـوارع شياخة الجمالية ، احدى شياخات حى الجمالية بالقاهرة ٠

ـ تعداد سكان القطر المصرى لسنة ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٥ ٠

(١٩٩) حارة الجوانية ، احدى حارات شياخة الجمالية بحى الجمالية بالقاهرة ٠

ـ المرجع السابق ، ص ٣٥ ٠

« منذ كتابة ما سبق ، فأن هذا الضريح الفريد فى أسلوبه وجماله قد اختفى ، وأزيل مكان « الولى » · ومع هذا فان الباب لا يزال قائما ، أو كان كذلك عندما مررت به منذ أسبوع مضى · « Sic transit decor Aegypti » « وهكذا انتقل جمال مصر » ·

شيخ تكرورى أو دكرورى « خريطة الدلتا » T 1 :

ليست لدى أى معلومات عن موعد أو أحوال هذا المولد الصحراوى الصغير ، لكن هناك نقاطا مهمة عن الضريح تدفعنى الى تقديمها ·

كنت أعبر الصحراء من القاهرة الى السويس فى ديسمبر عام ١٩١١ على دراجة هوائية Pushbike عندما زرت هـذا الضريـح الجميل · وقد صدمت خاصة لهذا العدد والتنوع الغريب للتقدمات (الموضوعة) على التابوت ، واضعا فى الاعتبار أن الباب مفتوح ، وهو مفتوح دائما كما قيل لى · والضريح قريب تماما من طريق الصحراء · كانت التقدمات غير قيمة بالقطع ، وكانت تضم أسنانا ، شعرا ، أسمالا ، سبحا beads ، أعلاما صغيرة ، علبة سردين ، وقطعا نقدية صـــغيرة · ولاحظت من بين الأشياء المرتبطة بهذه الأشياء بطاقة زيارة للمرحوم و · ج · كمب · W. G. Kemp · وفى وقت قريب بينما كنت أقرأ كتاب « Egyptian Illustration » الذى كتب ووضع بالرسوم وطبع على ما أعتقد بمعرفته ، التقيت مصادفة برواية قصيرة عن هذا الضريح ، مع كليشيه خشبى Wood cut لداخليته · يذكر (كمب) أن « أعـدادا كبيرة من عـرب الصحراء يتجمعون هنا للاحتفال » بمولد « الشيخ تكرورى » · لكنه للأسف لا يذكر التاريخ ، وحيث اننى لم ألتق بأحد هناك فقد تركت تقدمتى الصغيرة دون الحصول على أى معلومات ·

يقع الضريح فى منتصف الطريق بين القاهرة والسويس تقريبا ، بعد ترك « دار البيضا » على اليسار ، وقليلا الى اليمين قبل الوصول الى المحطة رقم (٩) · ويذكر « كمب » أنه قرب « شجرة الحجاج المقدسة » عند مخرج « وادى الجندلى » ·

(كان) الشيخ قد مات عند هذه البقعة ــ ويقول البعض انه قتل ــ لدى عودته من الحج الى « مكة » ·

سيدى احمد ابو طرطورى « انظر خريطة الدلتا » T 2 :

يقع هذا المولد الصغير والجذاب مع ذلك ، فى قرية « الحطية » الصغيرة المجاورة « لمبت عقبة » فى منطقة « امبابة » ، على مسافة غير بعيدة للجنوب من خط الترام عند « البحر الأعمى » ، بين كوبريى « الزمالك » ، والانجليزى . ولقد استمتعت بالركوب من منزلى فى « بين السرايات » يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة ١٣٥٧ « ١٩٣٨/٣/١١ » . كان ضريح « الولى » قد زين بأناقة وكذلك المجاورات ، لكننى كنت مبكرا للغاية لأشـــاهد الاحتفالات ، وأتوقع أن تكون احتفالات المولد الكبير « لسيدى قريش » فى « زنين » فى نفس المســـاء قد رجحت احتفالات هذا المولد .

لدى بعض الشك فى أن يكون الشيخ المدفون والمحتفل به هنا هو « سيدى أحمد أبو طرطورى » الذى وضع فى البرية قرب « امبابة » بمعرفة « عبد العال » التابع الشهير وصـــديق « السيد البدوى » . « يشير بعض الأهالى المحليون اليه على أنه عبد الرحيم الطرطورى » .

شيخ حسن الطرطورى T 3 :

كنت قد سمعت من مصدر يعتمد عليه الى حد ما أنه يوجد مولد احتفالا بمن يدعى « حسن الطرطورى » فى حى « روض الفرج » ، وأن موعده فى عام ١٣٥٣ كان الخميس ٢٨ ربيع الآخر « ١٩٣٤/٨/٩ » .

التونسى W 1 :

اعتذر لعدم مشاهدتى هذا المولد الذى أبلغت به من مصدر يعتمد عليه مرات عديدة ، ولكن متأخرا ، وخاصة يوم الجمعة الثانى من محرم ١٣٥٤ « ١٩٣٥ » .

(وهذا المولد) هو مولد افتتاح السنة الهجرية ، أو هكذا تقريبا ، وهو يستمد شهرته من هذه الحقيقة ، ومن موقعه فى المنطقة الطبيعية والمحببة التى فيما وراء « الامام الشافعى » . استقل أصدقائى الذين ذهبوا واستمتعوا به الترام (١٣) الى نهايته ، ثم ساروا بقية (المسافة) مع مرشد هاو التقط من قرب المسجد .

سيدى الوفائي « انظر خريطة الدلتا » W 1 :

(ان) جهلى بموالد الاسكندرية مطبق ، وقد حاولت فى هذا التصنيف أن أجرى دراسات أكثر مما نويت ، ولذلك فلا يجب أن أحاول أن أملأ هذه الثغرة الكبيرة ، وعدد من الفجوات الصغيرة ٠

ان هذا الجهل من جانبى هو أكثر الأشياء خزيا ، فقد قضيت وقتا كثيرا فى « الاسكندرية » ، وعشت مرة فى « الابراهيمية » لأكثر من عامين ، وحضرت العديد من حفلات احياء ذكرى « محمد على » ، واحتفالات بليلة « المعراج » ، ليلة القدر ، والاحتفال بمولد « النبى » ٠ لكننى لم أشهد « مولدا » على الاطلاق ، وسمعت فقط بهذا المولد ، « الوفائى » الذى قيل لى انه يقام فى شهر المحرم ٠

ورغم أن كثيرا قد فاتنى الا أننى أثق كثيرا بأن « الاسكندرية » لم تحافظ على القديم والجميل من البنايات والاحتفالات بالمقارنة « بالقاهرة » ٠٠ وكمثال لهذا الاهمال البغيض للمعتقدات الدينية Inconclasm الذى عانى منه هذا الميناء العظيم ، فانه من الصعب العثور على كنيسة قبطية قديمة لم تتلف ، رغم أنها (الكنائس القبطية القديمة) تشكل واحدة من النفائس التى لاتقدر بثمن لهذه العاصمة ٠

والقصة المرفقة بجريدة عن مولد « النبى الوفائى » تبين أن هذه قضية هامة فى الاسكندرية ، ومناسبة سعيدة لفقراء المنطقة

-« احياء ذكرى النبى الوفائى ٠

أحياء للذكرى السنوية للنبى « الوفائى » فقد أقام « ماهر حسن فراج » أفندى ، صاحب امتياز بيع الصحف فى الاسكندرية والدلتا حفلا لهذه الليلة سيرأسه « حسين صبرى باشا » محافظ الاسكندرية ٠ ويتوقع أن يحضر جمع كبير من الأعيان والوجهاء ٠

ولقد أقيم سرادق كبير قرب مسجد « سيدى عبد الرزاق الوفائى » ، حيث ستتلى آيات من القرآن الكريم بواسطة مشايخ مشهورين ٠

وكالعادة ، فان الطعام سيوزع بعد الظهر على الفقراء والمحتاجين بالحى » ٠

سيدى الواسطى « انظر الخريطة القطاعية VI « W 2 :

اكتشف « مراسلتى » « موسى » هذا المولد الصغير البهيج وقادنى اليه يوم الخميس ٣٠ رجب ١٣٥٣ « ١٩٣٤/١١/٨ » ٠ ورغم أننى بحثت عنه مرات عديدة منذ حوالى هـذا التاريخ ، الا أننى لم أجـده يعمل اطلاقا ٠

(يقع هذا المولد) فى « سوق العصر » (٢٠٠) ببولاق ٠ وربمـا كان أسـهل طرق الوصـول اليه هو ترك أتوبيس رقم (١٥) فى « شارع عبد الجواد » عند « شارع الأنصارى » « القريب من نهـاية السبتية على اليسار ذاهبا من شارع فؤاد الأول » ثم اتباع ذلك الشارع الصغير الذى يقطعه حتى تتضح أنوار وموسيقى المولد ٠

والمسـجد الصغير جيد وهناك منظر جميل وملائم gemütlichkeit عند مجاوراته ، برغم أن المنطقة تعد من أفقر الأحياء ، وبلا آثار آخاذة ٠

سيدى يوسف أبو الحجاج « انظر خريطة الوجه القبلى » Y 1

يتعارض للأسف ، هذا المولد الذى يقع فى الرابع عشر من شعبان مع مولد سيدى « عبد الرحمن القناوى » (٢٠١) الذى يقـام فى « قنا » والتى تقع هى الأخرى فى منطقة « طيبة » ، وكذلك مع « مولد » سيدى « المطراوى » فى « المطرية » ، وكثيرا مع موالد صغيرة أخرى ٠ وفى (عام) ١٣٥٧ تزامن مع المولد الطنطاوى الكبير « السيد البدوى » ٠ لكن هذا كان مصادفة بحتة ، لأن مولد « السيد البدوى » لا يتبع « التقويم الاسلامى » لكن يقام دائما فى أكتوبر ٠ ولقد حدث أن منتصف شعبان وقع فى ذلك الشهر فى عام ١٣٥٧ ٠ وفى هذا العام ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » تزامن (المولد) مع مولد « سيدى روبى » فى الفيوم « انظر مولده فى R 1 » .

---

(٢٠٠) سوق العصر ـ شياخة من شياخات حى بولاق ، تضم خمسة شوارع ودربين وحارتين وست عطفات ٠

ـ تعداد سكان القطر المصرى سنة ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٢٥ ٠

(٢٠١) لا شك فى أن المؤلف يقصد « سيدى عبد الرحيم القناوى » ـ وسافترض أن هذا خطأ غير مقصود ٠

وكما أوضح فى موقع آخر ، فإن « شعبان » يزدحم بالموالد ، نظرا لأن الشهر الذى يليه هو « رمضان » ، الذى لا تقام فيه هذه الاحتفالات ، كما ان هذه الاحتفالات نادرا ما تقام فى أشهر الحج التالية · وفوق هذا فأنه لا توجد ليلة فى « شعبان » تعدل عشية منتصف شعبان جلالا وهيبة عندما يتحدد كل ما يرد فى الخاطر فى الحياة ويكتب على أوراق شجرة المنتهى Lote tree · والذين يموتون the morituri ينقلون أوراقهم فى هذه الليلة عندما تهز الشجرة ، ويفقدون حياتهم فى السنة المنصرمة ·

وبالاضافة الى خصائص الموالد عامة ، والجاذبية الاضافية لسباقات العربات والركوب البارع ، والحرية الاضافية وزهاء المولد الاقليمى ، فان هناك خاصية ـ يشترك فيها حسب علمى المولد القرين (لهذا المولد) والخاص بعبد الرحيم القناوى ـ وهى حمل القوارب « فى الزفة » ، قاربين فى حالة (مولد) الأقصر

يفسر هذا حاليا بتقليد (مفاده) أن قداسة وصلوات الشيخ « يوسف أبو الحجاج » المتقدة بالحماس قد أنقذت السفينة التى كان عائدا بها من « مكة » بينما غرقت باقى سفن الحجاج · لكن الأنثروبولوجيين يعلمونها واحدة من الحالات ، والحالات الواضحة تماما على غير العادة ، لتكيف احتفال اسلامى مع شئ موغل فى القدم عن الاسلام أو المسيحية · ولهورنل Hornell مقالة ممتعة فى « Man » الصادرة فى سبتمبر ١٩٣٨ ، تصور القوارب (٢٠٢) المحمولة فى « زفة » الأقصر ، وفيها (فى المقالة) يشير الى تماثلها مع « السجل المنحوت على الواجهة الخارجية للحائط الغربى لمعبد رمسيس الثالث ، داخل السياج الكبير لآمون فى الكرنك » ، والذى يمثل جر المركب الملكية ، و (مركب) « موت » و « خونس » · ويقرر « هورنل » أن علماء المصريات فى الأساس يعتبرون موكب الأقصر ·· كاحياء مبهم للعيد المائى العظيم « لأوبت » ، عندما ارتحل الثلاثى الطيبى Theban Triad آمون ورفقاؤه المقدسون « موت وخونس » فى النهر من معبد الكرنك الفسيح ليزوروا أضرحتهم فى معبد الأقصر » ·

(٢٠٢) انظر أيضا Nature ، حوالى أكتوبر ١٩٣٨ ـ حاشية للمؤلف ·

ولا نسير القوارب فائقة الزينه ، « كالعقبة » (٢٠٣) فى الاحتفال القاهرى « بعروس النيل » فى الماء ، لكنها تحمل على عربات يجرها شبان مرتبطون « بالطرق » (الصوفية) المتنوعة ، وتمتلىء بأطفال يفترض أن آباءهم يمتلكون « سندا » يبين انحدارهم من (نسل) سيدى يوسف ·

سيدى محمد الزفيتى « انظر خريطة حي الدقى » Z1 :

هذا (المولد) مثال غير اعتيادى لمولد يبدأ فى التواجد ، أو لو عاش سنوات مضت فانه يكون كالعنقاء الناهضــة من بقايا رمادها · وبعد تعاظم سريع يصبح على شكل صارخ fortissimo وعال ، ويتزايد هكذا حتى يصل تألقه الشهابى meteoric خلال فترة كانت روح العصر Zeitgeist والسلطات فيها بعيدة عن التسامح والصفح · لقد عشت منذ بداية عام ١٩٢٢ على مســافة ميل واحد من « قرافة » ســيدى « الزفيتى » ، حيث تتجمع القبور المتواضعة لجيرانى متساوية تقريبا مع المدفن المتواضع لهذا الولى المغمور ، والقريب من طريق « بولاق الدكرور »، لذلك فان الجلبة المرحة بل والأصوات تصل الى مسامعى بسهولة · ولمدة أكثر من عشر سنوات فاننى لم أسمع بهذا المولد ولا بشائعات عن وجوده · ولا أعتقد أنه قد أقيم على الاطلاق ، واذا كان قد أقيم فان الأمر (فى اعتقادى) لم يزد عن حلقة « ذكر » أو حلقتين عند الضريح ، أو عند مسجد « الدقى » ·

تبلور (هذا الأمر) الى مولد مجدد ، لكنه صــغير دقيق minute فى عام ١٣٥١ عندما كانت الليلة الكبيرة يوم الأحد ، العاشر من جمادى الآخرة « ١٩٣٢/٩/١١ » · ورغم أننى كنت بالخارج عندما أقيم عـام ١٣٥٢ ، فقد شاهدته فى عام ١٣٥٣ ، وكان لايزال صغيرا لكنه نما قليلا ·

---

(٢٠٣) العقبة ـ سفينة نيلية كانت مخصصة لركوب باشا مصر وأمرائها فى القرن ١٩ ، ثم أصبحت لا تستعمل الا لخرجة واحدة كل عام للاحتفال بوفاء النيل ، كانت ترسو فى مرسى السفن الحكومية ببولاق · وعند الاحتفال المذكور كانت تخرج من مرساها مزينة بالورود وأغصان الأشجار والرايات وفيها بعض المدافع ويجرها رفاص بخارى ، فتسير فى النيل حتى تصل الى نهاية جزيرة الروضة فتطوف حولها وتدخل فى ذراع النيل الفاصل بين هذه الجزيرة وبين مصر القديمة (المنيل) ، وتستمر فى السير حتى تصل الى مكان الاحتفال ، وبعد جريان المياه فى الخليج كانت تعود الى مرساها فى بولاق حتى العام التالى ·

ـ درويش النخيل « السفن الاسلامية على حروف المعجم » ـ جامعة الاسكندرية ـ ١٩٧٤ ـ ص ١٠١ ـ ١٠٢ ·

وفى سنة ١٣٥٤ علمت بعد عودتى من اجازة أنه قد أصبح كبيرا ، وأن مدة عماره قد أصبحت طويلة • فى عام ١٣٥٥ غادرت مصر لشهرين مبكرا فى ربيع الآخر ، وتركته يتطور فى أرجوحاته ، قره جوزه ، وما الى ذلك من الأشياء الشعبية المحببة • وقد دهشت لدى عودتى عندما وجدته لا يزال عفيا وأكثر قوة فى الحقيقة • وسجل رقما قياسيا فى الاستمرار ، لكننى أبلغت أنه كان متقطعا بعض الشىء • ولقد تعاظم فى تلك السنة فى يوم الخميس ٢٤ جمادى الآخرة « ١٩٣٦/٩/١٠ » ، (فكان) هائلا : شريط من الأكشاك والخيام من كل الأنواع ، مع مســاحات لحلقات الذكر ، المراجيح ، المغنين العرب ، والبقية ، يمتدون من مبانى (وزارة) الأوقاف ، عند التقاطع « بولاق الدكرور والطريق من حدائق الأورمان الى المتحف الزراعى » الى ما وراء « الدقى » تقريبا ، الى الخط عند بولاق الدكرور • ولقد رأيت هذا الجانب قد تزايد فقط فى مولد « ســيدنا الحســين » بالقاهرة فى عام ١٣٥٣ ، « ١٩٣٤ » عندما أصبحت الأكشاك كالشراريب على قدم الجبل من نهاية شارع الجديدة (٢٠٤) « امتداد الموسكى الى مدينة الموتى خارج باب النصر » •

فى العام الهجرى ١٣٥٧ ، « ١٩٣٨ » كان المولد أعظم ، وخاصة فيما يتعلق بكبر المسارح وأجواقها ، ومقاهى الرقص « والرنجا » • ورغم أن الليلة الأخيرة والختام كانتا فى ٢٢ جمادى الآخرة (١٩٣٨/٨/١٨) وكان اليوم التالى هو الخاتمة فقط ، فاننى كنت وقتئذ أستطيع سماع صوت الدفوف والنقارات ، وفرقعة كبســولة القدح عندما يدفع رجل قوى الآلة الصغيرة صعدا الى نهاية الخط الحديدى ، والأصوات المتنوعة للمولد •

لكن المشهد الرئيسى clou كان « الزفة » الرائعة بعد الظهر • قامت جماعات منها بعمل جولات ابتدائية فى الحقول قبل الرابعة ، وحوالى الساعة الخامسة تجمع الكل فى قرية الدقى • والدقى معقل للطريقة « القادرية » • هذه الجماعة الأصلية المؤسسة بمعرفة « عبد القــادر

---

(٢٠٤) لعل المؤلف يقصد شارع السكة الجديدة ، أحد شوارع شياخة الشنوانى بحى الجمالية ، فهو يقع بالمنطقة التى يقع بها ضريح سيدنا الحسين وشارع خان الخليلى وشارع سيدنا الحسين •

ـ تعداد سكان القطر المصرى لسنة ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٦ •

الجيلاني » (٢٠٥) الذي دفن في « بغداد » في عام ١١٦٥ م « ٥٦١ هـ » ٠ (وهي معقل كذلك) للطريقة « الرفاعية » ، وهي فرع شديد القوة من الطريقة « القادرية » ٠ أسسها كما يبين اسمها « السلطان الرفاعي » المدفون في « البصرة » في ١١٨٢ م « ٥٧٨ هـ » ٠ كانت راياتهم السوداء شهيرة ، ودراويشهم شديدو الحماس كلما داروا بالدبوس في اليد ، في رقصة دائرية مع صوت الطار والكاس والنقارة ، الخ (٢٠٦) ٠

ليس « الدبوس » مثل ما يوحي به اسمه كدبوس عادي ، لكنه اداة شاذة للورع ، التعذيب والموسيقى ٠ هو عبارة عن قضيب مستقيم ومدبب من الصلب بطول قدمين تقريبا ، وله رأس كروية ، اما من الخشب ، وفي هذه الحالة فانها تشابه الكرة الصغيرة التي تستخدم كهدف « Jack » والتي يلعب بها في لعبة كرة البولنج bowling (٢٠٧) ، واما من معدن

---

(٢٠٥) تنسب الطريقة القادرية الى الشيخ محمد محيي الدين عبد القادر بن ابي صالح المولود في مدينة جيلان في مارس ١٠٧٧ م ٠ جاء الى بغداد عام ١٠٩٥ م ودرس مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ثم قضى ٢٥ عاما في العراق ثم بنى لنفسه مدرسة عام ١١٣٥ ٠ بعد وفاته نشر أبناؤه مذهب أبيهم في القارة الأفريقية وخاصة شمالها وغربها وشرقها ٠

راجع عبد الله عبد الرازق ابراهيم « أضواء على الطرق الصوفية في القارة الافريقية » ــ مكتبة مدبولي ــ القاهرة ــ ١٩٩٠ ــ ص ٣٥ ــ ٥٧ ٠

(٢٠٦) مصدري في الرواية عن أن السلطان الرفاعي قد دفن في البصرة هو بليس Bliss (انظر Religions of Syria & Palestine) لكنني افهم من مسز ديفونشاير Devonshire التي تحظى مؤتمراتها وكتبها عن المساجد وآثار أخرى بالقاهرة بتقدير كبير ، أن المسجد الرفاعي الكبير المقابل لمسجد السلطان حسن قد بني حاليا نسبيا حول ضريح الرفاعي ٠ ويثق آخرون بما فيهم الميرالاى جاير أندرسون بك الخبير بالمعلومات في مثل هذه الأمور أن الضريح المذكور ليس نصبا Cenotaph لكنه في الواقع يضم جثمان هذا المؤسس العظيم ٠

هل مصر (والقاهرة على وجه الخصوص) مدينة للفاطميين لهذه الملكية الغالية ؟ انني أتعجب ٠ حاشية للمؤلف ٠

(٢٠٧) البولنج لعبة داخلية indoors تعرف أحيانا باسم tenpins ، تلعب على أرض خشبية مدهونة بالورنيش اما بوسطة أفراد أو فرق ٠ ورغم أنها شعبيــة في الولايات المتحدة الأمريكية فانها معروفة حول العالم بأسماء وأنماط مختلفــة ٠ يرمي المتنافســون كرات متدحرجة بها ثلاثة ثقوب للأصابع لتمسك بالكرة التي تقذف تجاه عشرة دبابيس (على شكل زجاجات) خشبية طول كل منها ١٥ بوصة (٣٨ سم تقريبا) ٠ تجمع الدبابيس في شكل مثلث بحيث يبعد دبوس رأس المثلث head pin ٦٠ قدما (١٨٫٣ مترا) عن خط القذف ٠ تقذف الدبابيس بكرة Jack مصنوعة من المطاط الصلب أو البلاستيك بنصف قطر ٨٫٥ بوصة (٢١٫٦ سم) ولا يزيد وزنها عن ١٦ رطلا (٧٫٢٦ كجم) ٠ =

مجوف · وفى كلتا الحالتين ، فان الكرة يشرشبها عند القمة عـدد من السلاسل الصغيرة ، تحمل فى طرفها الحر مثلثا من المعدن · وتلعب هذه (المثلثات) دور الأجراس · وفى عرضه الكريم لكى أرى دبوسه ، فان درويشا صغيرا بضفيرة شعر وحشية كانت تبدو مروعة حتى ولو كانت على (رأس) بشـارى (٢٠٨) Beshari ، وصف دبوسـه هذا بانه شخشاخة sistrum ، حيث كان يحتوى على أشياء حولته الى ذلك الوصف · قد يهم هذا المرحوم البروفيسور نيوبرى Newberry من جامعة القاهرة سابقا ، فقد عبر عن نظريته فى كتابه عن مصر القديمة بأن الصولجان الملكى كان فى الأصل شخشاخة ، يستطيع بها الملك أن يدعو الى النظام أو يسكت الأصوات الى صمت مطبق · ياله من صولجان نموذجى لعاهل مستبد هذا الدبوس وما يستطيع أن يفعله ! انه اذا لم يحدث الأثر المطلوب كشخشاخة ، فان ضربة برأسه أو وخزة بسنه تستطيع أن تؤكد الملكية Royalty بكفاءة تامة ·

لكننى أخرت (بوصفى هذا) الموكب ! يتقدم الموكب السكندريون التقليديون فى ستراتهم القصيرة الفضفاضة boleros وسراويلهم المنتفخة « لباس » ، يحمل بعضهم قضبانا طويلة تحمل نوعا من الشخشاخة المزينة ذات الشراريب ، والبعض يرقص أو يدور · وفى هذه الحالة حمل خبير بالدراجات دراجته المقلوبة على أسنانه · جاء بعد ذلك دراويش الطرق يتبعهم « الخليفة » على صهوة جواد مع طفلين من البدو ، منظرهما جميل للغاية « باللاسة » و « العقال » · وكما تدل الكلمة ضمنا ، فان « الخليفة » يمثل « الشيخ » الذى يقام المولد احتفالا به ، ويختار من عائلته · وفى هذه الحالة فان الشيخ « أبو زيد » قام بالمهمة بوقار · تلا ذلك المزيد من الطرق براياتهم ولافتاتهم ، حاملين شاراتهم وعلامات طرقهم ، وآخرون يلعبون كل أنواع الموسيقى ، أو يدورون وحدهم أو مع زملائهم فى رقصة « الدبابيس » · كان آخرون أيضا يحملون « المشاعل » ليدفئوا جلود الطبول لتبقى مشدودة ، رغم أن هذا لم يكن ضروريا حيث ان الفلاحين

= هدف اللعبة هو طرح كل الدبابيس على اجنحتها من اول او ثانى ضربة كرة من الضربتين المسموح بهما · أصبحت اللعبة شائعة فى منتصف القرن التاسع عشر ·
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 3, p. 439.

(٢٠٨) البشارية ـ قبائل بدوية رعوية تسكن القطر القاحل الذى يحد الشاطىء الغربى للبحر من جنوب شرقى مصر عبر السودان الى شمالى اثيوبيا (اريتريا) ، وتشاركها فى هذا المقام قبائل اخرى هى العبابدة والهدندوة والامارار وبنو عامر ـ وتشكل هذه القبائل جميعا ما يعرف بقبائل البجا Beja
— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 3, p. 172

حسنى الانتباه أشعلوا نيرانا صغيرة على جانب الطريق لهذا الغرض · ولتنويع الرقص فان بعض الدراويش غرسوا دبابيسهم فى شفاههم أو وجناتهم · وفجأة سيخوا وجوههم بدبابيسهم وفى حلوقهم ، أو الصدر أو البطن ، وأقاموا بأجسادهم جسرا سار فوقه « الشيخ عايد » أحد المشايخ المحليين ذوى الاعتبار ، وممثل وأحد المنحدرين من نسل « الرفاعى » ، حيث أدى بعض الصـــلوات القصـــيرة والوعظ على مراحـل · وقد تكرر هذا الأمر على يد أحـد الأفندية من قبيلة « الرفاعى » ، وتكرر كذلك عدة مرات قبل أن تترك « الزفة » القرية · ومع تباطؤ خطوتى خلف (الزفة) لأرى بقيتها وهى تمر ، لاحظت أن جماعة مسرح « السيدة فاطمة الكسارة » قد لحقت بمؤخرة الزفة بعربتين ممتلئتين جيدا (بأعضاء المسرح) بالغناء والموسيقى ، ورقص البطن · كانوا جماعة مرحة بملابس مرقطة ومتعددة ألوانها · وزع هؤلاء ، أوراقا مع بعض صورهم ، كانت تشير الى أن « فاطمة » وفرقتها يحيون مولد الشيخ محمد الزفيتى ·

« احتفالا بمولد سيدى محمد الزفيتى بالنقى » ·

وأخيرا ظهرت « الزفة » فى طريق « بولاق الدكرور » ، وتتبعتها غربا حتى الوصول الى كوبرى الترعة ، عازلة كل المظاهر الدنيوية على الطريق ، السكندريين وجوق « فاطمة الكسارة » · وفى النهاية وصلت « الزفة » الى البقعة الجميلة ، حيث يرقد جسد « الزفيتى » فى الحشيش الأخضر ، تحت الأشجار الضخمة ، بقعة تشبه الريف الانجليزى ، كتلك التى ألف فيها « جراى » Gray شـــعره الرثائى (٢٠٩) · ثم بدأ « الذكر » بعد ذلك والزيارات للضريح · ولابد أن هذه الزيارات قـد استغرقت ساعات ، ذلك أن « الزفيتى » لم يحظ بمثل هذا الحشد فى الأزمنة الحديثة · لقد كان أمرا ذا دلالة كما هو نموذجى أيضا أنه عندما لا يكبح الجانب المرح من المولد ، فان تقوى النـاس تتزايد بدرجـــة جســـيمة ·

---

(٢٠٩) توماس جراى Gray. thomas شاعر انجليزى (٢٦ ديسمبر ١٧١٦ ـ ٣٠ يوليو ١٧٧١) يعتبر أعظم من كتبوا الشعر من الانجليز ـ رفض لقب شاعر البلاط Laureate · تعلم فى كلية ايتون Eton وجامعة كمبردج Cambridge (١٧٣٤ ـ ١٧٣٨) وأستقر فى كامبردج منذ ١٧٤٢ ، واصبح الأستاذ الملكى Regius Professor للتاريخ الحديث فى ١٧٦٨ ·

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. p., 306

ان الوصف السابق يحدد مكان المولد جيدا • ولكى تذهب الى هناك من المدينة ، فان الاتوبيس رقم ٤ يعمل حتى حوالى التاسعة ويمر به تماما • ويأخذ الأتوبيس رقم ٦ أو ترام رقم ١٥ المرء الى « الكوبرى الانجليزى » ، حيث توصل مسيرة دقائق قليلة الى الغرب الى « الدقى » و « المولد » • ودائما تتوفر التاكسيات والعربات عند « الكوبرى الانجليزى » ، وهذه هى نقطة البداية لأتوبيس « كرداسة » الذى يمر عبر المولد ، لكنه غير منتظم ويتوقف عند أو قبل التاسعة •

لقد حذفت حادثة مؤثرة فى وصف الزفة • فقد أخذ صبى صغير وسيم وذو مظهر أرستقراطى ، من درويش لا شك فى أنه قريب له ، دبوسه وغرسه فى وجنته على ما أعتقد • هل كان هذا — انى أتساءل — شيئا مختلفا ، أم أنه كان اضافة للاحتفالات الاستهلالية للذكر والورد ؟ لقد ذكرت هذه الحادثة المرء بمقتل blooding الراكب الصغير المعرض للموت فى صيد عسير •

وبالنسبة لسيدى الزفيتى ، فاننى أعتذر لعدم توافر معلومات متماسكة ويعتمد عليها ، فى مجال التقليد أو التاريخ • ومع الأسف ، فان سقوط (مولد) الشيخ الزفيتى كان كالشهاب أكثر من صعوده ! كنت فى أوروبا عندما عقد المولد فى يوم الأحد ٢٧ جمادى الآخرة ، ١٣٥٨ « ١٣ — ٨ — ١٩٣٩ » ، لكننى أبلغت لدى عودتى أنه قد اختزل بصورة مرعبة • وكان السبب الذى حدد عامة هو أن أصحاب المقاهى Cafetiers ، وأصحاب الأكشاك ، الخ الذين دفعوا بسخاء فى العام الماضى من أجل استخدام الأرض البور التى على جانب الطريق ، لم يستطيعوا التوصل الى اتفاق مع موظفى الأوقاف وبعض الآخرين ذوى الصلة •

وفى هذا العام الهجرى ١٣٥٩ « ١٩٤٠ » ، فانه يبدو أن حجة الحرب المخادعة قد قدمت الضربة النهائية Coup de grace (للمولد) • ذلك أنه حتى الأرجوحات وما ماثلها التى وضعت بمعرفة المقاولين المحليين « يحتمل بالمخالفة للقواعد فى صورة عملية » قد خلعت من أماكنها قبل الليلة الختامية يوم الثامن عشر من رجب « ٢٢/٨/١٩٤٠ » ، وخاب أمل أهل « الدقى » والزوار بمرارة • ولقد علمت مع هذا أنه كانت هناك « زفة » بعد الظهر لكنها لم تكن على الاطلاق كتلك الخاصة بعام ١٣٥٧ والتى شرحت بعاليه ، وأنه لم يكن هناك جمهور محتشد على المقام •

سيدى زين العابدين « انظر الخريطة القطاعية XV » Z2 :

كان مولد « على الأصغر » ، زين العـابدين فى السابق ، أحـد الاحتفالات الاسلامية الكبرى ، ويجب أن يكون كذلك بالقطع ، بالنظر الى أن القاهرة تميزت باحتضان ضريح واحد من الشخصيات القيادية فى تاريخ ودين النبى جد زين العابدين العظيم ·

كان هذا المولد لايزال كبيرا وأخاذا عندما شاهدته يوم السـبت الخامس من شعبان ١٣٥١ « ١٩٣٢/١٢/٣ » ، فى خلفيته الغريبة والرائعة من المقابر والمساجد الضخمة ، لكنه لم يقم على الاطلاق فى ١٣٥٢ ، نظرا لحدوث جريمة قتل — كما أبلغت — فى مكان ما فى القرافة حيث يوجد الضريح ، رغم أننى لا استطيع أن أجد صلة بين الجريمة والمولد ·

فى يوم السبت السادس من صفر ١٣٥٣ « ١٩٣٤/٥/١٩ » شاهدت صورة بائسة للمولد وحيث سجى هذا الشبح البائس حتى ١٣٥٧ ، عندما بذلت محاولات باسلة بمعرفة محبى الولى لاعادته الى مكانه الخاص مرة أخرى · كانت الزفة والليلة الكبيرة قد تحددتا يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة « ١٩٣٨/٨/١٣ » ، وقبل أسبوع من ذلك التاريخ امتلأت القرافة ومداخلها حتى الضريح بالحجاج · ولقد كانت المعاملة التى عانى منها المولد وقتئذ من بوليس « السيدة زينب » ممزقة للقلب ، وأكثر من ذلك فربما كان هذا المولد من أكثر موالد القاهرة استمساكا بالشخصية الدينية الخالصة ، كما أنه يقع فى مدافن حيث لا توجد حركة مرور من أى نوع · لذلك كله فان العدوان (البوليسى عليه) كان جائرا · ورغم أنه لم يسمح « بالزفة » ، فان الليلة الأخيرة كانت سعيدة وآمنة (٢١٠) ، وأمها جمع متحمس وطيب ، كان الكثير منهم من أماكن بعيدة ، نظرا لأن الدعاوى كانت قد أرسلت (٢١١) ، وسمعة هذا « الولى » العظيم واسعة كالاسلام ·

وبالمناسبة ، فان الوصول (الى المولد) سهل للغاية ، بواسطة ترام الخليج رقم (٥) أو (٢٢) ، حيث ان القرافة قريبة من « السلطانة » ومجرى عيون Aqueduct « محمد على » ·

(٢١٠) نتيجة احتجاجات قدمت للحكومة ، كبحت الحماس المدمر من جانب السلطات المحلية — حاشية للمؤلف ·

(٢١١) انظر الملحق (٣٥) ·

لم يكن هناك جانب دنيوى (للمولد) ، فلا حديقة ملاه ، ولم يكن المظهر العـام لهذا الاحتفال يدعـــو لمثل ذلك ، رغم أننى أسفت لأن « الفقهاء » الذين كانوا يغنون فى مقاهى ومحلات المنطقة ، والذين كانوا محل تقدير كبير فى تلك الأيام الخوالى الحلوة ، لم يعودوا يسمعون ، أو على الأقل فاننى لم أرهم أو أسمعهم ، لكننى لم أتجول كثيرا فيما بين الضريح ومجاوراته المباشرة · ولقد امتزت بدخول « قدس الأقداس » ، حيث يحيط بالضريح سياج من القضبان المتصالبة grille من الحديد على شـكل أكاليل الأزهار ، وتضـفى بوكيهات الورد وأكاليل الأزهار جمالا عليه · ولقد أهديت بعضـا من هذه الأزهار · ولكن ماذا يحوى الضريح ؟ ان بقائى هكذا غير متأكد (مما يحويه الضريح) يصور الصعوبة غير العادية فى الحصول على معلومات محددة أو يعتمد عليها حول هذه الأمور · يقرر « عبد الوهاب الشعرانى » ، وهو مصدر موثوق به ، فى « طبقاته » بوضوح : « وحملت رأسه الى مصر ودفنت بالقرب من مجراة الماء الى القلعة بمصر العتيقة » ·

ومع هذا ، فان الشـيخ « السـيد على عابدين » الذى استمتعت بكرمه (٢١٢) ، والذى أفهم أنه الخليفة الروحى ان لم يكن القريب بالدم « لزين العابدين » فى « سلسلة » غير منقطعة « لكننى علمت أنه ينتمى اليه روحيا ودمويا » ، مؤكدة « بسند » ، والذى ـ افترض ـ أنه قد يركب « كخليفة » لو كان قد سمح « بالزفة » ـ (أقول ان هذا الشيخ) قد أكد لى أن جسد « الولى » كله يرقد فى الضريح ، وقد دعم قوله من جانب أقارب وشيوخ لديهم بالطبع علم داخلى · واذا كان هناك صوت مرجح Casting vote يمكن الاستعانة به ليحسم القضية ، فانه الشيخ المكلف برعاية القبر مباشرة ، والذى عندما سألته عما اذا كان القبر يضم الجسد ، أجاب (قائلا) : « كلا ، الرأس الشريف فقط » ·

فى القرافة ، وعلى بعد ياردات قليلة من الباب الكبير للضريح ، والذى كان يمر عبره جمع مستمر من الحجاج من والى « المقام » الداخلى ، سحر مخلوق مخيف حلقة ضخمة من الناس · كان « مجذوبا » من الصعيد، سبق له العمل بالجيش كما علمت ؛ وأما الآن فقد أصبح مهووسا دينيا ، ولم أقابل فى حياتى كائنا بهذه الشخصية القوية والمرعبة · كان يطلق قذائف السب على الناس ويتركهم مسلوبى اللب ومصعوقين رعبا بصوته

---

(٢١٢) أعلنت وفاة هذا الشيخ بصورة مفاجئة تحت ظروف تراجيدية غريبة ـ حاشية للمؤلف ·

وإيماءاته المخيفة ودوراته والتواءاته المتصلة . كان عراقا بالميلاد Witch doctor ، وبين الحين والآخر كان يبحث عن مهرطق أو تقى مخادع ، فينومه مغناطيسيا فى الحال . كانت الحلقة تشبه فى بعض الأحيان بقعة فى جزيرة كيرسى Circe (٢١٣) . أجساد رؤوسها ملوية الى الخلف تقريبا نحو الأرض ، أو تدوز مقلوبة رأسا على عقب على أربع ومشابهة للعقارب ، أو صرخات كالثغاء طالبة الرحمة فى أصوات تماثل صوت الأغنام Ovine Voices ، أو فى مسلك جحش يحمل المجذوب على ظهورهم أو أكتافهم ، بينما يخرج هو نفسه أصواتا لا تمت للأصوات الانسانية بصلة ، زئير ، قباع خنزير grunts ، وأصوات حيوانات لا يمكن وصفها . وعندما كان يقتنص ضحية جديدة فانه كان يثبته عامة بعيون وحشية عنيفة ، وبأصابع تهتز كالمخالب يسأله « هل تسخر منى ؟ » ـ فقد كان (هذا المجذوب) حساسا ضد السخرية كسيرانو دى برجراك Cyrano de Bergerac (٢١٤) ، وانني اثق أنه كان يمكنه أن يطعن الساحر منه فى جسده تلقائيا دون انتظار لاجابة . وفى الواقع فان (الضحية) الخاضع كان عادة قد أصبح غير قادر على الكلام ولا عون له ، (فالمجذوب) يمسكه من شعره ، أنفه ، أو أى عضو من أعضائه ويؤرجحه فى الحلقة ، ثم يقوم بعدة تنقلات سريعة قليلة بيديه واذا كان الأمر ضروريا فانه يستخدم عينيه وصوته على (الضحية) ، وبعد ذلك يتقدم فى الحال الى التحولات الكيرسية Circe transformations .

قبل البداية لم يكن (المجذوب) قد وصل الى قوته ، وكان قد كبح نفسه بعض الشىء ، بل واجتاز بالكاد بعض تدقيقات البوليس . وعندما اقتربت كان المجذوب فى حالة شدة gené وشاعرا بى تماما ، واعترضنى بسؤاله الغامض Sphinx question ، بعيون مهلكة ومخالب تعمل كالحيات ، لكنه لم يكن حائزا لثقته المعتادة بنفسه تماما .

---

(٢١٣) فى الأساطير اليونانية كانت كيرسى Circe مشعوذة تستطيع تحويل الناس الى أسود ، ذئاب ، وخنازير . وعندما وصل أوديسيوس Odysseus الى جزيرتها حولت كيرسى رفقاءه الى خنازير . وبمساعدة هرمس Hermes الذى أعطاه نبات مولى moly plan: كتعويذة ضد سحر كيرسى ، اجبر أوديسيوس كيرسى على اعادة رفقائه الى شكلهم الانسانى .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 4, p. 435.

(٢١٤) البطل ذو الأنف الضخمة فى الدراما التى تحمل نفس الاسم لادموند روستان Edmond Rostand . جندى ذكى من جاسكونيا Gascony يتودد الى ويكتب قلب روكسان Roxane أمام صديق وسيم ولكن غبى ، ويحكى قصة غرامه لها فقط وقت موته .

— « Webster's Unabridged Dictionary », op. cit., p., 59.

أكدت له صادقا أنني لم آكن أسخر منه • ولازالة التوتر خدعته سائلا اياه عما اذا كان لم يتذكرني في مولد « عبد الرحيم القناوى » ، « الذى لم أكن قد حضرته اطلاقا حتى ذلك الوقت ، لكننى خمنت أنه لابد أن يكون قد حضره هو باعتباره صعيديا » ــ وأجاب (المجذوب) « نعم ، والله اننى أتذكرك جيدا » • واعتقد أن هده هي الغريزة المصرية الخالصة في الأدب Politeness التى تهزم كل المشاعر الأخرى • كان منتصف الليل قد حل تقريبا عندما حلت به الروح بقوة غير معتادة ودخل فى « الحالة » « Came into « his hour » • وحينئذ تركنا البوليس بحكمة وتعقل وحدنا ، باستثناء « صف ضابط » اعتقد ، لكنه لم يكن واثقا ، أن الواجب يقتضيه التدخل • وقد ابتعد مرتجفا فى الوقت المناسب ــ كورقة شجر ذابلة ساقطة • وأعترف أننى كنت أود أن أرى « مأمور القسم » في « الحلقة السحرية » (هذه) ، فربما كان يشـــفى مثل شــــاول Saul (٢١٥) من نزعات الاضطهاد المشهور بها محليا • كان آخر انتصار سحرى شاهدته لهذا (المجذوب) هو ارغامه شيخا كبير المقام يرتدى عمامة خضراء ، تظهره فى سلك المنتمين نسبا للنبى • كان يسير مارا بحلقتنا وعلى بعد منها ، لكن « العراف » اندفع من خلال الناس وأتى به الى الحلقة المسحورة فى ومضة ، ممزقا عمامته الخضراء ومتهما اياه بأنه شريف مزيف ، متجرأ على الاقتراب من (مقام) « زين العابدين » وهو نجس •

وبعيون وامضة ، عنفه الشريف بسخط ، لكنه التقى بعيون أخرى ، فراحت عيناه فى كلالة ، واختفى تعبير وجهه ، ومر صــوته بانحباس aposiopesis • وبعد الكثير من السلوك الغريب الجديد بقره جوز ، وبكلمة أمر (كان الشيخ) يقبع على أربع كالخنزير من أصحاب أوليسيس Ulysses (٢١٦) • وبعد فاصل رقص منفرد Pas seul ، أدى ذكرا

(٢١٥) شاؤول Saul ، ملك اسرائيل ، ابن كيش Kish من قبيلة بنيامين ، اول ملك لاسرائيل • يحتمل ان يكون قد حكم حوالى ١٠٢٠ ــ ١٠٠٠ قبل الميلاد ، رغم ان التواريخ الصحيحة ومدة حكمه محل نزاع • مارس شاؤول نجاحات عظيمة وكان مسؤولا عن القوة والتماسك التى أصابت الأمة العبرية • ازاح شاؤول الفلسطينيين من البلاد ومد سلطته فى يهوديا Judah وشمالى شرق الاردن • لكن صموييل Samuel اختلف معه ، وبدأ الافتقار اللاحق للدعم الدينى ، الى جانب حسد شاؤول المتنامى وشكه فى داود قائده التاجح الشاب ، فى تدمير تقديراته • تجاهل التهديد الفلسطينى اطول من اللازم وتلقى هزيمة مدمرة على جبل جلبوا Mount Gilboa • ثم قتل نفسه على ان يقبل الأسر •

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 16, p. 96.

(٢١٦) اوليسيس Ulysses ، هو اوديسيوس Odysseus ملك اثاكا Ithaca وأحد القادة اليونانيين فى حروب طراودة Trojan War

— Webster's Unabridged Dictionary, op. cit., p. 1983.

منفردا - (تضمن) كلمة الله ! الله ! الله ! التى تحولت الى صراخ خالص مليء بالألم والرثاء ، بلغ ارتفاعه حد عدم مماثلته لأى صـوت سـمعته ماعـدا صرخـة الموت لحيوان سـم بحامض البروسـيك Prussicacid . توسلنـا جميعا الى « المجذوب » أن يكف ، فاستجاب لنا مبديا قليلا من الاعتراض ، ودافعا الشريف الى خارج الحلقة مع بعض الكلمات التى بدت كما لو كانت صفحا . كذلك فقد تعامل مع اثنين أو ثلاثة من (ضحاياه) التابعين الذين كانوا لا يزالون راقدين على الأرض ، غافرا للبعض ، لكن مع آكوام من اللعنات الرهيبة التى لم يسمح بها على واحد منهم وقاذفا به بين القبور .

تبعت بدافع الفضول (ذلك) « الشريف » ، ودخلت فى حوار معه سائلا اياه عن اسم المجذوب . فقال لى انه لا يعرف برغم أنه شاهده مرة من قبل ، وانه « رجل طيب جدا » . فقلت : « ولكن ما عرضك له لا شك أنه كان مفزعا لك » . فأجاب : « أنا أحب الذكر » . ونظر الى بتعبير عن الدهشة العظيمة ، وكأنه غير دار كلية بتنوعاته الحالة الكلبية Canine والغنمية Ovine ، والخنزيرية Porcine والقرة جـوزية Punch-like (التى كان يؤديها تنفيذا لأوامر المجذوب منذ قليل) .

أجلست نفسى على شاهد قبر للتأمل فى الجمال الغريب للمجاورات . فأتى الى همس نساء يرتدين النقاب غامضة رؤيتهن ، مع صوت الأذكار وغناء أو رتابة أصوات الرجال المتدينين وصرخات الحيوانات الصادرة عن « المجذوب » الذى لا يكل . كانت شواهد القبور هى كل ما حولى وبعض الأشجار القليلة ، وعلى البعد قصور حقيقية للموتى ، بعضها لازال حديثا (مكسوا) بالزهور والخضرة ، والمآذن المحاطة بجبال الزينة ، وقبابها القديمة تتوهج برقة فى بعض الضوء الخفى ، بعضه من أثر القمر الذى كان يسطع الآن . حاولت أن أضع (الولى) المحتفل به فى اطار خطة من الأشياء . هو حفيد الامام « على » و « فاطمة » ، ابنة الرسول . نجا من الموت فى ميدان « كربلاء » مع والده « سيدنا الحسين » الشهيد ، وأخ أكبر ، « على الأكبر » ، نظرا لمرضه الشديد وصغر سنه ليقاتل . ومات فى عام ٩٩ فى سن الثامنة والخمسين ، بعد أن أسس خطا مضيئا الى هذا اليوم فى شخص « أغاخان » (٢١٧) وآخرين . وبالنسبة « لزين العابدين » ، على الأصغر ، فقد كان والد جعفر الصادق ، الامام السادس ، الذى كان ابنـه اسماعيل هو الأول فى « طائفة الاسماعيلية » ، التى

(٢١٧) أغاخان ، الزعيم الروحى أو امام الطائفة الاسماعيلية من الشيعة المسلمين . منح اللقب الوراثى أولا بواسطة البلاط الفارسى الى حسن على شاه (١٨٠٠ - ١٨٨١) ، المفترض انحداره من على زوج ابنة الرسول (ﷺ) . ومع هذا فقد ثار « حسن » ضد =

اختضنت « الحشاشين » تحت زعامة « رشيد الدين » رجل الجبال العجوز ، الذى كان شوكة أو خنجرا فى جنب الصليبيين ، والذى فرض جزية « يسميها البعض ابتزازا » يدفعها عشرات الآلاف من الاسماعيلية حتى الآن لخليفته ، الفائز بجائزة الدربى Derby الكبرى فى بومباى (٢١٨) . ونحن ندين بالكثير من موالد القاهرة لعائلته المباشرة ، فبصرف النظر عن مولد « سيدنا الحسين » ، « ستنا سكينة » ، السيدة عائشة ، وفاطمة النبوية من بينهم ، فان الأخيرة ، حفيدته فاطمة لها « مقامها » ومولدها خلف « المحافظة » ، تحت نوافذ « سجن الاستئناف » ـ مصدر بهجة سنوية للمساجين .

السيدة زينب (انظر الخريطة القطاعية XIII) Z 3 :

ثانى أكبر « مولدين » فى القاهرة بعد مولد الرسول (ﷺ) ، والثانى بالطبع هو مولد أخيها « سيدنا الحسين » . والاثنان هما أولاد « الامام على » و « فاطمة » ابنة النبى (ﷺ) ، وعلى ذلك فهما حفيدا محمد (ﷺ) نفسه . ورغم أن ظلالا من الشك قد ألقيت حول موثوقية الضريح فى القاهرة ، فان التقاليد القديمة والاعتقاد فيهما الكفاية لجذب أكبر جزء من مليون حاج الى هذا الضريح الشهير كل عام . وليس الضريح ، رغم جاذبيته ، قديماً أو شهيراً من الناحية المعمارية ، فقد بنى على موقع مسجد أقدم منذ ١٤٠ عاما « قمريا » بمعرفة « محمد على » . وقد حرمت التحديثات الحالية لميدان « السيدة زينب » ، وقطع شجرة جميلة قديمة وهدم ضريح وعناصر أخرى مشابهة فى الجوار المباشر ، حرمت المنطقة من السحر الذى كان لها منذ سنوات قليلة .

= الشاه وهرب الى الهند فى ١٨٤٠ . حفيد أغاخان الثالث (السلطان سير محمد شاه Sultan Sir Mohammed Shah) (٢ نوفمبر ١٨٧٧ ـ ١١ يوليو ١٩٥٧) هو مؤسس (١٩٠٦) جامعة كل مسلمى الهند All India Muslim League ، وشارك فى مؤتمر لندن للاصلاح الدستورى الهندى عام (١٩٣٠ ـ ١٩٣٢) . فى عام ١٩٣٧ كان رئيسا لاجتماع عصبة الأمم . خلفه لدى وفاته حفيده كريم الحسين شاه (أغاخان الخامس) المولود فى ديسمبر ١٩٣٦ .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 1, p. 181.

(٢١٨) Assassins هو الاسم الغربى لجماعة من « الاسماعيليين » المتعصبين ، وهم طائفة من الشيعة المسلمين ، الذى عملوا من أجل خلق خلافة فاطمية جديدة من ١٠٩٤ الى ١٢٧٣ . مع وفاة المستنصر (١٠٩٤) انقسمت الخلافة الفاطمية فى مصر انقساما خطيرا بين ولديه . شايع الأساسان « الحشاشون » ابنه الأكبر المخلوع « نزار » ، واحتلوا وحصنوا سلسلة من المعاقل الجبلية فى شمالى فارس وخاصة فى الاموت Alamut فى جبال البورز Elburz وسوريا . وشنوا حرب ارهاب من هذه الحصون ضد كل من

ينتهى المولد بعد حياة لمدة ثلاثة أسابيع فى الثلاثاء الأقرب لمنتصف رجب ، واذا ساعدتنى خبرتى ، فقد كان ذلك فى ١٦ رجب فى عام ١٣٤٨ ، ١٦ رجب أيضا فى عام ١٣٥١ ، ١٤ رجب فى عام ١٣٥٣ ، ١٧ رجب فى عام ١٣٥٤ ، ١٣ رجب فى عام ١٣٥٥ ، ١٨ رجب فى عام ١٣٥٧ ، ١٤ رجب فى عام ١٣٥٨ ، و ١٦ رجب فى عام ١٣٥٩ « ٢٠/٨/١٩٤٠ » .

لقد أجرى الكاتب معرفة شخصية مبكرة وغريبة بالمسجد ، الضريح والمـــولد فى عام ١٣١٩ « ١٩٠١ » ، عندما تم تهريبى الى داخل قدس أقداس penetralia المكان شديد الخصوصية فى احدى الليالى المبكرة بمعرفة اثنين من أبناء « عرابى باشا » ، وابن مضيفى « حامد محمود » ، صديق وطبيب (سعد) « زغلول » فيما بعد ، ووزير الصحة الآن . قدمت للشيوخ والأعيان الذين كانوا يعرفون الصبية كزائر تركى عظيم التقوى ، (كما قدم) هارولد بيز Harlod Base ، الذى لابد أن كثيرا من قرائى قد قابلوه ، والذى هرب أيضا ، كدرويش أخرس ، واستقبلنا بكرم عطوف وخز ضمائرنا . فقد أجلسنا وشربنا القرفة وقدمت أفضل ما فى جعبتى من التركية والعربية ، وكنا سعداء جميعا ، حتى سنحت لأحدهم فكرة شريرة mauvais idée باستحضار أحد البكوات من استانبول الى مجموعتنـــا الصـــغيرة ، والذى أعتقد أنه قد يحب أن « يدردش » مع بعض مواطنيه . وقع « حامد » وأولاد « عرابى » فى رعب شديد ، وقبل أن نتحقق أنا وبيز Base من الأجراء الذى اتتووا عمله ، سارع أولاد « عرابى » بالهرب من المسجد يتبعهم « حامد » الذى لم يكن قد أتقن بعد

= المسلمين التقليديين Orthodox Muslims والمسيحيين الصليبيين . وكثيرا ما اغتالوا شخصيات قيادية . ومن ثم فان استخدام مصطلح assassin فى الانجليزية يعنى قاتل ذو دوافع سياسية) . وتستمد الدلالة الغربية لهذه الجماعة من الكلمة العربية « حشاشين » والتى تعنى مستخدمى « الحشيش Cannabis Sativa » . ومع هذا فان القصة التى رواها ماركوبولو Marcopolo وآخرون بأن مواد مخدرة hallucinatory drugs كانت تستخدم لحث الأساسين assassins على افعالهم غير مؤكدة فى أى مصـــــادر « اسماعيلية » . وربما كانت تعليقا ساخرا على عنفهم . بدأ عنف « الاساسين » يعتدل فى القرن الثالث عشر . ثم دمروا فى فارس على يد المغول (١٢٥٦) وفى سوريا على يد المماليك (١٢٧٣) .

أما الدربى Derby فهو سباق خيول يقام فى إبسوم داونز Ebsom Downs بسرى Surrey بانجلترا كل عام للخيول التى عمرها ثلاث سنوات على مضمار طوله ميل ونصف . أسس هذا السباق ليرل دربى الثانى عشر عام ١٨٧٠ . يسمى هذا السباق أيضا Derby Stakes أو English Derby .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol 2, p. 264, 6, p. 121.

طرق الدبلوماسية · ودون أن يدرى الدرويش الأخرس وأنا بالمصير الذى ينتظرنا ، تبعناهم خارج المسجد الى « البغالة » (٢١٩) بغاية السرعة ·

يوصل أى خطوط ترام السيدة زينب « ٤ ، ٧ ، ١٢ » وأتوبيسات ٢ ، ٩ الخ ، المرء الى باب المسجد · « والسيدة زينب » حى معروف جيدا الى حد أن هذه المعلومة تبدو مغالى فيها Super lative، لكن بعض المقيمين قد ركزوا على أجزاء معينة من القاهرة وتجاهلوا الأجزاء الأخرى ، وهذا ما جرأنى على عدم استبعاد (المعلومة) ـ واضعا فى اعتبارى واقعة جرت منذ عدة سنوات ·

كنت أتناول طعامى قبل ليال قليلة سابقة على « الليلة الكبيرة » مع مستر همفريز Humphreys المقيم فى « بولاق الدكرور » والذى كان مقيما هنا منذ نهاية القرن الماضى عندما سألته اذا كان يرغب فى أن يرافقنى الى المولد ، فأجاب : « اننى أود ذلك » ، لكن ما المولد ؟ وأين « السيدة زينب ؟ » ·

كانت السمة الظاهرة لهذا المولد دائما هى (حلقات) الذكر داخل وحول المسجد ، وفى الشوارع الجانبية والساحات ، والشيوخ المغنين فى السد البرانى (٢٢٠) حتى السنوات الحالية ، والذين يبدو أنهم قد وضعوا مع الأسف تحت حظر « الأزهر » « لأى شىء ضد الدين أو الأخلاق » · كذلك فقد طوردت « البقرة ذات الأرجل الخمس » ، والقره جوز وبعض الشخصيات الأخرى من أرباض (الحى) · لكن حديقة ملاه كبيرة قامت على سبيل الانتقام en revanche فى الشرق البعيد ، عند درب الجماميز والخليج (٢٢١) ، ضمت العديد من المسارح والعروض ووسائل التسلية ·

---

(٢١٩) البغالة ـ احدى شياخات حى السيدة زينب ـ وبها شارع يسمى شارع البغالة ·

ـ تعداد سكان القطر المصرى لسنة ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ، ص ٤٤ ·

(٢٢٠) السد البرانى ـ احدى شياخات حى السيدة زينب ـ اسمها الكامل « شياخة السد البرانى والساقية الجديدة » ، وبها شارع يسمى السد البرانى ·

ـ المرجع السابق ـ ص ٤٤ ·

(٢٢١) درب الجماميز ، احدى شياخات حى السيدة زينب ـ وبها شارع يسمى درب الجماميز ·

ـ المرجع السابق ، ص ٤٣ ·

ومنذ ١٣٥١ لم أشهد « زفة » بمعنى الكلمة « بخليفة » يمتطى جوادا . وفى ١٣٥٣ أدهش « بيلى ويليامز » **Billy Williams** الآلاف من الناس بركوبه الجسور فى « حلبة الموت » **Piste a La Morte** . لكن المبنى الحالى الذى أقيم فى الأرض الخلاء التى كانت تستغل (لذلك) سيجعل الأمور صعبة (٢٢٢) .

كانت هناك من عشر سنوات أو ربما أكثر جلبة **bagarre** خطيرة ، قتل فيها عدد من الناس أغلبهم من الصـــعيد ــ حادثة نادرة الوقوع تقريبا ، فحشود الموالد تمتلىء بالتقوى والمتعة والخلق الطيب . وقد تضيف السيدات اللاتى كنت قد أخذتهن معى فى خضم حشود السيدة زينب (عبارة) « والسلوك الطيب » ، فالطريق يخلى دائما لهن ، بأدب وسماحة ، ويبدى الناس كل اعتبار لهن . وفى احدى المناسبات دعيت رفيقاتى من السيدات لزيارة الضريح داخل المسجد ، وهو معروف أبهجهن وتركهن مقدرات وشاكرات لدرجة كبيرة . وقد علقت احداهن قائلة : « لقد كانت الســـيدة زينب سيدة **Lady** ، ومريدوها ســادة **gentlemen** » .

المقطــع الأخيــر Envoi :

انها ساعة الغروب ، لكننى فى لحظة الكتابة غير متأكد من التاريخ ، وما اذا كان هذا الشهر ، الشهر الأخير ، أو الشهر القادم . لقد تغير التاريخ الرسمى بالفعل حاليا ، كما سبق أن ذكر بالنســـبة لمولدى « المطراوى » و « الروبى » ، « والرؤية » الآن تبحث عن « هلال » رمضان لتحديد ما اذا كان شــهر الصـــوم يبدأ ، أم أن شــهر شعبان سيستمر يوما آخر .

---

(٢٢٢) اختيرت بقعة جديدة فى اتجاه « ابن طولون » ، عند الحدائق الجديدة . والمظهر الجديد لهذا «المولد» قد لمس فى خطاب الى جريدة «الاجبشيان جازيت **Egyptian Gazette** فى ٤ سبتمبر ١٩٤٠ (٢ شعبان ١٣٥٩) واستشهدت به كاملا فى نهاية مقدمتى ــ حاشية للمؤلف .

و « طيلون » هذه شياخة من شياخات حى السيدة زينب . وبهـــا شارع باسم « طيلون » .

ــ المرجع نفسه ــ ص ٤٤ .

على أية حال ، انه الثانى من أكتوبر عام ١٩٤٠ ، والثانى والعشرون من توت فى السنة القبطية للشهداء ١٦٥٧ ، وعشية الســـنة اليهودية الجديدة ٥٠٠١ من بدء الخليقة .A. M (٢٢٣) ، كما أنها عام ١٣٥٩ الهجرى وستنطلق المدافع وتتوهج المآذن (بالأضواء) ، اذا كنا سنحتفل برمضـــان .

تنتهى قائمتى عن الأولياء المصريين على نحو مناسب كاف باثنين من عظماء الاسلام ، الحفيد العظيم والحفيدة العظيمة للنبى (ﷺ) ، لكنه من الغريب والمؤسف أن تعانى المجموعة النبوية من الأقارب القريبين لمحمد (ﷺ) ، وذوى القيمة السامية فى التاريخ الدينى ربما أكثر من البعض (من الأولياء) الأقل قيمة . وقصة « زين العابدين » ، كما فى حالتى « الفاطمتين » هى تماما « قصة المحنة » . والذى شهد كربهما فى الوقت الحالى يقربه الأمر للحظة بتكرار الكلمات اليائسة « لكيتس keats ، (٢٢٤) فى قصيدته Hyperion :

« اتركيهم يا ميوس Mure (٢٢٥) ! لأنك سوف تجدين حالا الكثير من الألوهيات القديمة طريحة الأرض تطوف عبثا على الشواطىء المذهـــلة .

« Leave them, O Muse ! for thou anon wilt find
Many a fallen old divinity
Wandering in vain about bewildered shores ».

أو باعادة صياغة كلمات نفس الشاعر (على النحو الآتى) :

« نعم أيها الكونت على الشعراء العظام ، ان لفيفة الرق أو البردى مطوقة بالهات الفن .»

Ay, the Count
of mighty Poets is made up ; the scroll
Is folded by the Muses ».

---

(٢٢٣) .A.M اختصار لمصطلح Anno Mundi وتعنى سنة كذا للخليقة أو بدء العالم باللاتينية .

— Webster's Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 100.

(٢٢٤) جون كيتس keats, John (٣١ أكتوبر ١٧٩٥ — ٢٣ فبراير ١٨٢١) واحد من أعظم شعراء انجلترا ومفكريها ، يشكل هو ولورد بايرون Byron وبرسى ب. شيلى Percy B. Shelley الجيل الثانى من الشعراء البريطانيين الرومانسيين — من بين أعماله الخالدة وقصائده The Eve of St. Lamia, La Belle Dame Sans Merci, Agnes الشعرية الغنائية الست The Fall of Hyperian, Odes .

امتاز كيتس بالقدرة على ربط الألم بالسعادة فى اشعاره .

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 12. p. 35-36.

(٢٢٥) عن ميوس Muse — راجع الحاشية ٣٥ من الفصل الرابع .

فلتحل كلمة « موالد » Moulids محل كلمة « شعراء » Poets :
لكن ماذا ستضع فى مكان كلمة Muses ؟

لقد اعتزمت ايقاف العمل فى مخطوط هذا المصنف حتى نهـاية شعبان ، اكتمال موسم « المولد » ، لكننى دفعته كله الى الطابع فى الثامن عشر من هذا الشهر ، بدلا من (اتباع) مبدأ « لا يذكر الميت الا بالخير » « de mortuis nil nisi bonum » ، لأننى وجدت أن بعضا من الأصدقاء القدامى قد ماتوا ، وآخرين قد ذووا الى حد شعورى بأن « لا شىء » Nil هى الكلمة التى تنطبق ٠

لكن ــ مع تكييف الترنيمة القديمة :

قد يفاجىء نور ما ، الحاجّ فى طريقه : Sometimes a light surprises, The pilgrim in his road.

دعيت فى اليوم التالى مباشرة الى ضريح سيدى « هارون الحسينى »، ووجدت مولده الذى أعيد احياؤه حالا منتعشا لدرجة كبيرة ، مشهد صغير موح بحماس روحى وتقوى بهيجة ٠

ثم جاءت المفاجأة المرحب بها ألا وهى أنه رغم أن مولد « سيدى مرزوق » كان قد تلاشى منذ ستة أشهر سابقة عندما خابت آمال مريديه . وبالرغم من أن مولده قد جرد من بعض عناصره الشعبية القليلة ، فان « زفته » كانت رائعة وممثلة للخطوط التقليدية ، الى حد عدم فقدان أى شىء من هذه التقاليد ٠ ووفر « القره جوز » القوت الذى لا يمكن الاستغناء عنه للصغار ٠ ولابد من أن أحث الطابع على أن يوفر مكانا لبعض الحكايات عن هذين المولدين على الأقل « انظر ص ٢١١ و ٢٤٦ » (٢٢٦) ٠

ولا أستطيع أن أطلب من (الطابعين) أن يفعلوا ذلك (افساح مكان فى الطباعة) فى حالة اكتشاف صغير ســـاعدنى « خليفة » « سيدى الأنصارى » على كشفه فى الســـابع والعشرين من شعبان ــ أعنى المولد الصغير « للشيخ الجودازى » فى شارع صغير يحمل اسمه ، غير بعيد من « باب المتولى » ٠

---

(٢٢٦) يقصد الكاتب مولدى سيدى هارون الحسينى (XIII) H3 ومرزوق (XII) M 7 .

ومن الموالد الأخرى التى شاهدتها فى الجزء الأخير من شعبان ، ـ (موالد) صالح الحداد ، الســلطان الحنفى ، حسن الأنور ، المنسى ، الأنصارى ، المرصفى • كانت هذه الموالد معتمة أو قريبا من ذلك ، وكان مولد « بهلول » أفضل حالا قليلا ، وكان مولدان « لسعودى » و « عبد الله الحجر » صــغيرين ولكن جيدين طالما استمرا • لكننى عندما التمست الضريح الصغير الجميل لهذه « الولية » الشهيرة « ستنا السطوحية » فى مكانها العتيق تحت « باب الفتوح » كان قد اختفى تماما ، وأوضح لى بعض أهالى المنطقة أن الحفر قد ازاله • وبالطبع فان مولدها يجب أن يشطب من القائمة •

ولا أستطيع أن أعلق على المولدين الهامين للناســكين العظيمين « برسوم العريان » و « المحمدى » فى « الدمرداش » ، نظرا لأن كليهما جاءا فى عشية الجمعة الأخيرة من شعبان ، متعارضين مع مولد « سيدى مرزوق » وبعض الاحتفالات الصغرى • أقيم المولدان ، وقد أبلغت أن أراضى الدير فى « المعصرة » كانت تعج كالعادة ، وأن « التشريفة » المعتادة قد أقيمت عند زاوية « الشيخ المحمدى » •

ولقد تزامن موعدهما مع الســادس عشر من توت عام ١٦٥٧ ، « السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٤٠ » •

لقد ذكر عيد القديسة تريزا S. Teresa فى الثالث من أكتوبر ، فى نهاية الفصل الأول ، باعتباره أقرب (الأعياد) الكاثوليكية للمولد المصرى • أعنى الليلة الأخــيرة لتاســوعة Novena الوردة الصغيرة « Little flower » ، وفى أكثر من احتفال صغير شاهدته خلال الأسبوع الماضى ، كانت الكنيسة الكاثوليكية الضخمة Basilica « التى انبثقت فى ظرف سنوات قليلة من مجرد غرفة صغيرة تستخدم ككنيسة صغيرة » تعج بالناس وكانت الأرباض مليئة بالحياة ، وبأناس من كل الملل من المسيحية الكاثوليكيــة والأرثوذكســية والكثير من المســلمين واليهود ، مناشدين القديسة صانعة المعجزات أو محضرين تقدمات نذرية لضريحها « أخشى أن يكون البزوغ الظاهراتى Phenomenal لهذا الاعجاب قد حجب فى الظل ضريح صــاحب المعجــزات العتيق « الأمــير تادرس » « S. Theodore » فى حارة الروم (٢٢٧) ، والذى وان كان يتبع « الأقباط

---

(٢٢٧) « حارة الروم وحوش آدم » احدى شياخات حى الدرب الأحمر ـ وبها حارة باسم « حارة الروم » وعطفة باسم « عطفة الأمير تادرس » •
تعداد سكان القطر المصرى ١٨٩٧ ـ مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢ •

الا أن له شعبية عند المسلمين » · سيكون المشهد فى « شبرا » بعد ظهر غد فى موعد « بركة الورود » (سانت تريزا) مشهدا أخاذا حقيقة ، وخاصة بالنسبة للقليلين نسبيا الذين ينجحون فى الحصول على مكان داخل الكنيسة ·

ولكن ، فانه لم يعد هناك أى شـــك بشأن موعد (رمضان) · والقاهريون كلهم فى شوق · لقد تركت هذا المقطع الأخير envoi لدقائق قليلة ، وراقبت المشهد الجميل للمآذن المتوهجة · فمند منشية « محمد على » وحدها ، على مسجدى السلطان الرفاعى ، والقلعة كان هناك أفضل جزء من ألف مصباح يتوهج بلا شك ، وكانت قبتا هذين المسجدين وكذلك قبة مسجد السلطان حسن اما مغمورات بالضوء أو تبدو كما لو كانت مضــــاءة ·

يحيينى (البعض بقوله) : « رمضان كريم » ، وأرد بقولى كما أقول لكل قرائى الطيبين الصبورين : « الله أكرم » ·

ذيـــــل Postscriptum :

بتردد عظيم أمسك بقلمى مرة أخرى بعد استكمال المقطع الأخير من العمل envoi ، ولكن من سبب الى آخر ، مر وقت طويل على غير توقع منذ ذلك التاريخ ، الأول من رمضان عام ١٣٥٩ عندما دفعت بالمخطوط الى المطبعة وظهور الكتاب · والآن وفى اللحظات الأخيرة ، فان مشاهدتى فى جريدة انجليزية مقالة افتتاحية بعنوان « التمـــاس من أجل الموالد » A plea for Moulids تصادق تماما على وجهة نظرى ، فان الاغراء فى أن أعرض على قـــرائى هـــذا الشىء العجيب rara avis أقوى مـــن أن أحتمله ·

ولما كان كاتب هذه الافتتاحية ـ والذى لا أعرفه ـ يشير الى خطاب كانت « الاجبشـــيان ميل » « Egyptian Mail » قـــد نشرته منذ أيام قليلة ، فقد حصلت على العدد الذى يحوى هذا الخطاب ، وكذلك عدد الجريدة الذى يحوى قصة عن رجوع المحمل مشار اليها فى ذلك المكان · وها هى هذه البيانات :

من الاجبشيان ميل الصادرة فى يوم الأحد ١٦ فبراير ، ١٩٤١ « ٢٠ محرم ١٣٦٠ »

ـ أقصر المقالتين عن « عودة المحمل »

من الاجبشيان ميل الصادرة يوم الجمعة ٢١ فبراير

ـ خطاب عن « جمل المحمل » بتوقيع « أبو مسعود »

من الاجبشيان ميل الصادرة يوم الأحد ٢٣ فبراير

ـ الافتتاحية بعنوان « A plea for Moulids » ـ التماس من أجل الموالد ٠

ـ عودة المحمل : صباح أمس تحرك حسين سرى باشا رئيس الوزراء فى موكب رسمى كممثل لجلالة الملك من رئاسة مجلس الوزراء الى ميدان مولد النبى بالعباسية ، حيث أقيم الاحتفال بعودة المحمل الى القاهرة ٠

أقيم الاستعراض المعتاد لوحدات الجيش المصرى ، وتلقى رئيس الوزراء التحية مكان الملك ، ثم مرت بعد ذلك مواكب الدراويش الصوفية أمام السرادق الكبير بأعلامهم وطبولهم ٠

وكان أمتع جزء من البرنامج هو ذلك المتعلق بالجمل حاملا المحمل ودورانه سبع دورات فى الميدان سلم بعدها أمير الحج مقوده الى رئيس الوزراء ٠

عاد رئيس الوزراء الى مكتبه بنفس الاجراءات الاحتفالية بينما أطلقت طلقات المدفعية ٠

ـ جمل المحمل : الى محرر الاجبشيان ميل

كانت المقالات المنشورة على صفحتى ٢ و ٣ من عدد الأحد فى « الاجبشيان ميل » والمتعلقة باحتفال المحمل لطيفة ، ولا يزال أكثر امتاعا مظهر التقليد القديم الجميل فى عيون عشرات وعشرات الآلاف من الناس الذين جاءوا من بعيد وقريب ليشاهدوه ٠

لقد ذكرت « أن أكثر أجزاء البرنامج متعة كان هو منظر الجمل حاملا المحمل » ـ ، وهكذا يقول كل منا ، رغم أن الجيش وعناصر أخرى كانت مشاهد رائعة ٠

وفي مناسبة سفر « الكسوة » كان كل واحد يريد أن يرى الجمال . وكان هناك بعض القلق ، حتى ظهرت وارتاح الناس وابتهجوا ، لأنه كان معروفا جيدا أن هناك ضغطا ما قد مورس على رئيس الوزراء في الربيع الماضي بمعرفة شخصية عالية المقام على ما يعتقد ، لافساد الاحتفال بالغاء دور الجمل .

انه من الغموض ألا يجد مثل هؤلاء الناس شرورا ليقاتلوهـــا ، أو أعمالا طيبة ليشجعوها ، دون أن يدعوا ما يبدو جهلا مطبقا وغطرسة تقويهم لمثل هذه القيود كالحث على تدمير عادة جميلة وجليلة واسلامية ، تلقى قبولا ودعما من قادة مصر وأوليائها منذ قرون طويلة .

وفي الواقع ، فان هذا يبدو تحجرا قلبيا أيضا أن يرغب البعض في حرمان الجمهور ، وخاصة الفقراء منه ، من واحد من المتع البريئة والشرعية الباقيــة .

انني أشعر بالثقة يا سيدى بأن كل جماهير يوم السبت معى في شكر الحكومة ورئيس الوزراء على حفظ احتفال المحمل سليما لم يمسه شيء ، ونحن جميعا ننشد من قلوبنا ... الحمد لله — خادمكم المخلص ، أبو مسعود — القاهرة ١٨ فبراير ١٩٤١ .

التماس من أجل الموالد :

« نشرنا منذ أيام قليلة خطابا من واحد من قرائنا ، يحتج فيه على النشاط التدريجي والقاسي في القمع الذى يطبقه أهل الســـلطة على الاحتفالات التقليدية القديمة واللهو الصــاخب ، الذى شكل لب الحياة المصرية الشعبية لقرون .

ان التقاليد تنقرض . وهذا في حد ذاته طبيعي في ظل الظروف المتغيرة . وبعض التقاليد تظهر ، وبعض التقاليد قد تكون ضارة اجتماعيا كبقايا الخرافات والجهل والتى لا يأسف أحد لرؤيتها تختفي . لكن هذا لا يماثل القاء نظرة باردة ورافضة على المباهج العادية للفلاحين والطبقات الأفقر في مصر ، وتأكيدها بكل ما تملكه طبقة الموظفين من قوة تحت امرتهـــا .

أن قمع كل الوان المتعة الدنيوية والبهجة المعتاد مصاحبتها لموالد الأولياء فى مصر هو واحد من أبرز الأمثلة لهذا النوع من التعصب . فلأجيال كان الاحتفال بمولد الولى المحلى والمسمى عامة « المولد » هو الراحة الوحيدة فى حياة الفلاح الكئيبة الرتيبة الشاحبة . لقد سارت الأرجوحات ، الطرق المتعرجة ، البهلوانات ، الراقصون ، أكشاك الحلوى والملابس أو الحلى المبهرجة قليلة الثمن ، والأضواء المشتعلة البراقة ، والطعمية التى تطشطش ، كل متع السوق ، سارت جميعا يدا بيد مع الزيارة المبجلة لقبر الولى ، التمايل الانفعالى « للذكر » ، السير الوقور عبر شوارع وحقول المسجد المقدس . وهو نشاط يتطابق فى كل أنحاء العالم ـ وكلمة Holiday نفسها ، المليئة هكـذا بالمرح والخلو والمرح الصادر عن القلب ، (هذه الكلمة) بدأت حياتها على شكلHoly day (احتفال دينى أو عطلة) ، والمرح الشعبى توازى دائما يدا بيد مع الاحتفال الدينى .

فى كل يوم قيود . فاذا وجد سلطان الماضى dead hand لطبقة الموظفين فرصته ، فان هذه الأفراح سرعان ما ستكون شيئا من الماضى . فى كل يوم قيود جديدة تفرض على الاحتفالات الدنيوية للموالد ، دون اعتبار لحقيقة أن الفلاح ليس لديه الكثير ليبهج حياته . انه لا يقرأ . انه لا يعرف مباريات . انه لا يستطيع تحمل نفقات السينما ، أو المذياع ، أو الأساليب الحديثة للهو ، حتى ولو كانت جذابة ، وهى دائما ليست كذلك . وطالما أن لا شىء أفضـل يوفر من أجل الترفيه عنه ـ وأين هى مظاهر ذلك الترفيه ؟ فلا أقل من أن يترك لمباهج التقاليد القديمة التى اجتازت اختبار القرون » .

سيتذكر قرائى خطابا فى فصل المقدمة بتوقيع « أبو مسعود » ومؤرخ ١٩٤٠/٤/٢٥ يعبر عن سخط الناس عن اقتراحات قدمت لرئيس الوزراء بمعرفة شيخ من الأزهر ، لاستبعاد الجزء الخاص بالجمل من احتفال المحمل « كما نشر فى الاجبشيان جازيت بتاريخ ١٩٤٠/٣/٩ » . وهذا يجعل قصاصات الصحف فى هذا الذيل واضحة (السبب) .

أفهم أن الخطاب الآخر « لأبو مسعود » بتاريخ ١٩٤١/٢/٢١ الذى ظهر فى « الاجبشيان ميل » حرفى فيما عدا ما جرى من شطب عنوانه ـ شهوة التدمير « Cacoethes delendi » ـ والحـذف الحكيم بمعرفة المحررة أو «الرقيب» للعبارة الأخيرة «جمال النبىthe Prophet's camels التى تضـمنتها (كلمـات) الكاتب والجمهور فى خطابات الشـكر

التالية · اننى أعتقد أن « أبو مسعود » كان يسترجع فى ذهنه (عندما كتب خطابه) النص القرآنى من « سورة الحج » : « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير** » والتى عولجت فى الترجمة الوحيدة التى أحوزها ، والتى هى بالأحرى ايطالية قديمة **archaic Italian** « ان الجمال كانت تشارك فى اجلال الموقف مما يجعله ذا مقام عال » ·

« I camelli devono Participarte all'amaggio che rendet all' Altissimo »

ان المرء ليتساءل عما اذا كان الشيخ العالم (من الأزهر) قد نسى ذلك عندما حاول أن يلوى ذراع رئيس الوزراء ، ويحرم الناس والجمال من كسرة جميلة وشرعية من ارثهم · وما اذا كان الأمر (الصادر) فى « سورة الحجرات » تهمل ملاحظته فى بعض الأوقات : « **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى** » ·

اذا لم تكن جماهير الفقراء المخلصين المصريين بكما كجمالهم ، فان دعواى غير الفعالة « صوت الصراخ فى الصحراء » **Voces Clamantium in deserto** دفاعا عن ارثهم الذى لا يقدر بثمن لن تكون لازمة ، ذلك أن زئير انشادهم سيحجب الصوت العالى الصادر عن القلة الذى قد يحرمهم من مرحهم العادل وتقاليدهم ، ويقايض ذهب مصر الحقيقى بالنفاية · وقد يستمر شعب سعيد فى الاستمتاع بعاداته القديمة المحببة ، التى تصنع سحر مصر ، وليس أصغر هذه الأشياء موالد أوليائها ·

« أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » ·

الفصل السادس

الموالد القبطية (*)

مار برسوم العريان

« انظر خريطة الوجه القبلى – على الأغلفة » B 4 :

باعتبار أن هذا مولد قبطى ، فانه يتبع بالطبع التقويم القبطى ، وهو يقع فى/قرب عيد القديس ، فى منتصف الشهر الأول « توت » ٠

ومن بين التواريخ التى حضرت فيها هذا المولد كانت هذه التواريخ :

– الأربعاء ١٦ توت ١٦٥١ = ٢٦ سبتمبر ١٩٣٤ = ١٧ جمادى الآخرة ١٣٥٣ ٠

– الأحد ١٨ توت ١٦٥٢ = ٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ = ١ رجب ١٣٥٤ ٠

– السبت ١٦ توت ١٦٥٣ = ٢٦ سبتمبر ١٩٣٦ = ١٠ رجب ١٣٥٥ ٠

– الأربعاء ١٦ توت ١٦٥٦ = ٢٧ سبتمبر ١٩٣٩ = ١٣ شعبان ١٣٥٨ ٠

يقام هذا المولد فى دير القديس برسوم العريان « بالمعصرة » قرب « حلوان » ، ومن ثم فان الوصول اليه يتم عن طريق القطار من « باب اللوق » الى « محطة المعصرة » ، حيث تنتظر الحمير ، ليس فقط فى الليلة الكبيرة ولكن على مدى الاسبوع السابق ٠ فاذا أراد المرء السير ، فانها مسيرة لطيفة لمدة عشرين دقيقة تقريبا عبر القرية الصغيرة ، وفوق قنطرة الترعة خلال الزراعات ٠

(*) لم أشأ التقيد بالتنظيم الذى وضعه المؤلف لترتيب الموالد جميعها على النسق الأبجدى ، وفضلت تخصيص فصل للموالد القبطية ٠ كتنظيم افضل للدراسة من وجهة نظرى ٠

لقد اضمحلت الموالد القبطيه مع الأسف ، باستثناء هذا (المولد) • فهو الوحيد الذي أعرفه الجدير بالذكر ، والذي لازال كبيرا ، شـــعبيا ورائعا • ولا يجب أن يفوت زائر للقاهرة في الجزء الأخير من سبتمبر (ولا المقيم ، لنفس السبب) حضوره ، اذا كان معنيا بالحجيج والتجمعات الشـــعبية الدينية • ولا يجب أن تقتصر الزيارة على الليـــلة الختامية apodosis ، لكن زيارة أو زيارتين في الليـــالي المبكرة والصغيرة واجبة أيضا • وعادة فانني ــ وخاصـــة اذا كان معي أصدقاء ــ أجمع الحج بالنزهة ، بالذهاب قبل الظلام ، ومعي سفرجي ليمد لنا وليمة في الهواء الطلق al-fresco في حقول الأذرة على الترعة ، بينما المرء يقوم بجولة ابتدائية مع ضوء النهار • وهناك بعد ذلك من الوقت ما لا حد له حيث الحمير والقطارات متوفرة على الدوام ، حتى في ساعات ما بعد منتصف الليـــل •

ومع هذا ، فانني لم أغامر اطلاقا باصطحاب سيدات في الليلة الكبيرة ، نظرا للتزاحم في القطارات • تغزى هذه القطارات من خـــلال النوافذ والأبواب دون احترام للدرجة Class ، وخاصـــة عند العودة • وعلى ذلك فان على المرء أن يتشبث بمكانه على الرصيف ، ويجرب حظه بقتال فكاهي طيب من أجل الفوز بمقعد (في القطار) •

لقد استمتعت عابثا عندما رأيت شخصية كبيرة يداعبها النعاس في عربة الدرجة الأولى من القطار ، أو عند رؤية زوج من المحبين ذوى المستوى الثقافي فاجأتهما غزوة (من الجمهور المتدافع) ، فجلسوا فوقهما ، وتعرضا لكل أنواع الصدمات والضربات ، وهزما بواسطة حشد مرح صاخب من الانسانية يكفي لملء العديد من دواوين (القطار) • لكن ضغط الزحام ما لبث أن خف عندما احتل عدد من المتزاحمين أرفف المفتش •

امتلأت الحقول المواجهـــة للدير ، والتي تم قطع محصـــول القمح منها ، « بالرنجا » ، والكباريهـــات Cafés chantants ، العروض • المسارح وهكذا ، دون أي حظر من المحاذير الاسلاميـــة الحديثة ، لكن المشاهد الفاتنة كانت وراء الحوائط في أراضي الدير المتسعة • هناك ، العديد من أفدنة بساتين الفاكهة والحدائق قد أصبحت لفترة قرية من الخيام والمساكن ذات السقيفات • الناس جاءوا من هنا وهناك ، يعيشون هنا مؤقتا ، معهم أسرهم ، يطبخون طعامهم ، ويسلون أنفسهم وأصدقاءهم بالرقص ، والغناء ، والموسيقى ، غير ناسين ممارسة التقوى التي تفرضها

المناسبة والمكان · الشوارع الصغيرة جهزت ، موارد الميـــاه ، والصرف البدائي ، والجزارون ، والمحلات الأخرى ، والمشهد زاه · ليس من الممكن أن يكون هناك الكثير من الخصوصية ، لكن هذا يبدو أنه لا يسبب أى مضايقة · ورغم أن بريق الأقمشة والمظهر فى المساكن الصغيرة ، وحيوية سكانها تغرى المار بأن يختلس نظرة ، فان رد الفعل الوحيد هو ابتسامة ودعوة حارة للدخول والمشاركة فى أى شىء يوجـــد · الحرية والمرح متفشيان · ومع ذلك فانه اذا كان لابد من ذكر الحقيقة كلها ، فقد عرفت مناســبات قدمت فيها طهـــارة Honours البيت الصـغير للقبول من قبل سيدة حلوة ، مصبوغة بافراط ومعطرة ، شديدة الابهـار بكحلهـا وصباغ شفتيها ، ومهتزة عند الأرداف ، ونحيلة للغاية ومكتسية بأناقة مفرطة ، الى حد أننى تذكرت أشعار تاسو Tasso (١) التى يصـــور فيها أرميدا Armida فى كوخها ·

فى موالد مسيحية أخرى ، وفى احتفالات مرتبطة ، كنت أجد بصفة عامة أبواب الكنيسة مفتوحة للحجاج حتى فى الليل ، لذلك فقد دهشت هنا عندما وجدت الأبواب مغلقة حتى فى الليلة الأخيرة الكبيرة · وأعتقد أن ذلك (راجع) لقدوم الحجاج هنا للاقامة ، والنوم فى الفناء المقدس ، وسماع القداس فى الصباح · فى ١٣٥٣ « ١٩٣٦ » ، وفى الليلة النهائية التى كانت تقع فى يوم السبت ، عدت الى القاهرة فى الساعات المبكرة من صباح السبت Sabbath وذهبت الى « قداس » فى « كنيسة أبو سيفين » St. Mercurius فى الدير الذى يحمل هذا الاسم قرب « مصر القديمة »، وقد تأثرت لسـماع قراءة عن « برســـوم العريان » فى طقس القربان anaphora · ولقـد أملت فى ذلـك وفى الأكثـر ، حيث ان بتلـر Butler يقرر فى (كتـــابه) « Coptic churches » أن ســـتارة « أبو سيفين » جميلة الى حد أنها وحدها تستأهل زيارة لمصر ، ويقول ان الكنيسة تحتوى على « مصلى » صغير « لماربرسوم » يقام فيها القداس مرة واحدة فى العام فى يوم عيده ·

---

(١) تاسو Tosso, Torquato الشاعر الأعظم فى عصر النهضة الأعلى فى ايطاليـا (سورنتو Sorrento ١١ مارس ١٥٤٤ ـ ٢٥ ابريل ١٥٩٥) ، يعرف فوق الجميع بملحمته الفريدة Gerusalemme Liberato (Gerusalem Delivered) وبالنفوذ الذى مارسه فى الأدب الاليزابيثى Elizabethan Literature · من أعماله الأخرى Rinaldo ١٥٦٢ ، Aminta ١٥٧٣ · فى ١٥٧٥ بدأت أعراض هوس الاضطهـــاد المدمرة destructive Persecution Manias تنتابه ـ أدخل المستشفى لمدة سبع سنوات وخرج منه فى ١٥٨٦ ـ توفى فى روما بينما كانت الاستعدادات تجرى لتتويجه شاعرا ممتازا · — Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 19, p. 43.

اننى لا أستطيع تأكيد ذلك . لكن رئيســا صـغيرا للشمامسة archdeacon أخــذنى متفضــلا الى الكهـف » داخــل كنيســة أبو سيفين » حيث أكد لى أن « ماربرسوم » قد قضى ٢٥ عاما فى صحبة « أفعى » كبديل عن قضاء ٣٠ عاما على السطح غـير محمى من الشمس والجو • وأورانى (الشماس) صورة أثرية « لبرسوم وأفعاه » ، وشيطانا صغيرا تقيأته الأفعى ، كان اخراج هذا الشيطــان بداية لتعايش طويل وسعيد فى الكهف ، (تعايش) مختلف كثيرا عن الصحبة المأســاوية لرودريجو Rodrigo (٢) ، آخر الملــوك القوطيين Gothic فــى اسبانيــا ، وأفعاه الســوداء فى القبر • وقد أكد لى الأرشيدياكون وأصدقاؤه ، وآخرون فى الدير ، أن « برسوم » قد حصل من أفعاه على علم أعطاه قوة على كل الحيات ، وأن اسمه لا يزال يتوسل به فى المنطقة من أجل اخراج هذه المخلوقات • « لقد أبلغننى سلطة عليا فى مثل هذه الأمور أن هذه القوة تعزى الى قديس معين آخر ، وليس الى برسوم » •

على أى حــال « ليمجد الأنبا برســوم » May Amba Barsum be Exalted » ، كمــا يقولــون فى طقس القربــان Liturgy القبطى •

إنها من مظاهر التسامح عند المصريين ، أن هذا العيد المسيحى له من الشعبية عند المسلمين ماله عند الأقبــاط • وفى الواقع فانهــم (المسلمين) ينتحلون بلطف « مار برسوم » ، فيشيرون اليه كما سمعت « بسيدى محمد برسوم » • يا لها من مسحة مباركة ! لم أجد مكانا يمجد فيه المسيحيون بطوائفهم المختلفة ، المسلمون وغيرهم مســاجد بعضهم البعض وكنائسهم علنا بصــداقة وطيب خاطر (مثلما رأيت هنا) ، ويطلبون البركة من أضرحة بعضهم البعض ، وحيث تطبق كلمات النبى فى سورة البقرة (٣) عمليا :

---

(٢) رودريجو Rodrige أو Roderic آخر ملوك القوط الغربيين Wisigoths فى أسبانيا ، الذى حكم من ٧١٠ الى ٧١١ • مات فى معركة سيجويلا Segoyuela التى حسمت نصر العرب وسيادتهم فى اسبانيا •

— Larousse Universal, op. cit., p. 813.

(٣) اخطأ المؤلف عندما نسب سورة البقرة الى النبى (ﷺ) ، فسورة البقرة احدى سور القرآن الكريم المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام •

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (*) .

القديسة (ستنا) دميانه (٤) « انظر خريطة الدلتا ـ على الغلاف » D1 :

أعتذر لأننى لم أشهد على الاطلاق هذا المولد القبطي العظيم ، ولا حتى الدير الشهير « للقديسة دميانه » الذى أقامه لها والدها ماركوس Marcos الحاكم الرومانى كمأوى وحماية لها وعذاراها ، اللائى استشهدن أيضا ؛ لأنهن رفضن الارتداد فى عهد الاضطهاد الدقلديانى Diocletian persecutions (٥) .

يقع الدير فى شمال « بلقاس » بمحافظة البحيرة ، فى اتجاه دمياط . ولا تبدو « بلقاس » على (خطوط) السكة الحديدية المصرية E.S.R بعيدة عن شربين ، لكننى لا أعرف كم تبعد عن الدير .

(*) ان يزين مولد ٢٧ سبتمبر ١٩٣٩ (١٦ توت ١٦٥٦ ، ١٣ شعبان ١٣٥٨) بكل مظاهر التزيين ، بدلا من العكس بسبب قيام الحرب ، بينما تتأثر الموالد الاسلامية بصورة عكسية وفى نفس الفترة ، فهذا أمر له دلالة دعتنى الى التعقيب عليها فى مقدمتى ـ حاشية للمؤلف .

ولم يقرن المؤلف حاشيته هذه بأى فقرة أو كلمة من النص ، ولذلك فاننى لم أستطع ان ارقمها كما فعلت فى حواشيه فى الفصول الأخرى ـ ولكنى وضعتها فى نهاية الحديث عن القديس موضع الدراسة .

(٤) يصر الكثير من أهل الدلتا على ان اسمها جميانة Gemiana وليس دميانه ـ حاشية للمؤلف .

(٥) دقلديانوس Diocletian امبراطور الامبراطورية الرومانية (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م) ولد فى ٢٤٥ وتوفى فى ٣١٣ م ـ ولد لأب يشتغل بالزراعة فى اليريكوم بدلماشيا Dalmatia . خدم بالجيش الامبراطورى ثم ارتقى الى السلطة كامبراطور فى ٢٨٤ م ـ قسم السلطة فى الامبراطورية بينه وبين ماركوس أوريليوس فاليريوس ماكسيميانوس M. Aur. Val. Maximinnus وجاليريوس Galerius وكونستانتينيوس Constantius وأدخل تنظيمات ادارية ناجحة فى الامبراطورية . باقتراب الأخطار من الدولة بين عامى ٢٥٠ ـ ٢٧٠ كان المسيحيون محل شك ، فصبت الحكومة عليهم جام غضبها فى عهود ديكيوس وفاليريان Valerian حتى أوقف جاليانوس Galianos ذلك فى عام ٢٦٠ . فى عام ٣٠٢ م نفذ دقلديانوس اضطهادا عظيما للمسيحيين عرف باسمه .

ـ م.ب . تشارلز ورث M. P. Charles Worth ترجمة رمزى عبده جرجس « الامبراطورية الرومانية » ـ الألف كتاب ٣٦٠ ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٦١ ـ ص ١٨٨ ـ ٢٠٦ .

يقدم صديقي القديم كمب Kemp ، الذى إستكشف الصحراء والدلتا بمفرده بتمكن وبعشق أكثر من أي شخص لقيته ، حكاية مسلية عن رحلته الشاقة للغاية والوعرة والتى بلغ طولها أربعين ميلا على ظهر بغل ، مع حفر على الخشب للدير • لكن هذا كان منذ حوالى نصف قرن تقريبا ، وربما كانت ترتيبات السكك الحديدية وقتئذ مختلفة تماما عن الآن •

لا يصف كمب (٦) المولد ، ولكنه يقدم موعده فى ١٢ بشنس ، وهذا التاريخ لا يزال معمولا به ، لأن العديد من الصحف أعلنت موعد المولد (*) « من الثانى عشر الى العشرين من مايو ١٩٣٨ » ـ والعشرون (من مايو) يوافق ١٢ بشنس ، ويوم الاثنين ١٢ بشنس ١٦٥٦ يقابل ٢٠/٥/١٩٤٠ ١٣ ربيع الآخر ١٣٥٩ •

مارجرجس « أنظر الخريطة القطاعية XVIII « G 9 :

يقام هذا المولد المسيحى الذى يحتفل به الأقباط واليونان الأرثوذكس ، مع أو قرب عيد القديس نفسه • ولكون هذا الموعد هو الثالث والعشرين من أبريل وفقا للتقويم اللاتينى ، ويتأخر ثلاثة عشر يوما تبعا للحساب القديم ، فان الاحتفال يجرى فى بداية مايو • وقد أقيم الاحتفال فى الثانى من مايو فى عام ١٩٣٧ ، وهذا يوافق الرابع والعشرين من برمودة ١٦٥٣ » ٢١ صفر ١٣٥٦ » •

= أما دميانة فهى ابنة الحاكم الرومانى Marcos ، بنى لها والدها ديرا فى الزعفران واعتزلت ومعها اربعون عذراء من بنات كبراء الولاية التى كان يحكمها والدها ، لكن بطش دقلديانوس لم يتركها فقتلت ومعها عذاراها أثناء فترة الاضطهاد الدقلديانى المشار اليها •

ـ رياض سوريال « المجتمع القبطى فى مصر فى القرن ١٩ » ـ مكتبة المحبة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ـ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ •

(٦) هناك مقالتان عن هذا الموضوع يحتويهما كتابه « This and That of Egyptian Illustration » وهو كتاب لم يكتبه ويصوره بنفسه فقط ، لكنه طبعه ، وصنع اعمال الحفر على الخشب وكل شيء بنفسه هنا فى القاهرة • ونفس الأمر ينطبق على كتاب اخر له • والذى أهدانى معه مجموعة من أشعاره مع واحدة عنوانها « The Bashful Earthquake » ـ حاشية للمؤلف •

(★) هناك ملاحظة رائعة عن ستنا دميانة (أو ديميانة كما يدعونها) فى « The Oriflamme in Egypt » للعميد بوتشر Butcher بالقاهرة وهو كتاب ساحر عن معركة المنصورة وغيرها • وتشير زوجته فى كتابها «Story of the Church in Egypt» ان هناك تشوشا كبير بين القديستين كاترين Cathcrene ودميانة ، وخاصة فيما يتعلق بايقوناتهما ـ حاشية للمؤلف •

ولا يجب أن يفتقد هـذا المولد ، فقلعة تراجان Tragan القديمة التى تضم كلا من كنيسة مارجرجس S. George ، والمصلى Chapel التى بأسفل والتابعتين للقبط ، صورة للضوء والحياة • تزدحم الأروقة الدائرية وكل جزء بالناس ، زائرين للضريح أو جالسين حوله متأملين أو مستغرقين فى علاقات اجتماعية • وهناك احتفال نسائى عجيب يجرى الآن كما فى مناسبات معينة أخرى ، من تطويق للرأس بسلسلة ضخمة عتيقة • وكل ما هو خارج الحصـن الأمامى barbican بهجـة جـذلة فى المقـاهى المؤقتة tent cafés والعروض الصـغيرة ، والتى يقع أغلبها على الجانب الآخـر من تقاطع الطريق مـع السـكة الحديد Level Crossing • وهنـاك داخـل حصـن بابيلون Babylon أيضا انتعاش غير عادى وأنوار • لكن الجلال الداكن لهذا الحصن الطوقى الأسـوار بكنائسـه القبطية العتيقة ، ومعبده اليهودى Synagogue ومبانيه تبدو أخاذة للألباب (٧) •

---

(٧) بابليون ـ حصن توجد بقاياه الآن فى منطقة مصر القديمة بالقاهرة ، بجوار كنيسة مارجرجس • كان هذا الحصن يمتد على النيل تجاه (جزيرة الروضة) التى كانت قلعة محصنة بدورها ، تربطها بحصن بابليون قنطرة ويربطها بالضفة الغربية للنيل جسر من القوارب ينتهى عند قلعة ثانية ـ كان الحصن بذلك الوصف جزءا من مجموعة من المنشآت العسكرية تسيطر على مدخل الدلتا ، وتصل شاطىء النيل احدهما بالآخر • اختلفت الروايات عن وقت تأسيس الحصن ومدلول اسمه • ذكر (حنا النيقوسى) المؤرخ ان أول من شيده هو (بخت ـ نصر) عندما فتح مصر فى القرن السادس قبل الميلاد ، وسماه باسم عاصمة ملكه (بابل) ، وصار الحصن يدعى لذلك (بابليون) • وذكر (ديودور الصقلى) أن (سيزوستريس) ملك مصر جاء بجماعة من اسرى (بابل) واقامهم فى مصر وانهم أطلقوا على الحصن الذى نزلوا به اسم بلدتهم (بابل) • وقال المؤرخ (يوسفوس) ان الحصن بنى أيام غزو الفرس فى عهد الملك (قمبيز) • وذكر (سترابون) فى مشاهداته بمصر فى نهاية القرن الأخير قبل الميلاد انه شاهد حصنا قويا على نهد من الأرض كان يدعى حصن بابليون لأن جماعة من أسرى بابل كانت مقيمة فيه • وفى دراسته عن (حصن بابليون) عاد (حنا النيقوسى) الى تقرير اصل بناء الحصن ونسبته الى الامبراطور الرومانى (تراجان) Marcus Ulpius Trajanus (٩٨ ـ ١١٧) فى عام (١٠٠ م) ، فقد حضر الى مصر لاخماد ثورة قام بها يهود الاسكندرية ثم نشر سلطانه على سائر البلاد بتجديد حصن بابليون • وظل هذا الحصن بطابعه الرومانى حتى الفتح العربى لمصر بقيادة عمرو بن العاص (١٨ هـ ـ ٦٤٠ م) • وقد أسهم المؤرخون العرب بعد الفتح الاسلامى فى تفسير اسم ذلك الحصن • لكن الدراسات الحديثة حول الحصن أكدت انه حصن مصرى أصيل ينسب الى مدينة خلفت مدينة (منف) عاصمة مصر الفرعونية وكانت تدعى مدينة بابليون ـ وان ذلك الاسم اذا رد الى صيغته المصرية يقرب من الاسم الفرعونى (بى خابى ـ ن ـ أون) Pi, Hapi. N. on) او (برخابى ـ ن أون) =

دعنا نأمل أن لا يكون مصير هذا الاحتفال هو نفس مصير احتفالات « أبو سيفين » S. Mercurius ، « وابو سرجه » S. Sergius التى كانت وفقا لملاحظات « بتلر » Butler مشرقة فى زمنه ، ولكنها الآن ، ومع الأسف ، لاتزيد عن كميات متلاشية ، هذا بقدر ما أستطيع ان أؤكد .

ويقال انه توجد احتفالات ضخمة (بهذا المولد) فى أسيوط .

ستنا مريم « انظر خريطة الدلتا » M 5 :

يعقد هذا المولد القبطى للاحتفال بصعود السيدة العذراء Assumption قرب موعد هذا العيد (٨) ، وفقا للحساب القبطى . وقد شهدته يوم ١٦ مسرى ١٦٥٠ (قبطية) « ١٩٣٤/٨/٢٢ » ، وكان يوم أربعاء ، وأيضا فى ١٦ مسرى ١٦٥٢ (قبطية) « ١٩٣٦/٨/٢٢ » أو ٥ جمادى الآخرة ١٣٥٥ » .

ليس من السهل الوصول الى هذا المولد ، ولاتزال العودة منه أصعب ، لكنه يستحق المشقة Well repays the trouble . ويوجد الآن أتوبيس لهذه المناسبة فقط Occasional من محطة المطرية الى « المعدية » قرب « مسطرد » ، وبعد ترك المعدية هناك مسيرة قصيرة ولطيفة على طول ضفة الترعة .

قبل الحرب ، عندما كان لى « شاليه » فى المطرية ، ورغم أننى لم أكن أعرف شيئا عن المولد ، فقد كنت أقوم برحلات ركوب مع شلة الى القرية الصغيرة ، بغرض الركوب خلف المسلة وعند موقع « أون » On هليوبوليس القديمة ، (والاستمتاع) بجمال موقع « الكنيسة

(Per, Hapi N. On) اى مدينة (اون) النيلية لامتدادها على النيل ثم حرف اليونان هذا الأسم المصرى القديم الى (بابليون) وعنهم نقل الرومان ثم العرب .

ـ الهيئة العامة للاستعلامات « تاريخ وآثار مصر الاسلامية » ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٧٧٨ ـ ٧٧٩ .

ـ جورجى زيدان « تاريخ مصر الحديث » ـ الجزء الاول ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٧٧ ـ ٧٩

— Webster Unabridged Dictionary, Op. cit., p. 36.

(٨) يحتفل عند المسيحيين الكاثوليك Roman Catholic والارثوذكس الشرقيين بصعود ascent العذراء مارى (مريم) الى السماء ، ويحتفل بهذا العيد فى ١٥ أغسطس ويسمى هذا العيد Assumption .

— Webster Unabridged Dictionary, Op. Cit., p. 114.

القبطيــة القديمة » فى أرض جوشن Goshen (٩) ، وأيقوناتهــا التى لاتقدر بثمن وكنوز أخرى • لم يكن هناك ثمة أتوبيس في تلك الأيام ، لكن المسافة كلها يمكن أن تقطع على صهوة جواد ، حيث ان « المعدية » العتيقة تحمل الانسان والحيوان • ولقد كان القساوســـة ـ وهم كذلك دائما ـ عطوفين وراغبين فى عرض أشيائهم الثمينة •

والمولد مشهد شديد الروعة ، وخاصة اذا كان القمر فى تمامه ، رغم أنه لا يوجد سوى القليل من العروض الصغيرة ، وخيمة كبيرة للغناء ، الرقص ، وبعض المنعشات الخفيفة على ضفة الترعة • وبالطبع فان الكنيسة يتدفق اليها سيل من الحجاج حتى المساء • وعلى الضفة الأخرى من الترعة يوجد قصر كان « الخديو عباس حلمى » يفضله أيام (حكمه) •

تتوقف الأتوبيسات حوالى التاسعة ، ولقد كنت محظوظا لرصد تاكسى عند المعدية ، كان قد أحضر بعض زوار الليـــل وكان سيعود الى المطرية خاليا ، ولولا ذلك لكنت قضيت ساعة أخرى سيرا على الأقدام •

ليس مولد (ستنا مريم) مولدا بالمعنى النموذجى باعتباره احتفالا عند ضريح ولى (أو قديس) محلى ، لكنه على الأصح نوع من «الكريسماس» أو مولد النبى ـ ليس له صـلة بالمحلية Locality (١٠) ـ فيما عدا تذكارا أو ذخيرة مقدسة أو أيقونة ، لكنه (المولد) أدرج فى هذه الدراسة لكونه « شعبيا » ومتاحا للكافة ، وهدفا للحجيج • وأيضا لكونه نموذجا للأعياد القبطية العديدة التى تقام فى هذا الوقت للاحتفال بعيد ادعاء العذراء Assumption of Our Lady • وهذه (الأعياد) تقام حسب علمى بمعرفة الأقباط الأرثوذكس •

دعيت الى « مولد » يقام فى قرية « ذقادوس » ، قرب ميت غمر ، فى الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٠ « الثامن من مسرى ، ١٦٥٦ » ، عشية (عيد) الصـعود Assumption عند كل الكاثوليك ، الشرقيين منهم أو الغربيين • هكذا استنتجت حتى اهتديت فى النهاية الى مولد قبطى ـ كاثوليكى • لكن مع ذهابى مع مضيفى وراويتى فى ذلك الموعد ، فقد بدا

---

(٩) فى الانجيل ، الأرض الخصبة التى خصصت للاسرائيليين فى مصر
— Op. cit., p. 788.

(١٠) كان المفروض ان اضم هذا المولد الى الفصل السابع « المناسبات الدينية غير النموذجية » نظرا لانطباق معايير هذا النوع من المناسبات عليه ، لكننى ضممته الى الموالد القبطية لمجرد التقسيم النوعى •

واضحا أن معلوماته الدقيقة والمحصة لم تكن صحيحة . ذلك أنه بدلا من (العثور) على الليلة النهائية لعيد كاثوليكى ، فقد كان الأمر افتتاح احتفال أرثوذكسى ليلته الكبيرة هى الثامن Octatve بعد العيد ، ٢١ أغسطس « ١٥ مسرى » . أورانا القس المحلى بلطف كبير واعتزاز الأيقونات القديمة وبعض الكنوز الأخرى التى تضمها كنيسته .

دعتنا أصوات قرع الطبول الصغيرة tom-toms وضوضاء أخرى مرحة لأطفال ، الى ضفتى الترعة أمام الكنيســــة ، حيث كان بانش ــ جودى (القره جوز) وبعض العروض الصغيرة تبدأ فى العمل .

علمت أن « العذراء » يحتفل بها فى أجزاء كثيرة من مصر باحتفالات على شــكل « مولد » وذلك فى وقت أو حـوالى تاريخ عيد البشـــارة Annunciation (١١) ، الســـادس من أبريل « الثامن والعشرين من برمهات » ، وهذا ما يعنى أنه يلى عشية هذا العيد وفق الحساب الغربى (٢٤ مارس) بثلاثة عشر يوما .

والاحتفال العام بهذين اليومين المقدسين للعذراء ، البشارة للقديس جابرييل ، ورفع العذراء translation الى السماء شائع فى المسيحية القبطية ، الأرثوذكسية والكاثوليكية ، والثـانى ــ على ما أعتقد ــ هو الأكثر عمومية وشـعبية . لقد أشرت ســابقا الى الاحتفال القديم بهذا (العيــد) فى ســـيينا Siena وكريماســـتو Cremasto (١٢) وسيذكر قرائى على الفور تلك الجريمة الشنعاء التى آكدت الحجيج الى تينوس Tinos فى أغسطس ١٩٤٠ ، وضرب (السفينة) « هيللا » Helle بالطوربيد ، وما أعقب ذلك مـن ضرب الجرحى بالقنـابل . وتمتلىء هذه الجزيرة (تينوس) فى كل من العيدين (١٣) .

---

(١١) عيد البشارة ــ اعلان العذراء بتجسد المسيح incarnation (أى اتحاد الالوهية والناسوتية فيه) على يد الملاك جابرييل Gabriel . ويحتفل بهذا العيد فى بعض الكنائس فى الخامس والعشرين من مارس . — Op. cit.. p. 74.

(١٢) راجع Palio of Siena وعيد الصعود Assunzione واعياد كريماستو فى جزيرة رودس Rhodes فى الصفحات ١٧ ، ٤٤ ، ٩١ من النص الانجليزى .

(١٣) تينوس ، واحدة من مجموعة جزر فى بحر ايجة Aegean Sea تشكل جزر السيكلادس Cyclades التى تتبع اليونان كادارة . من بين أهم مجموعة جزر السيكلادس المكونة من آكثر من ٢٠٠ جزيرة ــ جزيرة ناكسوس naxas وهى آكبر جزيرة ، اندروس Andros ، تينوس Tinos ، سيروس Syros ، ميلوس Melos ، باروس Paros ، وثيرا Thera . فى ١٥٦٦ ضمت الدولة العثمانية هذه المجموعة من الجزر اليها ، لكنها اصبحت =

لكن يا لها من دولة مباركة ! ٠ حيث كانت العناية الأولى للسلطات هي حماية « المولد » والذين أموه ، والاطمئنان الى أن « الزفة » وما الى ذلك قد سار على ما يرام برغم كل شيء ! malgre tout ، ويا له من فرق من السلوك (المتبع) هنا ! قد يتساءل المرء ، « لماذا الاختـــلاف » ؟ ـ والاجابة الواضحة هي « لأن العدو هناك كان من الخارج ، أما هنا فان عدو الموالد هو من الداخل » ٠

لكن الدرس المستفاد من « جريمة تينوس » ، وهي خسارة مادية لكنها كسب معنوي لليونانيين ولليونان ، موجـــود في خطـــاب أمامي (نشر) في « الاجبشيان جـــازيت » Egyptian Gazette بتاريـخ ٤ سبتمبر ، ١٩٤٠ ، وهو خطاب ملىء بالحقائق الهـــامة التي تتصـــل بموضوعنا ، وبرفاهية هذه الأمة وشعبها ، وهو ما يدعوني الى نشره كاملا في الفصل الافتتاحي (١٤) ٠

= جزءا من اليونان المستقل عام ١٨٢٩ ٠ وقد اشار المؤلف الى حادث ضرب السفينة «هيللا» Helle أمام جزيرة « تينوس » اثناء المولد المقام في الجزيرة احتفالا بهذين العيدين ـ في صفحة ٢٦ ـ ٢٧ من النص الانجليزي ـ واعتقد ان هذا الحادث ، كما يبدو من السياق ، قد وقع من جانب ايطاليا ضد اليونان في اطار العمليات الحربية خلال الحرب العالمية الثانية ، حيث هاجمت ايطاليا اليونان في اكتوبر ١٩٤٠ ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia, Vol. 5, p. 402.
— Op. cit., Vol. 20, p. 255.

(١٤) الاشارة هنا الى الخطاب الذي أورده المؤلف كاملا في صفحات ٢٦ ـ ٢٨ من النص الانجليزي والموجه من « الحاج ابو مسعود » الى المحرر في جريدة « الاجبشيان جازيت » في سبتمبر ١٩٤٠ ، والمشار فيه الى حادث السفينة « هيللا » Helle أمام جزيرة تينوس ، ومسلك الملك ورئيس الوزراء في اليونان تجاه الحادث ، والمتسم بالانسانيـة والتعاطف مع المولد ورواده ٠

الفصـــل الســـابع

المناسبات الدينية غير النموذجية (١)

النبي محمد صلى الله عليه وسلم

« انظر الخريطة القطاعية IX » N 3 :

دعيت في الحادى عشر من ربيع الأول عام ١٣٢٠ (١٩٠٢) لهذا الاحتفال المعظم الأول بين الاحتفالات الاســـلامية ، من جانب المرحـــوم « المفتي » ، وذهلت كما يجب أن يذهل كل الزائرين ، لضخامته وروعته · في السنة التالية ذهبت متأخرا لليلة ، نظرا للملاحظات المضللة التي لا تزال الصحف الأوروبية تصر عليها ، باعلانها أن اليوم الموافق للثاني عشر من ربيع هو يوم « المولد النبوى » ، ويوم عطلة عامة ، لكن (هذه الصحف) تهمل الاشارة الى أن الاحتفال الكبير يكون عشية العيد · ولأكثر من مرة قابلت أناسا خائبى الأمل لفقدهم المناسبة العظيمة بنفس الطريقة ·

---

(١) فى حديثه عن أصول الموالد وأحداثها فى الفصل الأول من دراسته ، ذكر المؤلف (ص ٣٥ من النص الانجليزى) أن الاحتفالات بذكرى محمد على الكبير ، عروس النيل ، الصلوات المعتادة فى الكنيسة أو المسجد (قداس يوم الأحد وصلاة الجمعة) ، احتفالات عاشوراء الرثائية ، الاحتفال بليلة الاسراء والمعراج ، ليلة القدر ، ومولد النبى (ﷺ) ليست موالد نموذجية Typical ولا يمكن اعتبارها موالد quo moulid ، نظرا لأن هذه المناسبات ، شأنها شأن مولد النبى (ﷺ) لا تتركز فى منطقة بجلها النبى hallowed by the prophet ، وان مولد النبى فى أيام المؤلف اقيم فى ثلاثة اماكن مختلفة · كذلك فان المؤلف استبعد مولد المسيح Christmas لأنه مناسبة عامة ، ومكونات اجزائه تنقسم بين الكنيسة والبيت ، ولا يتمركز فى بقعة محددة · أى ان المؤلف حدد المحلية Locality كعنصر اساسى لاعتبار المناسبة (مولدا) · لكنه عاد وضمن مولد النبى (ﷺ) فى قائمة موالده مناقضا بذلك ما اتخذه منهجا فى دراسته · ومن جانبى فاننى لم أشأ التقيد بتقسيم المؤلف لدراسته ، فجعلت « مولد النبى » مناسبة عامة غير نموذجية افردت لها فصلا خاصا التزاما بما ذكره المؤلف فى الفصل الأول ·

يقـدم « لين » فى « المصريـون المحدثـون » Modern Egyptian منذ أكثر من مائة عام ، رواية رائعة « للمولد » بالتفصيل ، بما فى ذلك الكلمات والموسيقى المستخدمة فى « الأذكار » واحتفالات دينية أخرى ٠ كانت هذه أيام « الدوسة » عندما كان شيخ السعدية يسير راكبا فوق الأجساد الممددة من حشود الدراويش ٠ لقد منع هذا قبل هذا القرن نظرا كما يقال الى استماع الخديو لاحتجاجات جادة من جانب زائر أوروبى ٠ لقد جاء ذكر اسم « بتلر » Butler (فى هذا الأمر) ، لكننى لا أستطيع أن أصدق أن مؤلف « الكنائس القبطية فى Coptic Churches of Egypt يمكن أن يكون قادرا على عرض هذا النوع من التدخل المتغطرس وضيق الأفق الجاهل (على الخديو) وأرجو ألا يكون (هذا الزائر) انجليزيا ٠ لا يوجد تسجيل لحالة إصابة واحدة من « الدوسة » على مدى كل سنوات ممارستها ، فى حين أن الأوروبيين والمصريين على السواء صدموا فى عام ١٣٥٣ « ٢٣/٦/١٩٣٤ » لعدد الذين أصيبوا من جراء حماس ونفاد صبر البوليس ، الذى توقع أن يخلى الميدان الكبير بمجرد توقف الألعـــاب النـــارية ٠

كان « للشيخ البكرى » فى أيام « لين » دور هام فى هذا « المولد » كما كان له فى (مولد) الدشطوطى ، وكل مناسبات « الدوسة » ٠ لكن العادة التى كانت تختتم بها الاحتفالات فى بيته ، أكل الثعابين بمعرفة « الدراويش السعدية » قد حرمت فى ذلك الحين ، وكان أحد الأسباب التى قدمت لذلك التحريم هو أن الثعابين غير نظيفة وغير مناسبة للطعام ٠ ولقد كانت هذه ــ وأعتقد أن أغلب الناس سيتفقون ــ « عادة تحترم فى خرقها للقانون ونقض العهد بدلا من التقيد به » ٠

أقام الشيخ البكرى فى ذلك الوقت على شواطىء البحيرة الصغيرة التى شغلت طوال جزء كبير من العام ، الموقع الذى تقع به حدائق الأزبكية الآن ٠ وهناك أيضا كان يجرى الاحتفال بالمولد ، ــ عند البحيرة أو فى حوضها الجاف تبعا للموسم الذى يأتى فيه (شهر) « ربيع » ٠ كانت المراسم الدينية تجرى على نطاق واسع عند مسجد وضريح « العشماوى » فيما كان وقتئذ هو « سوق البكرى » ، والآن « شارع العشماوى » ٠ ولا زال مولد هذا « الولى » العظيم يقام متزامنا مع « مولد النبى » ، والليلة الختامية هى عشية ربيع الثانى ٠

تعرض موقع « المولد » للكثير من النقل • فلوقت ما كان (يقام) عند « فم الخليج » • وخلال كل الفترة المبكرة من هذا القرن ، كان يقام فى قطعة أرض صحراوية ملاصقة لخط ترام العباسـيـة ، وقد شغلت بالمبانى الكثيفة الآن • وبعد ذلك شـغل المولد أرض الاستعراضات العسكرية بالعباسية والواقعة وراء « الرصدخانة » « المرصد القديم » لعدة سنوات ، حيث يقام الآن احتفال « المحمل » • وفى الوقت الحالى يقام فى الصحراء الواقعة بين العباسية ومقابر الخلفاء ، قرب أبراج المياه • هى مسيرة لحوالى ربع الساعة من نهاية خط الترام رقم (٧) • من الصعب توافر سيارة أجرة فى هذا المكان • ويمر الترام رقم (٣) بنفس البقعة • هناك مكان لوقوف السيارات لأولئك الذين يأتون بسياراتهم ، وتسير الأتوبيسات فى مساء الليلة الكبيرة بين « المولد » والمدينة ، مرورا بسيدنا الحسين • ورغم أن هناك مكانا فخما للجلوس فى السرادقات الضخمة بينما يكون المرء فى المولد ، فان الذهاب والاياب مع هذا متعب • ومنذ بضـع سـنوات دعى رهبان « سانت تريزا » S. Terasa ، الكرمليت Carmelite « بشـبرا » الى جانب رئيس قساوسة جبل الـكرمل M. Carmel (الى هذا المولد) ، واستمتعوا وتأثروا ، لكنهم فقدوا الطريق عند العودة • وفى النهاية بعد منتصف الليل وبعد أن أصبحوا شبه موتى من تعب السير الطويل على الأقدام فى الرمال وصلوا الى القاهرة وفى مكان ما قرب قمة « الموسكى » • وعندما وصلوا فى النهاية الى الدير الصغير فى شبرا فى ساعة غير مسبوقة Unheard-of hour ، نظر اليهم الرهبان الآخرون الذين كانوا قد أكملوا صلاة الصباح بازدراء نصف محجوب Looked downtheir noses وقد علق لى رئيس القساوسة المبجل .Very Rev على ذلك بقوله : « ان الحجيج الاسلامى أكثر صرامة ومشقة من الكثير من الحجيج المسيحى » •

يعد هذا المولد الأول دون عناء Facile princips بين موالد القاهرة نظرا للسخاء الذى يسخى به عليه • لم أشهد احتفالا من نوعه ، اسلاميا كان أو مسيحيا يضاهيه • ثلاثة جوانب من ميدان فسيح يغطى أفدنة كثيرة تحيط بها خيام متسعة وجميلة : فى منتصف الجانب الجنوبى يقع السرادق الملكى ، المجهز فعلا تجهيزا ملكيا • وعلى كل جانب خيام لا تقل فخامة لكل الوزارات ، مغطاة بالسـجاجيد ومزخرفة بسعف النخيل وأحواض الورد ، وزينات تشير الى دور كل وزارة • (فسرادق) وزارة الحربية هو الأثير بعروضه للأسلحة والمدافع • وللبرلمان سرادقه ، وكذلك « الشيخ البكرى » • ويتكون الجانبان الشرقى والغربى أيضا من صفوف من الخيام « للطرق » المتنوعة والمشـايخ الكبار • وتقدم فى كل هذه

السرادقات وجبات الطعام الخفيفة والمنعشات ووسائل الراحة الوثيرة ، وبعد مراسم الافتتاح فى السرادق الملكى أمام الملك أو من ينوب عنه ، وقراءة القرآن ، وسيرة النبى (ﷺ) ، ـ يذهب الوزراء وغيرهم من ذوى الحيثية الى سرادقاتهم ويزورون الآخرين ، حيث يجلس الشيوخ على منصات ويرتلون القرآن · ومن المبادرات الكريمة beau geste فى هذه السنوات الحالية ، السماح للجموع الذين يرغبون فى ارتياد كل السرادقات بعد غروب الشمس ، عندما تبدأ حلقات « الذكر » فى الكثير منها · ويقدر الناس هذا لدرجة كبيرة ولا ينتهزونه كفرصة ، أو يتزاحمون بتطرف · ويتسع الحيز الضخم للتدفق المتزايد بكثافة ، حتى يكافىء الجميع وينتشون بالعرض الرائع للألعاب النارية التى يصعب رؤيتها فى القصر البلورى ·

انصرم موكب الافتتاح الرائع الذى يصفه « لين » وراح فى السرمدية Ewigkeit ، مع « الدوسة » والكثير غيرها ، وحلت محلها مدينة القصور المصنوعة من الخيام ، والألعاب النارية · كان هناك فى أوائل القرن باحة شحيحة للتسلية البسيطة خارج الفناء الرئيسى ، وانتشرت أكشاك « الطعمية » والمأكولات الأخرى · لكن هذا كله ظل ينمو حتى احتل تجمع واسع من المسارح ، الرنجا ، السيرك ، القرهجوز « بانش ـ جودى » وما شابه قطعة كبيرة من الصحراء بعيدة لدرجة كافية عن المساحة الرسمية (من المولد) · ولقد اضمحل هذا فى عام ١٣٥٥ « ١٩٣٦ » بوفاة « الملك فؤاد » ، ذلك أنه فى ذلك العام منعت حتى الألعاب النارية كعلامة على الحداد · ورغم أن هذه الألعاب أعيدت فى ١٣٥٦ ، فان القليل هو الذى بقى من السوق باستثناء أكشاك قليلة وعروض مصغرة · ولحسن الحظ وكمظهر للتعويض فقد بقى أكبر العروض اثارة ، «حلبة الموت» Piste a la Mort لصاحبها الجسور بيلى ويليامز Billy Williams . ومع أن هذا الحرمان يسبب خيبة أمل للفقراء الذين يأتون من القريب والبعيد ، الا أنه لا يزعجهم (كما يزعجهم ذلك الحرمان) فى الموالد الأخرى ، نظرا لبهاء السرادقات ، وتالق المصابيح الملونة الوفيرة التى تضيئها ، والألعاب النارية ·

ومن العجيب أن هذا الاحتفال الرئيسى هو أحد أقصرها عمرها · فهو يعمر رسميا لسبعة أيام فقط ، ويقل ارتياده حتى الليلة الكبيرة · على غير ما يجرى فى القرى والأقاليم ، حيث « الزفات » والأذكار تقام أغلب ليالى الأسبوع ، وطوال الليل تقريبا ، ويوزع الطعام والصدقات على الفقراء · وفى العزبة التى أقيم بها تنصب الأرجوحات وأعشاش الأوز من أجل

الأطفال ، وطوال الأسبوع يلحق أثرياء القرى أماكن الاقامة فى بيوتهم بخيام ، للمراسم ذات الأهمية · ولدى نومى فوق السطح كما أفعل ، فاننى أسمع احياء الذكرى لمولد النبى (ﷺ) من المآذن ، وأصوات الموسيقى والذكر حتى الفجر تقريبا ، وتتأوج « بزفة » الشاذلية ، السعدية ، الرفاعية وطرق الدراويش الأخرى بدبابيسهم ، وطبولهم ، ودفوفهم ، ومزاميرهم وكاساتهم ، أعلامهم وراياتهم وشاراتهم ، والكثير على نفس الأساليب القديمة ·

أعتقد أن قليلا من المصريين يدركون الى أى مدى يفوق تعلقهم بالنبى (ﷺ) ما يرى فى بلدان أخرى ، حتى فى « استانبول » قبل تأثرها بنزعة اليانكى Yankification (٢) · وقد عدت مؤخرا من لبنان فى الحادى عشر من ربيع ، الى بيروت ، العاصمة السورية والمدينة الاسلامية الكبيرة · وفى المساء وجدت بعض الصبية يجمعون العصى والورق ويوقدون شعلات صغيرة فى الأماكن المفتوحة ، كما كانت بعض النوافذ القليلة تضىء لهب شمعة خلف قطعة من الورق الشفاف الأحمر ، كما كانت تطلق بعض الألعاب النارية المصغرة · صحيح أنه فى الصباح التالى جرى احتفال صغير فريد ، وصعد بعض الشيوخ الى قمة مسجد شهير وشرعوا فى الغناء ، ثم ساروا بعد صلاة الظهر فى موكب الى مسجد ناء ، لكن هذا كان كل شىء

أستنتج من تقارير زودنى بها البروفيسور « ايفانز بريتشارد » عن القبائل البدوية فى الجنوب الاقصى من مصر العليا ، فى النوبة ، السودان واثيوبيا ، والذين يعرف أساليبهم بصورة لصيقة « مع صلة خاصة ، على ما أعتقد ، بقبيلتى البشارية والعبابدة » أنه رغم أن « طرق » أوليائهم لم تهمل على الاطلاق ، فان هذا لا يشمل الاحتفالات بموالدهم ، باستثناء حالة (مولد) النبى (ﷺ) · ففى ذلك يشترك كل أوليائهم ومشايخهم الأدنى مرتبة بشكل ما ، وتحيا ذكراهم بما يليق بها ، مع التركيز بصورة خاصة على أى « ولى » محلى لكل منطقة · كذلك فانهم ـ رجال القبائل ـ يتوقون فى وقت مولد النبى (ﷺ) الى المشاركة فى عائد النعم الخاصة « بأحباب وأصدقاء ورفقاء الله » (عن طريق الاحتفال بهم فى مولده) ·

---

(٢) يقصد المؤلف هنا بكلمة Yankification ، تأثر استانبول بالميول والاتجاهات الأمريكية أو اتجاهها علمانيا مبتعدة عن المظاهر الاسلامية بعدما تولى كمال أتاتورك السلطة عام ١٩٢٣ · وكلمة Yanki المقصود بها ابناء الولايات المتحدة الأمريكية تفيد هنا معنى الأمركة اذا جاز التعبير ·

يعبر المقطع الأخير من (أنشودة) « لاودا ، سيون ، سالفاتورم » (٣) Lauda, Sion, Salvatorem عن الأشواق المبهجة ، وأشواق الحجاج وزواد الموالد الدائمين بصفة عامة فى الواقع ٠

« Tu, qui cuncta scis et vales
Qui nos pascis his mortales
Tuos ibi commensales
Coheredes et sodales
Fac sanctorum civium ».

« أنت ، الذى يعرف كل شىء ، القادر على كل شىء ، وأنت الذى تغذينا بهذه الأمور البشرية ، وهناك أقرانكم الذين يشاركونكم الميراث ورفقاؤكم الذين يملكون شكل (هيئة) المواطنين الثابتين » ٠

والحالة الوحيدة التى أعرفها فى التعميم المشار اليه بأعلاه والتى أثق منها تماما ، هى حالة « سيدى أبو حسن العبابدى » ، الذى له مولده الخاص قرب « القصير » ، بالاضافة الى احيائه فى مولد النبى (٤) ٠

ان بانثيون (٥) pantheon أسوان ، اذا كان لى أن أغامر باطلاق هذا المصطلح عليه ، دليل غامض على تضامن مجتمع الأولياء والشيوخ الاسـلاميين ، والرجال المقدسين بصـفة عامة ٠ وعلى أى حال ، فهو (البانثيون) غامض بالنسبة لى ، ولمن لم يزوروه ، ولمن يستمدون معلوماتهم الوحيدة عنه من « شريف » واحد ، واثنين أو ثلاثة من الشيوخ ، الذين كانوا محظوظين ، والذين يمكن أن تلخص شهادتهم كالآتى :

« على بعد كيلو متر من أسوان ، فى الجبل المقدس للنبى صلى الله عليه وسلم ، حيث لا يزال دمه يرى على الصخور ، يمثل كل « الأولياء »

(٣) لاودا Lauda اغنية ايطالية عصور وسطوية الى الرب ، وسيون تعنى السـماء Heavens ، وأما سالفاتورم Salvatorem فتعنى « المنقذ »

— Foreign Words and phrases, Op. cit., p. 12 B, 192.
— Webster unabridged Dictionary, Op. cit., p. 2152.

(٤) عن مولد العبابدى راجع ص ١٨٦ وما بعدها من الفصل الخامس ٠

(٥) البانثيون Pantheon كلمة لاتينية من اليونانية Pantheion ــ وتعنى بناء أو مقبرة يدفن فيها عظماء أو يحتفل بهم ٠

Op. cit., p. 1240.

والشيوخ الذين (تقام) لهم « موالد » · « وللأولياء » والذين لهم سمعه خاصة في القداسة « دارهم » dareh الخاصة « بالقبة » والتابوت ، بينما تنقش أسماء البقية ــ على الأقل ــ على تابوت أو شيء ما لاثبات انتسابهم الى المجوعة المنتقاة (من الأتقياء) ·

ولهؤلاء (الأولياء) حارس أو « نقيبة » ، كما تسمى هناك شيخة تدعى « صفحية عبد الحاكم » · عاشت حياة في غاية التقشف بين الأضرحة حتى ظهر أحد الأولياء « للمدير » ولفت الانتباه الى حرماتها (هذا) · فأمر سعادته في الحال ببناء بيت لها هناك ، مزود بالمياه وكل الاحتياجات ·

ان أمل الكاتب أن يرى ويعرف الكثير عن هذا المثال الخفي mystic epitome لكل الموالد المصرية ·

والمقتطف التالي من جريدة قاهرية ، يشير الى عادة تقليدية بتوزيع الحلوى في مناسبة بمولد النبي · ولقد كان نشاط « حسين هيكل باشا » (٦) نشاطا شعبيا وطبيعيا (في هذا المقام) · ولا تقتصر هذه العادة على القاهرة فقط ، رغم أن لها تنوعاتها ، كاستبدالها بالنقود · ولقد أبلغت في « تونس » منذ بضع سنوات أن « الباي » يركب بين الجموع في هذه المناسبة ويوزع المال · أظن أن لا شيء من ذلك سيعيش في ظل هذا الجو المفيش Vichyated (٧) ·

---

(٦) محمد حسين هيكل باشا ــ سياسي ومثقف مصري (١٨٨٨ ــ ١٩٥٦/١٢/٨) أحد اعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، ثم رئيس هذا الحزب من عام ١٩٤٣ حتى تاريخ حل الأحزاب السياسية (١٨ يناير ١٩٥٣)ــ عمل وزيرا للدولة في وزارة محمد محمود الثانية (١٩٣٧/١٢/٣٠ ــ ١٩٣٨/٤/٢٧) ثم وزيرا للمعارف في وزارته الثالثة (١٩٣٨/٤/٢٧ ــ ١٩٣٨/٦/٢٤) وكذلك في وزارته الرابعة (١٩٣٨/٦/٢٤ ــ ١٩٣٩/٨/١٨)· ثم وزيرا للمعارف في وزارة حسن صبري (٦/٢٧ ــ ١٩٤٠/١١/١٤) ووزيرا للمعارف في وزارة حسين سري الأولى (١٩٤٠/١١/١٥ ــ ١٩٤١/٧/٣١) ووزارته الثانية ١٩٤١/٧/٣١ ــ ١٩٤٢/٢/٤) ثم وزيرا للمعارف والشئون الاجتماعية في وزارة أحمد ماهر (١٩٤٤/١٠/٨ ــ ١٩٤٥/١/١٥ · من أشهر مؤلفاته السياسية « مذكرات في السياسة المصرية » ، جزءان ، ١٩٥١ ، ١٩٥٣ ــ راجع يونان لبيب رزق « تاريخ الوزارات المصرية » ــ مرجع سبق ذكره ·

(٧) يقصد المؤلف بمصطلح Vichyated atmosphere الاشارة الى حكومة فيشي Vicht في فرنسا (١٩٤٠ ــ ١٩٤٤) التي خلفت الجمهورية الثالثة في الأراضي الفرنسية غير المحتلة بعد هزيمة المانيا لفرنسا (يونيو ١٩٤٠) ، والتي تولى رئاستها هنري فيليب بيتان H. Philippe Petain متعاونا مع المانيا حتى سقوطها في يونيو ١٩٤٤ بعد تحرير فرنسا · =

« حلويات مولد النبى »

من التقاليد المتعارف عليهـا منذ فترة طويلة هو أن تقوم الدولة بتوزيع الحلوى على الموظفين بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى ٠

ان الوزارات والمؤسسات الحكومية كانت قد أعدت من قبل قائمة بأسماء الموظفين والعمال غير الدائمين ، وذلك لكى يستفيدوا من توزيع الحلوى ٠ ان الأموال اللازمة لشراء الحلوى كانت تخصم من الميزانية السنوية للاحتفالات بمولد النبى ٠ ومن المألوف أن كبار الموظفين كانوا يحصلون على جزء كبير من الميزانية وهو جزء أكبر من الذى يأخذه العمال والفراشين ٠ ولكن لن يوجد هذا التميز فى المعاملة فى العام التالى لكبار الموظفين فى وزارة المعارف ٠ وفى الواقع فان الدكتور « محمد حسين هيكل باشا » أراد أن ينتهز فرصة مولد النبى لكى يدخل السرور فى قلب الأسر البسيطة لصغار الموظفين ، وكان قد أصدر قرارا بتقليل النصيب المخصص لكبار الموظفين واعطائه لصغار الموظفين » (٨) ٠

= أما الجو المفيش Vichyated فى قصد المؤلف فهو ذلك الجو الذى خلقه تشكيل على ماهر لوزارته (١٩٣٩/٨/١٨ ـ ١٩٤٠/٦/٢٧) وضمها لعدد من الوزراء المعروفين بعدائهم للانجليز في جو دولى متوتر ينذر بالمخاطر ، وهو ما دعا السفير البريطاني وقتئذ (السير مايلز لامبسون Miles lampson) الى ابداء مخاوفه حول تشكيل هذه الوزارة ٠ وقد تزايدت حدة العداء بين وزارة على ماهر وبين بريطانيا ، نتيجة اصرار ماهر على عدم اعلان الحرب على أعداء بريطانيا ، ودور « عزيز المصرى باشا » رئيس أركان حرب الجيش المصرى فى مناوأة البعثة العسكرية البريطانية فى الجيش ، وتشجيع على ماهر لحملة ضد الوضع الانجليزى ـ المصرى فى السودان ، وطرد عدد من موظفى الحكومة المعروفين بميولهم الودية نحو بريطانيا ، وفى تشجيع المنظمات شبه الفاشية كجماعة « مصر الفتاة » المعروفة باتجاهاتها المعادية نحو بريطانيا ٠ وقد صاحب دخول ايطاليا الحرب في يونيو ١٩٤٠ تشجيع الوزارة والملك على انتهاج خطة العداء نحو الوجود البريطانى والسعى الى الاتصال بدولتى المحور ٠ من هنا فان « ماكفرسون » يشبه الجو السياسى في مصر فى ظل وزارة على ماهر بالجو الذى خلقه وجود حكومة فرنسية فاشية فى فيشى تتعاون مع الألمان ـ أى انه كان يعتبر حكومة « على ماهر » الثانية حكومة متعاونة مع ألمانيا شأنها فى ذلك شأن حكومة فيشى ٠

— Lexicon Universal Encyclopedia. Vol., 19, p. 571.

ـ يونان لبيب رزق « تاريخ الوزارات المصرية » ـ مرجع سـبق ذكره ـ ص ٤١٨ ـ ٤٢١ ٠

(٨) قدم المؤلف هذا النص باللغة الفرنسية ـ راجع النص فى الملحق (٢٩) ٠

أضفت رئاسة « الملك فاروق » لأول مرة فى عام ١٣٥٧ « ١٩٣٨ » بهاءا خاصا للاحتفالات ، كما سيرى من المقتطفات المرفقة من « لابورس اجبسيان ، « La Bourse Egyptienne » الصادرة فى ذلك اليوم ٠ « مما يؤسف له أنه لم يترك فى سـلام فى مولد النبى (ﷺ) ، لكن مقدم الالتماس بدا غير مؤذ » (٩) ٠

ضمنت حادثة توزيع المنشور (السياسى) ، حيث انها فريدة فى نوعها ــ فهى المثل الوحيد الذى أعرفه لجر السياسة فى (مسائل) الموالد « باستثناء مناسبة تافهة عندما أذاع قلة من الطلبة بعض الشعارات ، وتم ضبطهم على الفور » ٠

« البلاط

ديوان كبير الأمناء ، الأربعاء ١١ مايو ١٩٣٨ »

فى الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة والثلاثين من بعد الظهر تحرك ركب صاحب الجلالة مصحوبا بصاحب السعادة محمد باشا محمود ، رئيس مجلس الوزراء ، فى سيارة مغادرا قصر عابدين لحضور الاحتفال بالمولد النبوى فى العباسية ٠ ولدى وصول جلالته الى السرادق الملكى استقبل بمعرفة أصحاب المعالى والسعادة رئيس مجلس الشيوخ والوزراء ، وشيخ الجامع الأزهر ، ورئيس المحكمة العليا ، ومفتى الديار المصرية ، نقيب الاشراف ، رئيس الطرق الدينية ، ووكلاء الوزارات ، ونائب رئيس مجلس الشيوخ ، القائم بأعمال مفوضية العراق فى مصر ، محافظ القاهرة وكبار موظفى البلاط الملكى ٠ قدمت ثلة من الجيش مشاركة فى الاحتفال السلام العسكرى وعزفت موسيقاها السلام الملكى بينما أطلقت المدافع لدى وصول جلالته ، واتخاذه لمكانه ٠ تقدم كبير الأمناء ليمهد لمشاهدة جلالته العرض العسكرى ، وتلا ذلك تقديم رؤساء الطرق الدينية تحياتهم وولاءهم لذاته الكريمة ٠

شرف جلالته بعد ذلك سرادق السيد عبد الحميد البكرى لمشاهدة وسماع القصة النبوية ٠ وأطلقت المدفعية على شرف هذه المناسـبة الجليلة ٠ وغادر جلالته مكان الاحتفال بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم عائدا الى قصر عابدين ٠

---

(٩) راجع الترجمة للملحق (٣٢) التى سيرد بها قصة مقدم الالتماس فى الصفحات التالية ٠

وقد أناب حضرة صاحب الجلالة الملك ، حضرة صاحب السعادة محافظ الاسكندرية لحضور الاحتفال الذى أقامته بلدية الاسكندرية بمناسبة مولد النبى » (١٠) ٠

« مهندس يوزع منشورات معادية لليهود فى أرض مولد النبى
البوليس يلقى القبض عليه

أمس ، قبض البوليس على مهندس بالترسانة أثناء توزيعه منشورات تحريضية ضد اليهود فى أرض الاحتفال بمولد النبى ، ولقد ضبطت الكتيبات ٠ أما بالنسبة للمهندس فقد حجز تحت التحقيق ٠

ويتلخص المنشور فى الآتى : ان يهود فلسطين الذين فى صراع دائم مع العرب يتلقون الدعم المعنوى والمادى من جانب أبناء دينهم فى مصر ٠ ويدعو ازاء ذلك المسلمين والعرب لمقاطعة يهود مصر الذين هم على علاقة وطيدة بيهود فلسطين ٠

ان من المأمول أن تتخذ السلطات كل الاجراءات النافعة لوضع حد لهذه الحالة من الأشياء التى لا تتفق اطلاقا مع روح التسامح والتعاون الحبى بين كل الأجناس التى تعيش على أرض الكرم فى وادى النيل » (١١) ٠

---

(١٠) قدم المؤلف هذا النص باللغة الفرنسية وهو ماخوذ عن جريدة لابورس اجبسيان La Bourse Egyptienne ـ انظر الملحق (٣٠) ٠

(١١) تكشف هذه القطعة من جريدة لابورس اجبسيان عن عدة أمور ـ أولا : دور الجالية اليهودية فى مصر فى مجال مساعدة يهود فلسطين ضد العرب هناك ـ ثانيا : الوعى السياسى لدى المصريين بخطورة دور هؤلاء اليهود فى الصراع الذى كان دائرا بين العرب واليهود فى فلسطين حول السيطرة على المنطقة ـ وهو ما انتهى الى نجاح اليهود فى اقامة دولتهم فى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ ـ ثالثا : استغلال الشباب المصرى فى الثلاثينيات التجمعات الشعبية (الأعياد ـ الاحتفالات الدينية) لنشر افكارهم بين الشعب وتوعيتهم بما يجرى حولهم من أحداث سياسية ـ رابعا : توافر الوعى القومى العربى عند الشباب المصرى فى أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين ٠

ـ انظر النص الفرنسى للحادث فى الملحق (٣١) ٠

« فى الاحتفال بمولد النبى

شاب صغير يريد تقديم ملتمس الى صاحب الجلالة الملك

بينما كان موكب حضرة صاحب الجلالة الملك راجعا أمس من احتفال مولد النبى ، وقرب الموقع الذى يقام فيه هذا الاحتفال الدينى ، عبر شاب صغير فى سرعة الكوردون البوليسى واقترب من مكان صاحب الجلالة ورئيس وزرائه ٠

كان يحمل فى يده لفافة من الورق ، مصرا على تقديمها الى جلالته ٠ قبض عساكر الحرس الملكى على الشاب الصغير ٠ لكن هذا نجح مع ذلك فى قذف ملتمسه عند أقدام جلالة الملك ٠

فى هذا الملتمس عرض الشاب حالة فقره وطلب تعيينه فى وظيفة مأذون ٠

ولقد فتح تحقيق فى الموضوع » (١٢) ٠

لقد ألحقت الرواية السابقة بقصاصتين من صحف القاهرة ٠

تشير القصاصة القصيرة الى الطريقة السخية التى يحتفل فيها بمولد النبى فى العاصمة المصرية ، فقد أنفق مبلغ ثمانية آلاف وخمسمائة جنيه أولا ، لتمهيد الموقع وتوصيل المياه من خزانات مجاورة ٠

أما القصاصة الأطول فتقدم بعض التفاصيل الممتعة والاحصائيات ٠ وسيلاحظ أن تاريخها هو ١٣٥٨ هـ « ١٩٣٩ م » ٠

أرجو ألا يحدث بمصر شىء أبدا يخفت بريق مولد النبى (ﷺ)

« أين سيقام الاحتفال بمولد النبى القادم ؟ » ٠

---

(١٢) انظر النص الفرنسى فى الملحق (٣٢) ٠

أعلن أن السلطات قررت آن الاحتفال بمولد النبى القادم سيجرى فى العباسـيـة بالقرب من مخازن شركة مياه القاهرة ، وقد علمنا أن المصاريف الضرورية لتســوية الأرض وامدادها بالمياه النقية كانت قد ارتفعت الى ثمانية آلاف وخمسمائة جنيه ، ومن ناحيتها قامت « شركة ليبون » « La Compagnie Lebon » بالتعهد بتوصيل الكهرباء اللازمة للاحتفال على حسابها الخاص · وسيستخدم مكان الاحتفال هذا لاقامـة الحفلات الأخرى كرحيل ووصول « الكسوة الشريفة » (١٣) ·

« مولد النبى

احتفال العالم الاسلامى بمولد النبى

احتفل أربعمائة مليون مسلم بجميع أنحاء العالم « بمولد النبى » فى الليلة الماضية · (فى مثل) أمس منذ ١٣٥٨ عاما ، وضعت « آمنة » وهى سيدة كريمة من « قريش » ، والتى كانت أرملة لعدة أشهر ، طفلا كان مقدرا أن ينادى بعقيدة أحدثت ثورة فى حياة العرب وكانت لها آثار بعيدة المدى على أهل الشرق ·

وبالأمس ، تلا أئمة المساجد سيرة النبى ، والمعجزات التى حدثت فى يوم مولده ، والشدة التى عاناها ، وحقيقة أنه رغم أنه ولد وترعرع بين عبدة أوثان ، فانه عبد الها واحدا دائما ، وأنه تلقى الوحى الأول كنبى ورسول الله ·

وكالكريسماس Christmas بالنسبة للمسيحيين ، فان مولد النبى مناسبة لادخال البهجة على الأطفال · فتقدم العرائس واللعب المصنوعة من السكر للصغار ، ورغم أنه لا يوجد «سانتا كلوز» Santa Claus(١٤) ، فان الآباء يفعلون كل ما يمكنهم لاسعاد أولادهم ·

ونظرا لتوعك « الملك فاروق » ، فقد حضر « على ماهر باشا » رئيس الديوان الملكى الاحتفال الرســمى كممثل للملك · وقد استقبل لدى

(١٣) قدم المؤلف هذا النص باللغة الفرنسية ــ راجع النص فى الملحق (٣٣) ·

(١٤) سانتاكلوز Santa Clause = فى الفولكلور الهولندى ، رجل عجوز بدين ذو ذقن بيضاء ، مرح فى ملابس حمراء ، يعيش فى القطب الشمالى ، يضع اللعب للأطفال ، ويوزع الهدايا فى وقت الكريسماس ــ يسمى أيضا سانت نيكولاس ، سانت نيك Saint Nick, Saint Nicholas.
— « Webster's unabridged Dictionary », Op. cit., p. 1606.

وصوله عند السرادق الرسمى فى العباسية من قبل الوزراء ، العلماء ، وكبار الموظفين ٠

وبعد عرض عسكرى ، ذهب « ماهر باشا » الى سرادق « الشيخ البكرى » ، حيث استمع الى « السيرة النبوية » ٠

كانت سرادقات الادارات والمصالح المختلفة للحكومة ، وخاصة وزارة الأوقاف ، مزدانة بالأضواء المبهجة وأعجبت الحشود الضخمة التى شاركت فى الاحتفالات بالألعاب النارية ٠

ستعطل كل مصالح الحكومة اليوم ابتهاجا بهذه المناسبة (١٥) ٠

الاحتفالات فى الاسكندرية

أقيم ما يزيد على عشرين سرادقا للاحتفال بالمولد فى الاسكندرية ، وزعت المنعشات والصدقات فى أحياء المدينة المختلفة بهذه المناسبة ٠

أقيم سرادق رسمى بمعرفة بلدية الاسكندرية عند الرصيف الشرقى قرب مبنى المحكمة الوطنية ٠ ومثل « محمد حسين باشا » الملك فاروق ٠ وكان العلماء ، الأعيان ، والموظفون حاضرين للاستماع « للشيخ رفعت » وهو يقرأ « سيرة النبى » ٠ واستمرت الاحتفالات حتى الى ما بعد منتصف الليل (١٦) ٠

انتهى

(١٥) لم يبين المؤلف مصدر هذه القصاصة الصحفية واكتفى بقوله انها من صحف القاهرة ٠

(١٦) لم يشر المؤلف الى مصدر هذه القصاصة الصحفية ٠

قائمة الملاحق

- الملحق (١) خريطة دليل للقاهرة عن الخرائط القطاعية العشرين .
- الملحق (٢) جدول موالد القاهرة وفق توزيعها الجغرافى فى الخرائط القطاعية .
- الملحق (٣) خريطة قطاعية I بولاق وروض الفرج .
- الملحق (٤) خريطة قطاعية II جزيرة بدران .
- الملحق (٥) خريطة قطاعية III الشرابية .
- الملحق (٦) خريطة قطاعية IV عزبة الصفيح (شمال الشرابية) .
- الملحق (٧) خريطة قطاعية V شمال شرق القاهرة (قرب السرداش) .
- الملحق (٨) خريطة قطاعية VI بولاق .
- الملحق (٩) خريطة قطاعية VII منطقة كلوت بك .
- الملحق (١٠) خريطة قطاعية VIII باب النصر وباب الفتوح وما يجاور شارع فاروق .
- الملحق (١١) خريطة قطاعية IX العباسية .
- الملحق (١٢) خريطة قطاعية X عابدين .
- الملحق (١٣) خريطة قطاعية XI حول شارع محمد على .
- الملحق (١٤) خريطة قطاعية XII منطقة الموسكى .
- الملحق (١٥) خريطة قطاعية XIII منطقتى السيدة زينب وابن طولون .
- الملحق (١٦) خريطة قطاعية XIV جنوب شرق القاهرة : مجاورات باب الوزير وسوق السلاح .
- الملحق (١٧) خريطة قطاعية XV منطقة المذبح
- الملحق (١٨) خريطة قطاعية XVI منطقة ابن طولون .
- الملحق (١٩) خريطة قطاعية XVII حول مقابر المماليك والخلفاء العباسيين .
- الملحق (٢٠) خريطة قطاعية XVIII حصن بابليون .
- الملحق (٢١) خريطة قطاعية XIX مقابر الامام الشافعى .
- الملحق (٢٢) خريطة قطاعية XX ما تحت تلال المقطم .

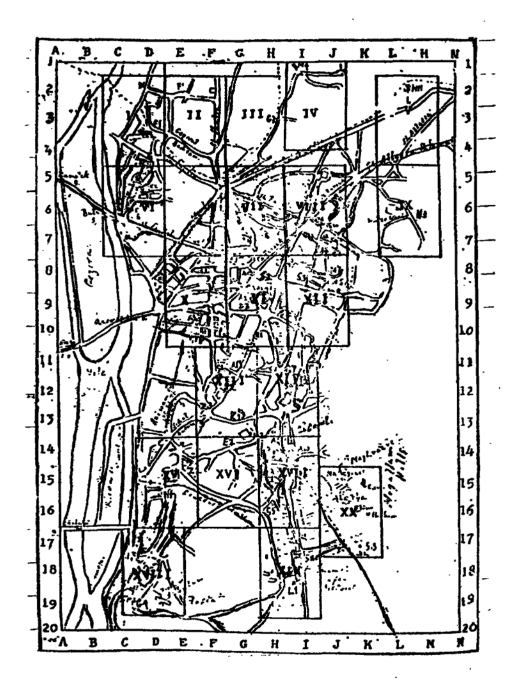
- الملحق (٢٣) خريطة تخطيطية لمنطقة الدقى .
- الملحق (٢٤) جداول مقتبسة من خريطتين للسكك الحديدية بالوجه القبلى ، وللدلتا والفيوم ـ ويلاحظ أن الخريطتين غير موجودتين بسبب تجليد الكتاب ومعرفة جهة حفظه ، الأمر الذى ترتب عليه غيابهما ، حيث كانتا مرسومتين على الغلافين الأمامى والخلفى للكتاب من الداخل .
- الملحق (٢٥) مسرد بالكلمات العسيرة مع شرح لها .
- الملحق (٢٦) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن مولد النبى دانيال بالاسكندرية .
- الملحق (٢٧) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن زيارة الملك السابق لمولد الامام الليث .
- الملحق (٢٨) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن قتل شقى فى مولد الشيخ مظلوم .
- الملحق (٢٩) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن « حلويات مولد النبى » .
- الملحق (٣٠) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن زيارة الملك السابق لمكان الاحتفال بمولد النبى بالعباسية .
- الملحق (٣١) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن القبض على موزع لمنشورات مضادة لليهود .
- الملحق (٣٢) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن محاولة شاب تقديم شكوى للملك أثناء حفل مولد النبى .
- الملحق (٣٣) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن مكان الاحتفال بمولد النبى .
- الملحق (٣٤) قصاصة من صحيفة باللغة الفرنسية عن الاحتفال بمولد السيد البدوى فى طنطا .
- الملحق (٣٥) بطاقة دعوة لمولد سيدى زين العابدين .

الملاحق

بيانات الخريطة فى الملحق رقم (١)

القسم I (١) بولاق
القسم II (٢) جزيرة بدران
القسم III (٣) الشرابية
القسم IV (٤) شمال الشرابية
القسم V (٥) الدمرداش
القسم VI (٦) بولاق
القسم VII (٧) كلوت بك
القسم VIII (٨) بابى النصر والفتوح
القسم IX (٩) العباسية
القسم X (١٠) عابدين
القسم XI (١١) العتبة
القسم XII (١٢) الموسكى
القسم XIII (١٣) السيدة وابن طولون
القسم XIV (١٤) باب الوزير
القسم XV (١٥) المذبح
القسم XVI (١٦) ابن طولون
القسم XVII (١٧) مقابر المماليك
القسم XVIII (١٨) الفسطاط
القسم XIX (١٩) الامام الشافعى
القسم XX تلال المقطم

ملحق رقم (١)


A B C D E F G H I J K L H N
1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20
II
III
IV
VI
X
XVI
XX

ملحق رقم (٢)

الخرائط القطاعية للقاهرة (*)

اسم المولد		رقم القطاع
A2	عبد الباسط	VIII
A3	عبد الدايم	X
A4	عبد الكريم	VIII
A7	عبد الواحد	VI
A8	عبد الله	X
A9	عبد الله الحجر	XVII
A10	عبد الله خفير الدرب	XVII
A13	أبو العزايم	XIII
A16	أبو العلا	VI
A 23	أبو السباع	VI
A27	أحمـــدين	VI
A28	الأنصـــارى	XI
A29	الأربعـــين	XI
A30	العشـــماوى	XI
A31	أولاد بـــدر	VI
A33	عائشـــة	XVII
A34	عائشة التونسية	XVII
B1	بـــدران	II
B2	بهـــلول	XIV
B3	بحـــرى	VII
B5	البيـــومى	VIII
B6	البنهـــاوى	VIII
D3	درغـــام	XI
D4	الدشـــطوطى	VIII
E1	عمرى	XI
E1	عمرى (طولون)	XVI
F1	فـــرج	I
F3	فاطمة النبوية بنت جعفر	XIV

(*) ضم هذا الجدول اسماء الموالد حسب مواقعها فى الخرائط القطاعية التى ستلى ـ ويمكن تحديد أى مولد من خلال الحرف والرقم المبين الى جوار الاسم ، فى الخريطة التى تحمل رقم القطاع ٠

(تابع) : الخرائط القطاعية

اسم المولد	رقم القطاع
G1 جـــلادين	I
G2 جــلال	III
G6 جمــال	VIII
G7 جــانب	XIV
G9 جـــرجس	XVIII
G10 جيـــزى	XVII
H1 حمـــزة	X
H2 حنـــفي	XIII
H3 هـــارون	XIII
H4 حســن الأنور	XV
H5 هـــلال	VI
H6 الحـــلى	I
H8 الحســـين	XII
I2 ابراهيم (سوق السلاح	XIV
K2 الخصـــوصى	VI
K3 الخضـــيرى	XIII
K4 الـــكردى	I
L1 الليثى	XIX
M1 معـــروف	X
M3 المغـــربى	X
M4 منسى	VIII
M6 مرصـــفى	XI
M7 مـــرزوق	XII
M9 مظـــلوم	IV
M10 مـــوفق	VI
M11 المحمدى (دمرداش)	V
N1 نفيســـة	XVII
N2 نصر	VI
N3 مولد النبى	IX

(تابع) : الخرائط القطاعية

اسم المولد		رقم القطاع
Q1	القـــزازى	XII
S1	ســـكينة	XVII
S2	ســـلامة	XI
S3	الصـــالح أيوب	XII
S4	صـــالح حداد	XIII
S5	الســـمان	XVII
S6	ســـعودى	XIV
S8	ســـيد الملـــك	VI
S9	ســـليم	I
S11	الشـــافعي	XIX
S13	الشـــاطبى	XX
S16	الســـطوحية	VIII
W2	الواســـطي	VI
Z2	زين العـــابدين	XV
Z3	زينب	XIII

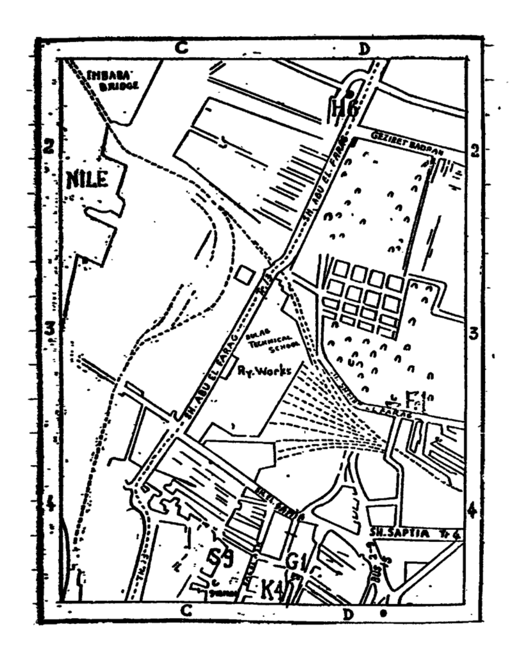
بيانات الخريطة فى الملحق (٣)

Imbaba Bridge	كوبرى امبابة
Nile	النيل
Bulaq Technical School	مدرسة الصناعات الميكانيكية ببولاق
Soq el Asr	سوق العصر
Sulman	سليمان
Sh. Saptia	شارع السبتية
Sh. Sheikh Farag	شارع شيخ الفرج
Ry. Works	عنابر السكة الحديد
Geziret Badran	جزيرة بدران
Sh. Abu El-Fareg	شارع ابو الفرج

مواقع الموالد الخريطة

F 1 Farag	ف (١) فرج
H 6 Hilli	هـ (٦) الحلى
G 1 Galadin	ج (١) جلادين
K 4 Kurdi	ك (٤) الكردى
S 9 Selim	س (٩) سليم

ملحق رقم (٣)


C
D
EMBABA BRIDGE
NILE
H6
GEZIRET BADRAN
SH. ABU EL FARAG
2
3
4
Ry. Works
SH. SAPTIA
S9
G1
K4
F1

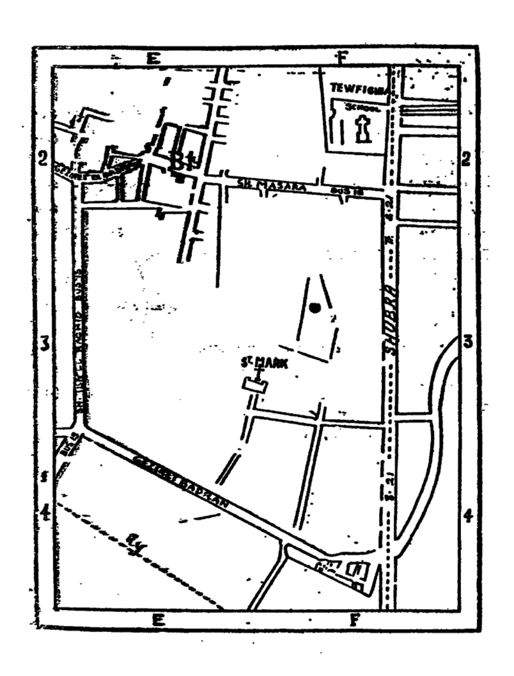
بيانات الخريطة فى الملحق (٤)

جزيرة بدران	Geziret El-Badran
شارع مسرة	Sh. Masara
شارع ابن الرشيد	Sh. Ibn El-Rachid
شارع جزيرة بدران	Geziret Badran
خط السكة الحديد	Ry.
كنيسة القديس مرقص	St. Mark
شارع شبرا	Shubra
المدرسة التوفيقية	Tewfiqhie

مواقع الموالد فى الخريطة

ب (١) بدران	B 1 Badran

ملحق رقم (٤)


E
F
TEWFIGIA
SCHOOL
2
SH. MASARA
SHUBRA
3
ST MARK
GEZIRET BADRAN
4

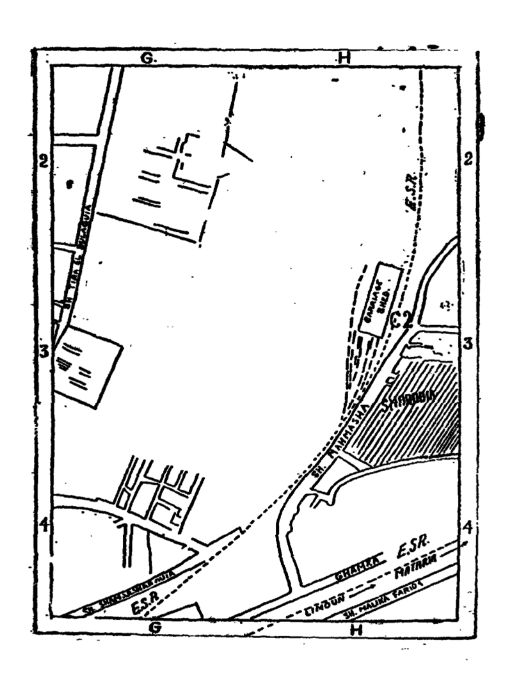
بيانات الخريطة فى الملحق (٥)

شارع الترعة البولاقية	Sh. Tira El-Bulaquia
شارع مهمشة	Sh. Mahmasha
شارع شمس الشرقية	Sh. Shamar Sharquia
السكك الحديدية المصرية	E. S. R.
غمرة	Ghamra
شارع الملكة فريدة	Sh. Malika Farida
خط سكة حديد كوبرى الليمون والمطرية	Limoun Mataria E.S.R.
الشرابية	Sharabia
مخازن عربات السكك الحديد	Carriage Shed

مواقع الموالد فى الخريطة

ع (٢) جلال	G 2 Galal

ملحق رقم (٥)


G
H
2
3
4
E.S.R.
C2
SH. RAMMASHA
SHARABIA
GHAMRA
MATARIA
E.S.R
SH. MALIKA FARIDA
G
H

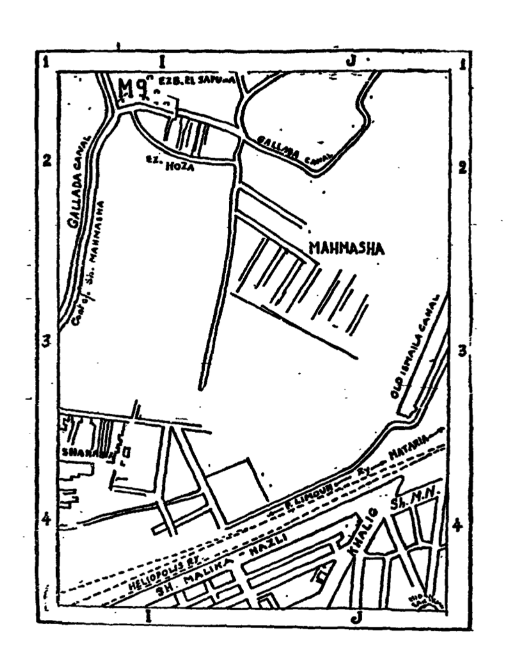
بيانات الخريطة فى الملحق (٦)

عزبة الصفيح	Ezb. El-Safiha
ترعة الجلاد	Gallad Canal
امتداد شارع مهمشة	Cont. of Sh. Mahmasha
الشرابية	Sherabia
خط سكة حديد مصر الجديدة	Heliopolis Ry.
شارع الملكة نازلى	Sh. Malika Nzli
شارع الخليج	Khalig
ميدان سكاكينى	Midan Sakakini
شارع الملكة نازلى	Sh. M. N
خط سكة حديد كوبرى الليمون والمطرية	P. Limoun Ry. Materia
ترعة الاسماعيلية القديمة	Old Ismailia Canal
مهمشة	Mahmasha
ترعة الجلاد	Gallad Canal

مواقع الموالد فى الخريطة

م (٩) مظلوم	M 9 Mazlum

ملحق رقم (٦)


I
J
1
2
3
4
EZ. HOZA
GALLADA CANAL
Sh. MAHMASHA
MAHMASHA
OLD ISMAILIA CANAL
MATARIA
Ry
HELIOPOLIS RY.
SH. MALIKA NAZLI
KHALIG
Sh. M.N.

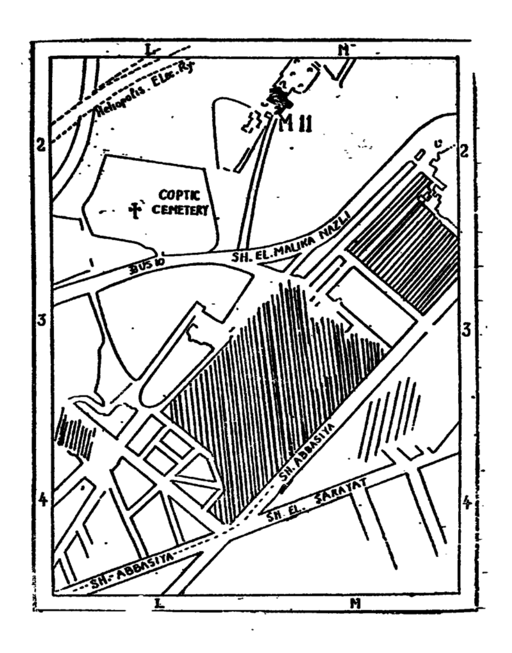
بيانات الخريطة في الملحق (٧)

سكة حديد مصر الجديدة الكهربائية	Heliopolis Elec. Ry.
مدافن الاقباط	Coptic Cemetery
شارع الملكة نازلى	Sh. El-Malika Nazli
شارع العباسية	Sh. Abbasiya
شارع السرايات	Sh. El Sarayat
شارع العباسية	Sh. El-Abbasiya

مواقع الموالد فى الخريطة

م (١١) المحمدى	M 11 Muhammadi

ملحق رقم (٧)



L
M
Heliopolis. Elec. Ry
M 11
COPTIC
CEMETERY
BUS 10
SH. EL. MALIKA NAZLI
SH. ABBASIYA
SH. EL. SARAYAT
SH. ABBASIYA
2
3
4
2
3
4
L
M

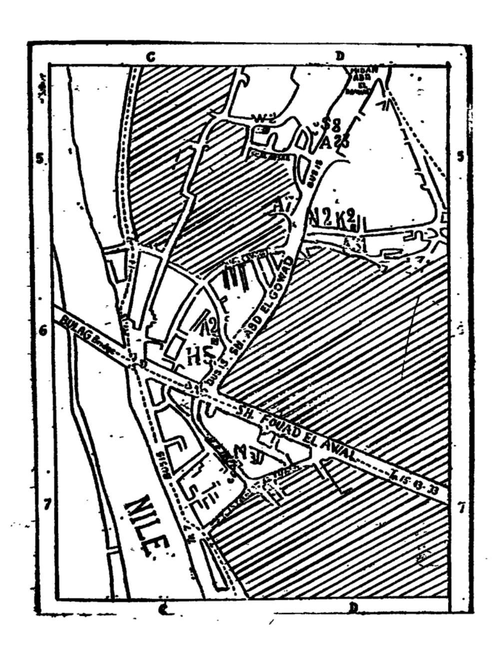
بيانات الخريطة فى الملحق (٨)

Bulac Bridge	كوبرى أبو العلا
Fouad El-Awal	شارع فؤاد الاول
Sh. Abd El-Gawad	شارع عبد الجواد
Sh. El-Ansari	شارع الانصارى
Midan Abd El-Gowad	ميدان عبد الجواد

مواقع الموالد فى الخريطة

A 7 Abd El-Wahid	ا (٧) عبد الواحد
A 16 Abu el-E a	ا (١٦) أبو العلا
A 23 Abu Sebaa	ا (٢٣) ابو السباع
A 2 (27) Ahmadein	ا (٢) (٢٧) احمدين
A 31 Awlad Badr	ا (٣١) اولاد بدر
H 5 Hilal	هـ (٥) هلال
K 2 Khusousi	ك (٢) خصوصى
M 10 Muafaq	م (١٠) موفق
N 2 Nasr	ن (٢) نصر
S 8 Sayed el-Malak	س (٨) سيد الملك
W 2 Wasti	و (٢) الواسطى

ملحق رقم (٨)


C
D
5
6
7
NILE
BULAG Bridge
SH. FOUAD EL AWAL
SH. ABD EL GOWAD
BUS 15
N2 K2
A 23
S8
H5

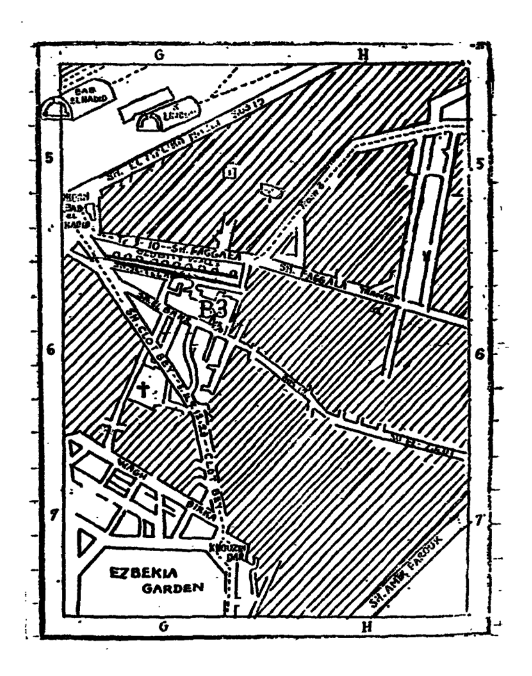
بيانات الخريطة في الملحق (٩)

K. Limoun	كوبري الليمون
Bab El-Hadid	باب الحديد
Sh. El-Malika Nazli	شارع الملكة نازلي
Midan Bab El-Hadid	ميدان باب الحديد
Sh. Faggala	شارع الفجالة
Sh. Bein El-Harat	شارع بين الحارات
Sh. Clot Bey	شارع كلوت بك
Wagh Birka	وش البركة
Khouzin Dar	ميدان الخازندار
Ezbekia Garden	حديقة الأزبكية
Sh. Amir Farouk	شارع الأمير فاروق
Su. El-Zalat	سوق الزلط
Sh. el-Bahr	شارع باب البحر
Sh. Faggala	شارع الفجالة

مواقع الموالد في الخريطة

B 3 Bahri	ب (٣) البحري

ملحق رقم (٩)


G
H
5
6
7
BAB EL HADID
SH. FAGGALA
SH. CLOT BEY
B3
CLOT BEY
BIRKA
KHOUZ DAR
EZBEKIA GARDEN
SH. AMIR FAROUK
G
H

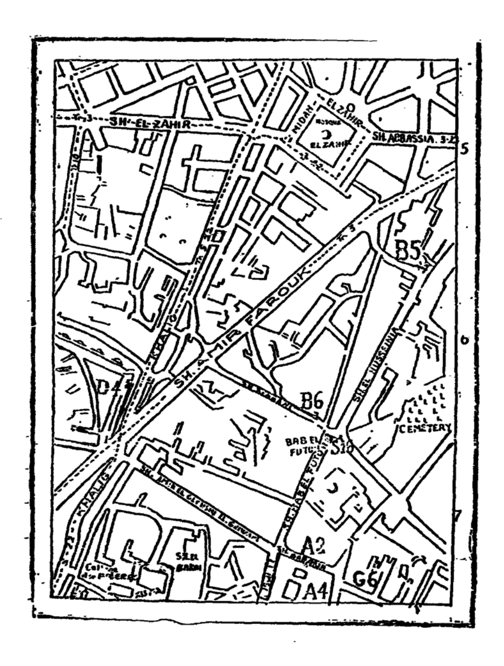
بيانات الخريطة فى الملحق (١٠)

شارع الظاهر	Sh. El-Zahir
شارع الخليج	Khalig
شارع البكرى	Sh. El-Bakri
مدرسة الفرير	College de le Frere
دار الكسوة	Kiswa
ميدان الظاهر	El-Zahir
مسجد الظاهر	Mosque El-Zahir
شارع العباسية	Sh. Abbasia
شارع الأمير فاروق	Sh. Amir Farouk
شارع الحسينية	Sh. El-Husseinia
مقابر	Cemetery
باب الفتوح	Bab El-Futuh
شارع الضبيبة	Sh. Dababia

مواقع الموالد فى الخريطة

ا (٢) عبد الباسط	A 2 Abd El-Basat
ا (٤) عبد الكريم	A 4 Abd El-Kerim
ب (٥) البيومى	B 5 Bayumi
ب (٦) البنهاوى	B 6 Benhawi
د (٤) الدشطوطى	D 4 Dashtouti
ج (٦) جمال	G̅ 6 Gamal
م (٤) منسى	M 4 Mansi
س (١٦) السطوحية	S 16 Sutuhia

ملحق رقم (١٠)



SH-EL-ZAHIR
MIDAN
EL ZAHIR
SH. ABBASSIA
SH. AMIR FAROUK
KHALIG
B5
B6
D4
CEMETERY
BAB EL
FUTUH
A2
A4
G6
5
7

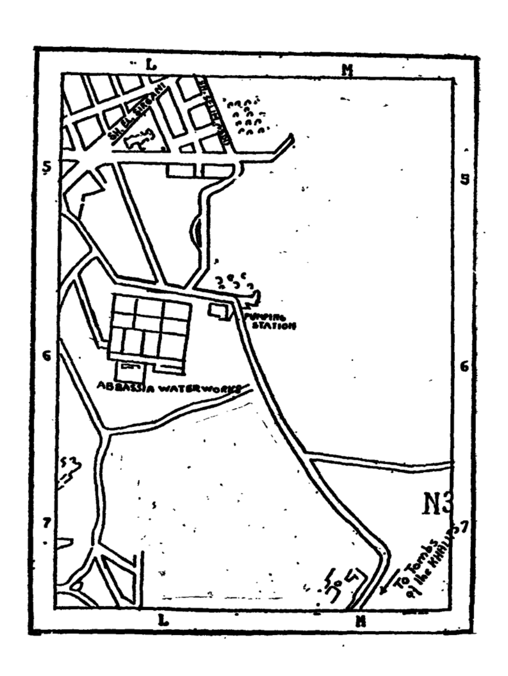
بيانات الخريطة فى الملحق (١١)

Sh. El-Sirgani	شارع السرجانى
Abbassia Water Works	اشغال مياه العباسية
To Tombs of the Khalifs	الى مقابر الخلفاء
Pumping station	محطة طلمبات
Sh. Selim Abdo	شارع سليم عبده

مواقع الموالد فى الخريطة

N 3 El-Nebi	ن (٣) مولد النبى

ملحق رقم (١١)


L
M
SH. EL SIRGANI
5
6
7
PUMPING STATION
ABBASSIA WATERWORKS
N3
To Tombs
of the KHAL
L
M

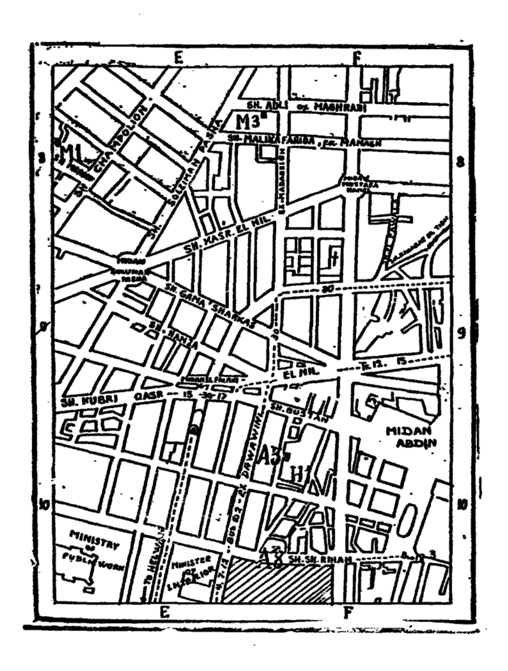
بيانات الخريطة فى الملحق (١٢)

Sh. Champolion	شارع شامبليون
Sh. Maaruf	شارع معروف
Sh. Soleiman Pasha	شارع سليمان باشا
Sh. Kubri Qasr El-Nil	شارع كوبرى قصر النيل
Ministry of Public Works	وزارة الأشغال العمومية
Ministry of Intérior	وزارة الداخلية
Sh. Sh. Rihan	شارع الشيخ ريحـان
Ex. Dawawiri	امتداد شارع الدواوين
Midan Abdin	ميدان عابدين
Sh. Bustan	شارع البسـتان
Midan El-Falaki	ميدان الفلكى
Sh. Gama Sharkas	شارع جامع جركس
Midan Suluman Pasha	ميدان سليمان باشا
Sh. Rahbat El-Tibn	شارع رحبة التبن
Sh. El-Fawala	شارع الفوالة
Midan Mustafa Kamel	ميدان مصطفى كامل
Sh. Malik Farida-ex. Managh	شارع الملكة فريدة ـ سابقا المنـاخ
Sh. Adli-ex. Maghrabi	شارع عدلى ـ امتداد المغربى

مواقع الموالد فى الخريطة

A 3 Abd el-Daim	ا (٣) عبد الدايم
A 8 Abdulla	ا (٨) عبد الله
H 1 Hamza	هـ (١) حمزة
M 1 Maaruf	م (١) معروف
M 3 Maghrabi	م (٣) المغربى

ملحق رقم (١٢)


E
F
SH. ADLI
MAGHRABI
M3
SH. MALIKA FARIDA
SH. CHAMPOLION
SH. SOLEIMAN PASHA
M1
SH. MASR. EL NIL
SH. GAMA SHARKAS
SH. HAMZA
EL NIL
SH. KUBRI QASR 15 30 12
SH. BUSTAN
MIDAN ABDIN
A35
DRAWAWIN
MINISTRY OF PUBLIC WORK
MINISTER OF INTERIOR
TO HELWAN
SH. SH. RIHAN
A8
8
9
10
E
F

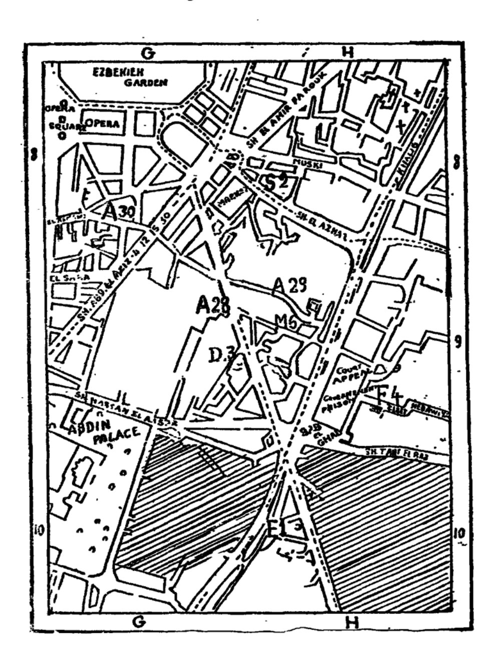
بيانات الخريطة فى الملحق (١٣)

Ezbekieh Garden	حديقة الأزبكية
Opera	دار الأوبرا
Opere Squre	ميدان الأوبرا
El-Saha	الساحة
Sh. Abd El-Aziz	شارع عبد العزيز
Sh. Hasan El-Akbar	شارع حسن الأكبر
Abdin palace	قصر عابدين
Sh. Taht El-Rab	شارع تحت الربع
Bab el-Ghèl	باب الخلق
Court Appeal	محكمة الاستئناف
Sh. El-Azhar	شارع الأزهر
Khalig	شارع الخليج
Muski	الموسكى

مواقع الموالد فى الخريطة

A 28 Ansari	ا (٢٨) الانصارى
A 29 Arbein	ا (٢٩) الاربعين
A 30 Ashmawi	ا (٣٠) العشماوى
D 3 Dorgheit	د (٣) ضرغام
F 4 Fatima el-Nabawiya bin Gaafar	ف (٤) فاطمة النبوية بنت جعفر
E 1 Emery	ا (١) عمرى
M 6 Marsafa	م (٦) مرصفى
S 2 Salama	س (٢) سلامة

ملحق رقم (١٣)



G
H
EZBEKIEH GARDEN
OPERA
OPERA SQUARE
8
9
10
SH. EL AMIR FAROUK
MUSKI
S2
SH. EL AZHAR
A30
A29
A28
M5
D.3
F4
ABDIN PALACE
G
H

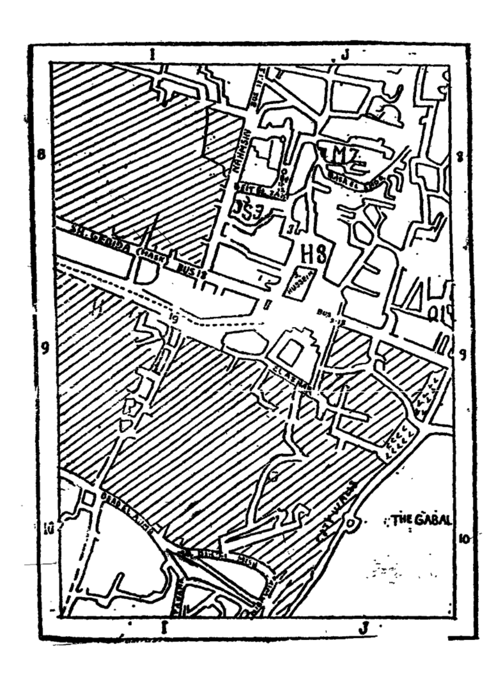
بيانات الخريطة فى الملحق (١٤)

Sh. Gedida	السكة الجديدة
Derb El-Ahmar	الدرب الأحمر
Sh. Bir El-Mish	سكة بير المش
Nibawiye	سكة النبوية
The Gabel	الجبل
El Azhar	الأزهر
S. Hussein	سيدنا الحسين
Qasr El-Shok	قصر الشوق
Nahasin	النحاسين

مواقع الموالد فى الخريطة

H 8 Husein	هـ (٨) الحسين
M 7 Marzuq	م (٧) مرزوق
Q 1 Qazazi	ق (١) قزازى
S 3 Saleh Eyoub	س (٣) صالح ايوب

ملحق رقم (١٤)



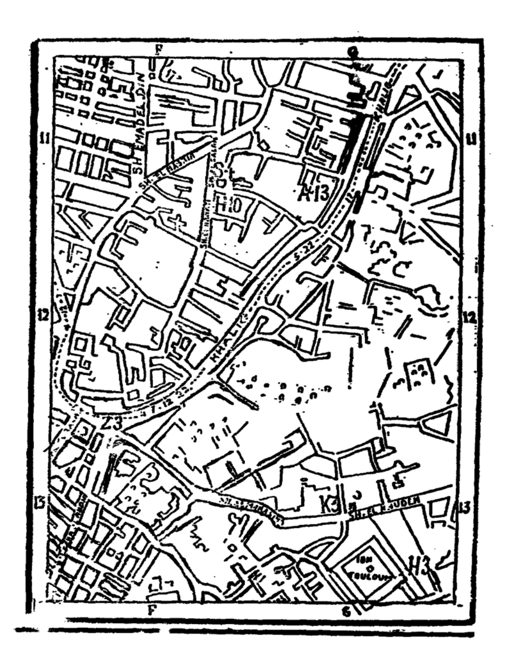
بيانات الخريطة في الملحق (١٥)

شارع عماد الدين	Sh. Emad El Ein
شارع الناصرية	Sh. El-Nasria
شارع الحنفي	Sh. El-Hanafi
الخليج	Khalig
شارع السد البراني	Sh. El-Barani
شارع مراسينا	Sh. El-Marasina
شارع زين العابدين	Sh. zin El-Abdin
ابن طولون	Ibn Touloun
شارع الخضيري	Sh. El-Khuderi
الخليج	Khalig

مواقع الموالد في الخريطة

ا (١٣) ابو العزايم	A 13 Azaim
هـ (٢) الحنفي	H 2 Hanafi
س (٤) صالح الحداد	S 4 Saleh el-Haddad
ز (٣) زينب	Z3 zenab
هـ (٢) هارون	H 2 Haroun
ك (٣) الخضيري	K 3 Khuderi

ملحق رقم (١٥)



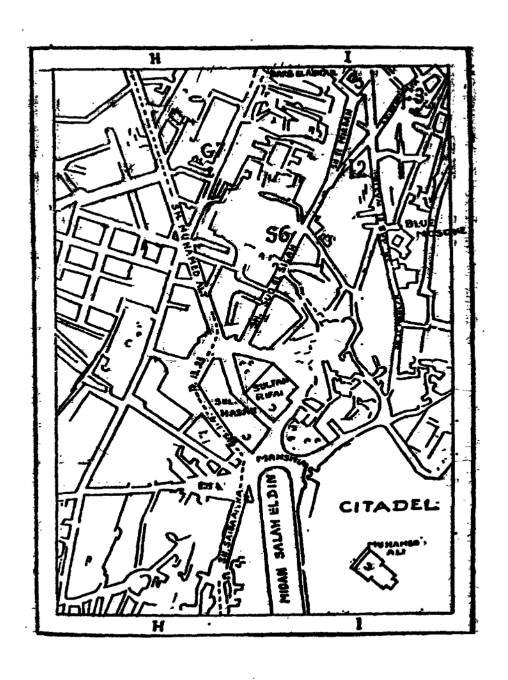
بيانات الخريطة فى الملحق (١٦)

Darb El-Ahmar	الدرب الأحمر
Sh. Muhamed Aly	شارع محمد على
Sul. Hassan	جامع السلطان حسن
Sh. Saida Aisha	شارع السيدة عائشة
Midan Salah El Din	ميدان صلاح الدين
Muhamed Ali	جامع محمد على
Citadel	القلعة
Manshia	المنشية
Sultan Rifai	جامع الرفاعى
Sh. Suy El Silah	شارع سوق السلاح
Blue Mosque	الجامع الأزرق
Sh. Bab El-Wazir	شارع باب الوزير
Sh. El-Mirdan	شارع المردان
Sh. Nebawya	شارع النبوية

مواقع الموالد فى الخريطة

B 2 Bahlul	ب (٢) بهلول
F 3 Fatima El-Nebewiya	ف (٣) فاطمة النبوية
G 7 Ganib	ج (٧) جانب
I 2 Ibrahim	ا (٢) ابراهيم
S 6 Saudi	س (٦) سعودى

ملحق رقم (١٦)


H
I
G7
S6
CITADEL
SULTAN
RIFAI
SEL.
HASAN
MANSHIA
MIDAN SALAH EL DIN
BLUE
MOSQUE
MUHAMMED
ALI
H
I

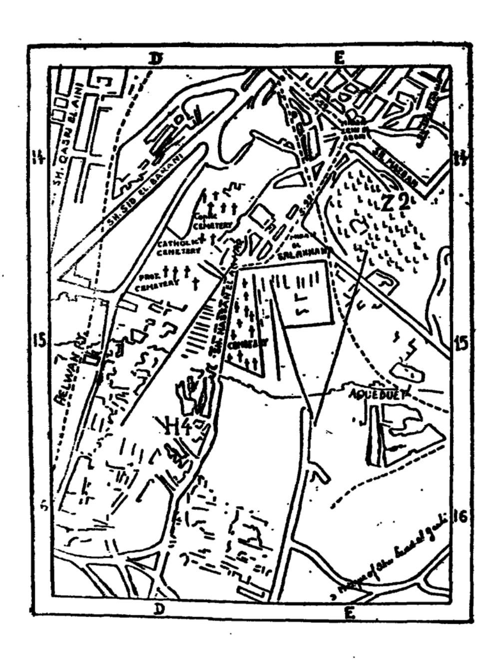
بيانات الخريطة فى الملحق (١٧)

Sh. Qasr El Ain	شارع قصر العينى
Sh. Sid El-Barani	شارع السد البرانى
Coptic Cemetery	مدافن الاقباط
Catholic Cemetery	مدافن الكاثوليك
prot. Cemetery	مدافن البروتستنت
Helwan Ry.	سكة حديد حلوان
Mosque of Abu Saad el-Garhi	مسجد ابو سعد الجارحى
Aqueduct	مجرى العيون
Cemetery	مقابر
Sh. Hassan El Anwar	شارع حسن الانور
Midan El-Selakhana	ميدان السلخانة
Sh. Mazbah	شارع المذبح
Sh. Zein El-Abdin	شارع زين العابدين

مواقع الموالد فى الخريطة

H 4 Hasan Anwar	هـ (٤) حسن الانور
Z 2 Zein el-Abdin	ز (٢) زين العبدين

ملحق رقم (١٧)


D
E
SH. QASR EL AINI
SH. SID EL BANANI
CEMETERY
CATHOLIC CEMETERY
CEMETERY
HELWAN RY.
AQUEDUCT
Z2
H4
14
15
16
D
E

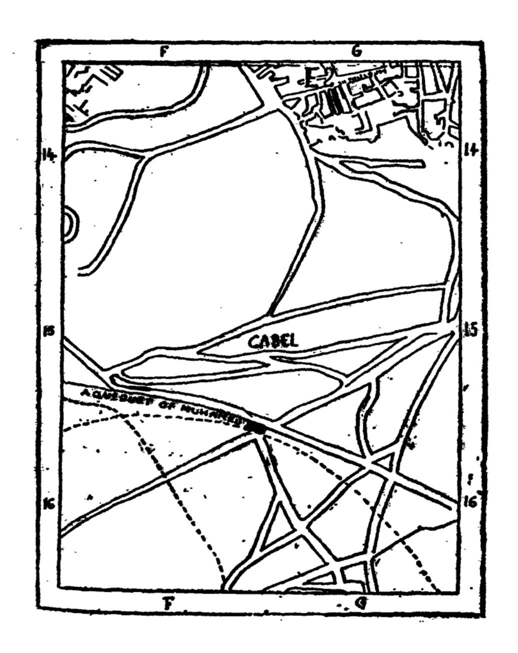
بيانات الخريطة في الملحق (١٨)

مجرى العيون	Aqueduct of Muhamed Aly
الجبل	Gabel
شارع طولون	Sh. Touloun

موقع الموالد في الخريطة

١ (٢) العمرى	E 2 Emery

ملحق رقم (١٨)



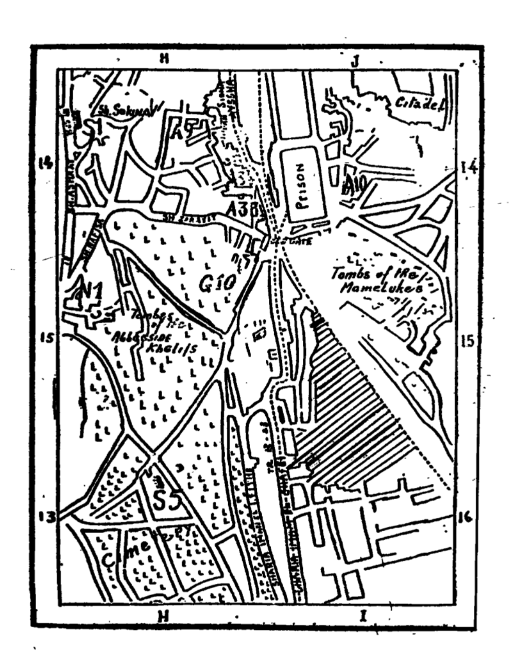
بيانات الخريطة فى الملحق (١٩)

Sh. Sokina	شارع السيدة سكينة
Midan Sitna Aysha	ميدان السيدة عائشة
Sh. Nafisa	شارع السيدة نفيسة
Tombs of Abbaside Khalifs.	مقابر الخلفاء العباسيين
Sharia Imam El-Leith	شارع الامام الليث
Cemetery	مقـــابر
Sharia Imam El-Chafei	شارع الامام الشافعى
Tombs of the Mamlukes	مقابر المماليك
Prison	السجن
Citadel	القلعة

مواقع الموالد فى الخريطة

A 9 Abdulla el-Hagr	ا (٩) عبد الله الحجر
A 10 Abdulla Khafeer el-Darb	ا (١٠) عبد الله خفير الدرب
A 33 Ayesha	ا (٣٣) عائشة
A 34 Ayesha el-Tunisi	ا (٣٤) عائشة التونسى
G 10 Gizi	ع (١٠) الجيزى
N 1 Nafisa	ن (١) نفيسة
S 1 Sakina	س (١) سكينة
S 5 Samen	س (٥) سمـان

ملحق رقم (١٩)


H
J
Citadel
Sh. Solyman
S1
A9
14
PRISON
A10
A38
G10
Tombs of the Mamelukes
N1
Tombs of the Abbaside Khelifs
15
S5
13
16
H
I

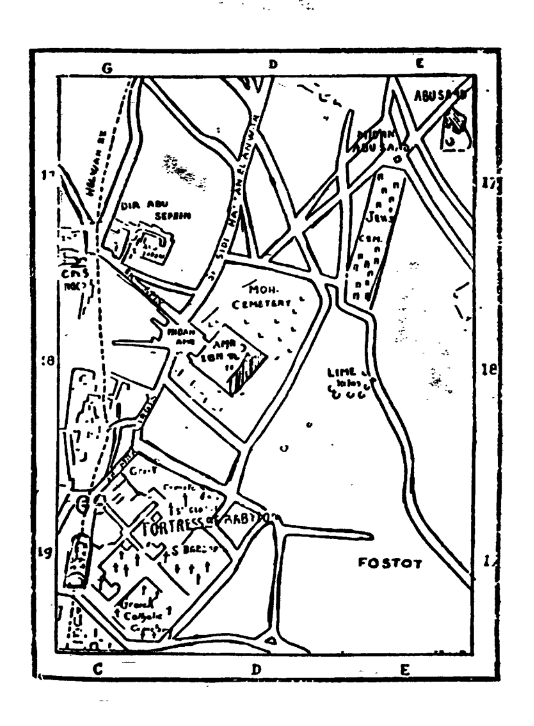
بيانات الخريطة فى الملحق (٢٠)

Helwan Ry	سكة حديد حلوان
Dir Abu Sefein	دير ابو سيفين
Amr Ibn El Aas	جامع عمرو بن العاص
Sh. Mar Girgis	شارع مار جرجس
St. George Stat.	محطة مار جرجس
Greek Catholic Cemetery	مقابر الروم الكاثوليك
Fostat	الفسطاط
Fortress of Babylon	حصن بابليون
Midan Amr	ميدان عمرو
Jews Cem.	مقابر اليهود
Midan Abu Saad	ميدان ابو سعد
Abu Saad	مسجد ابو سعد

مواقع الموالد فى الخريطة

G 9 Girgis	ع (٩) مار جرجس

ملحق رقم (٢٠)


G
D
E
ABUSA
MIDAN
ABU SAID
HELWAN RE
DIR ABU
SEFEIN
SIDI HASAN EL ANWAR
JEWS
CEM.
MOH.
CEMETERY
MIDAN
AMR
AMR
IBN EL
LIME
FORTRESS OF BABYLON
FOSTOT
Greek
Catholic
C
D
E

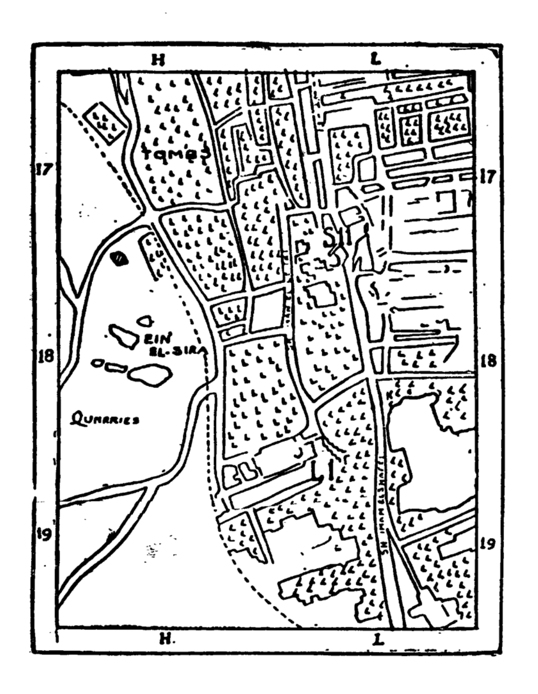
بيانات الخريطة فى الملحق (٢١)

Tombs	مقابر
Ein El-Sira	عين الصيرة
Sh. Imam El-Shafei	شارع الامام الشافعى
Sh. Imam El-Leith	شارع الامام الليث

مواقع الموالد فى الخريطة

L 1 Imam el-Leith	ل (١) الامام الليث
S 11 Imam el-Shafei.	س (١١) الامام الشافعى

ملحق رقم (٢١)



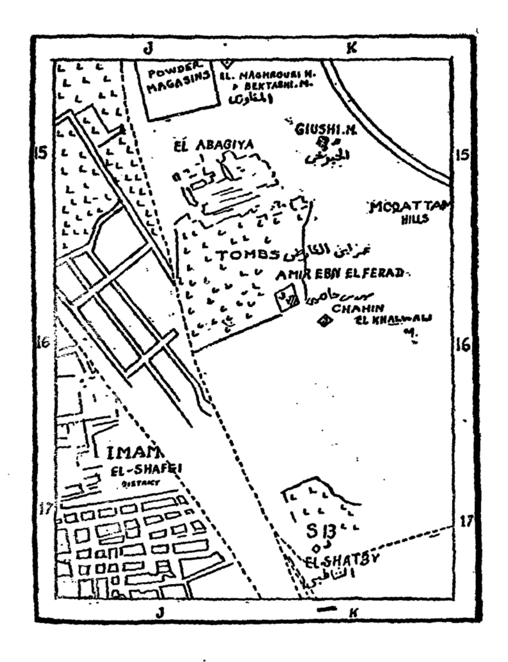
بيانات الخريطة فى الملحق (٢٢)

Powder Magasins	مخازن البارود
El-Abagiya	الابجية
Tombs	مقابر
Imam El-Shafei District	حى الامام الشافعى
El-Shatby	الشاطبى
El-Khalwati	الخلوتى
Chahin	سيدى جاهين
Amir Ebn El-Ferad	سيدى عمر بن الفارض
Moqatam Hills	تلال المقطم
Giushi M.	جبل الجيوشى
El-Maghrouri M. Bekrashi, M.	المغاورى وتكية البكتاشية

مواقع الموالد فى الخريطة

S 13 Shatbi	س (١٣) الشاطبى

ملحق رقم (٢٢)

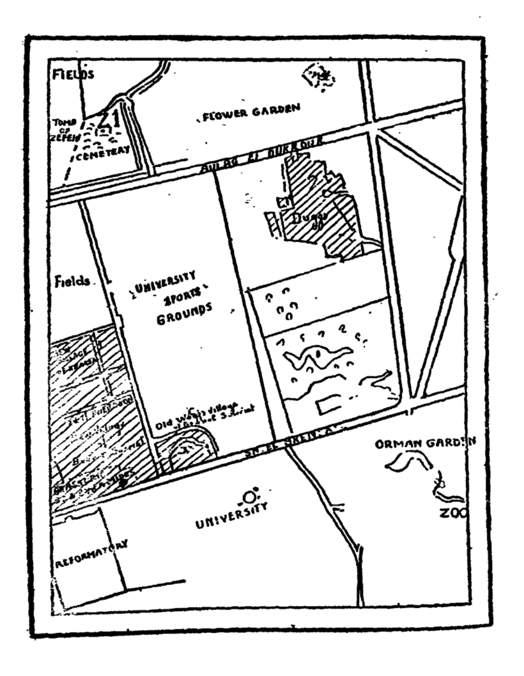

J
K
POWDER MAGASINS
EL. MAGHAOURI M.
BEKTASHI.M.
GIUSHI.M
EL ABAGIYA
15
MOKATTAM HILLS
TOMBS
AMIR EBN EL FERAD
CHAHIN EL KHALWALI
16
IMAM EL-SHAFEI DISTRICT
17
S 13
EL SHATBY
الشاطبي

بيانات الخريطة فى الملحق (٢٣)

Tomb of Zefeti	ضريح الزفيتى
Cemetery	مقابر
University Sports Grounds	ملاعب الجامعة
New Villege of Been el Serriet	قرية بين السرايات
Brasserie Pyramids	مصنع بيرة الاهرام
Reformatory	الاصلاحية
Zoo	حديقة الحيوان
Orman Garden	حدائق الاورمان
Sh. El-Brensat	شارع البرنســات
Bulaq El-Dukrour	بولاق الدكرور
Flower Garden	حديقة زهور

Z 2 Zefeti	ز. (٢) الزفيتى

ملحق رقــم (٢٣)



ملحق رقم (٢٤)

موالد بالوجه القبلى والدلتا والفيوم
مقتبسة من خريطتين للسكك الحديدية

الوجه القبلى	البلد	الدلتا	الفيوم
ـ عبد الرحيم القناوى	قنا	العارف	تلا ، منوف
ـ أبو الطرابيشى	حلوان	أبو الطرابيش	حلوان
ـ أبو هريرة	الجيزة	أبو هريرة	الجيزة
ـ أبو قريش	زنين	أبو قفص	الحلمية
ـ برسوم العريان	المعصرة ـ حلون	برسوم العريان	المعصرة ، حلوان
ـ الفرغل	أبو تيج	دميانه	بلقاس
ـ الفولى	المنيا	دانيال	الاسكندرية
ـ جلال الدين الأسيوطى	أسيوط	الدسوقى	دسوق
ـ مارجرجس	مصر القديمة	جودة	منيا القمح
ـ ابراهيم	المطرية	حنيدق	التمساح ، الاسماعيلية
ـ امبابى	امبابة	ابراهيم	المطرية
ـ عتمان	الأهرام	اسماعيل امبابى	امبابة
ـ مريم	مسطرد ، المطرية	مريم	مسطرد ، المطرية

الوجه القبلى	البلد	الدلتا	الفيوم
ـ المطراوى	المطرية	المطرواى	المطرية
ـ مظلوم	الشرابية	مظلوم	الشرابية
ـ المحمدى	الدمرداش	المحمدى	الدمرداش
ـ المقبى	ميت عقبة	العقبى	ميت عقبة
ـ عويس القرنى	الواسطى	الروبى	مدينة الفيوم
ـ الروبى	مدينة الفيوم	السيد البدوى	طنطا
ـ الشهداء	مزغونة	شبل	الشهداء
ـ الطرطورى	حطية ، ميت عقبة	التكرورى	الصحراء بين القاهرة والسويس
		الطرطورى	حطية ، ميت عقبة
		الوفائى	الاسكندرية

ملحق رقم (٢٥)

مسرد بالكلمات العسيرة مع شرح لها (*)

عقـــال : ما يزين غطاء رأس البدوى

عالم-جمعها علماء : شخص مثقف

عالمة (مؤنث) : ينطبق بصفة عامة على امرأة محترفة ذات خبرة (على سبيل المثال [كودية] زار) ٠

عـــم : uncle أخ الوالد ٠ يســـتخدم كثيرا لآخرين غير الأقارب ، أو مجرد نداء

اعمى ـ جمعهـــا

عميـــان : غير مبصر

اب ـ ابو : والد ـ يستخدم كثيرا فى الأسماء والأشياء ، دون فكرة العلاقة الأبوية بالضرورة ٠

عبـــد : مشترى بالمال ـ يستخدم أحيانا للاشارة الى الناس ذوى البشرة الســـوداء ـ يســتخدم كثيرا من الأسماء المرتبطة باسم من أسماء الله

عـــذراء : بكر : العذراء المباركة مريم ٠

عيش : خبز : حيـــاة ٠

عهـــد : ميثاق ـ اتفاق ٠

الـــف : الرقم الحسابى ١٠٠٠

الف ليلة وليلة : الليالى العربية المشهورة فى الأدب العربى ٠

العقبـــة : اسم السفينة التى تحمل عروس النيل ٠

عريس : الزوج فى الأيام الأولى من الزفاف ٠

عروســة : الزوجة فى الأيام الأولى من الزفاف ٠ تمثال صغير من الســكر ٠

(*) رغم ان هذا المسرد يضم كلمات عامية الا ان تضمين اياه الكتاب صادر عن رغبة من جانبى فى الكشف عن قدرات مؤلفه البريطانى اللغوية ، وتمكنه من الفهم الدقيق لمعـانى الكلمات الدارجة فى حياتنا الاجتماعية ٠ وينبغى الاشارة الى ان الكتاب موجه للقارىء غير العربى فى المقام الاول ٠ وعلى ذلك فان المؤلف كان يسعى جاهدا الى توضيح معانى كلمات عربية معينة لهذا القارىء ، فى اطار دراسته النقدية للمجتمع المصرى فى الاربعينيات من القرن العشرين ٠ من هنا يجب أن يفهم تمسكى بنشر المسرد ، وانه فى النهاية نوع من الفيلولوجيا philology من منظور مستشرق حاول ان يفهم مصر ٠

اسـبوع : اليوم الثامن بعد عيد ما (سبوع) ٠
عشـاء : وقت الصلاة الخامسة والأخيرة ـ طعام العشاء ـ وقت طعام العشاء ٠
اشراف ـ مفردها
شريف : من نسل النبى عليه الصلاة والسلام ٠
عصر : وقت الصلاة الثالثة ـ ما بعد الظهر ٠
عاشـورة : اليوم العاشر : خاصـة العاشر من المحرم ـ الترنيمة الفارسية الحزينة الكبيرة التى تقام فى ذلك التاريخ ٠
عتبـة : الدرج الأول من المدخل أو السلم ـ مركز الترام (*) ٠
العتبة الخضراء : عتبة سوق الخضر ـ مركز الترام (ابتليت حاليا ببعض الأسماء الجديدة) ٠
عطفـة : زقاق أو شـارع صغير للغـاية ، عادة طريق غير نافذ Cul de sac
بـاب : باب ، بوابة مدينة (باب النصر على سبيل المثال ، بعض البوابات الأخرى الهامة gateway الباب الأخضر فى سيدنا الحسين ٠
بـدير : دف كبير ٠
بدير عروسى : دف كبير عميق الشكل ٠
بدير قدرى : دف كبير ضحل الشكل ٠
بـرك : نزول الجمل على ركبتيه ٠
بـركة : سؤال الله اسباغ النعمة على شخص ما ٠
بـريزة : القطعة ذات العشرة قروش ٠
بـاز : طبلة صغيرة للغاية ٠
بيرق ـ جمعهـا راية للمواكب ٠
بيـارق :
بركـة : تجمع مائى على شكل دائرى ٠
بوظـة : شراب مخمر من الشعير (مريسة) ٠
قراغـول : نقطة بوليس (كلمة تركية) ٠
دبوس ـ جمعهـا
دبابيس : خنجر الدرويش الذى يستخدم بطريقة غامضة،وخاصة بمعرفة الطريقة الرفاعية ٠

(*) كان ميدان العتبة هو مركز عربات الترام فى القاهرة وقت كتابة هذا العمل ٠

دايم ، يادايم : يا أبدى ، يا خالد .

الدلائل الصغرة : كتاب فى مدح النبى (عليه الصلاة والسلام) .

دربوكة : آلة موسيقية كبيرة من الخزف ، مفتوحة من أحدى نهايتيها ، ومغطاة من النهاية الأخرى الأكبر بالجلد .

ضرب الرمل : كشف الطالع عن طريق تتبع الأشكال وغيرها على الرمل .

ضريح : قبر شيخ ، له قبة .

درويش : شخص منتظم فى سلك (طريقة) اسلامية .

دلق ـ جمعها دلوق : معطف مرقع بألوان كثيرة ، يرتديه بعض الدراويش ، وكثير ممن يزعمون أنهم رجال مقدسون .

دير : مكان اقامة الرهبان .

جن : أرواح معترف بها من جانب الدين : عادة ما تكون شريرة أو عابثة لكنها قد تكون طيبة .

دورق ـ جمعها دوارق : ابريق : الوعاء الذى يستخدمه باعة مشروب التمر هندى ، العرقسوس ، والليمونادة .

الدوسة : ركوب شيخ وسيره فوق الأجساد المتبطحة لدراويش كثيرين ، فى موالد النبى (صلى الله عليه وسلم) ، الامام الشافعى ، والطشطوشى (ليلة المعراج) .

دواء : علاج يتداوى به المريض .

دواية : محبرة ، قلم ومحبرة ، كتابة لها قدرة طبية مفترضة .

دودرومى : دود علقى Leeches فى زجاجة كعلامة فوق باب (حلاق) .

دندورمة : آيس كريم .

عرق سوس : شراب غازى منكه Sarsaparilla يشرب مثلجا .

فجر : ما قبل الشروق ، وقت الصلاة الأولى .

فار ـ جمعها فيران : فأر ـ الحيوان القارض .

فرح : ابتهاج : خاصة فى احتفالات الزفاف .

فرقله : كرباج صغير من الحبال مع الدرويش .

فاس : المعزقة أو المجرفة المصرية .

فتــــح : طبق محبب من الأرز والخبز واللحم والمرق (*) ·
فاتحـــة : السورة الافتتاحية من القرآن الكريم ·
فطـــور : طعام الافطار : وجبة الغروب فى رمضان بعد صيام النهـــار ·
فـــدان : مقياس للمساحة يساوى أكر (٤٨٤٠ ياردة مربعة) تقريبـــا ·
فقـــى : مرتل محترف للقرآن ·
فـــل : زهرة ذات رائحة شديدة ·
فـــول : نبـــات الفـــول ·
فول مدمس : فول يطبخ ويؤكل بالزبد أو الزيت ·
فول نابت : الفول عندما يكون فى مرحلة التبرعم (يســـتخدم مستخلصه بالغلى كدواء لطيف) ·
جبـــل : صحراء برية ، تل صخرى ·
جـدع ـ جمعهـــا
جدعـان : صبى شهم أو شاب نبيل شجاع ·
جليجلى : الكلمات الافتتاحية والتى تكرر دائما بمعرفة الساحر والمشعوذ فى الشارع (جلا جلا) ·
جـــارية : امرأة سوداء (عبدة) ·
جـــذب : حالة وجد أو انجذاب دينى ·
غـــداء : وجبة منتصف اليوم ·
جهـــاد : حرب مقدســـة ·
جـــوقة : فرقـة مسرحية ·
جدية (كودية) : المرأة التى ترأس « الزار » ، والتى تطرد الجن ·
جمـــادى الأول ـ
جمادى الآخر : الشهر الخامس والشهر السادس من الشهور العربية ·
حـــديث : الأقوال المجموعة للنبى عليه الصلاة والسلام ·
حـــاج : الشخص الذى كان فى مكة أو القدس ·
حـــارة : زقاق أو شارع صغير ·

(*) يقصد الفتة أو الثريد ·

حـــرامى	:	لص : قاطع طريق أو أى نوع من الأنذال أو الأوغاد .
هـاتف	:	كل ما يظهر من غريب وغير متوقع .
حـاوى	:	لاعب بالثعابين ، ساحر أو مشعوذ .
حجـاب	:	تعويذة تحتوى على نصوص قرآنية عادة وأشـكال باطنيـة .
الهجـرة	:	انتقال النبى عليه الصـلاة والسـلام من مكة الى المدينـة .
السنة الهجرية	:	سنة الهجرة ، التقويم الاسلامى الذى يبدأ من وقت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام .
حى ـ ياحى	:	هتـاف لله .
حلبـة	:	نبات يحمل زهورا رقيقة ، ويستخلص الشبـاى من أوراقـه .
حمصـية	:	حلوى تحتوى على بذور الحمص .
حـوش	:	فنـاء .
ابـن	:	من أنجبه الشخص ، يستخدم كثيرا فى الأسماء كابن طـولون .
ابن كلب	:	تعبير للشتم يستخدم كثيرا .
اشـارة	:	عـلامة ـ استخدمت بواسـطة « لين » Lanl فى « الزفة » وهى الموكب الدينى .
كعبـة	:	« قدس الأقداس » للاسلام ، الهدف الرئيسى للحج الى مكة ، والتى يجب أن يدور حولها الحاج سبع مرات ليصبح حاجا . تغطى بالكسوة ، وهى سجادة مقدسة من مصر (والكعبة مسجد) .
كبـاب	:	لحم مشوى (يفضل على السيخ سفود) .
كلمـة	:	ما ينطق به ، تنطبق خاصـة على الاعتراف بالعقيدة (لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله) .
كمنجـة	:	الآلة الموسيقية (الكمان) .
كاس	:	الصنج ، صفيحة مدورة من نحاس أصفر يضرب بها على أخرى .
كشـاف	:	ضوء باحث (بطارية) .
كشـافة	:	الفتية المنتظمون فى سلك الكشافة .

خليفـــة : « أمير أو قائد المؤمنين » ـ الراكب فى الزفة ممثلا للشيخ الذى يحتفل به .

خيال الظل : عـــرض الخيـــال .

خليج : ترعة أو قناة ، وخاصة تلك التى تتخلل القاهرة ، من النيل عند « فم الخليج » .

ختمـــة : تلاوة القرآن بأكمله .

ختـــامة : الشعائر الختامية للمولد .

خـــوص : أوراق النخيل ، كثير ما توضع على القبور ، تستخدم فى صنع السلال .

كفتـــة : لحم مفروم مخلوط بلب الخبز يطهى مع دسم ساخن ، يؤكل مع الكباب .

لاســـة : لفـــاحة كبيرة .

ليـــلة : عشية (المساء أو اليوم السابق ليوم معين) .

ليلة العيد : عشـــية العيد .

ليلة الاسراء : عشية صعود النبى (عليه الصلا والسلام) .

ليلة المعراج : عشـــية ٢٧ رجب .

ليلة القدر : عشـــية ٢٧ رمضـــان .

ليلة الغطاس : عشية الحادى عشر من شهر طوبة Epiphany

لبـــاس : سروال .

معـــراج : عروج النبى (عليه الصلاة والسلام) الى الجنة والقدس على الجواد « البراق » وهى المناسبة التى يحتفل بها عشية ٢٧ رجب .

مجنـــون : فاقد العقل : واقع تحت سيطرة الجن .

مجـــذوب : أبله أو معتوه : مسلوب ـ واقع تحت تأثير حالة وجد أو انجذاب دينى .

محضر : التقرير الرسمى الذى تكتبه السلطات الرسمية بشأن حادث ما Proces verbal

مكرى (*) : اختيار من القرآن .

(*) لم افهم قصد المؤلف من الكلمة خاصة وقد كتبها مكرى بالكاف ـ وارجح ان تكون مقرى ـ اى مقروء ، ففى هذه الحالة قد تكون اقرب الى ما قصده المؤلف .

ملقـــاف	: فتحة فى السقف للهواء •
ممـــلوك	: عبد أبيض : نبلاء اقطاعيون ، وسلسلة من الملوك •
مندل (ضرب الـ)	عرافة أو رجم بالغيب : عادة بالنظر فى آثار الحبر فى راحة يد صبى •
منـــولى	: اسم يونانى صحيح ــ يطلق عامة على القرد ، وخاصة النوع المؤدى لحركات •
منشـــية	: ميدان او مكان فسيح (مثل ذلك الذى تحت القلعة) •
مقـــام	:ضريح شيخ ، يقام عنده مولد •
مقبره	: مدفــــن •
مرحرح	: خبز مرقق يستعمل خاصة فى مولد مزغونة •
مرجـــوحة	: أرجـــوحة •
مســـجد	: مكان الصلاة ــ من سجد •
ما شاء الله	: تعبير عن التعجب والاعجاب : حرفيا يا لما أراده الله •
مصرى	: مواطن من مصر •
مولـوى	: دويش صـــوفى •
مـــدد	:هتاف مقحم فى الغناء (معادل لكلمة dynamis فى المزامير) ــ راجع الحاشية ٢٠ فى الفصل الثالث •
مغـــرب	: غروب الشمس : وقت الصلاة الرابعة •
مريســـة	: شراب سودانى من الشعير المخمر ، يعرف فى مصر باسم « بوظة » •
منبر	: منبر المســـجد •
مشـــعل	: مجمرة نحاسية تستعمل فى الزفـة لأحداث الهيبة ، للاضاءة ولشد جلود الطبول •
محـــدث	: قصـــاص ، وخاصـــة ذلك الذى يعدد مآثر « الظاهر بيبرس » •
مولـــد	: عيد دينى شعبى لتكريم ولى •
مفتى	: كبير العلماء الدينيين ــ المتمتع باختصاص قضائى كبير فى الأمور الدينية والمدنية ــ فعلى سبيل المثال لا يمكن تنفيذ أى عقوبة بالاعدام دون فتواه •
محـــرم	: الشهر العربى الأول •

منشــد : مغنى محترف .

مراســلة : الجندى الذى يقوم على خدمة ضابط .

مريــد : مرشح للانضمام فى واحدة من « الطرق » الصوفية .

مرشــد : قائد أو زعيم دينى مرشد .

مطهــر : من جرى ختانه .

نــذر : عهد مأخوذ على النفس .

نجيــل : حشيش grass خشن .

نــاى : آلة نفخ (فلوت) تستعمل كثيرا بواسطة الدراويش .

نــائب : وكيــل .

نقــارة ـ جمعهـا نقــاقير : آلة موسيقية صغيرة من الفخار مغلقة من نهايتها الكبيرة بجلد مشدود .

نقيب ـ جمعهـا نقبــاء : رتبة دينية كقطب وولى ، لكنها بصفة عامة أدنى من هؤلاء : منحدرون وممثلون للخلفاء الأوائل .

نقيب الأشراف : النقيب الأعلى : يمثل أبو بكر ، الشيخ البكرى فى القــاهرة .

نقــرزان : آلة موسيقية جميلة ذات شــكل نصف دائرى ، من أسرة الطبول .

نتيجــة : تقــويم .

نبى (النبى) ـ جمعها أنبياء : النبى محمد (عليه الصــلاة والســلام) . كثير من الشخصيات الانجيلية والقرآنية تحمل نفس اللقب ـ على سبيل المثال (النبى دانيال ، داود) (دافيد) ، الياس ، سليمان (سولومون) ، يحيا (يوحنا المعمدان) . كذلك فان هناك شخصيات غير توراتية كثيرة تحمل لقب (نبى) .

نكلة : قطعة نقدية تساوى مليمين (تقابل نصف بنى hapenny

نيشــان : علامة تقدير ، مدالية ، علامة عسكرية ، الخ .

عــود : آلة طرب وترية : تعود الى عام ١٦٠٠ ميلادية .

بير (فارســية) : أب روحى .

قبر ، جمعها قبور : مدفــن .

قــدر : الموضوع الباطنى للسورة رقم ٩٧ من القرآن الكريم .

ليلة القدر : عشية السابع والعشرين من رمضان ، عندما نزلت الروح القدس ، وهى الليلة التى يقال أنها مباركة أكثر من ألف شهر ·

قائمقام (تركية): رتبة عسكرية يحمل صاحبها على كتفه علامة التاج ونجمتان ، ولقب بك ·

قلعة : ما يماثل الحصن ·

قانون : آلة موسيقية ذات ٧٢ وتر ، قواعدها تماثل كثيرا آلة الهارب harp ، يلعب عليها بريشتين ·

قرافة : المكان الذى يضم المقابر ·

قرهجوز : شكل مختلف لبانش وجودى ·

قصيدة : قصة شعرية ·

قبلة : محراب الصلاة فى المسجد ·

قربة : ما يحمله السقاء من كيس من جلد الماعز أو الشاة مملوء بالماء · وهناك قرب أصغر لخض Churning القشدة عن الزبد ــ كذلك فان هناك قرب الموسيقى Bagpipes

قرفة : ذلك المشروب Cinnamon الذى يشرب فى المقاهى والبيوت الخاصة كثيرا بدلا عن القهوة أو الشاى ·

قرآن ــ القرآن : الكتاب المقدس فى الاسلام والمكون فى ١١٤ سورة ·

قبة : قبة المسجد أو الضريح ·

قرداتى : عارض لقرد يؤدى حركات ·

قطب : محور : قطب كالشمالى والجنوبى : النجم القطبى : الولى صاحب القداسة ، يرى أحيانا بواسطة الذين فى مرحلة الموت فقط ، لايزال ينظر أحيانا خلف بوابة المتولى (باب زويلة) ·

رباب ــ ربابه : الكمان ذات الوتر الواحد التى تصاحب « المحدث » أو الراوى أثناء رواية قصته ·

ربيع الأول وربيع الثانى : الشهر الثالث والشهر الرابع من السنة العربية ·

رجب : الشهر السابع من السنة العربية ·

رغول ــ ارغول : مزمار ذو صوت عميق وخفيض · طويل جدا ·

رمضـــان	:	الشهر التاسع من السنة العربية ، شهر الصيام .
رمـوس	:	طـوف من القـدور الفخارية المربوطة مع بعضـها بالصفصـاف .
رقص	:	الرقـص Dancing
رصخانة ـ مرصد	:	الاسم التركى لدار الرصد .
رنجـة		موسيقى سـودانية فى حفل يضـم الرقص وشرب البوظة : الآلة الموسيقية الرئيسية ، نوع من البيانو .
رق	:	دف صـغير .
رخصـة	:	تصريـح .
رز ـ ارز	:	طعـام الأرز .
سـادة	:	طريقـة دراويش .
صـفر	:	الشهر الثانى من السنة العربية .
سـحار	:	سـاحر .
سـماع	:	رقصة الدوران عند الصوفية (أسسها جلال الدين الرومى فى قونية) .
سـند	:	شهادة تفيد انخراط شخص ما فى طريقة دراويش .
سـقاء	:	بائع الماء ، حامل القربة .
سـبيل	:	مشرب عـام .
سبيل لله	:	شرب مجانى (للجمهور) .
سنة هجرية	:	سنة الهجرة .
شـعبان	:	الشهر الثامن من السنة العربية .
شـبابة	:	مزمـار .
شجر الدر	:	ملكة مصر : معاصرة لبيبرس .
شـهادة	:	الشهادة بشىء ـ دليل أو بينة ـ توصية .
شهيد ـ شهداء	:	ميت فى سبيل العقيدة .
شخشيخة	:	الآلة التى تحدث قعقعـة وخشخشـة وصـليلا ـ كالسيستروم Sistrum ، وعلى وجـه التحديد الشخشيخة الاسطوانية المعدنية التى تسـتخدم فى رقصة « الرنجا » ـ هناك شرح لها بافاضة فى الفصل الرابـع .

شم النسيم : عيد لكل المصريين يقام فى اثنين monday عيد الفصح القبطى Easter (يعنى استنشاق الهواء) • وهو تاريخ مولد « أبو هريرة » فى الجيزة •

شربات : مصطلح عام « للمشروبات » لكنه خاصة عبارة عن مزيج فاكهى Fruity يحصل عليه فى زجاجات أو من الدورق •

شراباتى : بائع الشربات : الشخصية الفاتنة للمنادى على مشروبات حلوة ومتنوعة فى الشارع •

شارع : طريق •

شريف ـ أشراف : من نسل النبى (عليه الصلاة والسلام) •

شطران : شطرنج •

شوال : الشهر العاشر من شهور السنة العربية •

سبس : ناى صغير •

سجادة : قطعة البساط التى يصلى فوقها •

صاحب سجادة : أحد الزعماء ذوى السلالة فى الاسلام • فعلى سبيل المثال فى القاهرة هناك الشيخ البكرى •

سجات : صاجات النحاس التى تستخدم فى الايقاعات الموسيقية •

سكة : طريق ، أصغر من الشارع •

سلسلة : نسب ، شجرة النسب : خط نسب الدرويش من المؤسس الروحى للطريقة ـ (حرفيا سلسلة Chain) .

سمسمية : حلوى مملوءة بحبوب السمسم •

سر : الروح الساهرة للشيخ (منذ وفاته) •

Sketé = KHTE كلمة يونانية تعنى سياجا للدير •

سبارس : نهايات السيجار والسجائر التى تلتقط من الشارع •

صوفى : طائفة دراويش فارسية ، ترتبط على وجه الخصوص بجلال الدين الرومى ، تعتقد فى المتعة والتحلل من وجهة النظر القرآنية •

ثلث : كتابة عربية ضخمة مزخرفة •

سوق : مكان التسوق : يطلق فى أحوال كثيرة على شارع أو منطقة ، حيث يكون أو كان التسوق معتادا •

سوق العصر : منطقة فى بولاق (حرفيا سوق بعد الظهر) ٠
سوق البكرى : شارع العشماوى الآن ٠
سوق الحرامية : سوق البضائع المسروقة ٠
سوق السلاح : شارع يتصل بشارع محمد على عند مسجد السلطان الرفاعي (حرفيا السوق الذى تباع فيه الأسلحة) ٠
سوق الثلاث : السوق الذى يقام يوم الثلاثاء (فى الجيزة وأماكن اخرى) كما يحدث الأيام الأخرى من الأسبوع طبقا للمكان ٠
طعمية : كرات أو أقراص من الخضروات المطحونة ، تؤكل ساخنة ٠
طبل ـ طبلة : ما ينقر عليه ـ نقارة ٠
تابوت : تركيبة من الخشب فى العادة فوق جسد الشيخ ٠
طهور : ختان ٠
تختروان : هودج على ظهر جمل أو اثنين ٠
طالب : تلميذ (مثلا ـ للتلقين أو المعرفة والاطلاع) ٠
تمر هندى : فاكهة يصنع منها شراب حلو ٠
تنوين : تقيد نحو يخص الحرف « ن » ٠
طار ـ تيران : دف ٠
طرب : مقانق لحم ٠
طريقة ـ طرق ـ طرائق : طريق : طائفة أو نحلة : طريقة الدراويش ٠
تركيبة : تابوت معدنى ٠
طرطور : غطاء مخروطى الشكل يرتديه الأطفال والدراويش من أولاد نوح ٠
تشريفة : استقبال ٠
تكية : خلوة ـ صومعة ـ حجيرة فى دير ٠
طيارة : طائرة ـ طيارة أطفال (Kite)
تيل : كتان ٠
طلسم : تعويذة تحمل خطوطا وأرقاما سحرية يزعم أنها تدفع الشر أو تجلب الحظ السعيد ٠

تمســـاح : أحد أعضاء عائلة التمساحيات Crocodilia

بركة التمســاح : بركة عند الاسماعيلية ٠

تـــوب : موضوع التبجيل الرئيسى فى زفة سيدى عبد الرحيم القناوى ، تقترب الى حد ما من المحمل ٠

تـــوم : نبـــات الثـــوم Garlic

طنبـــور : جهاز لرفع المياه لرى الأرض ٠

تربة ـ ترب : قبـــر ٠

ترمس : نبات الترمس Lupines

علمـــاء : المشايخ الكبار فى الأزهر (الشريف) ٠

وضـــوء : الاغتسال الذى يسبق الصلاة ٠

وكيـــل : نائب : ممثل لآخر ٠

ولد ـ أولاد : صـــبى Boy

ولى ـ جمعها أولياء : قديس عظيم للغاية ـ يعتقد أنه لا يموت بكل ما تعنيه الكلمة ، لكنه يكشف عن نفسه بل ويمكن أن يراه الرجال أحيانا ٠

وقف : قاعدة نحوية ـ توقف الصوت النهائى للكلمة ، عندما تكون فى نهاية كلمة ٠

وقف : هدية للتقوى أو ارث بوصية دائمة ٠

وزارة الأوقاف : الوزارة المسئولة عن أوقاف الحكومة ، تتماثل بصورة ما مع Court of Chancery أرشـــيف المحفـــوظات الانجليزى ٠

وقفـــة : عشـــية eve

وقفة العيد : عشـــية العيـــد ٠

ورد : نوع من الزهـــور ٠

ورد : سلسلة صلوات فى استهلال احدى طرق الدراويش ٠

وصـــل : قاعدة نحوية تتعلق « بالاتصال » ما بين الحرف النهائى للكلمة بالحرف الأول من الكلمة التالية ٠

وزيـــر : عضـــو الوزارة ٠

يـــا : صـــيحة نـــداء ٠

يـــوم : نهـــار ٠

يوم العيـــد : يوم الاحتفال بعيد ما .
يوم العاشـــورة : العاشر من محرم ـ العيد الفارسى للحسين .
يوم القيـــامة : يوم النشـــور .
زاوية ـ جمعهـــا صومعة ـ دير صغير (حرفيا زاوية) مساوية كثيرا
زوايـــا : (لمقام) و (ضريح) .
زغروته ـ زغاريت : تردد سريع وعجيب للسان تصدره النساء فى الأفراح، عند مرور الزفة أو المحمل ، ومناسبات كبيرة أخرى .
زار : الاحتفال بطرد جن (سودانى) من النساء الملبوسات أو الممسوسات .
زفـــة : موكب دراويش ، المظهر العظيم لمولد كامل ، يعرضه « الخليفة » ، ممثل الشيخ الذى يقام مولده .
ذكـــير : المشـــارك فى الذكر .
ذكـــر : ممارسة دينية ، قوامها الترديد المتكرر للكلمة (الله) (أو أحد أسماء الله) .
ذكر الحضرة : ذكر جمـــاعى .
ذو الحجـــة : الشـــهر الثانى عشر والأخير من الشـــهور العربية (شهر الحج) .
ذو القعـــدة : الشهر الحادى عشر العربى .
زهرة ـ الزهرة : كوكب الزهـــرة .
زمـــارة : آلة نفخ ، الاسم العام لهـــذا النـــوع من آلات النفخ الموسيقية .

ملحق رقم (٣٦)

UNE CURIEUSE SURVIVANCE RELIGIEUSE

(De Notre Réduction D'Alexandrie)

Les Nubiens one-ils pratique successivement les religions juive et chrétienne avant leur conversion à l'islamisme ?

Cette hypothèse n'est pas inadmissible quand on compare la procession religieuse en honneur chez les Nubiens, à l'occasion du premier jour du Grand Bairam evec celles des juifis du temps de David, ainsi que les litanies byzantines, conservées chez les grecs-orthodoxes.

Notre concitoyen le Dr. C. Pappalexis a fait, à ce sujet, dans la revue hellène « Pan égyptia » du 20 janvier dernier, la description d'une procession des Nubiens d'Alexandrie, qui n'a rien des fêtes nombreuses des musulmans du pays.

« La procession » a abservé le Dr. Pappalexis, « Part de le Mosquée Nébi Daniel pour aboutir à celle de Marghani, qui est spécialement affectée aux besoins religieux des Nubliens.

La Mosquée de Nébi Daniel est maintenant universellement connu, car c'est dans ses hypogées qu'on place généralement le tombeau d'Alexandrie le Grand.

La procession nubienne n'a pas le simplicité des autres fètes musulmanes : elle ressemble plutot à une pompe byzantine et s'il n'y avait les très nombreux tarbouches et les gallabiehs qui la suivent on croirait une solennité grecque.

Tout d'abord les servants qui composent la principale partie du cortège sont habillés comme les diacres grecs. Il ne manque ni les dalmatiques polychrones, ni l'étole ou plutôt le « sticharion », la bande longue et large qui s'enroule autour de la taille, puis remonte sur les épaules, descend sur la poitrine

et retombe jusqu'aux genoux. Ensuite nous voyons les divers encensements avec des encensoires de toutes sortes, ici simples, là luxueusement travaillés, ou brûle un encens de la même composition qui celui en usage dans les églises grecques, à en juger par le parfum qu'il répand et la couleur de la substance. Mais ce qui attire l'attention ce sont les nombreuses bannières en soie disposées en longues séries entre les rangs des drapeaux, portées très haut et couvertes d'inscriptions brodées en or sur fond rouge, bleu vert ou d'autre couleur. S'il y avaient aussi des cierges et si les assistants portaient un autre couvrechef, par example le bonnet des Perses, on se croirait à une litanie chrétienne. Mais la fète a lieu pendant le jour et les cierges sereient déplacés.

La fête d'Alexandrie rappelle aussi celle des anciennes Juifs, au moins celle que fit David pendent le transfert de l'Arche dans sa nouvelle capitale, Jérusalem. A la tête du cortège marche un chour accompagné de typanons. Tous sont des jemes gens, des éphèbes. Ils ouvert la marche comme faisaient dans l'antiquité les prétres lorsqu'ils accompagnaient l'idole de leur dieu, ou les lévites lorsqu'ils accompagnaient le transfert de l'Arche.

Les danseurs ne sont pas nombreux, trois ou quatre au plus, et ils dansent au rythme des tympanons battus par les éphèbes. Puis vient un groupe de fidèles ayant à sa tete des jeunes gens, richement vêtus qui portent les drapeaux et les bannières et d'autres qui chantent hymnes. Derrière le groupe on conserve un vide assez large, pour permettre aux porteurs des encensoires de circuler librement afin d'encenser tout le monde. Cet arrangement se répète à l'infini. Des nouveaux chanteurs, des danseurs des banières, puis un nouveau vide et ainsi de suite. L'orde est maintenu pra des hommes spécialement affectés a la surveillance de tout ce monde et qui sont choisis parmi les vieux. Ils précèdent chaque série et veillent surtout à conserver les vides successifs. La musique des chanteurs est, analogue à celle des Byzantine, c'est à dire orientale. »

ملحق رقم (٢٧)

UN BEAU GESTE DE S.M. LE ROI

Comme nous le disons par ailleurs, S.M. le Roi a fait ce matin Ses dévotions à le mosquée d'El-Imam el-Leissy.

En arrivant à la mosquée le Souverain apprit que l'on célébrait par un mouled (fête) l'anniversaire de l'Imam el-Leissy.

Immédiatement, le Souverain ordonna que tous les frais de la fête soient prélevés sur Sa cessette personnelle.

Les hebitants du quartier sont vivement touchés par ce geste de générosité royale.

ملحق رقم (٢٨)

UN MALFAITEUR EST LYNCHE PAR LA FOULE.

6/5/34 22/1/53

A l'occasion du mouled du chiekh El-Mazloum, à Charabia la police avait chargé deux agents de veiller en maintien de l'ordre à l'endroit où se déroulait le mouled. Les agents remarquèrent qu'un certain Mohamed Kassem, grand malfaiteur sorti de prison il y a deux mais à peine, faisait le tour des ételages et rançonnait les marchands, en les menaçant avec une grande lime. Ils durent intervenir pour empecher le malfaiteur de continuer ses méfaits. Ils lui enlevèrent la lime. Furieux, Mohamed Kassem sortit de dessous ses vêtements, une barre de fer et blessa un des agents, nommé Mohamed El-Sayed. La foule accourut. Comme elle en avait assez de Mohamed Kassem, elle se rua furieusément sur lui et le roua de coups. On l'assomma à coups de gourdins, de bouteilles et de chaises.

Le cadavre du malfaiteur fut transporté au poste de police de Mahmacha et le Parquet fut saisi de l'affaire. Plusieurs individus furent interrogés. Ils confirmèrent tous les dépositions des agents.

L'agent blessé à été transporté à l'hôpital. Son état est serieux. Le cadavre du melfaiteur a été soumis à l'autopsie

ملحق رقم (٢٩)

LES DRAGEES DU MOULED EL NABI

Il est de tradition de distribuer aux fonctionnaires de l'Etat des dragées à l'occasion du Mouled El Nabi (anniversaire de la naissance du Prophéte).

Les ministères et les administration ont déjà préparé les listes dés fonctionnaires, des employés et des ouvriers temporaires qui bénéficieront de cette distribution.

Les crédits nécessaires à l'achat des dragées sont prélevés sur le budget affecté annuellement aux cérémonies du Mouled.

D'ordinaire, les hauts fonctionnaires reçovient une part bien plus importante que celle des petits fonctionnaires et des « farraches ».

Il n'en sera pas de même cette année au ministère de l'Instruction Publique. En effet, S.E. le Dr. Hussein Heikal pacha a voulu profiter de l'occasion pour apporter un peu de joie au sein des familles des petits fonctionneires. Il e décédé de leur offrir des douceurs en abondance, en réduisant la part des hauts fonctionnaires.

ملحق رقم (٣٠)

A LA COUR

Cabinet du Grand Chambellan
Le mercredi, 11 mai, 1938.

A 4 h. 38 p.m. Sa Majésté le Roi accompagné de Son Excellence Mohamed Mahmoud Pacha, Président du Conseil des Ministres quitta en voiture le palais d'Abdine pour assister, à Abbassieh, à la fête de Mouled el Nabi. A son arrivée à la tente royale Sa Mejesté fut reçue par LL. EE. le Président du Sénat et les ministres, par le Recteur d'el Azhar, le Président du grand mehkémeh, le grand Mufti, le Nakib el Achraf, le chef des confréries religieuses, les sous-secrétaires d'Etat, le vice-président du Sénat, le Chargé d'Affaires de la Ligation

d'Irak en Egypte, le gouverneur du Caire et les hauts fonctionnaires de la Cour Royale. La force de l'armée prennt part à la fetê rendit les hommeurs militaires et sa musique entonna l'hymne royal pendant qu'une salve saluait l'arrivée de Sa Majeste, lorsque Sa Majesté cut pris sa place. S. E. le grand chambellan s'avança pour prier Sa Majesté de daigner assister eu défilé militaire, ensuite les chefs des confréries religieuses se présentèrent pour exprimer leurs voeux et témoigner leur dévouement à l'Auguste Souverain.

Sa Majesté daigna ensuite se rendre à la tente d'El Sayed Abd Hamid el Bakri pour assister à la récitation d'El Kissa. Une salve fut tirée en l'honneur de cette solennité, Sa Majesté rentra ensuite avec le même cérémonial eu palais d'Abdine.

Sa Majesté le Roi a délégué S. E. le gouverneur d'Alexandrie à la fête organisée par la municipalité d'Alexandrie à l'occasion du Mouled el Nabi.

ملحق رقم (٣١)

SUR LE TERRAIN DU MOULED EL NABI

UN INGENIEUR DISTRIBUAIT DES TRACTS ANTI-JUIFS

Il est arrêté par la Police

La police e arrêté, hier, sur le terrain du Mouled El ùabi, à Abbassie, un ingénieur de l'Arsenal en train de distribuer des tracts séditieux contre les Juifs.

Les brochures ont été saisies. Quant à l'ingénieur il a été incarcéré pour les besoins de l'enquête.

La brochure se résume en ceci : Les Juifs de Palestine qui sont continuellement en conflict avec les Arabes sont aidés moralement et financièrement par leurs corréligionnaires d'Egypte. Il importe donc aux Musulmans et aux Arabes de boycotter les Juifs d'Egypte qui sont en rapports étroits avec les Juifs de Palestine.

Il est à espérer que les autorité prendront toutes les mesures utiles pour mettre fin à cet état de choses qui ne cadre nullement avec l'esprit de tolérance et d'emical ecollaboration entre toutes les races et les religions vivant sur le sol hospitalier de la vallée du Nil.

ملحق رقم (٣٢)

A LA CERÉMONIE DU MOULED NABI

UN JEUNE HOMME VOULAIT PRESENTER UNE PETITIIN

A S. M. le Roi

Pendant que le cortège de Sa Majesté le Roi se rendait hier au Mouled El Nabi et, près des lieux où se déroulait la crérminie religieuse, un jeune homme traversa en hâte les cordons de police se dirigeant vers la calèche où avaient pris place le Souverain et son Premier ministre.

Il tenuit en main un rouleau de papier. plus précisement une pétition qu'il voulait remettre à Sa Majesté. Les soldats de la garde royale arrètèrent le jeune homme. Celui-ci réussit rour à jeter le pétition qui vint échouer au pied de Sa Majesté le Roi.

Dans cette pétition, le jeune homme fait part au Souverain de son état d'indigence et demande à être nommé « maazoun ».

Une enquête est ouverte.

ملحق رقم (٣٣)

OU SE TIENDRA LE PROCHAIN MOULED EL-NABI

Nous avions annóncé que les autorités avaient décidé que le préchain Mouled El Nabi devait se tenir à l'Abbassieh près des réservoirs et filtres de la Cie des Eeux du Caire.

Nous apprenons que les frais nécessaires à l'aplanissement du sol et à la fourniture de l'eau potable sont évalués à L.E. 8500. De son côté la Compagnie Lebon s'est engagée de poser à ses frais l'installation électrique nécessaire.

Cet emplacement servirait égelement aux autres cérémonies telles que le départ et l'arriveé du Tapis Sacré, etc.

ملحق رقم (٣٤)

De nombreuses donations parviennent au moudir de la Gharbieh pour les distribuer aux pauvres à l'occasion du mouled de Sidi Ahmed El Badaoui qui se tient a Tantah.

S.M. le Roi e daigné faire un dont de L. E. 50. Cette somme sera répartie parmi les indigents durant la cérémonie de clôture.

ملحق رقم (٣٥)



لآلى ليالى الأنس برحاب زين العابدين قد انتظمت
وثغور البشر بمولده الشريف قد ابتسمت . وسحائب البركات
قد أمطرت بأبوابه . ورياض النفاحات قد أزهرت بأعتابه
وفى يوم السبت ليلة الأحد الموافق ١٧ جماد الثانى سنة ١٣٥٧
يلوح بدر تمامه . ويفوح مسك ختامه فأرجو التشريف
بمنزلنا بشارع السلطانة نمرة ٩ الساعة ٢ أفرنكى بعد الظهر
أدام الله لكم هذه العادة وبلغكم بيركته الحسنى وزيادة آمين

خادم المقام
الشريف

مطبعة خطاب بشارع خيرت رقم ٤٢ بالمالية بمصر

قائمة المصادر والمراجع

المؤلفات باللغة العربية :

— ابراهيم عبده (تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ — ١٩٨١) الطبعة الرابعة — مؤسسة سجل العرب — القاهرة ١٩٨٣ ٠

— أحمد الدمرداش كتخدا عزبان (الدرة المصانة فى أخبار الكنانة) — تحقيق دانيال كريسيليوس وعبد الوهاب بكر — الزهراء للنشر — القاهرة — ١٩٩٣ ٠

— أحمد شلبى عبد الغنى (أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات) — تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن — مكتبة الخانجى — القاهرة — ١٩٧٨ ٠

— أحمد السعيد سليمان (تأهيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل) دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٩ ٠

(عبد الله المغاورى — قايغوسز ابدال ورسالته دفتر العشاق) — فى الدراسات التركية والاسلامية — د ٠ ت ٠ ج ٠ ن ٠

— أحمد فتحى زغلول (شرح القانون المدنى) — المطبعة الأميرية — القاهرة — ١٩١٣ ٠

— ادوارد ويليام لين (المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر) — ترجمة عدلى طاهر نور — القاهرة — ١٩٥٠ ٠

— ارتيميس كوبر (القــاهرة فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ — ١٩٤٥) ترجمــة محمد الخولى — دار الموقف العربى — القــاهرة ١٩٩٦ ٠

— السيد حنفى عوض (بنو هلال بين السيرة والواقع الاجتماعى) — مكتبة نهضة الشرق — جامعة القاهرة — القاهرة — ١٩٨٥ ٠

— اندريه ريمون (القاهرة ، تاريخ حاضرة) ترجمة لطيف فرج — دار الفكر — القاهرة — ١٩٩٤ ٠

(فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية) — ترجمــة زهير الشايب — كتاب روز اليوسف — العدد ١٧ — يرلية ١٩٧٤ ٠

— جورجي زيدان (كتاب تاريخ مصر الحديث) جزءان ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة الهلال بالفجالة ـ القاهرة ـ ١٩١١ .

— جومار (وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل) نقله عن الفرنسية وقدم له وعلق عليه « أيمن فؤاد سيد » ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٨٨ .

— حسن عبد الوهاب (تاريخ المساجد الأثرية) ـ الجزء الأول ـ بدون تاريخ ـ القاهرة ـ مكتبة الدار العربية للكتاب .

— درويش النخيلي (السفن الاسلامية على حروف المعجم) ـ جامعة الاسكندرية ـ ١٩٧٤ .

— رياض سوريال (المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر) ـ مكتبة المحبة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

— عبد الرحمن الرافعي بك (تاريخ الحركة القومية المصرية ، عصر محمد علي) دار النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٣٢ .

— عبد العزيز صالح (الشرق الأدنى القديم) الجزء الأول « مصر والعراق » ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ .

— عبد الكريم رافق (بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت ، ١٥١٦ ـ ١٧٩٨) الطبعة الأولى ـ دمشق ١٩٦٨ .

— عبد الله عبد الرازق ابراهيم (أضواء على الطرق الصوفية في القارة الافريقية) ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ١٩٩٠ .

— عبد الوهاب بكر (البوليس المصري ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢) ـ دار الزهراء للنشر ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٣ .

(الوجود البريطاني في الجيش المصري ١٩٣٦ ١٩٤٧ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٣ .

— قاسم عبده قاسم (الرؤية الشعبية للحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة) ـ المأثورات الشعبية ـ مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ـ ٦ ـ قطر ـ ١٩٨٧ .

(الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ـ دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥ ـ ١٠٩٩) ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٣ .

— مارسيل كولومب (تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٢) ـ ترجمة زهير الشايب ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة سعيد رأفت ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ٠

— ماهر حسن فهمى (محمد توفيق البكرى) ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ ٠

— م٠ب ـ تشارلز ورث M. P. Chasles Worth (الامبراطورية الرومانية) ترجمـــة رمزى عبده جرجس ـ الألف كتاب ـ ٣٦٠ ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٦١ ٠

— محمد رمزى (القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ ـ القسم الثانى ـ البلاد الحالية ـ الجزء الرابع ـ القاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٩٦٣ ٠

— ميخائيل شاروبيم (الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث) ـ الجزء الخامس ـ تحقيق عبد الوهاب بكر ـ هيئة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٩٧ ٠

— هربرت فيشر (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ، ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠) ـ ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ـ الطبعة السادسة ـ المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ٠

— وجيه عبد الصادق عتيق (الجيش المصرى والألمان فى أثناء الحرب العالمية الثانية ـ دراسة تاريخية فى ضوء انحياز الضباط المصريين الى قوات المحور) ـ القاهرة ـ د٠ت٠ج٠ن ـ ١٩٩٣ ٠

— يونان لبيب رزق (تاريخ الوزارات المصرية) ـ الأهرام ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ ٠

بلغـــات اجنبيـــة :

— Daniel Crécelius & Abd al-wahhab Bakr (Al-Damurdashi's Chronicle of Egypt 1688-1755. Al-Durra al-Musana Fi Akhbar al-kinana) — Translated & annotated by Daniel Crecelius & (Abd al-Wahhab Bakr. E. J. Brill-Leiden — 1991.

— Edwerd William Lane (An account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians — Dover Publications — London, 1860..

— F. de Jong (Turuq and Turq Linked Institutions in Nineteenth Century Egypt). E. J. Brill - Leiden, 1978.

— Jere L. Bacharach (A Near East Studies Handbook) University of Washington Press - USA - 1974.

— Littman Enno (Arabische Geisterbeschworungen aus Agypten) Leibzig, 1950.

— Nelly Hanna (An Urban History of Bulaq in the Mamluk and Ottomen Periods) Institut Francais D'Archeologie - Orientale — Chaier — No 3 — Le Caire — 1983.

— Stanford J. Shaw (History of the Ottoman Empire and Modern Turkey) Vol. II, Cambridge University Press, 1977.

— Thomas Russell (Sir) Pasha (Egyptian Service — 1902 — 1946). John Murray, London — 1949.

المذكرات : مذكرات سعد زغلول ـ الجزء الثانى ـ تحقيق عبد العظيم محمد رمضان ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ـ القاهرة ١٩٨٨ ·

الرسائل الجامعية : عبد الوهاب بكر (البوليس المصرى ١٨٨٢ ـ ١٩٢٢) ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة عين شمس ـ ١٩٧٧ ـ محمد حسام الدين اسماعيل (وجه مدينة القاهرة من ولاية محمد على حتى نهاية حكم اسماعيل ١٨٠٥ ـ ١٨٧٩) ـ رسالة دكتوراه ـ غير منشورة ـ جامعة أسيوط ـ ١٩٩٤ ·

الدوريات : المصور ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤ ·

دوائر المعارف والمعاجم والقواميس والمنشورات ـ باللغة العربية :

— تاريخ وآثار مصر الاسلامية ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ د·ت ·

— تعداد سكان القطر المصرى ـ أول يونية ١٨٩٧ ـ الجزء الأول ـ الوجه البحرى ـ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ـ سنة ١٨٩٨ ·

— تقويم سنة ١٩٣٥ ـ وزارة المالية ـ المطبعة الأميرية ببولاق ـ ١٩٣٥ ·

— كتاب التعليمات والقوانين والأوامر ـ مصلحة الأموال المقررة ـ الأميرية ببولاق ـ ١٩٣٤ ·

— متحف بيت الكريدلية ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ ·

— مختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى
— مكتبة لبنان — دائرة المعارف — بيروت — ١٩٨٧ ·

— المورد — منير البعلبكى — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٨٢ ·

— باللغة الإيطالية :

— L'unico Dizionario — Italiano — Arabo — da Riad Gayed Elias Modern Publishing House & Company — Cairo — 1980.

— باللغة التركية :

— توركجه — انكليزجه لغت كتابى — جيمس ردحاوص — استانبول ١٩١٨ ·

— باللغة الفرنسية :

— Larousse Elementaire Illustrè-Librairie Larousse — Paris 36 em ed.

— Larousse Universel, 2 Vols - Librairie Larousse.

— باللغة الانجليزية :

— Concise Columbia Encyclopedia - Columbie University Press - 1983.

— Latin Dictionary - S.C. Woodhouse - Routledge - London - 1987.

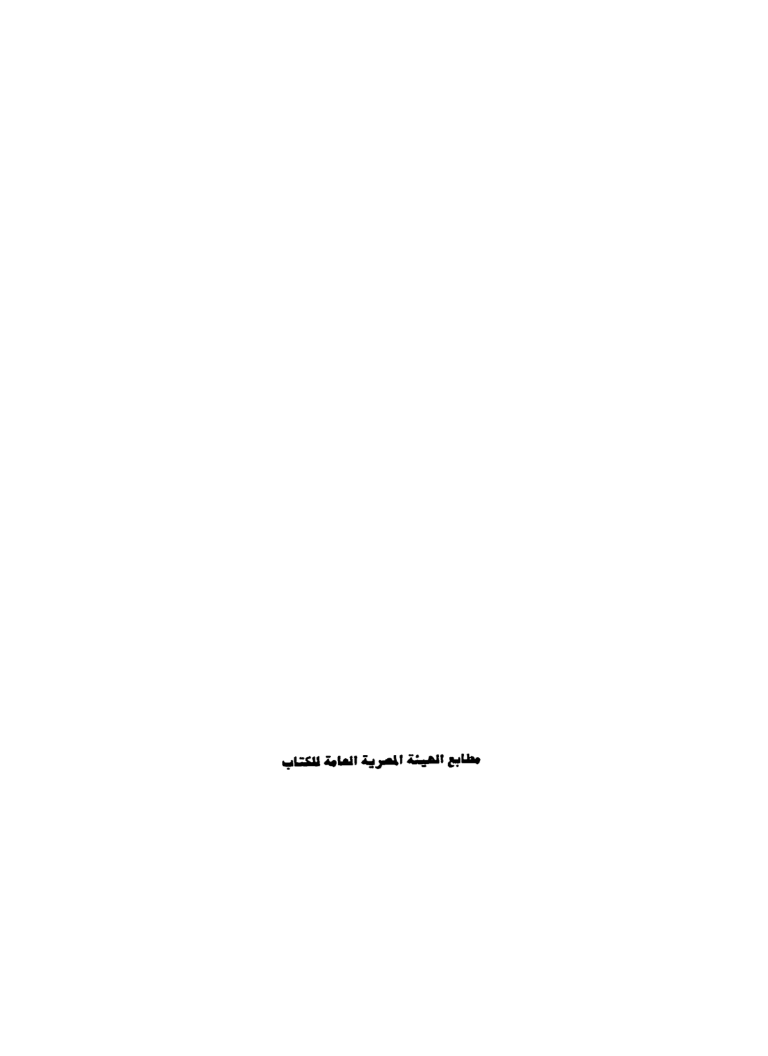
— Lexicon Universal Encyclopedia - Lexicon Publications Inc. N.Y., 1983.

— Dictionary of Foreign Words end Phrases - Maxim Newmark - USA. 1986.

— Shorter Encyclopedia of Islam - E. J. Brill - Leiden - 1974.

— Webster Unabridged Dictionary, 2nd edition - USA, 1983.

الفهـــــرس



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٥١١ / ٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6398 - 8



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى اليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل. للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك





٢٠ قرش

